الكتاب الرابع

الحقيقـــة : من حقائق القرآن المسكوت عنها

نيازي عز الدين

الحقيقة: من حقائق القرآن المسكوت عنها

* الحقيقة: من حقائق القرآن المسكوت عنها (الكتاب الرابع)
* تأليف: نيازي عز الدين

* الطبعة الأولى ٢٠٠٠ م
* التوزيع:
بيسان للنشر والتوزيع والإعلام
بيروت - ص.ب: ٥٢٦١ - ١٣ - هاتف: ٣٥١٢٩١ - فاكس: ٧٤٧٠٨٩

الكتاب الرابع:

الحقيقة

من حقائق القرآن المسكوت عنها

نيازي عز الدين

عنوان المؤلف:
5200 Warner Ave #205
Huntington Beach, CA 92649-4031
Fax: 714 - 840 - 8457

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقنَاكُم مِن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلنَاكُم شُعُوباً وَقَبَآئِلَ لِتعَارَفُوا إِنَّ أَكرَمَكُم عِندَ اللَّهِ أَتقَاكُم...﴾ - ١٣ الحجرات.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفوَهِهِم وَيَأبَى اللَّهُ إِلآ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَو كَرِهَ الكَفِرُون * هُوَ الَّذِى أَرسَلَ رَسُولَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ لِيُظهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَو كَرِهَ المُشرِكُون﴾ - ٣٢ - ٣٣ التوبة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الإهــــداء

إلى أبنائي - الأحبة:

حسام

وسـام

وئـام

وابنتي الغالية

سوسن

أقدم هذا الكتاب

تعويضاً عن معاناة جيلنا، والأجيال التي سبقتنا من أفكار ورثناها من عصور غفوة المسلمين، وفي زعمنا أنها علوم ثمينة، وفاتنا أنها طبعت عقول المسلمين عامة، خلال ألف عام من الزمن بفيض من الأوهام والأباطيل والظنون. أوهام وأباطيل ترسخت عبر الزمن، فتسامق بناؤها حتى أمست قلعة شامخة للجهل، ابتعد فيها المسلمون عن التفكير العلمي الذي دعا إليه القرآن الكريم، فتحجَّر فكر الأمة، وجمدت في فهم كتاب الله وتدبره عند احاديث مروية عن الرسول الكريم ظُنَّ أنها المرجع والسند لتفسير القرآن، مبتعدين عن مقاصد الله عز وجل في فهم آياته، وعنايته الإلهية بالبشر ومساعدتهم على تدبير شؤون حياتهم، وتنظيم أمور معاشهم، وتمثُّل الغاية من وجودهم على الأرض، مما يتعذر عليهم إدراكه إلا بمساعدة الرحمن، خالق الكون ومبدعه، ومن اجل ذلك الهدف أرسل الله رسله للناس يبلِّغوا ويعلِّموا. إن قصتي مع الإيمان، يا أحبتي، قصة خاصة وفريدة من نوعها، فقد أتيح لي، بفضلٍ من الله ومنَّةٍ منه، أن أقف على معجزات كتاب الله العديدة، وهي أنه، بالإضافة إلى روعة بيانه وسهولة حفظه، يقوم على لغة مرنة، تصلح لكل زمان ومكان، وتتيح لكل إنسان يعرف العربية أن يفهم

من كتاب الله ما يفي بتبليغه قواعد الإيمان وأسسه دون حاجة منه إلى الاستعانة منه بالمحدّثين أو المفسّرين، وتَبيّن لي أن اعتماد المسلم على كتاب الله، والرجوع إليه دون وسيط، يعصم المسلم من التأثر بوجهات نظر المحدّثين والمفسّرين واجتهاداتهم، وتشعّب مناهجهم، مما قد يبعد المسلم عن صفاء الينبوع، ويشتت انتباهه أو يشغل ذهنه بالعَرَض دون الجوهر، وبالثانوي دون الأساسي، أو يبرّد حرارة البيان الدافق المعجز بالشروح المستفيضة التي تميت الروح وتخمد جذوة التأثر، فتغدو هذه الشروح بديلاً عن الآية المعجزة، وتضع نفسها في كفّة مع البيان الإلهي، وتسدّ على القارىء المتلهّف لكلمة الله منافذ التذوّق، ومَن يعدل ببيان الله كلام البشر ولو كانوا من العلماء؟ ومَن يستعيض به أفكارهم الذاتية؟!.

لقد ضيّقنا رحاب الكلمة المنزلة، وقيدناها بجملة أفكار بشرية استعصمت بالأحاديث النبوية تلتمس منها مرجعيتها وثباتها لتغدو تأطيراً لكتاب الله، ولا تترك لقارئه فسحة لاستلهام الأصل لا الفرع، وهي تعطّل ملكاته التي يجب أن تتفاعل مع النص القرآني بعيداً عن كل تأطير وتأثير.

وقد راجعت كتاب الله مراراً فلم أجد فيه أي نصّ يحثّ على تدوين الأحاديث النبوية أي: كلام الرسول ﷺ ومواقفه وسنته أو اتخاذها مرجعاً لفهمه وتفسيره، ولم أقف فيه إلا على دوره نذيراً ورسولاً للعالمين، اللهم إلّا ما ورد فيه من تكليفه تحديد عدد ركعات الصلاة والحدّ الأدنى للزكاة، وقد تبين لي أنّ الله عز وجل إنما سمح لنبيّه الكريم أن يتولّى بنفسه تحديد ذلك لغرضٍ إلهي سآتي على شرحه، في حين أن مناسك الحج ظلت كما كانت عليه منذ عهد إبراهيم عليه السلام.

أولادي الأحبة:

أهديكم جهدي المتواضع هذا وأنا أفكر بجيلكم ومستقبلكم، آملاً أن يكون لما ورد في كتابي هذا من أفكار تأثيره الموقظ والمنبّه والمحذّر من خطر مقيم نعيش فيه، ويسبّب لنا مصائب كثيرة، لا نعلم مصدرها، متمنياً أن تتنبّهوا لهذا الخطر أنتم وجيلكم مبكراً، لتتحرروا من تلك القيود التي كانت سبباً في تفرق المسلمين شيعاً وأحزاباً، لتعودوا إلى مضمون القرآن الكريم ومنهج الرحمن فيه، لتنالوا به رضى الله فتربح تجارتكم في الدنيا والآخرة، فيكتب الله سبحانه وتعالى لكم جنتين من نخيل وأعناب، يفجر الله من خلالهما نهراً هو نهر الزمان الذي يفصل بين جنتكم التي على الأرض، وجنتكم

الأخرى التي وعدكم إياها صدقاً وعدلاً في السماء، إذا أنتم وفيتم ما عاهدتم الله عليه من الإيمان به، والتمسك بصراطه المستقيم، والتزام أوامره وتعليماته وحدوده، وعملتم عملاً صالحاً في هذه الحياة الدنيا، وأصلحتم فيها، وعبدتم الله وكأنكم ترونه، طاردين شيطان النفس عن أموركم بإبعاد الوهم والباطل، والتعامل في هذه الحياة الدنيا بالعقل، لأن الإسلام دين العقل والحق والحقائق العلمية، عالمين أن الله لم يخلق أوهاماًوخيالات وظنوناً، بل حقائق كاملة وعلماً وقوانين علمية ورياضية. وأرجو أن يكون هذا الكتاب لكم كبوصلة البحار يعيدكم أبداً إلى القرآن ومنهج الرحمن، فإن بقيتم على ذلك المنهج، تهتدون به في شؤونكم وأمور دنياكم وآخرتكم فلن تضلوا أبداً، واعلموا أن طريق الهداية هو لخيركم ومنفعتكم الدائمة: ﴿فَمَن اهتدى فإنما يَهتدي لنفسهِ ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها..﴾ - ١٠٨ يونس ﴿وَلْتكنْ منكمْ أمةٌ يدعونَ إلى الخير ويأمرونَ بالمعروفِ وينهَوْن عن المنكرِ وأولئك هم المفلحون * ولا تكونوا كالذينَ تفرَّقوا واختلفوا من بعدِ ما جاءَهم البيّنات، وأولئك لهم عذابٌ عظيم﴾ - ١٠٤ - ١٠٥ آل عمران.

ولا يسعني إلا أن أخص بالشكر زوجتي، التي ساهمت معي في تقديم هذا الكتاب للقراء، فيما بذلته من جهد وعناية ورعاية وتشجيع، وما قامت به من جهود ووفّرت لي من ظروف ملائمة للعمل.

وفقنا الله سبحانه وتعالى لما فيه خير الإسلام والمسلمين، ورفع راية الإسلام شامخة على الدوام بعونه تعالى:

﴿فصبرٌ جميلٌ واللهُ المستعانُ على ما تَصفون﴾ - ١٨ يوسف.

صدق الله العظيم.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَاوَجَدنَا عَلَيهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَو كَانَ الشَّيطَانُ يَدعُوهُم إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ - ٢١ لقمان.

صدق الله العظيم

﴿وَقَالَ الَّذِى ءَامَنَ يَاقَومِ اتَّبِعُونِ أَهدِكُم سَبِيلَ الرَّشَادِ﴾ - ٣٨ غافر.

صدق الله العظيم

الحقيقة

الحقيقة موضوع كبير تعرض له كثير من مفكري العالم وفشل جميع من حاول منهم أن يصل إليه من خلال ما تشكل لدى الإنسان من معلومات ومعارف متشابكة فيها الحق وفيها الباطل فيها الواقع والخيال والظنون. صحيح أن بعض الفلاسفة استطاعوا البرهان على وجوب وجود الخالق لكنهم اختلفوا جميعاً في تصور الخالق وتصور صفاته.

إذاً فالحقيقة أكبر من أن يتعرض لها إنسان مهما بلغ من العقل والفكر والعلم إذا لم يكن معه دليل من الله عليه برهان، ليكون هو المجيب على تساؤلات عقل الإنسان المحدود وما معه من متناقضات يعتبرها علماً ومعرفةً. وحتى العلم، إن أراد الإنسان أن يتكلم عنه من خلال ما تجمع لديه من علوم وتجارب إنسانية، لابد له من وثيقة مكتوبة عليها برهان أنها من الله ليكون دليلاً للإنسان على العلم ومصادره. لكي لا يكون كلامه بالظن والأهواء التي تضل ولا تغني من الحق شيئاً. هذا كله يودي بنا إلى الاستنتاج: بأن الإنسان مخلوق محدود في كل شيء، وحتى حواسه الخمس التي هي وسيلة تعرفه على العالم الخارجي محدودة وعاجزة، مع العلم أنها قابلة لأن تخدع. وبالتالي يمكننا القول: أن الإنسان يمكن أن يصل عن طريق حواسه وحدها إلى معلومات أكثرها خاطئة وغير صحيحة على الإطلاق.

من أبسط ما يمكن أن نضرب مثلاً في هذا المجال هو: اعتقاد الإنسان منذ القدم أن الأرض مسطحة، لأنها هكذا تبدو لعينه، أو أن الأرض هي مركز الكون لأنها هكذا تبدو لعينه. أو أن الشمس والكواكب والنجوم تدور حول الأرض لأنها هكذا تبدو لعينه. وما العين إلا من حواس الإنسان الخمس وهي أهمها.

كثير من القادة الملهمين نجحوا في استقطاب شعوبهم، لكنهم غالباً ما فشلوا في تحقيق أهدافهم، بل سببوا كوارث فاجعة لشعوبهم، ليس لنقص في كفاءاتهم القيادية بل لنقص كبير في كفاءاتهم العلمية والمعرفية. صحيح أن شعوبهم قد آمنت بهم وبأفكارهم ظناً أنهم ملهمون ولا يخطئون بينما كانوا في الحقيقة يظنون ويتوهمون ولا يعلمون أنهم كانوا لا يعلمون.

في الأرض أديان كثيرة تتبع كتباً ورسالات مختلفة، ومنها ثلاثة أديان رئيسية تعارف عليها الناس بأنها الأديان السماوية الثلاث، علماً أننا نجد داخل كل دين طوائف وفرق وأحزاب مختلفة ومتصارعة من الداخل، وهذه الديانات الثلاث هي:

١ - اليهودية وأتباعها من اليهود، على مختلف طوائفهم وشيعهم.

٢ - المسيحية وأتباعها من المسيحيين على مختلف طوائفهم وشيعهم.

٣ - الإسلام وأتباعه من المسلمين على مختلف طوائفهم وشيعهم ومذاهبهم.

هذا بحسب التسلسل التاريخي والزمني لتلك الأديان.

نجد في اليهودية كتباً كثيرة من أهمها التوراة، وكتب أنبياء بني إسرائيل، وكتاب التلمود، ومجموعة كتب الكبالا والزوهار. بينما لا نجد في المسيحية إلا الأناجيل الأربعة ومعها العهد القديم الذي يحوي التوراة وكتب الأنبياء مع كتب الملوك لبني إسرائيل مع رسائل بولس الرسول وسفر يوحنا اللاهوتي في العهد الجديد.

ينقسم المسلمون إلى طائفتين كبيرتين هما السنة والشيعة وأهمها وأكبرها هي السنة ومع السنة: كتاب القرآن وهو الكتاب الرئيسي إسماً بينما بالفعل وعند التطبيق نجدهم يتبعون كتب الأحاديث النبوية الشريفة، التي تحوي على الأحاديث القدسية أيضاً، كما نجد معهم كتب الفقه المختلفة على المذاهب الأربعة المسنودة غالباً بكتب الحديث.

ترى اليهودية حقيقة الدين والعقيدة الصحيحة من خلال مجموعة التراث اليهودي الذي كتبه أحبار اليهود عبر التاريخ، وهذه نظرة إنسانية بحتة ومن وجهة نظر أناس محدودين في كل شيء، علماً أنه ليس بين أيدي اليهود اليوم كتاب صحيح منسوب لله مباشرة، بحيث يمكننا أن نقول عنه هذه هي رسالة الله كاملة للرسول فلان أو للنبي فلان بل كلها مكتتبات من الذاكرة عبر التاريخ. وهذا ما يعترف اليهود أنفسهم به في كتبهم المقدسة، رغم قولهم أن الذين عادوا فكتبوها قد كتبوها بوحي من الله حتى يعطوها القدسية المطلوبة من عامة الناس.

لذلك فالحقيقة في اليهودية ضائعة، والناس بالتالي من وراء هذا الضياع أيضاً ضالون ولا يمكننا القول عنهم بأنهم مهتدون أو أنهم على سبيل الحق والصراط المستقيم. هذا إذا أحببنا أن نكتب بتجرد وموضوعية عن اليهودية كدين سماوي.

أما المسيحية فترى حقيقة الدين والعقيدة الصحيحة من خلال مجموع التراث

المسيحي الذي كتبه رجال دينهم عبر التاريخ وبحسب كل طائفة منها على حدة. وهذه النظرة إذا أردنا أن نقيمها بتجرد يمكننا أن نقول أنها نظرة إنسانية بحتة، وهي وجهة نظر أناس محدودين في كل شيء، علماً أنه ليس بين أيدي المسيحية كتاب منسوب لله تعالى مباشرة، بحيث يمكننا أن نقول عنه: هذه هي رسالة الله للمسيح مثلاً، بل كلها مكتتبات إما لبولس الرسول أو مكتتبات لرجال الدين المسيحي، أو مكتتبات الأربعة المعترف بهم من الذين كتبوا الأناجيل المختلفة وهم: متى ولوقا ومرقص ويوحنا، مع العلم أنهم يقولون بأن هؤلاء الأربعة قد كتبوها بوحي من الله لإعطائها هالةً من القدسية المطلوبة من عامة الناس، ولكن اختلاف الأناجيل الأربعة عن بعضها البعض تبرهن للعقل أنها ليست من أصل واحد، بل كلها روايات إنسانية تتبع الأهواء والنسيان.

والآن ماذا عن المسلمين؟ الذين انقسموا منذ الفتنة الكبرى في الإسلام إلى ثلاث فرق كبيرة وهي السنة والشيعة والخوارج، وماذا عن السنة باعتبارهم الفئة الأكبر والأعظم بين المسلمين؟

يرى مسلمو السنة حقيقة الدين والعقيدة الصحيحة من خلال مجموع التراث الذي كتبه رجال دينهم عبر التاريخ السني خلال ثلاثة عشر قرناً ونيف. وإذا أحببنا أن نقيِّم ما عند السنة بتجرد يمكننا أن نقول أنها نظرة إنسانية بحتة ومن وجهة نظر أناس محدودين في كل شيء، علماً أن أهل السُّنة لم يحاولوا أبداً فهم القرآن إلا من خلال كتب الحديث المعتمدة والتفاسير القديمة لاعتقادهم الجازم بأن تلك الكتب ضرورية لبيان ما في القرآن من أسرار سماوية، لا يستطيع المسلم وحده التوصل إليها. أو هكذا لُقِّنوا منذ الصغر.

أين يمكن أن نجد نبع الحقيقة الذي يقبل به العقل والمنطق العلمي إذاً؟ أين يمكننا أن نجد حجر الكشف الحقيقي لنعلم هل ما مع رجال الدين جواهر حقيقية أم مزيفة؟

عشرون عاماً وأنا في بحث متواصل للوصول إلى شيء ثابت يمكن اعتباره الأساس والقاعدة للمعرفة الإنسانية، قرأت خلالها كل الكتب المنسوبة للسماء ولله الخالق المدبر ولم أجد بينها، إلا كتاباً واحداً عليه براهين وأدلة قاطعة يقبل بها العقل الإنساني في أي مكان إذا استطاع التجرد هو القرآن، الذي هجره المسلمون وأصبح كتاباً للأموات يتلى في الجنازات ويقرأه المسلمون حتى دون محاولة فهمه أو فهم ما يتضمنه من حقائق

تشرح للإنسان الضال في الأرض، كيف بإمكانه عن طريق فهم ذلك الكتاب أن يخرج من ظلمات الجهل إلى نور الحقيقة. إن هذا الكتاب السماوي مع صغر حجمه النسبي يحتوي على كل الأجوبة لكل أسئلة الإنسانية المعذبة في الأرض حتى هذه الساعة.

فماذا في ذلك الكتاب مما لا يجده الإنسان في باقي الكتب؟ وماذا في ذلك الكتاب مما يجهله الإنسان؟ أو ماذا في ذلك الكتاب ولا يجهله الجميع؟

أولاً: يقول الله سبحانه وتعالى سلفاً أن على كتابه برهان من الله ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهانٌ من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ ١٧٤ ـ النساء.

من دراسة القرآن نكتشف أن براهين الله موجودة فقط في السور والآيات المكية التي فيها غالباً غيب الله، وأنباء عن علوم الله العلمية، لتكون براهين منه سبحانه للعلماء الحقيقيين في الأرض.

فكتاب الله مثلاً يشرح حقيقة الإنسان، وكيف خُلق ماراً بكل مراحل الخلق والتكوين خلال عملية تطور كبيرة حتى وصل إلى مرحلة البشر، ثم كيف اصطفى الله آدم من أمثاله ليضيف إليه شيئاً من ذات الله هو فكره وإرادته الحرة، وهذه النقلة هي التي حولته من مخلوق يعتمد على الغرائز إلى مخلوق مفكر ناطق يتعلم بالقراءة والكتابة ويختار وحده بحسب مشيئة حرة حتى يُحمّل الإنسان المسؤولية إن أخطأ، وليلقى جزاءه أو يثيبه ويكافئه إن أصاب وأحسن وأصلح واتقى وخشي الرحمن.

بدأت المرحلة الأولى من خلق الإنسان من خلية مفردة في الطين:

﴿وبدأ خلق الإنسان من طين﴾ ٧ ـ السجدة. وهذه كانت من سلسلة وسلالة متتابعة ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ ١٢ ـ المؤمنون.

علماً أن عملية الخلق مرت بمراحل تطور كبيرة وفي زمن طويل ﴿ولقد خلقكم أطواراً﴾. ومرت هذه الأطوار بمراحل خلق مختلفة خلال عصور التاريخ في الأرض ﴿ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً﴾ ١٤ ـ المؤمنون.

والله تعالى بعد كل عملية خلق يزيد ما يشاء على خلقه مما قال عليه العلماء بالطفرة ظناً أن ذلك قد حدث بالصدفة ﴿يزيد في الخلق ما يشاء إن الله على كل شيء قدير﴾ ١ ـ فاطر.

لكن تحويل آدم من مرحلة البشر إلى مرحلة الإنسان كانت عملية تختلف عن كل مراحل الخلق الأولى لذلك فقد بينها سبحانه بقوله عن الإنسان المتميز: ﴿ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾ ٩ ـ السجدة. ثم نقله بذلك نقلة نوعية كاملة تختلف عن كل باقي مخلوقاته الأولى: ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ١٤ ـ المؤمنين.

فعاد الإنسان بعدها في أحسن تقويم ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ ٤ ـ التين.

ولم يحصل سجود الملائكة لآدم إلا بعد أن نفخ سبحانه في ذلك المخلوق البدائي (البشر) آدم المصطفى من بين أقرانه الآخرين شيئاً من ذات الله تحمل صفة الفردية لله، بعكس كل الصفات الزوجية التي يحملها هذا المخلوق، الذي خلق مثل غيره من مخلوقات الله الأخرى على مبدأ الزوجية في كل شيء. ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ ٤٩ ـ الذاريات.

والصفة الفردية التي خلقها الله في الإنسان من صفات الله الفردية هي العقل (الفكر) وعبر عنه سبحانه بكلمة القلب التي تعني اللُّب من الشيء: ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ ٤٦ ـ الحج.

وكما قال عن الذين لا يستخدمون عقولهم وأبصارهم من أجل الفهم والتمييز: ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها﴾ ١٧٩ ـ الأعراف.

وبما أن هذا القلب أحادي الحكم والقرار ولا ازدواجية في أحكامه وقراراته قال تعالى مبيناً ذلك: ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين﴾ ٤ ـ الأحزاب.

لذلك كما قلنا لم يسجد الملائكة لآدم إلا بعد أن أصبح مفكراً ناطقاً يعرف صفات الأشياء فيسميها بصفاتها بعد أن علمه ربه الأسماء والصفات برموز صوتية ﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم قال ألم أقل لكم إني أعلم غيب السموات والأرض﴾ ٣٣ ـ البقرة. فقرر سبحانه أن يستخلف الإنسان (آدم) في الأرض فماذا كان رأي الملائكة؟ ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعلٌ في الأرضِ خليفةً قالوا أتجعلُ فيها من يفسدُ فيها ويسفكُ الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدسُ لك﴾ ٣٠ ـ البقرة.

نحن نعلم أنه لا يعلم الغيب ممن في السموات من الملائكة ولا ممن في الأرض من الجن والأنس إلا الله، فمن أين علم الملائكة أن نسل آدم سوف يكون من سفاكي الدماء إذا ما كان تصور كتبة التوراة صحيحاً، وبأن الله تعالى خلق آدم هكذا فجأة من

تمثال من الصلصال صنعه الله بيده ثم نفخ في أنفه نسمة الروح فصار إنساناً كاملاً. هكذا فجأة وبدون مقدمات.

«ثم أخذ الله من آدم ضلعاً فصنع منها حواء لتكون له رفيقة وزوجة» هذا التصور البدائي نقله رجال دين المسلمين من التوراة باسم الرسول الكريم الأمين تحريفاً وتبديلاً وافتراء، لأنهم عندما قرأوا في القرآن الكريم ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ ٥٩ ـ آل عمران. لم يستطيعوا تخيل (كن فيكون) إلا تخيلاً إنسانياً محدوداً بمعنى أنهم عجزوا عن التمييز بين الإنسان المحدود في كل شيء وبين الله تعالى الذي لا يحده شيء، فلا زمان يفنيه ولا مكان يمكن أن يحد من تواجده، وهو بالتالي خارج مجال زماننا المحدود، ومليارات السنين بالنسبة لله (كن فيكون) ولا يمكن أن يأتي زمان في الكون يمكننا فيه أن نقول بأن عمر الله قد أصبح كذا وكذا فالله تعالى مبرأً دائماً من عاملي الزمان والمكان المحدودين.

علماً أن هذا الخلط في صفات الله وتخيله محدوداً، دخل إلى عقيدة المسلمين من عقيدة أهل الكتاب، وكما أشرت سابقاً فإن التوراة تقول علناً بأن الله تعالى قد خلق آدم على هيئة الله وشكله، فنقلها أبو هريرة إلى ديننا باسم الرسول الأمين وقال بأن الله تعالى قد خلق آدم على صورته وطوله ستون ذراعاً، كما استشهد بها البخاري رحمه الله في كتابه الذي لقبه السلاطين بصحيح البخاري. مع أن البخاري قد أشار في كتابه إلى تناقضات الحديث مع القرآن العظيم وهذا كان موضوع كتابه بالجملة. وقد برهنت على ذلك في كتاب كامل اسمه البرهان ـ دين السلطان ـ. «فخلق الله الإنسان على صورته ـ على صورة الله خلقه» التوراة ـ سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرة ٢٧. وفي الحديث رقم ٢٨٤١ من صحيح مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله، قال «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً».

لذلك ونقلاً عن كتب أهل الكتاب جعل المسلمون صفات الله (٩٩) صفة (إسماً) بينما إذا أحصينا صفات الله الحسنى في كتابه العظيم لوجدناها، لا تتجاوز (٥٧) صفة(*). وبعد إضافة (٤٢ صفة) جديدة لله تبرعاً من مشايخ المسلمين، يجب علينا أن لا نستغرب أنهم لم يقدّروا الله حق قدره، ولم يستطيعو تصوره حسب الصورة المطلوبة في كتابه الصحيح.

(*) انظر إلى أسماء الله الحسنى في هذا الكتاب.

إذاً لابد أن الملائكة قد رأت سابقاً آباء آدم الأولين من السابقين ومن الذين كانوا يسفكون الدماء ويفسدون في الأرض ممن نقول عنهم اليوم خطأً (إنسان نياندرتال) مثلاً، لأن هذا المخلوق الذي كان موجوداً ثم اختار من أمثالهم الخالق آدم المصطفى، وحوله بعد أن خلقه خلقاً آخر إلى إنسان، فاستطاع البقاء بعقله وفكره وقدرته على الإبداع والتكيف مع الظروف المستجدة، بينما أسلافه انقرضوا مع الزمن لأن تكوينهم لم يعد يسمح بالبقاء ضمن مستجدات الظروف الجديدة لعدم قدرتهم على التلاؤم معها. هذا لا يعني أن أبناء آدم لم يرثوا عن آبائهم الأولين صفة سفك الدماء، ونحن نعلم أن ابني آدم قد اقتتلا وقتل أحدهما الآخر كما نجد قصتهما في القرآن العظيم.

لكن الله تعالى خلق الإنسان الجديد آدم وله هدف من خلقه لتحويله بالتدريج وعن طريق التطور أيضاً مع ازدياد علم الإنسان وتربيته إلى إنسان مسالم متحضر يكره الحرب وسفك الدماء. من أجل هذا قال الله تعالى وهو يجيب الملائكة المستنكرين. ﴿قال إني أعلم مالا تعلمون﴾ ٣٠ ـ البقرة، ومن أجل هذا أيضاً سمى الله دينه دين السلم والسلام للعالمين.

وإذا درسنا تاريخ الإنسان في القصص القرآني نكتشف أن الله تعالى قد طور دينه خطوة خطوة حتى أنهاها في النتيجة برسالة عالمية تختلف عن الرسالات السابقة بكثير من المستجدات في الشرع (القانون) إذ حوله من شرع حدّي في ديانة أهل الكتاب: العين بالعين والسن بالسن، إلى شرع حدودي في الإسلام الذي جعله سبحانه رسالة للناس كافة. ونحن بحاجة ماسة اليوم إلى مفكرين ليضعوا للمسلمين فقهاً جديداً مبنياً على مبادىء الشرع الحدودي المبين في القرآن العظيم والذي لم يلتفت إليه المسلمون بعد. إن أحكام الشرع الحدودي تلتزم عادةً بحد أعلى وحد أدنى لا يجوز تجاوزهما، أما ما يقع بين الحدين فهو من حق القاضي أن يتصرف فيه بحسب ظروف كل قضية.

مثلاً في الإسلام القرآني الحد الأعلى للسرقة لا يجوز أن تتجاوز قطع اليد وللقاضي حق اختيار أي اليدين يقطع حتى يكون بقدرة من قطعت يده العيش والعمل بيد واحدة. (انظر أسس ومبادىء الشرع والحكم في الإسلام في هذا الكتاب).

والحد الأدنى في الإسلام إذا لم يحدد من قبل الله معناه يمكن أن يصل إلى حد العفو (الصفر) لذلك فالسارق الذي يسرق من حاجة الجوع لنفسه أو لأهله مثلاً لا

يمكن أن نوقع الحكم عليه في دين الله الرحيم، بل على الحاكم أن يجد له عملاً أو يوجهه إلى السلطة المسؤولة عن ايجاد عمل شريف له ليعيش منه، هذا من واجب المجتمع أما أن نقطع أيدي الجائعين إذا سرقوا لسد حاجة غريزية لا ترد لن نكون قد عالجنا الموضوع.

وهكذا من دراسة القرآن يستطيع المفكر الإسلامي أن يكتشف أموراً كثيرة غفل عنها الأولون، [illegible] الله وآياته البينات وحدها أن الله تعالى قد خلق

وكذلك إن استبد أو قتل. والحساب يكون في الدنيا قبل الآخرة، وكذلك إن عدل وأحسن فيجد حسابه في الدنيا نعيماً قبل نعيم الآخرة.

إن الله تعالى هو الذي علَّم الإنسان عن طريق الرسل والأنبياء مالم يعلم ﴿إقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم * علم الإنسان ما لم يعلم﴾ ٣ ـ ٥ ـ العلق، وأعطاه سبحانه مع العلم عقلاً كما قلنا. وعقل العالم غير عقل الجاهل الذي لم يستخدم بعد بل تركه مهملاً بلا عمل. ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ ٤٣ ـ العنكبوت.

الله تعالى ضرب لنا خمسة أمثلة عن خمس حشرات يحتقرها الجاهلون ويستصغرون شأنها وهي:

ـ العنكبوت: وهي حشرة مهندسة تبني بيتها على أسس علمية ومبادىء رياضية دقيقة لكنها تفعل ذلك بإذن ربها الذي وضع فيها البرنامج القادر على فعل ذلك والمثل المضروب عنها في القرآن هو ضعف بيتها الذي لا يقاوم شيئاً كذلك الذي يعتمد على غير الله من مخلوقاته الأخرى سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من الإنس مثل الأنبياء والرسل مثل موسى وعيسى أو محمد عليهم صلوات الله جميعاً ليس بيدهم شيء لينفعوا أو ليضروا ومن يعتمد عليهم في الشفاعة للخلاص يوم الدينونة مثل الذي اعتمد لحمايته حصناً مثل حصن العنكبوت وبيته الذي يعتبر من أضعف البيوت في العالم، والعاقل هو من تحصن بالله القوي المتين وهو وحده القادر على حمايته والشفاعة له من دون العالمين.

ـ الذباب: أعظم طائرة في الوجود تصميماً وقدرةً على الطيران والمناورة السريعة.

ـ البعوضة: حفارة آبار طائرة مجهزة بأجهزة رادارية كاشفة لأي خطر محتمل فترحل قبل وصول الخطر إليها وقد امتصت من دماء الكائن ما امتصت.

ـ النمل: إعجازها في الاجتماع والتعاون مع وجود لغة للتفاهم المشترك.

ـ النحل: إعجازها في التنظيم وفي الصناعة والدقة مع وجود لغة للتفاهم المشترك فيما بينها.. مع قدرة على التوجه عجيبة.

ومن صفات الإنسان التي خلقه عليها سبحانه:

﴿إن الإنسان خلق هلوعا﴾ ١٩ ـ المعارج. ﴿إن الإنسان لكفور﴾ ٦٦ ـ الحج. ﴿إن الإنسان لربه لكنود﴾ ٦ ـ العاديات. ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾ ٣٤ ـ إبراهيم. ﴿إن

الإنسان ليطغى﴾ ٦ ـ العلق. ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ ٤٩ ـ فصلت. ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلا﴾ ٥٤ ـ الكهف. ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ ١١ ـ الإسراء. ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليئووس﴾ ٩ ـ هود. ومع كل هذا فقد استخلفه الله تعالى في الأرض وجعله محور الوجود في السماء الدنيا، التي فيها الشمس مع المجموعة الشمسية المكونة من اثني عشر كوكباً، وسخرها جميعاً للإنسان وحده مخلوقه المميز. ﴿وسخَّر لكم ما في السموات و ما في الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ ١٣ ـ الجاثية. ثم أتى بعد هذا الإجمال بالتفصيل للمسخرات ﴿وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار﴾ ٣٣ ـ إبراهيم. ﴿وسخر لكم الفلك لتجري بأمره وسخر لكم الأنهار﴾ ٣٢ ـ إبراهيم. ﴿وآتاكم من كل ما سألتموه وإن تعدوا نعمت الله لا تحصوها إن الإنسان لظلوم كفار﴾ ٣٤ ـ إبراهيم. وعبارة (لظلوم كفار) أتت بمعنى أن من صفات الإنسان الدائمة الظلم لغيره ولنفسه، والإنكار حتى للنعم والخيرات جهلاً.

إذاً القرآن هو مصدر كل الأجوبة الحقيقية لكل الأسئلة الكبيرة المحيرة للإنسان، وبعد علم الإنسان أن القرآن كتاب حقيقي لله ويثبت ذلك بالبرهان تطمئن نفسه إلى أجوبة ذلك الكتاب، ليعود كل عالم ليبني علمه على أسس ومسلمات اطمأنت نفسه لها ولم يعد فيها ظن أو تخمين.

وعن طريق كتاب الله الحقيقي نستطيع أن نبرهن لكل المتشككين من الذين لا يعلمون أصلاً بوجود كتاب حقيقي لله في الأرض عن أمور كانوا وعاشوا حياتهم وهم لا يؤمنون بحقيقتها.

من العلوم المجردة التي تعلمها الإنسان من الله الذي علم الإنسان مالم يعلم: علم الأرقام من حساب وهندسة وجبر ولوغاريتمات الذي سماه الإنسان فيما بعد بالعلوم الرياضية. وهذا العلم لا يحتاج الإنسان لفهمه إلى لغة خاصة بل تعتبر لغة الأرقام لغةً عامة يشترك فيها كل الإنس في الأرض. فالأجوبة الرياضية أجوبة محددة ليس فيها مجال للاختلاف أو مجال لدخول الظن والتخمين، وليست مسائلها من النوع الذي يمكن أن يتقول فيه أحد بأن لها وجهان من الأجوبة الزوجية. لأن الإنسان الذي خلق على مبدأ الزوجية يرتاح خاصة إذا استبعد عقله

إلى الأجوبة الزوجية أكثر من ارتياحه للأجوبة المفردة القاطعة لأنه يحمل في داخله نفسين متعارضتين: نفس تميل بطبعها وفطرتها للحق والخير والتقوى والهدى والإحسان والجمال، ونفس أمارة بالسوء تميل أيضاً بفطرتها للباطل الذي هو الهوى والشر والكفر والإشراك بالله ونكران الجميل والقبول بالقبيح والمنكر. وكلا النفسين مفروضتين على كل إنسان من الخالق بداية ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾ ٨ ـ الشمس. ﴿وهديناه النجدين﴾ ١٠ ـ البلد. وحتى نتيقن من العدل الإلهي ومن براءة الرحمن من الظلم قال تعالى مبرّئاً نفسه: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ ٤٠ ـ النساء.

يجب أن نعلم أن الذي معه الحرية الكاملة مع المشيئة الأولى للاختيار باتجاه أحد النفسين هو الإنسان، الذي جهز من الله بسلاح خاص كان في نفخة الروح الأولى، وهذا السلاح هو سلاح العقل الذي إذا تسلح بالعلم نجح، بينما إذا تسلح بالأوهام والظنون فشل، فسمي الأول عالماً وسمي الثاني جاهلاً، ولو كان يحمل مئات الألقاب العلمية إن كانت مصادر علومه كلها من الأوهام والظنون. لذلك بنى سبحانه برهانه الرياضي في كتابه على مبدأ الأرقام واختار منها الرقم (١٩) تسعة عشر الذي اختاره الرحمن ربما لأنه رقم يحوي الواحد وهو الأول من الأرقام العشرية والتسعة وهو آخر الأرقام العشرية، وهذا يرمز في حد ذاته إلى البداية والنهاية.

وحتى يدلنا سبحانه على نظامه الرياضي المبني على العشرات بحيث تنتهي دائماً الأرقام الفردية بالرقم تسعة وتبدأ بعدها الأرقام العشرية بالرقم صفر وواحد: ١٠ ـ (عشرة) قال لنا سبحانه: ﴿تلك عشرة كاملة﴾ ١٩٦ ـ البقرة.

وكذلك نعلم من وجود مضاعفات الرقم عشرة في القرآن أن نظام الله تعالى في الأعداد هو نظام عشري بدليل قوله تعالى: ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون﴾ ١٤٧ ـ الصافات.

هذا وقد شرحت هذا البرهان الرياضي تحت عنوان: الإعجاز العددي في القرآن في كتابي (إنذار من السماء).

ولا بأس من ذكر آية البرهان مرة أخرى حيث يقول تعالى للناس جميعاً مؤمنين وكافرين ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ ١٧٤ ـ النساء. أي أن القرآن يحتوي على كتابين: الكتاب الأول (السور

والآيات المكية) فيه براهين يقبل بها العقل الإنساني الذي أصله من نفخة الروح من الله ذاته، والمطلوب من الإنسان البحث عن تلك البراهين ليتأكد بنفسه أنها ليست من معلومات عصر الرسول الكريم التي بلغها بلسانه وبلغ معها أنه سيأتيكم علمها بعد حين، علماً أنه لا يعلم تأويلها إلا الله تعالى في ذلك الوقت.

اليوم في القرن العشرين أصبح كثير من تلك المعلومات معروفة للإنسان المعاصر. والكتاب الثاني (السور والآيات المدنية) الذي يحوي النور المبين هو الكتاب الديني الذي يحوي الأحكام والشرع والدين والعبادات مع السياسة وفن المعاملة داخلياً وخارجياً، حتى يستطيع الإنسان العيش في سلم وسلام دائمين مع كل الناس من جميع الأمم في العالم، بدون داع للحرب وللصراع وسفك الدماء، لأن في الأرض للإنسان متسع للجميع وفيها من الماء ما يكفي لطعام وشراب الجميع، المهم أن يستخدم الجميع عقولهم ويتحكموا بغرائزهم وأهوائهم. يقول تعالى: خلق الإنسان ولا يعلم من العلم شيئاً. ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ ٧٨ ـ النحل.

وبدأ سبحانه تعليم الإنسان منذ البداية بأساليب مختلفة كان أولها أسلوب الاقتداء بباقي مخلوقات الله الأخرى وذلك بأن يفعل ما يراها تفعل بالغريزة لأن الله تعالى اختار أن يكون فعل الإنسان مبدأه العقل والاختيار بإرادة حرة، والتعلم بدلاً من اتباع الغريزة كما في باقي المخلوقات الأخرى (أي برمج الجهاز العصبي للمخلوق كما شاء له الله) إذا أحببنا أن نستخدم لغة العصر الكمبيوترية. ﴿فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليريه كيف يواري سوءة أخيه﴾ ٣١ ـ المائدة. فتعلم من الغراب كيف يحفر الأرض ليدفن فيه موتاه. هكذا تعلم الإنسان بالاقتداء أموراً أخرى، فتعلم علوم الطيران من الطيور وعلوم الغواصات من السمك والحيتان وهكذا عن طريق الملاحظة والتفكر بالعقل لأسرار تلك الملاحظات تدرج الإنسان في العلم الذي أصله الدائم من الله العليم الخبير: ﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ ٥ ـ العلق.

علم سبحانه الإنسان الكلام وتسمية الأشياء بصفاتها: ﴿علم آدم الأسماء كلها﴾ ٣١ ـ البقرة. وعلم سبحانه الإنسان القراءة ﴿علَّم القرآن﴾ ٢ ـ الرحمن. وعلم سبحانه الإنسان الكتابة بالقلم ﴿الذي علم بالقلم﴾ ٤ ـ العلق. وعلم سبحانه البيان في اللغة مع الرموز والتشابيه والأمثال والكنايات ﴿علمه البيان﴾ الرحمن.

وكان أنبياء الله ينقلون أنباء وعلوم الله للإنسان ﴿آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من

لدنا علما﴾ ٦٥ ـ الكهف. وعلم الله تعالى يوسف علم تأويل المنامات ﴿وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ٦٨ ـ يوسف.

وعلَّم سبحانه داوود تقنية صناعة الدروع الحديدية مع تقنية تحويل الحديد الصلب إلى حديد لين قابل للسحب وللصناعة ﴿وعلمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم﴾ ٨٠ ـ الأنبياء. ﴿وألنا له الحديد﴾ ١٠ ـ سبأ. وعلم سبحانه صناعة الحديد أساساً لذي القرنين وعلمه مبدأ الفرن العالي المذكور في الآية ﴿آتوني زبر الحديد حتى إذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى إذا جعله ناراً قال آتوني أفرغ عليه قطراً﴾ ٩٦ ـ الكهف. والقطر هو البترول السائل الذي كان ينبع من الأرض ومن شقوقها بدليل قوله تعالى عن ينابيع هذه المادة ﴿وأسلنا له عين القطر﴾ ١٢ ـ سبأ. وعين في لغة القرآن وكلماتها تأتي فقط بمعنى نبع ومنها العين الإنسانية التي فيها نبع الدمع.

وهكذا نتأكد أن العلم أساسه ومصدره من الله تعالى. كما أن العلم هو أساس لكل الحقائق التي تعلمها الإنسان في الأرض نقلاً عن آبائه حتى هذا اليوم. والآن إذا سألنا القرآن: هل في الوجود آلهة متعددة أم إله واحد؟ ماذا يقول القرآن ﴿وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم﴾ ١٦٣ ـ البقرة.

وإذا سألنا القرآن هل الله تعالى يتكون من ثلاث أقانيم؟

ماذا يكون جواب القرآن الكريم عن مثل هذا التساؤل؟

﴿لا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إله واحد﴾ ١٧١ ـ النساء.

وإذا سألنا القرآن هل لله تعالى ولد أو صاحبة أو صاحب أو خليل أو خليلة؟ ماذا يكون جواب القرآن؟ ﴿سبحانه أن يكون له ولد له مافي السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً * لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته ويستكبر فسيحشرهم إليه جميعاً﴾ ١٧١ ـ ١٧٢ ـ النساء. ﴿وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً﴾ ٣ ـ الجن. وإذا سألنا القرآن بعد علمنا أن الله تعالى واحد أحد هل لله أديان متعددة في الأرض ماذا يجيب القرآن؟ يقول تعالى أولاً ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ١٩ ـ آل عمران. ويقول مبيناً أنه لن يقبل أيضاً بغيره مثل أديان وطوائف الأرض الحالية من يهودية أو مسيحية أو سنة أو شيعة ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ ٨٥ ـ آل عمران.

فنسأل القرآن وماذا كان دين إبراهيم عليه السلام؟ والقرآن يجيب ﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً وما كان من المشركين﴾ ٦٧ ـ آل عمران.

وماذا قال القرآن عن دين ملة إبراهيم ونسله؟ ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلهاً واحداً ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون﴾ ١٣٠ ـ ١٣٤ ـ البقرة.

وإذا سألنا القرآن ما سبب ترك الناس بصورة دائمة لدين التوحيد والعودة لدين الإشراك، وما معنى الشرك في الدين ماذا يكون جواب القرآن: إن الجواب على هذا التساؤل يأتي من خلال القصص القرآني كله.

فدين التوحيد يدعو إلى الحق والمثل العليا وإتباع وصايا الله العشرة والابتعاد عن الكبائر العشرة ويدعو إلى التعاون والتراحم والتوادد والاتحاد للخير والعمل الصالح في الأرض، مع الابتعاد عن الفساد والإفساد. ويدعو إلى منع الظلم والتسلط ومنح حقوق الإنسان مع منع الاستعباد من أي شكل ومنع الاحتكار ودفع الزكاة للفقراء عن حق واستحقاق وليس عن استعلاء مع تكبر. والسير في تطبيق أحكام الله على القرآن بموجب حدود الله وعدم السماح لأحد من خلق الله حتى ولو كان رسولاً التدخل في مجال حدوده وحدود ما حرم وحلل سبحانه، لكن كل تلك الأمور وفي كل الرسالات لم تعجب فئة الملأ الذين يشكلون الأقلية الغنية المتنفذة من وجهاء كل أمة فسعوا متكافلين متضامنين إلى تبديل كتب الله وتأويلها مع حرفها إلى ما يناسبهم من شرائع تتعارض مع شريعة الله، وهذا ما نجده في كل أديان الأرض من تلمود أو سُنة أو أحاديث منسوبة للرسول في الإسلام أغلبها لمصلحة الأغنياء دون الفقراء وأغلبها تسمح بالتدخل في حرام الله وحلاله، علماً أن للدين عندهم دائماً مقياسين وحديثين لكل موضوع، بحيث يحل للغني المسؤول ما لا يحل لغيره ويحرم على الفقير ما يحل للغني، وهكذا تجد أديان الأرض كلها فيها الازدواجية بينما دين القرآن بعيدٌ جداً عن ما لدى الناس اليوم من أديان كلها من صنع البشر.

يستنكر القرآن الكتب المحرفة جميعاً. كما يستنكر ما لدى المسلمين من أحاديث، جاعلاً حديث الله في القرآن هو أحسن الحديث وأصفاه إن عَقِلَ المسلمون ذلك وفهموه ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم﴾ ٦ ـ لقمان، وهذا ما فعله سلاطين السوء في بلاد المسلمين من الطغاة السابقين.

واستنكر الله تعالى أي حديث بعد حديثه بقوله الكريم ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية. وتحداهم أن يكون بين ما معهم من أحاديث حديثاً مثل حديث الله ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ ٣٤ ـ الطور.

والقرآن هو أحسن الحديث ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد﴾ ٢٣ ـ الزمر. وإن أهمية هذه الآية وخصوصيتها تأتي من إشارتها للسبع المثاني في القرآن العظيم.

والسبع المثاني بحسب لغة القرآن هي السور السبعة المكية التي جعلها الله تعالى في قلب القرآن واختار لها سبحانه حرفي: الحاء والميم، التي تأتي على شكل آيات مستقلة لوحدها لتكون فواتح للسور السبعة المتوالية وهي: سورة غافر ـ وفصلت، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

ومجموع حرفي الحاء والميم في كل هذه السور تساوي (٢١٤٧) حرفاً بحسب إحصاء الكمبيوتر للأحرف، وإذا قسمنا على الرقم الأصم (١٩) الرقم الذي يلتزمه الرحمن في أكثر خلقه ليعلّم به سبحانه خلقه من الذين يعقلون ويتفكرون أن ذلك لم يحصل بالصدفة العمياء، وإنما وراءه قاصد كريم، فتكون نتيجة القسمة تساوي ١١٣ بدون باقي. فإذا علمنا أن هذا الرقم هو أيضاً رقم أصم لا يقبل القسمة إلا على ذاته يجعلنا نفكر إلى ماذا يرمز هذا الرقم؟ إذا علمنا أن في القرآن ١١٤ سورة منها سورة واحدة مستثناة ليس في أولها الآية الأولى (بسم الله الرحمن الرحيم) بينما نجد نفس هذه الآية في أول (١١٣) سورة من القرآن الكريم نجد أن ناتج القسمة السابقة الذي فاجأنا بالرقم (١١٣) كأنه يشير إلى هذه السور الباقية من القرآن الكريم، والتي تبدأ كلها بعبارة واحدة هي (بسم الله الرحمن الرحيم) وهكذا نعلم أن خصوصية سورة التوبة جاءت لتبين أنها كانت صورة خاصة برسولنا الكريم وبصحابته وبمعاصريه في

خطاب إلهي مباشر من إلاه حي قيوم لأحياء من خلقه كانوا يتفاعلون مع الله تعالى من خلال ما يتنزل عليهم من السماء من آيات بشكل مباشر تأمرهم فيطيعون، يخطئون فيصحح سبحانه خطواتهم، ويصيبون فيؤيدهم سبحانه بنصره المبين. أما باقي سور القرآن ومنها هذه السور السبع فهي لجميع المسلمين في الأرض من بعد الرسول وإلى يوم القيامة ولم يعد لها أسباب نزول تحدها.

إن هذا الفصل بين النموذجين نموذج سورة التوبة. ونموذج سور المثاني السبع مهم جداً لفهم كتاب الله المبين، وبدونه يظن المسلم أن هناك تناقضاً لا سمح الله في القرآن، لكن باقي سور القرآن وعددها بعد حذف السور التي تحوي على النموذجين تكون (١٠٦) سور تحوي على نموذج السبع المثاني فقط. مثلاً نجد في سورة النساء آيات للقتال خاصة وموجهة للرسول الكريم وحده من دون العالمين وليس لها علاقة بالمسلمين الذين سيأتون بعد رسول الله. آيات قتال خاصة للإنهاء على الأعداء السياسيين لدولة الإسلام في الجزيرة قبل الانتقال إلى مرحلة الدفاع الكبرى عن رسالة الإسلام ضد القوى العالمية في ذلك الوقت وهما دولتا الفرس والروم. والآية التي أشير إليها هي ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا﴾ ٨٤ ـ النساء، فهذه الآية تعتبر منسية وغير منسوخة من القرآن كما شرحت موضوع الإنساء وبينته عن موضوع النسخ في كتابي إنذار من السماء، (وهذه آية من نموذج سورة التوبة الخاصة بعصر الرسول الأمين).

بينما نجد آيات كثيرة في سورة النساء مفعولها دائم في الإسلام إلى يوم الدين مثل ﴿إن الله يأمركم بأن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نِعِما يعظكم به إن الله كان سميعاً بصيراً﴾ ٥٨ ـ النساء. أو قوله تعالى ﴿وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ ٨٦ ـ النساء.

لذلك فإن الله تعالى الذي يعلم الغيب ينبه المسلمين سلفاً من خطر قائم سوف يأتي من منافقين جندوا أنفسهم ليكونوا رجال دين للسلطان الحاكم، حتى يحولوا دين الله الذي أتى ليكون لخير وسعادة الناس في الأرض إلى دين الطاغوت ليكون في مصلحة أقلية متنفذة من أصحاب المال والسلطة في الأمة ومن مترفيها.

ينبهنا الله إلى أن أحاديث كثيرة ستؤلف وتنسب ظلماً وافتراء لله وللرسول

﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة كلما أو قدوا ناراً للحرب أطفأها الله ويسعون في الأرض فساداً﴾ ٦٤ ـ المائدة. فهل نصدق أحاديث وروايات رجال دين الطاغوت أم نصدق أحسن الحديث الذي تنزل على رسولنا من السماء وحياً لنحكم به إلى يوم القيامة؟. ﴿الله لا إله إلا هو ليجمعنكم إلى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثاً﴾ ٨٧ ـ النساء. فهل كل رواة الحديث ورجالها ومحدثوها وكتابها الذين ينسب إليهم الصحاح أصدق من الله حديثاً؟ ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ ٣٤ ـ الطور.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

إشارة لابد منها

إن اسم هذا الكتاب هو: من حقائق القرآن المسكوت عنها، فأرجو أن لا يدخل إلى فهم القارئ أن الكاتب يدعي لنفسه أنه قد علم وحده أسرار القرآن فأتى ليتحدث عنها. إذ لا أحد في هذا العالم يستطيع أن يدعي لنفسه أنه فهم حقائق القرآن كلها.

القرآن كتاب لله تعالى له من صفات الله أنه كتاب حي ليس بورقه وحبره ولكن بأفكاره وكلماته وآياته التي لها القدرة على التفاعل مع العقل الإنساني، وتتحداه في كل زمان ومكان، فهو كتاب فوق طاقة الإنسان مهما تقدم علماً وتقنية وثقافة وفكراً. ومعجزاته أكثر من أن تحصى، وتحديات القرآن للعقول أكثر من أن تعد. علماً أن آباءنا الأولين قد علموا فقط النواحي الظاهرة من إعجازات الكتاب مثل: الإعجاز اللغوي والبياني والتعبيري. كلغة أدبية في استخدام الأمثال والرموز والتصوير والتشبيه والكناية والاستعارة. وغاب عنهم كل الإعجازات العلمية والإحصائية، كما غاب عنهم إعجازات أخرى فريدة من نوعها لا يقدر عليها إنس ولا جان، مثل: جعل الكتاب وآياته سهلة الحفظ للذاكرة الإنسانية حتى ولو كان الإنسان الذي يحاول حفظها لا يعرف العربية، وهذا لا يتوفر لكتاب آخر في الأرض غير القرآن. المعجزة الثانية: أن القرآن سهل الفهم على كل إنسان يحاول فهمه مستعيناً بالله إذا كان يعرف العربية ومفرداتها - ولكن دون أن يطمع باستيعاب أكثر من قدرته الذاتية على الفهم والإدراك، لأن القرآن كالبحر لا يمكن فهمه كله من إنسان واحد. المعجزة الثالثة: أن الله تعالى جعل أفكاره ومعانيه مختبئة خلف الكلمات بحيث إذا أشرك الإنسان مع كتاب الله كتباً أخرى مثل كتب الأحاديث المختلفة أو التفاسير مع أسباب النزول امتنع الكتاب عن الفهم وأصبحت الكتب الأخرى تقف مقام الغشاوة على العين فتمنع وضوح الرؤية، أو تقف مقام الوقر الذي هو المانع من السمع فلا يسمع قارئها الحقيقة، وتقف مقام الحاجز على العقل فتمنع قارئها أو سامعها من فهم مقاصد الرحمن.. فيظن عندها القارىء وكأنه يقرأ رموزاً يعجز عن حلها ويكتفي بما قاله المفسر من معاني ظناً أن ذلك هو ما قصده الرحمن رحمة للإنسان فيخسر كل ذلك لأنه استعان لفهم كتاب الله بكتاب آخر من صنع البشر ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ ٧ - البقرة.

لذلك وبيساطة شديدة نقول أن القرآن آياته بينات لا تُبين من أحد ولا تُفسر من

مفسر ولا تُؤول من مؤول، فالمعنى يأتي مباشرة من كتاب الله إلى ذهن الإنسان خاصة في الآيات العلمية التي يفهمها العالم وحده أو الذي علم أسرار العلوم وهذا سر قوله تعالى مانعاً تأويل آياته حتى من الراسخين في العلم ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأُخر متشابهاتٌ فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله (وقف تام) والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ ٧ ـ آل عمران.

والقرآن العظيم، إذا ترجمه مترجم إلى لغة أخرى فإنه ينقل سوء فهمه للناس باللغة التي ترجم إليها. ولذلك لا يمكن الاعتماد على مبدأ الترجمة للقرآن إلا أن يكون دائماً ومستمراً، لأن فهم الناس للقرآن يتناسب مع تطور العلوم والتكنولوجيا، وبالتالي يجب إعادة طبع تراجم القرآن من جديد حتى يمكن ترجمة ما توصل إليه العلماء من فهم جديد لآيات الله في القرآن خاصة للقسم المكي منه الذي يحوي غيب الله.

ويفضل لمن يشاء أن يفهم القرآن أكثر أن يتعلم اللغة العربية ـ وإن كان هذا يحتاج إلى جهد أكبر، حتى لا يكون فهمه للقرآن معتمداً على ما فهمه المترجم من آيات الله علماً أن هذا الفهم يعتمد على علم المترجِمْ ومدى قدرته على الاستيعاب وكلاهما محدودان. ﴿قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا﴾ ٨٨ ـ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الآمين.

هل يطبق المسلمون الكتاب والسنة؟

عندما كنت في العشرينات والثلاثينات من عمري كنت أصدق رجال الدين وهم يصرحون بأنهم يطبقون كتاب الله وسنة رسول الله. معتبراً أن السنة مكملة لكتاب الله وشارحة لها فلم يكن عندي شك في ذلك ولكنني بعد أن بدأت أدرس في أمهات كتب السنة، ودرست قبلها تاريخ الأديان، ثم درست ما عند اليهود والنصارى من كتب مختلفة، اكتشفت أن ما نحمل من نصوص في كتب السنة مصدرها كتب أهل الكتاب بحيث تكاد تكون النصوص منقولة بشكل حرفي كما في الأمثلة التالية:

المثال الأول:

١ ـ نص من التوراة: «فخلق الله آدم على صورته ـ على صورة الله خلقه» سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرة ٢٧.

٢ ـ نص من الحديث: الحديث رقم ٢٨٤١ من صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله، قال:

وخلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً».

٣ ـ نص من القرآن: ليس في القرآن ما يؤيد ذلك أبداً.

المثال الثاني:

١ ـ نص من التوراة:

في اليوم الأول أمر الله ليكن نور فصار نور.

في اليوم الثاني أمر الله جَلَد يحجز بين مياه ومياه.

في اليوم الثالث خلق الله الأرض الجافة والخضراوات.

في اليوم الرابع خلق الله القمر والنجوم.

في اليوم الخامس خلق الله الطيور والأسماك.

في اليوم السادس خلق الله الحيوانات والإنسان.

في اليوم السابع يوم الراحة استراح الله من تعب الأسبوع.

«وهكذا اكتملت السموات والأرض بكل ما فيها، وفي اليوم السابع أتم الله عمله الذي قام به فاستراح فيه من جميع أعماله» سفر التكوين الإصحاح (١) بالانتقاء.

٢ ـ نص من الحديث:

الحديث رقم ٢٧٨٩ من صحيح مسلم: عن أبي هريرة: أخذ رسول الله بيدي فقال:

«خلق الله عز وجل التربة يوم السبت وخلق فيها الجبال يوم الأحد. وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكروه يوم الثلاثاء، وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم عليه السلام بعد العصر من يوم الجمعة في آخر الخلق في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل».

ولم يفكر الذي وضع هذا الحديث أن الله تعالى ليس من سكان الأرض وبالتالي فإن العبارة (في آخر ساعة من ساعات الجمعة فيما بين العصر إلى الليل». ليس له معنى إلا بالنسبة لسكان الأرض، وأرضهم تدور حول نفسها أمام الشمس كل (٢٤) ساعة مرة، وبالتالي يتكور الضوء على طرف فيكون فيه نهاراً كما يتكور الظلام على الطرف الآخر فيكون ليلاً كما نراها اليوم في الصور المنقولة عبر الأقمار الصناعية لصورة الأرض في الفضاء وهذا يتطابق مع وصف الله الذي يقول:

﴿خلق السموات والأرض بالحق يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل﴾ ٥ ـ الزمر.

٣ ـ نصوص القرآن:

لقد شرحت سابقاً أن الزمان والمكان نسبيان والله سبحانه وتعالى متحرر منهما لكنه سبحانه أحب أن يقرب ذلك إلى أذهاننا فقال في الآية: ﴿وإن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ ٤٧ ـ الحج. وحتى لا نعتبر هذا مقياساً ثابتاً قال سبحانه ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾ ٥ ـ السجدة. ثم قال مرة أخرى في آية أخرى مشابهة لها ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ٤ ـ المعارج. ونحن نعلم أن القرآن نزل لقوم أغلبهم أميون، ورقم خمسين ألف يعتبر بالنسبة لهم من الأرقام الكبيرة جداً، واستخدام ألف سنة في الأولى وخمسون ألف سنة للمرة الثانية دليل أن الرقم هنا للإكثار وليس للتحديد، وبما أن الله تعالى

متحرر من الزمن بالنسبة له: الدقيقة والساعة وآلاف السنين كلها لحظية. وبالتالي قد يكون يوماً المذكورة في القرآن الكريم في الآية الكريمة ﴿الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾ ٤ ـ السجدة.

إن عملية الخلق قد مرت على ست مراحل لا يعلم إلا الله طولها الزمني بالنسبة لنا.

المثال الثالث:

١ ـ نص من الإنجيل: «إني أعلم أين تسكن حيث عرش الشيطان» العهد الجديد ـ سفر الرؤيا الإصحاح ٢ ـ الفقرة ١٣ ـ الكتاب المقدس.

٢ ـ نص من الحديث (السنة) الحديث رقم ٢٨١٣ من صحيح الإمام مسلم عن أبي سفيان عن جابر قال سمعت النبي، يقول «إن عرش إبليس على البحر. فيبعث سراياه فيفتنون الناس».

٣ ـ نص من القرآن:

ليس في القرآن أي ذكر لعرش إبليس وإنما ذكر الله عرش الله وحده.

وهكذا يستطيع القارىء أن يرى أمثلة لا نهاية لها في تطابق كتب أهل الكتاب المحرفة مع ما لدى المسلمين من السنة النبوية الشريفة وهي تناقض مباشرة ما ورد في القرآن العظيم، والقارىء الكريم إذا أحب أن يستزيد من هذه الأمثلة أقول له: لقد ذكرت ٢٩ مثالاً في كتاب (البرهان، دين السلطان تحت عنوان: (هل سمح الرسول عليه السلام بالأخذ عن كتب أهل الكتاب المحرفة؟)

والآن بعد أن تأكدنا أن مصدر السنة لم يكن من الكتاب أصلاً علمنا أنه لم يكن شارحاً له ولا مفسراً، وقد أشار البخاري رحمه الله في كتاب تفسير القرآن في صحيح البخاري: الحديث رقم ٤٥٥٧ من صحيح البخاري عن أبي هريرة قال في تفسيره (كنتم خير أمة أخرجت للناس) قال رسول الله: (خير الناس تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلو الإسلام).

إن هذا لكلام هو بعيد عن تفسير تلك الآية الكريمة التي تتحدث عن أمة إبراهيم من الأنبياء والمرسلين حيث يقول تعالى عنهم في آية أخرى:

﴿إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ولم يكن من المشركين﴾ ١٢٠ ـ النحل.

إن العبارة السابقة (إن إبراهيم كان أمة) يقرر فيها الرحمن أنه قد خرج من إبراهيم

ومن نسله أمةً من الرسل والأنبياء الصالحين وكان خاتمهم رسولنا الكريم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، وبما أنهم انتهوا يقول عنهم سبحانه:

﴿أم تقولون أن إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط كانوا هوداً أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ ١٤٠ - ١٤١ - البقرة.

وهكذا نجد دائماً الحق في كتاب الله والظنون والأوهام في غيره من الكتب.

والآن لنعد بعد هذا التمهيد السريع إلى موضوعنا الأساسي ماذا يقصد رجال الدين عندما يقولون إننا نطبق: الكتاب والسنة؟.

حتى أبين الحقيقة لابد من إيراد بعض الأمثلة لتكون شاهدة على موضوعنا الهام الذي بين أيدينا:

١ - بالنسبة للحلال والحرام الذي يعتبر من حدود الله، يحرم الله في كتابه الزنى والسرقة ويعتبر شرب الخمرة رجساً من عمل الشيطان فطلب سبحانه اجتنابه من قبل المؤمن. ويحصي القرآن الكبائر العشرة في سورة الأنعام في الآيات ١٥١ - ١٥٢ - ١٥٣ تحت قوله تعالى: ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم﴾ ١٥١ - الأنعام، وكما يبين الله قراره بالنسبة للمغفرة حيث يقول ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريما﴾ ٣١ - النساء.

أما عن الزنى فيقول تعالى ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا﴾ ٣٢ - الإسراء. وأما عن عقوبة الزاني في الدنيا فيقول تعالى وهو الحد الأعلى لهذه العقوبة في الإسلام ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله﴾ ٢ - النور.

أما عن السرقة فيقول تعالى جاعلاً السرقة من أولى الكبائر بعد الإشراك بالله.

﴿على أن لا يشركن بالله ولا يسرقن ولا يزنين﴾ ١٢ - الممتحنة، وقوله تعالى: مبيناً الحد الأعلى للسرقة ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ ٣٨ - المائدة.

بينما إذا عدنا إلى حديث واحد من أحاديث السنة نجد عكس هذا التشديد كما في الحديث (٣٢٢٢) من صحيح البخاري عن أبي ذر قال النبي، (قال لي جبريل: من

مات من أمتك لا يشرك بالله دخل الجنة، قال وإن زنى وإن سرق؟ قال وإن زنى وإن سرق، وفي الرابعة قال مضيفاً وإن زنى وإن سرق وشرب الخمر).

٢ ـ بعدها ننتقل إلى موضوع هام من مواضيع الشرع الحنيف في القرآن وهو موضوع الطلاق الإسلامي والحقوق المترتبة عليه، فإذا فتحنا كتاب الله نجد الموضوع واضحاً لا يحتاج لشرح إضافي من أحد حيث يقول تعالى ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ ٢٢٩ ـ البقرة.

وسبب كون الطلاق مرتين لأن الله تعالى اعتبر الطلاق فعلاً عظيماً يقوم بهدم أسرة إسلامية وحتى لا تكون نتيجة غضب وتسرع من أحد الطرفين خصص سبحانه مدة ثلاثة أشهر فترة انتظار للمطلقة لا يجوز لها فيه أن تخرج من بيت زوجها لتعود إلى بيت أهلها أو أقربائها. لعلم الله أن أغلب الأزواج يتراجعون بعد الطلقة الأولى. لذلك بين سبحانه بعد الطلقة الأولى إمكانية أن يعيد الزوج زوجته ويمسكها بحسب الأعراف، ويرجع عن طلاقه الأول.

وهذا لا يحتاج إلى شهود أصلاً عند الطلاق ولا عند الإمساك والإعادة لأن الموضوع بقي بين الإثنين. وشدد الله تعالى على عدم إخراج المطلقة من بيت زوجها في القرآن حيث قال تعالى ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن وأحصوا العدة واتقوا الله ربكم لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ ١ ـ الطلاق.

ويشرح الله سبب عدم الإخراج في نفس الآية بقوله ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾. أي لعل الله تعالى يلهمهما من بعد الغضب وسيطرة الشيطان أن يكون للرحمن دوراً فيعودا عن قرارهما أو عن قرار الزوج إذا كان هو الطرف المصر على الطلاق.

هذا معناه أن المرأة المسلمة إذا قضت عدتها ثم سرحها زوجها وأرسلها إلى بيت أهلها مع إعطائها حقوقها الشرعية، يكون قد استنفذ الزوج الطلاقين ولا يجوز بحسب القرآن أن تعود إليه إلا بعد أن تنكح زوجاً غيره. وهذا ما تشرحه الآية التالية للآية السابقة ٢٢٩ من سورة البقرة ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا إن ظنا أن يقيما حدود الله﴾ ٢٣٠ ـ البقرة.

وهكذا لا نجد في الطلاق على أسلوب القرآن كل أنواع الطلاق المطبقة في شرع السنة المعتمدة على الروايات المتناقضة أبداً.

٣ ـ بعدها أنتقل إلى موضوع هام وعام يخص كل المسلمين وهو الحج. فإذا اعتبرنا القرآن دليلنا، وجدنا أن الحج ليس موضوعاً يخص المؤمنين وحدهم بل هو موضوع عام يخص الناس جميعاً بدليل أن كل آيات الحج تخاطب الناس جميعاً ﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ ٢٧ ـ الحج.

وفترة الحج هذه حددها سبحانه لفترة موسمية كاملة لكنه لم يحددها لعلمه بدخول الشهر النسيء على أشهر الحج فيكون عندنا حج كبير وحج أكبر كل تسعة عشر عاماً مرة.

لكن الحج بشكل عام يتشكل من أشهر معلومات ﴿الحج أشهر معلومات﴾ ١٩٧ ـ البقرة. والسبب في كونها من المعلومات لأنها تأتي عادة محصورة ما بين نهاية شهر رمضان الذي هو شهر الصيام عند المسلمين ثم يأتي بعد أشهر الحج مباشرة رأس السنة والأشهر الحرم الأربعة التي حرم فيها ربنا صيد البر رأفة ورحمة بالحيوانات البرية التي تتوالد في الربيع عادة.

وعلى هذا الأساس فإن أشهر الحج هي: شوال، وذو القعدة، وذو الحجة. وإن دخل عليها شهر نسيء طوله (٢٩) يوماً أصبح الحج عندها حجاً كبيراً وإن دخل عليها شهر نسيء طوله (٣٠) يوماً كان حجاً أكبر كما صادف ذلك عام ٦٣٠ ميلادية الموافقة للسنة التاسعة هجرية، وهي السنة التي حج فيها أبو بكر أميراً على الحج ونزلت فيه سورة براءة حيث يقول تعالى ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناسِ يوم الحج الأكبر﴾(*) ٣ ـ التوبة.

بينما إذا عدنا إلى كتب السنة نجد:

أ ـ ضاعت أشهر الحج.

ب ـ ضاع الحج الكبير والحج الأكبر.

ج ـ ضاعت الأشهر الحرم الأربع التي حرم الله تعالى فيها صيد البر وحلل فيها صيد البحر.

٤ ـ بعدها أنتقل لموضوع هام في الإسلام وهو الشرع الإسلامي القرآني حيث يكون

(*) ـ انظر كتابنا النسيء، إصدار دار الأهالي دمشق ١٩٩٩.

بحسب القرآن لكل موضوع حدين حد أعلى وحد أدنى لا يجوز تجاوزهما، ولكن للقاضي الإسلامي الحق بالحكم ما بين الحدين، وقد بينت ذلك في مكانه من هذا الكتاب. بينما نجد أن الشرع المطبق حالياً باسم السنة هو شرع أهل الكتاب الحدي الذي نقل عن شرائع أهل الكتاب في العصرين الأموي والعباسي وصار شرعاً معتمداً باسم السنة، علماً بأن الله تعالى قال عن الشرع الحدي أنه شرع خاص بأهل الكتاب وحدهم في القرآن عندما قال: ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن﴾ ٤٥ ـ المائدة. بينما عاد تعالى ليقول لنا ولرسولنا مبيناً أن شرعنا ومنهاجنا مختلف عن شرع أهل الكتاب ومنهاجهم ﴿لكل جعلنا شرعةً ومنهاجا﴾ ٥ ـ المائدة. وخصص سبحانه للإسلام شريعة خاصة قال عنها: ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ٤٥ ـ الجاثية.

إن هاتين الآيتين كاشفتان لكل ما حدث في الإسلام من تبديل بعد انتصار أهل الفتنة في الإسلام، لأن الرسول الأمين وصحبه الراشدين الذين كانوا من المتقين اتبعوا ما أنزل الله، لكن بعد الفتنة الكبرى واستلام الظالمين أمور المسلمين، صار الشرع الحدي الخاص بأهل الكتاب هو المطبق باسم الله في الإسلام ولا يتحدث فقهاء المسلمين عن الشرع الحدودي الموجود في القرآن أبداً.

وهكذا إذا تمعنا بكتاب الله العظيم آية آية لوجدنا أن المسلمين عند التطبيق ينهجون على كتب أهل الكتاب. وحتى في قصص الأنبياء التي كتبها المسلمون نجدها تطابق كتب أهل الكتاب المحرفة ولا تطابق القرآن الذي أتى أصلاً من أجل تصحيح ما مع أهل الكتاب من اختلافات ففعلنا عكس ما أمرنا به الله تماماً حتى غضب علينا جميعاً.

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ ٦٤ ـ النحل.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

لماذا أصبحت الحقيقة مُحرَّمة في عرف المسلمين؟

إن من أصعب الأمور اليوم على الفرد المسلم البحث عن الحقيقة بشكل عام ليتأكد من حقيقة ما يسمع ويرى ويُفرض على الناس من أحكام تراثية قديمة. وصعوبة البحث تتكون من اجتماع أمور عديدة منها:

١ ـ تحول مبدأ جوّع أمتك فتتبعك ليصبح من مبادىء السياسة العامة التي أحبها حكام المسلمين خاصة، فجعلوها من المبادىء المفضلة والمطبقة على الأمة للحفاظ على الحكم المطلق الوراثي ونظامه ودوام قيامه بدلاً عن مبدأ الشورى المذكورة في القرآن الكريم، فجعلوا المسلم عمداً دائم الإنشغال في البحث عن لقمة عيشه فلا يعود لديه من الوقت ما يكفي للبحث عن باقي حقوقه المسلوبة فكيف إذا كان عائلاً ومسؤولاً عن أب وأم كبيرين وعنده زوجة وأطفال يتضورون جوعاً إذا توقف يوماً عن العمل؟

٢ ـ ثقة الإنسان التي أتت بعد التركيز على غسيل الأدمغة بواسطة وعاظ المساجد، حتى أصبح المسلم الذي استغنى عن تفكيره يعتبر ما أكد عليه واعظه من الأمور حقائق لا تحتاج إلى شك أو مناقشة، وهو لا يعلم شيئاً أصلاً عن حقيقة كون واعظه الممثل السري لأولي الحل والعقد في بلده، لأن تلك الحقيقة بقيت مخفية عن الناس بدهاء شيطان. وبالتالي أصبح مثل هذا المسلم لا يشك فيما يسمعه بل بالعكس أصبح هو بنفسه المتبرع للدفاع عن أحقيتها معتبراً أن كل رأي يخالف ما سمعه من شيخه العالم لكل شيء هو خاطىء حتماً، خاصة إذا أتت متعارضة مع رأي أصحاب أهل الحل والعقد بالذات.

٣ ـ إن الإنسان بطبعه يطيع الأقوى، وبما أنه تعود أن يرى الحكام بالإجماع أقوياء يتسلطون على الناس فهو يطيعهم ويصدق ما يقولونه من آراء وهذا ما دعى إلى وجود المثل الشعبي العالمي:

(الناس على دين ملوكهم)

لذلك أصبح التفكير في بلاد الإسلام جريمة تصغر أمامها باقي الجرائم الأخرى. وعلى مر العصور بقي التفكير في قائمة الممنوعات حتى دخل في أعراف المسلمين

على أنه ترف زائد عن حاجة الإنسان وتبذير للوقت بلا مبرر، خاصة إذا كان مجال التفكير في مواضيع تتعلق بالحكم والدين. هذان أمران ما يزالان أيضاً في قائمة الممنوعات أمام فكر المسلم في بلاد المسلمين. دون الكشف عن حقيقة كون الشك هو مفتاح الحقيقة والوصول إلى مرحلة اليقين خاصة إذا صاحبه العلم والمعرفة بأساليب البحث والتقصي عن حقائق الأمور.

إن أهم كتاب في الأرض يساعد الإنسان على الوصول إلى الحقائق العامة من جديد هو كتاب القرآن العظيم الذي صار بعيداً عن فكر المسلم مع محاولة تشويه ما يحتويه من حقائق وأفكار عن طريق تأويلٍ وتفسيرٍ مغرضين اعتبرهما المسلمون من المسلمات، مثل القضاء والقدر الذي سلموا به قبل ذلك، من دون أن يعلموا أنهم بذلك التسليم كانوا قد هجروا عقولهم طوعاً وخرجوا عن إنسانيتهم ليصبحوا بعدها فعلاً من قطيع السلطان وأصبح السلطان هو الراعي الأعظم.

إن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يحدثنا عن سبب هذا كله شارحاً بأن الملأ الذي تعارضت مصلحته مع ما أتى به الرسل من كل الرسالات كان وراء تبديل كتب الله كلها. كما أكد ذلك سبحانه في شهادتين له في القرآن العظيم:

﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ ٥٩ ـ البقرة.

﴿فبدل الذين ظلموا منهم قولاً غير الذي قيل لهم﴾ ١٦٢ ـ الأعراف.

ولسلامة القرآن من التحريف بقي متميزاً عن باقي كتب الوحي الأخرى لكونه الوحيد الذي حافظ على نصه بلغته الأصلية، كما سجّله الصحابة الذين عاصروا الوحي مباشرة فبقي وحده القادر على أن يقص علينا تاريخ الإنسان على الأرض وصراعه على البقاء سعياً لبناء جنته الأولى مع الأنبياء والرسل، ليأتي الملأ دائماً فيبدلوا المخطط بمخطط آخر مقلوب رأساً على عقب، لتحويل الأرض إلى جنة للمترفين من أصحاب النفوذ والسلطة والمال من أتباعهم مع كبار الكهنة وقادة الجيش والأمن والقضاء والإفتاء، مع وعد مؤجل للناس بأن الآخرة لهم وحدهم إذا صبروا على الظلم والفقر والجوع التي كلها من قضاء الله وقدره المكتوب عليهم بموجب أديان الملأ المتشابهة تشابهاً يكاد يكون تطابقاً في كل شرائع الطواغيت.

إن الله تعالى يبسط القصة لتسهيلِ فهمها بأنه صراع بين الحق والباطل، بين الرحمن والشيطان، أو بين الخير والشر. علماً أن الحقيقة التي يجهلها الإنسان بشكل عام أن

مفتاح تحرره وسعادته في الدنيا والآخرة موجود معه ولا يراه لأنه يقع تماماً خلف عينيه وقد أُنسي عمداً بوجوده.

لهذا: ينصب هم كل الحكام المستبدين في الأرض على إبقاء الإنسان مشغولاً دائماً في سعي دؤوب كما قلنا وراء لقمة عيشه مع جعل الحصول عليها من أصعب الأمور، حتى إذا حل الليل حل معه تعب النهار من سعيه الدائم والمستمر، فلا يبقى لديه من الوقت أصلاً ما يكفي للبحث عن المفتاح الذي يحمله على الدوام ليتخلص باستخدامه مما هو فيه، من شقاء مستمر، مضيعاً على أولي الأمر من ذوي الحل والعقد نعيمهم الذي حصلوا عليه بدهاء كهنتهم المستمر. والكاهن هو الشيطان الإنسي الذي يثق به الشعب دون أن يعلم عن حقيقة عدائه شيئاً ولا عن حقيقة كونه شيطاناً. وكهنة الحكام نوعان:

نوع يعلم ويحرف وهؤلاء هم من المقربين من أهل الحل والعقد يعملون ضمن خطة مرسومة تنفذ بدقة وتصل إلى تفاصيل ما سيتلوه الوعاظ في المعابد والكنائس والمساجد في كل بقاع المعمورة.

ونوع جاهل يردد ما يسمعه من كبار الكهان بلا علم، دخل إلى سلك الكهنة بحثاً عن مصدر للرزق السهل، فيضل الناس من غير علم ويفسد في الأرض وهو يظن نفسه أنه من المصلحين:

﴿وإن كثيراً ليضلون بأهوائهم بغير علم﴾ ١١٩ ـ الأنعام.

وهؤلاء يتبعون الظالمين وأهواءهم بغير علم:

﴿بل اتبع الذين ظلموا أهواءهم بغير علم﴾ ٢٩ ـ الروم.

﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن﴾ ٢٨ ـ النجم.

﴿وإذ قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون * ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون﴾ ١٢ـ البقرة.

إن من أولى الحقائق التي يصعب على المسلم إدراكها، أن نهاية عهد الرسول وعهد الخلفاء الراشدين كانت نهاية لعهد الحق والرشد في الإسلام وما الرشد إلا للعقل، ومن بعدها بدأت عهود السلطة والتسلط والطغيان إلى يومنا هذا.

وقد أصبح لدى المسلمين الجدد محدثين ورجال حديث بدلاً عن القراء، ثم

أصبحت كلمة العلم في الإسلام مرادفة لكلمة الحديث في إسلام السلاطين، لأنهم جعلوا في الحديث ما يشتهون وأصبح المسلم منهم يدخل الجنة بمجرد أن يردد شهادة أن لا إله إلا الله وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر بحسب هذا الشرع المستحدث.

إن أكبر كذبة يعيشها المسلم هو ظنه من غير شك أنه ما يزال مسلماً على دين الرشد والراشدين الذي في القرآن العظيم بينما الحقيقة غير ذلك، لأن دينه قد بدل بغيره وشرعه بدل إلى شرع آخر غيره فأصبح يعبد الطاغوت وهو يظن أنه يعبد الله.

هذا حدث قديماً مع آبائه الأولين الذين قبلوا بالظالمين بدلاً من الراشدين، وعلى المسلم أن يعلم أولاً أن كل الرسالات التي أرسلها الله تعالى للناس كانت من أجل تخليص عامة الناس من ظلم الطواغيت مع تخليصهم من ظلمهم لأنفسهم وذلك بإعادة الثقة في أنفسهم ليستخدموا عقولهم، ويتوقفوا عن تصديق الذين يقولون لهم صباح مساء لا تحاولوا أن تفهموا القرآن وحدكم.

يجب أن تلجأوا إلى كتب التأويل والتفسير أولاً، ويجب أن تلجأوا إلى رجال متخصصين في الدين ولتسهيل عملية إقناعهم يستشهدون فيقولون: إذا كنت مريضاً هل تستهدي برأيك أم برأي الطبيب؟ وكذلك في الدين عليك برجال الدين. دون أن يبينوا كيف استخدموا كلمة حق وقد أرادوا بها باطلاً والحق أن القرآن أنزل للناس كافة وليس للمتخصصين.

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ٢٤ ـ محمد.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

المدخل إلى حقائق القرآن الكريم

هل كانت مشيئة الله تعالى أن يكون إيمان الإنسان به تسليماً من دون الحاجة إلى برهان عقلي ودليل يقبل به المنطق العقلي الذي هو ميزان الله مع الإنسان؟

هذا الموضوع هام جداً سوف يتطرق إلى مواضيع فرعية كثيرة فكيف نتدرج في مواضيع هذا البحث مع التدرج في فهم آيات الله في القرآن الكريم؟

مشيئة الله تعالى:

إن الله تعالى لم يذكر أنه اختار من مخلوقاته الأرضية ليكونوا خلفاءه إلا آدم وذريته الذي هو الإنسان. لماذا؟

لأن الله تعالى قد برمج «أرجو المعذرة من استخدام هذه الكلمة التي دخلت إلى لغة الإنسان بعد أن تعرف على آلة الكمبيوتر» أدمغة مخلوقاته كما يشاء فأصبحت تتصرف وفقاً لما وضع فيها من برنامج وهي بذلك تطبق شرع الله حكماً بلا خيار، ولذلك ليس عليها حساب ولا نقول عن الأسد إذا قتل غزالاً وأكله أنه فعل شراً أو ارتكب جريمة قتل. فالخير والشر والحق والباطل والعدل والظلم مفاهيم دخلت للإنسان بعد نفخة الله تعالى النفخة الأولى في آدم المصطفى من قومه وأمثاله، التي حولته من مخلوق عادي كان مثل باقي مخلوقات الأرض إلى مخلوق مميز بالفكر والعقل والقدرة على التعلم بالرمز وبالتجريد وعن طريق الكتابة والقراءة، ومنحه القدرة على اتخاذ القرار والاختيار بين سبيلين دائماً بحرية كاملة لم يتدخل فيها سبحانه حتى يحمله مسؤولية اختياره وحده.

تلك النفخة أعطت الإنسان منذ تلك اللحظة ما نسميها اليوم بحقوق الإنسان التي تشمل معها الحريات الإنسانية وكلها من الله تعالى لا يستطيع إنسان في الأرض أن يحجبهما عنه إلا ظلماً وتسلطاً وله الحق دائماً أن يرفض الظلم والتسلط إذا وجد لذلك سبيلاً. وهذا العطاء الجديد لآدم كان السر في تكريمه بأن أسجد له باقي مخلوقاته الذين لم يصلوا إلى مستوى هذا المخلوق، بعد أن ميزه الخالق بكل تلك الميزات ليحمله فيما يقابلها مسؤوليات كبيرة وكل حق في العالم تقابله مسؤولية.

بينما إذا فكرنا في الملائكة نجدهم مخلوقات غير مخيرة وتعمل الخير دائماً لأنها خلقت وليس في قدرتها تستطيع أن ترفض ولا أن تقول لا، خلقت لتعبد وتطيع وتقول نعم دائماً، بينما الجن مع أن الله تعالى قد منحهم قدرات ذاتية متفوقة ولهم القدرة على القبول والرفض إلا أن كونهم مخلوقات من غير مادة هذه الأرض تجعلهم غير قادرين على التعامل مع مواد الأرض ولا مع مخلوقاتها.

لكن الإنسان المخلوق من مادة الأرض مع وجود العقل والفكر والعلم المرسل إليه من الله يستطيع أن يتحول فعلاً إلى عالم وله مجال علمه الخاص وخالق ومبتكر له مجال إبداعه وخلقه الخاص من المواد وهذا هو الذي قصده الرحمن في استخلاف الإنسان على الأرض، ومعنى الاستخلاف أن ينوب الإنسان عن الله تعالى في السيطرة على الأرض بإذن الله تعالى ومشيئته طبعاً. ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض..﴾ ٥٥ ـ النور. علماً أنَّ للاستخلاف شروط لا يحصلها كل إنسان:

الشرط الأول الإيمان بالله تعالى وبكل ما قاله سبحانه وحدده من شروط للإيمان.

الشرط الثاني هو العمل الصالح في الأرض مع الابتعاد عن الفساد والإفساد في الأرض.

كل أمة تدخل الامتحان ثم تفشل في تطبيق الشرطين السابقين يستبدلها سبحانه بقوم آخرين، وهذا هو تاريخ الإنسان على هذه الأرض إلى اليوم، وكل ما يحصل في الأرض الذي هو مجال لاختبار الله واقع تحت سيطرته التامة والمباشرة والدائمة.

﴿... إن يشأ يُذهبكم ويستخلف من بعدكم ما يشاء...﴾ ١٣٣ ـ الأنعام.

والآن حتى نفهم مشيئة الله تعالى في الأرض لابد لنا أيضاً أن نفهم رسالات الله وكيف يطورها سبحانه مع الزمن: كانت وظيفة كل الرسل الدائمة هي تبليغ الرسالات التي وصلتهم عن طريق الوحي من الله تعالى للناس أو لأمتهم بحسب ما طلب الله تعالى منهم. ﴿قال لموسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين﴾ ١٤٤ ـ الأعراف. والله سبحانه هو الذي يختار لوحده أين يجعل رسالته ومن يختار من الناس لتلك الرسالة ﴿... الله أعلم حيث يجعل رسالته..﴾ ١٢٤ ـ الأنعام. ورسله يخشونه وحده ولا يخشون أحداً من خلقه سواه ﴿الذين يبلغون رسالات الله ويخشونه ولا يخشون

أحداً إلا الله...﴾ ٣٩ - الأحزاب.

وسبب الرسالات كلها هو إيقاظ الغافلين من الأمم الذين يقعون تحت وطأة الظلم نتيجة تلك الغفلة في الأرض، فيستعبدهم فريق من قومهم بأن ينسيهم حقوقهم ويوهمهم أنه صاحب الحق فيهم فيتصرف بهم تصرفه بما يملك من الأنعام، فظهرت العبودية نتيجة جهل الإنسان لحقوقه الأساسية الممنوحة له من الله أساساً وذلك كان انتكاساً وردة في تاريخ الإنسان على الأرض يعتبر طبيعياً إذا أخذنا التطور بعين الاعتبار.

والقاعدة أن الذي يجهل ماله من حقوق يسهل على خصمه خداعه وأكل حقوقه، لذلك إذا قرأنا القرآن وجدنا أن محور القصص القرآني دائماً وموضوعه هو، رسول يأتي لإيقاظ الغافلين من الأمة ويعرفهم الرسول بحقوقهم فيقف له دائماً فريق واحد متحد في وجهه وهم الملأ أصحاب كل شيء من الأغنياء والمتنفذين الذين استعبدوا أغلبية القوم أو الأمة ظلماً من أجل تحقيق مصالحهم الدنيوية خداعاً واستضعافاً واستجهالاً واستغلالاً للآخرين.

وهؤلاء عادة يقول عنهم سبحانه أحياناً الكافرين وأحياناً الشياطين وهم فعلاً من الدهاة ومن ذوي المال والنفوذ الأقوياء بالأموال والبنين ولم يكونوا يوماً من بسطاء الناس أو من عامتهم وإلا لما لقبهم سبحانه وتعالى بشياطين الإنس.

لذلك على المؤمن الحريص المحب لمعرفة الحقائق أن يعلم سلفاً أن وعاظ المساجد وخطباءها خاصة في مساجد صاحب السلطة، لا يقولون كما يشاؤون ويرغبون بل يقولون دائماً وبشكل دقيق ومحسوب تماماً كما يشاء ولي نعمتهم، فهم لا يستطيعون أن يتكلموا إلا باسمه وضمن تعليمات ضباط الأمن الحريصين على سلامة السلطان والمحافظة على حكمه وشرعه.

ومعظم الناس بعد أن دُجّنوا لا يصدقون إلا هؤلاء إذا قالوا لهم مثلاً: لا تصدقوا فلاناً حتى ولو كان من أصدق الناس، أو لا تقرؤوا لفلان لأنه عميل يريد أن يخرب الدين والشرع أطاعوا ونفذوا أوامر السلطان، وإذا سألتهم يوماً أيها الناس من تطيعون وتعبدون؟ قالوا نحن نطيع الله، ومن هو الله في هذا المقام: طالما هم يطيعون زبانية السلطان بلا شك وبلا سؤال وبلا تدخل للعقل بل كله بالتسليم الكامل لأقوالهم.

إنهم يعبدون الشيطان الأكبر باسم الله ويقولون بألسنتهم لا إله إلا الله وما يقولونه

فعلاً هو لآ إله إلا السلطان، أو لا إله إلا الشيطان. الذي عبر عنه الله في القرآن برمز آخر فسماه الطاغوت لأنه شيطان طاغٍ.

ولكن الذي يكفر بهذا الإله المزيف ويشك بكل ما يقوله زبانيته وأجهزة إعلامه ويفعل عكس ما يؤمر به إنه عندها يكفر بالشيطان ليتجه ويبحث عن طريق جديد، والمفتاح الذهبي دائماً للوصول إلى الحق والحقائق هو الشك في كل ما يسمع وفي كل ما يقرأ. وإلا فلماذا يحمل بين كتفيه ميزان الله الذي أودعه سبحانه مع كل إنسان؟

عليه أن يعرض كل شيء على تلك المحكمة إما أن تقبل به عن طريق الأدلة والبراهين الدامغة للأوهام والظنون أو أن ترفض ما لا دليل عليه ولا برهان، إلى أن يكتشف في النهاية أن كل ما يسمح بنشره سلاطين الأرض وهو ما يخدم مصالحهم الخاصة، وكل ما يمنعون نشره أيضاً هو ما لا يتماشى مع تلك المصالح. والسلاطين المستبدين يقولون دائماً عكس ما يفعلون فإن نادوا بالوحدة فهم يسعون فعلاً إلى التفرقة. وإن نادوا بالحرية فهم يسعون إلى التسلط. وإن نادوا بالعدالة فهم يسعون فعلاً للظلم وهكذا إلى ما لانهاية في كل أمورهم.

والمؤمن الحريص الذي يكتشف ذلك يجب أن لا يسمع إلا من يطلب السلاطين إسكاته ولا يقرأ إلا لمن يمنعون نشر مؤلفاته. ولكن ليس للإيمان مباشرة بما يقولون بل لنرى ماذا عندهم من جديد؟ ونتأكد بعدها هل ما عندهم من أفكار صحيحة ونافعة للناس عامة؟

وهذا هو أول الطريق إلى الحق والعلم والنور.

يجب أن نتعلم دائماً أن رجال الدين الرسميين الذين يمثلون معابد الأرض سواء كانوا من دين بوذا أو من دين اليهود أو النصارى أو المسلمين، فهم يمثلون سلاطين البوذية أو اليهود أو النصارى أو المسلمين ولا يمثل أحدهم الله سبحانه وتعالى بدليل أنه يقول عكس ما في رسالات الله ساعياً لتحقيق مصلحة الأقلية، والله تعالى ينادي بحقوق الإنسان وحرياته وهؤلاء يريدون الجميع أغناماً يسمعون فيطيعون وبلا نقاش وحباً بالتسلط يقسمون الناس إلى رعاة ورعية (قطيع).

وهكذا على المؤمن أن يقرأ ويدقق ولا يصدق إلا ما صدق عليه ميزانه وحكم له بأنه صالح ويتماشى مع العقل والأخلاق والدين. ويجب على الإنسان أن لا يفقد ثقته بنفسه فيفترض أن الناس أعلم وأفهم وأقدر منه على فهم الأمور، وعليه أن يثق بالله

تعالى الذي خلقه وأكرمه ومنحه عقلاً يكفيه إن استخدمه أن يميز به بين الحق والباطل وهذا هو المهم وهو الأساس في التمييز وعلى المؤمن الحريص أن يفكر بينه وبين نفسه: إن الله تعالى عالم خبير خلاق رزاق قدير بل هو قادر على كل شيء، إذاً هل يعجزه أن يرسل رسالةً إلى الناس كافةً بحيث تكون مفهومة من الجميع؟ ولكل بحسب عقله وقدرته على الاستيعاب. هل يعجزه أن يرسل رسالة تكون سهلة الحفظ على الإنسان في ذاكرته؟.

إذا توصل من خلال هذين التساؤلين إلى الحقيقة وقال: إن الله لن يعجزه ذلك، يكون هذا المؤمن قد بدأ بداية صحيحة وهو على أول درجة من درجات الإيمان بالله خالق الكون ومدبره، وبدأ أيضاً يشك ببعض ما قيل له وسمعه من آبائه ومن وعاظ مساجد بلدته الذين كانوا يخدمون السلطان لتمجيده وتأليهه باسم الله والرسول، سواء كان ذلك عن علم أو عن جهل. عندها يكون قد بدأ يعلم أن الحق في القرآن وبدأ يدرك لماذا ما تزال كتب التاريخ الإسلامي وتاريخ السيرة النبوية تحوي على بعض الحقائق التي لم يصل إليها أيدي مشايخ السلاطين ولم يحرفوها بينما كل كتب الحديث وكتب الفقه أصبحت تتحدث عن شرع وفقه السلطان بعد أن ابتعدوا عن كتاب الله.

إن أكبر كذبة يكتشفها الباحث عن الحقيقة هي الكذبة التي تدعي في إسلام السلاطين بأن أصول الفقه تعتمد على الكتاب والسنة والإجماع والقياس والاجتهاد، قائلين أن الكتاب هو القرآن. والواقع أنه ليس في كل فقههم اعتماد على القرآن بل أغلب اعتمادهم على كتب الحديث التي بها أصلاً يؤول القرآن ليخدم مصالح السلاطين متجنباً المصلحة العامة للأمة.

فقد نسخوا آيات القرآن بالحديث وألجموه وطوعوه لمشيئة السلطان، ومن أجل هذا التطويع نالوا العطايا وكانوا يعيشون كالملوك في أحضان العذارى متنعمين بمال الفقراء والمظلومين من جياع أمتهم وفي دورهم وقصورهم آلاف الجواري الحسان، ثم يكذبون ويقولون بأنهم ورثة الأنبياء. بل هم ورثة إبليس في الأرض، ولكن صبراً عليهم حتى يخرج الباقي من الكهف الذي بنوه وأدخلوهم فيه إضلالاً وكيداً، ولكن كيدهم ضعيف ولا يقاس بكيد الله تعالى إذا شاء أن يكشف أمورهم جميعاً، وطالما اكتشف المؤمن الحريص أن الحق والخير لن يجدهما في كتب السلاطين بل الحق والخير كله في كتاب الله الذي هو القرآن العظيم.

فما هو القرآن؟

﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ٨٧ ـ الحجر.

﴿إنه لقرآن كريم * في كتاب مكنون﴾ ٧٧ ـ ٧٨ ـ الواقعة.

وقد جعله الله تعالى باللغة العربية أي بلسان رسوله المبلغ وهي سنة الله تعالى في كل الرسالات:

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ ٤ ـ إبراهيم.

والقرآن كتاب هداية للناس كافة من رب العالمين ويهدي دائماً للأحسن والأقوم:

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم..﴾ ٩ ـ الإسراء.

والله سبحانه في هذا القرآن يقرب لعقل الإنسان المحدود كل شيء عن طريق الأمثال والمجاز والرموز خاصة في الأمور الغيبية:

﴿ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثلٍ..﴾ ٥٤ ـ الكهف.

والقرآن كما علمنا أنزل لهداية الإنسان وليس من أجل شقائه.

﴿ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى﴾ ٢ ـ طه.

القرآن كتاب حي متجدد ليس مثل كتب أهل الأرض يموت بعد أن يموت صاحبها بفترة، ولذلك ليس لآيات الله البينات أسباب نزول أو تخصيص على حادثة معينة (باستثناء سورة التوبة وبعض الآيات في سور محدودة في القرآن) بل هو كتاب دائم يخاطب المسلمين الأحياء من كل جيل من أمم الأرض، علماً أن معجزات القرآن العلمية كلها لم تظهر إلا في عصر العلم والعلوم الآن، بدليل أن القرآن لم يبدأ دوره على الأرض بعد وإنما دوره كرسالة عالمية ما يزال قادماً وعلى الإنسان المؤمن به أن يسعى لتبليغه والتبشير به للعالمين والإنذار به للكافرين بالله وبكتابه.

﴿.. وأوحى إليَّ هذا القرآن لأنذركم به ومن بلغ...﴾ ١٩ ـ الأنعام.

والقرآن الكريم له هدف كبير:

﴿... قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مبين﴾ ١٥ ـ المائدة.

﴿الر كتابٌ أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور...﴾ ١ ـ إبراهيم.

والظلمات هي ظلمات الجهل والجاهلية العظمى التي نحن فيها اليوم وأغلبنا ما يزال

أمياً وأكثرنا لا يقرأ تماماً، وهدف القرآن هو إدخال الناس إلى النور وهو الحق والعلم والابتعاد بهم عن الوهم والظن والباطل (الشيطان).

إذاً هدف القرآن هو إخراج الناس من سبل الشياطين إلى سبيل الله الذي هو العلم مع هجر كل الأوهام والظنون وتغيير العقلية من عقل يؤمن بالسحر والخرافة والوهم والظن الذي كله باطل وهي كلها من الأشباح التي تظهر في الظلام لتختفي تحت ضوء الشمس والعلم، لتحل محلها أساليب العلم من تجربة وشك فالنظرية فالبرهان فالحقيقة.

والقرآن ليس بكتاب سحر من أجل كتابة الحجب وإبعاد الشياطين وفك السحر والطلاسم بل كتاب علمي من أجل التطبيق والتدبير والسير بموجبه:

﴿أفلا يتدبرون القرآن...﴾ ٨٢ ـ النساء.

والقرآن شفاء لكل الأمراض النفسية مثل الكذب والرياء والنفاق والحسد والنميمة والغش والرشوة وكل الأمراض الاجتماعية كالتفرق والتحزب والاختلاف والتشاحن والفتن والحروب وسفك الدماء والظلم لكنه ليس كتاب شفاء للسرطان والسل والتيفوئيد وإزالة الكولسترول من الشرايين والدم.

﴿وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين..﴾ ٨٢ ـ الإسراء.

والقرآن كتاب كامل يحوي كل ما يهم المسلمين ولا نقص فيه أبداً:

﴿.. ما فرطنا في الكتاب من شيء..﴾ ٣٨ ـ الأنعام.

والقرآن كتاب يحوي الحق والحقائق وليس فيه أوهام أبداً.

﴿ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق...﴾ ١٧٦ ـ البقرة.

ونزل فيه الحقائق ليس لمجرد المعرفة وإنما للتطبيق على الناس شرعاً وقانوناً ملزماً:

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله..﴾ ١٠٥ ـ النساء.

هذه الآية من الآيات التي تبين من بين الآيات الأخرى المشابهة لها كيف يحكم الإنسان بما أنزل الله عن طريق الاستنتاج والاستنباط من آيات الله فيكون للقاضي رأياً خاصاً بحسب كل زمان ومكان وبحسب ظروف القضية وملابساتها الخاصة، دون أن يكون مقيداً بحرفية النص وتكون غايته دائماً تحقيق العدالة، لعلم الله أن الناس يتطورون مع الزمن وأعرافهم تتبدل مع تبدل وسائل الإنتاج في العالم وتطور العلوم، لذلك ترك سبحانه الباب مفتوحاً فالذي يفهم القرآن الكريم ويفهم الحدود التي بينها الله تعالى

عندها يستطيع العالم الذي تخصص في القرآن وآياته البينات أن يستنبط أحكامه من روح القرآن ومن روح العدل والرحمة بلا ظلم لأحد، وهو المطلوب في القوانين. فليس المطلوب في العدالة التقيد بحرفية النصوص فيحكم الحاكم على متهم بالجريمة وهو مؤمن ببراءته التامة، فقط لأن الأدلة الجرمية المتوفرة أمامه تشير إليه. إن الله تعالى قد أعطى الحرية للحاكم الإسلامي الذي يريد تطبيق شرع الله حتى يتصرف ضمن إمكانية عقله والمعلومات المتوفرة أمامه دون إعطاء المجال للأهواء بالتدخل منطلقاً من المبدأ السليم قائلاً: «لقد وجدت النصوص لخدمة العدالة وتحقيقها ولم توجد العدالة لخدمة النصوص».

بعد أن تعرفنا على كتاب الله ما هو؟ ماذا يحوي؟ ولماذا أنزله الله؟ وقبل أن ننتقل لنفتح كتاب الله سبحانه وتعالى لنتعرف عليه من الداخل لابد أن أعبر على موضوع سبق شرحه في كتبي السابقة وهو موضوع مشيئة الله تعالى خاصة بالنسبة للإنسان:

إن الله تعالى لا يريد أن يعاجز مخلوقه الإنسان بعد أن خلقه وميزه ومنحه الحرية والمشيئة والإرادة بحيث تكون سابقة لإرادة الله ومشيئته خاصة ضمن مجال حرية الإنسان الفردية وضمن المجال المخصص له في الاختيار حتى يحمله المسؤولية كاملة، هذا العطاء الإلهي حصل بإذن الله وبمشيئة سابقة منه ولها سبب وجيه لأنه بدونها تنعدم المسؤولية ويصبح الخالق هو المسؤول عن أعمال المخلوق تماماً كما في الحيوانات والمخلوقات الأرضية الأخرى.

فالله تعالى الذي فتح باب الحوار مع الإنسان عن طريق رسله في علاقة غير متكافئة من الأصل بين خالق عظيم وغني وعالم وقدير وبين مخلوق ضعيف وفقير وجاهل بالقياس لعلم الله، فكانت علاقة فوقية أوجبتها رحمة الله من طرف وعلاقة حاجة واتباع وعبودية من طرف الإنسان، لكن الله تعالى لم يخلق الإنسان ليستعبده فهو سبحانه غني عن كل ما يمكن أن يفعله وعلاقته به هي علاقة رحمة لمخلوق له يحب أن يحرره فعلاً من العبودية في الأرض وهذا هو الأساس لفهم أهمية وجود الله بالنسبة للإنسان لأنه بدون الإيمان بالله والتمسك به لا يمكن للإنسان أن يتخلص من الاستعباد في الأرض، فالله سبحانه في كل الرسالات السابقة كان يرسل الرسل لتبليغ الحقائق للناس مع ترك الحرية للاختيار لعقول الناس تاركاً المجال للمؤمنين باتباعه وللكافرين بالابتعاد عنه وفاسحاً لهم حتى الفرصة في إضلال من يشاؤون من الذين يظلمون

أنفسهم بعدم استخدام عقولهم، فيضلهم الكافرون الذين يعلمون ويحرفون، فالذي يشاء الهداية منهم يسهل له الرحمن الهداية والذي يشاء الكفر أيضاً يفسح له سبحانه المجال، والذي يشاء الضلالة أيضاً يتركه على هواه، فالله تعالى لم يمنح الحرية ليعود ويحجبها عن الناس بإعلان حالات الطوارىء، فالله سبحانه لا يعود عن كلامه وقراراته، وهذا ما تقرره الآيات التالية في القرآن الكريم.

﴿.. فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾ ٤ ـ إبراهيم.

﴿.. قل إن الله يضلُّ من يشاء ويهدي إليه من أناب﴾ ٢٧ ـ الرعد.

والله تعالى ينبه رسوله أن لا يتعب نفسه ويلهث وراء الذين اختارا الكفر أو الضلال لأنهم رفضوا الهداية فلن يقبلوها:

﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل..﴾ ٣٧ ـ النحل.

﴿.. ولكن يضل من يشاء ويهدي من يشاء..﴾ ٩٣ ـ النحل.

وإذا لم نفهم آيات المشيئة كلها على أنها تعود في الضمير للإنسان واعدناها وهماً وظناً كما يشاء مشايخ السلاطين إلى الله سبحانه، نكون عندها قد ألغينا حقوق الإنسان ووافقنا على هدم كل آمال الإنسان في الحرية والتقدم والعلم وهذا تماماً ما كان يسعى إليه المستبدون في الأرض بدءاً بفرعون على ما نعلم من التاريخ إلى أصغر مستبد في الأرض اليوم، وأعدنا عباد الله الأحرار عبيداً من جديد لا رأي لهم حتى في أنفسهم إلا كما يشاء لهم المستبد على أمورهم وكأنه هو الذي خلقهم جميعاً، علماً أن الذي خلقهم فعلاً شاء من رحمته أن لا يزيل عنهم حقوقهم الشرعية ولا حرياتهم بل قدسها سبحانه لهم واسجد من أجل ذلك ملائكته أجمعين لهذا المخلوق المميز في الأرض (الإنسان).

كيف يمكن أن نفهم كتاب الله «القرآن» من جديد؟

إن الله سبحانه وتعالى الذي خلق الكون وخلق الإنسان ليختبره فجعل الناس أفراداً وجعلهم على درجات متفاوتة في كل شيء لأسباب عديدة: مثلاً إذا تأمل عالم التشريح أنواع الخلايا التي يتكون منها الجسم الحي، سواء كان ذلك الجسم لحيوان أو لإنسان يكتشف أن خلايا الجملة العصبية تختلف عن خلايا جهاز الهضم وتختلف عن خلايا العضلات وتختلف عن خلايا العظام، وهكذا كل خلية منها لها صفات خاصة

بها غير موجودة في باقي الخلايا وكل خلية خلقت لتكون لما خلقت له، وكذلك الناس بينهم اختلافات وراثية واختلافات مكتسبة إذا ما نميت بعد اكتشاف المواهب الأساسية بالتدريب والتعليم والخبرة يمكن أن يبدع في مجال عمله وميدانه إذا وضع في المكان الصحيح من الأساس.

والله تعالى صادق معنا في كتابه يخبرنا عن كل شيء:

فهو لم يقل لنا أنه خلقنا متساوين في كل شيء كأسنان المشط:

﴿.. ورفعنا بعضهم فوق بعض درجاتٍ ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً..﴾ ٣٢ ـ الزخرف.

﴿... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجاتٍ...﴾ ١١ ـ المجادلة.

حتى أن رسل الله حسب تقديره لهم عنده درجات فكان منهم رسلاً من أولي العزم ورسلاً لم يجد الله عندهم عزماً، فالإمكانيات الشخصية تختلف عند كل رسول لأنه مخلوق يختلف عن المخلوق الآخر وهذا من الأمور التي جعله الله طبيعية في خلقه.

والناس بشكل عام يمكن تصنيفهم على طبقتين عامة وخاصة. العامة عادة وفي كل الأمم تكون أقرب للبساطة والسذاجة ويمكن خداعها بسهولة، علماً أن نفس العامة يختلفون من أمة إلى أمة بحسب مستوى الثقافة ونوع العقلية. مثلاً الأمم المتقدمة والتي تنتهج العلم الحقيقي سبيلاً، يمكن القول بأن الخاصة منهم أنهم العلماء والمتخصصون كل في مجال علمه وكل عالم منهم خبير في مجال اختصاصه، والعامة عقليتهم علمية وإن لم يكونوا علماء. لكن الأمة الإسلامية بما أنها عاشت لفترة طويلة جداً تقارب العشرة قرون وهي بعيدة عن العلم والعلوم والعقلية العلمية، نجد أن الفرق الوحيد بين العامة والخاصة فيها هو الفرق بالألقاب وشكل اللباس والمستوى الاجتماعي والفروق الاقتصادية لذلك فهم غالباً على عقلية الأوهام والظنون ونادراً ما تجد بينهم علماء حقيقيون خاصة إذا كانوا في بيئتهم الأصلية من أوطانهم.

إذا عدنا إلى القرآن لوجدنا أن الله تعالى قد أذن للشياطين جميعاً ليضلوا المؤمنين السذج الذين لا يتحرصون من دهاء هؤلاء ويثقون بكل أقوالهم لأن مظهرهم أعجبهم. وكم من المنافقين والحاقدين دخلوا إلى الإسلام لتخريبه، وكنا نظنهم أنهم من أولياء الله الصالحين. قد لا نعرفهم جميعاً ولكن الله تعالى يعلم وجودهم ويعلم تحريفهم وقد أشار إليهم في كتابه الكريم، وإذا نجح الشياطين في زرع الشك في قدرات المسلم الذاتية وفي

عقله فظن بعد ذلك أن القرآن يستحيل فهمه إلا عن طريق ما أطلقوا عليه الأحاديث النبوية الشريفة والأحاديث القدسية، أصبح مثل ذلك المسلم يتبع الشيطان ويعبده وهو يظن أنه يعبد الله تعالى، وإذا حدثه مؤمن يريد أن ينتشله مما هو فيه من إشراك حقيقي، رفض الاستماع إليه ظناً أن هذا المؤمن هو الشيطان نفسه لأنه يقول، عكس المعتقدات التي أحبها فيقول لك هل تريد أن توقف عمل أحاديث حبيب الله وشفيعه وخليله؟ وسوف أضرب بعض الأمثلة لأبين كيف أن ما في عقل المسلم من ترسبات سمعها من أهله سابقاً تحجب عنه رؤية الحقائق دائماً وتصبح كالغشاوة على عينيه، من القصص التي كان يرويها مثلاً جدي وأستمع إليها بشغف هي قصص الأنبياء وأنا مازلت طفلاً، وقصة موسى وكيف تاه قومه في صحراء سيناء أربعين عاماً، فكنت أحاول أن أتخيل تلك الصحراء الهائلة التي تاه فيها قوم أربعين عاماً، إلى أن شاءت الأقدار أن أكون طالباً في الكلية الحربية في القاهرة أيام الوحدة بين القطرين الشقيقين، وفي تدريب لمسير مشينا في الصحراء سيراً على الأقدام حتى قطعنا شبه جزيرة سيناء تقريباً، فتذكرت ما كان جدي يقصه علي وقلت في نفسي متأملاً تلك الصحراء: «لا يمكن أن يتوه قوم في هذه الصحراء لأكثر من أسبوع فكيف تاهوا أربعين عاماً؟

﴿قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض﴾ ٢٦ - المائدة.

عندها وفي ذلك الوقت المبكر من حياتي فهمت أن الله سبحانه أراد بكلمة التيه معنىً مجازياً غير المعنى الحرفي بمعنى الضلال والتيه المكاني، فقد كان التيه عقلياً ونفسياً وسبب تحديده بأربعين عاماً هو أن الجيل الذي خرج من تحت نير عبودية فرعون مباشرة، حتى مع إيمانه، لم يكن قادراً على تحمل مسؤوليات المهمة الموكلة إليه، فالعبد الذي تعود على العبودية والطاعة العمياء لسيد متجبر في الأرض لن يكون محارباً جيداً في أي يوم من الأيام، بل أن المحاربين الأشداء هم الذين تربوا على الحرية وتقديسها وعشقها، وهكذا لم يدخل أحد منهم إلى الأرض الموعودة بل دخلها الجيل الذي أتى بعد أربعين عاماً. ولكن وجود أحاديث تؤكد أن موسى قد تاه في صحراء سيناء أربعين عاماً إذا آمن بها الإنسان تحجب عنه الرؤيا للحقائق وإدراكها دائماً.

ولا يكفي أن يكون نص الحديث جميلاً ومضمونه يعجب السامع حتى يكون من قول الرسول الكريم فعلاً.

لذلك فالإيمان بالأحاديث تحجب عن الإنسان المؤمن الرؤية المجازية لمعنى الآية وهذه الرؤية هي التي يقصدها الرحمن في الآيات التي ينهيها عادة قائلاً:

أفلا تعقلون... أفلا تفقهون.. يا أولي الأبصار... يا أولي الألباب... أفلا تتفكرون... لقوم يعلمون.

تعودنا نحن المسلمين مما سمعنا من أحاديث في خطب أيام الجمع ومما قرأناه من كتب إسلامية أن نقول: «إن الله عادل، حتى وضعنا اسم العادل بين أسماء الله وصفاته الحسنى، ولذلك إذا سألت أي شيخ من شيوخ الإسلام اليوم أليس الله عادلاً بين الناس لقال لك طبعاً وهو أفضل العادلين وأحكمهم: وهنا لابد أن نفهم معنى العدل في القرآن الكريم:

العدل هو التوزيع بالتساوي من غير تفضيل أي هو المساواة بين الناس كما هي حال أسنان المشط. وبما أن الإنسان مخلوق من جزئين يمين ويسار والقسمين متكافئين يقول سبحانه وتعالى: ﴿الذي خلقك فسواك فعدلك﴾ ٧ ـ الانفطار. والله يأمر عباده بالعدل لأن رؤيتهم للأمور محدودة ولا يعرفون ماذا في القلوب وكل ذلك محجوب عنهم فالمطلوب أن يساووا بين الناس من غير تفريق ولذلك يقول سبحانه لعباده: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى...﴾ ٩٠ ـ النحل.

والله تعالى يصف لنا القرآن الكريم قائلاً:

﴿وتمّت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ ١١٥ ـ الأنعام.

وإن كل شيء خلقه الله خلقه زوجياً ومنها القرآن الكريم.

فهو زوجي في كل شيء فيه كتابين تم كل منهما صدقاً فليس فيهما أوهام وظنون وأكاذيب أبداً. فيه الكتاب والحكمة، الكتاب هو القسم المكي منه والحكمة هو القسم المدني، وهو كما ترون مقسوم منذ البداية لا حاجة إلى تقسيمه من جديد.

ولكن الله تعالى تحاشى أن يقول عن نفسه في كل أسماء الله الحسنى أنه العادل لماذا؟ لأن ذلك نجد جوابه في الآيات التالية:

﴿... ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم في ما آتاكم...﴾ ١٦٥ ـ الأنعام.

وإذا فكرنا فيما آتانا الله بحسب عقولنا البشرية المحدودة سوف نرى بأن الله تعالى لم يعطنا أي شيء على الإطلاق بالتساوي وبالعدل: العقل والجسم واللون والإمكانيات

والرزق.. إلخ لماذا؟ لأن عقولنا المحدودة لا يمكنها أن تدرك حكمة الله من وراء ذلك.

الله صادق وكتابه صادق أما إن أسأنا نحن الفهم وظننا لوحدنا أشياء، هذه مشكلتنا نحن وحدنا، وليست مشكلة رب العالمين، فالأحاديث مثلاً كتبت كثيراً عن النكاح في الجنة وأن الرجل ينكح في كل يوم مئة منها وجعلناها وحياً من السماء ظلماً وتحريفاً وبهتاناً.

لكننا إذا عدنا ووضعناها مع وحي الله الصحيح تبين لنا بطلانها جميعاً إذ لم يقل لنا سبحانه في كتابه وجود نكاح ولا وجود ذكور ولا إناث في الجنة، أما إن فهمنا أن الحور العين هن من حسناوات الجنة فهذه مشكلتنا نحن وحدنا وكذلك إذا فهمنا أن الجنة حدائق وأشجار وأنهار وأن النار والجحيم هي حريق كبير أيضاً تكون مشكلتنا نحن، يجب أن ندرك أن ما في الآخرة كله ليس من طاقة مدركاتنا المحدودة كلها وكل ماسمعناه في القرآن كان تشبيهاً وتمثيلاً ورمزاً وتقريباً لأشياء لا يمكننا إدراكها أصلاً، ولكن إن فهمها العامة على الوصف الحقيقي لا بأس به فهم أيضاً على نفس المستوى من الرؤية المحدودة.

مثلاً عندما يقرأ العامة آيات مثل ﴿فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾ ٥١ ـ النمل.

يسألون: أليس بين هؤلاء أطفال فكيف يدمرهم رب العالمين مع أبنائهم وأطفالهم ألا يمكن أن يخرج منهم مؤمنين؟ وحتى لا يكون المتخصصين في كتاب الله في حرج من مثل هذه التساؤلات الطبيعية، أنزل الله تعالى قصة رمزية كاملة في سورة الكهف عن موسى والرجل الصالح يشرح فيها منطق الله في الأمور تحت رمز الرجل الصالح، فالله يعلم ما في القلوب ويعلم ما هو ممكن وما هو غير ممكن وحكمه مبني على رؤيته الشمولية وليس على الرؤية المحدودة مثل الإنسان، لذلك عدل الله ومنطقه لا يمكن أن يقارن بعقل الإنسان ومنطقه المحدود وهذا يجب توضيحه للعامة حتى ترتاح صدورهم وتطمئن قلوبهم لله تعالى لأن غاية الله في اختيار الإنسان في الأرض هو التفريق بين الطيب منهم عن الخبيث:

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب....﴾ ١٧٩ ـ آل عمران.

فالله سبحانه يفتن المؤمنين ويختبرهم حتى يخرج من بينهم من كان ضعيفاً سهل

الانحراف والعودة للكفر والإشراك بسرعة، ويريد المؤمن الذي لا يقدر عليه الشياطين وهذا لن يتم أبداً إلا لمؤمن آمن عن سبيل العقل والبرهان وتمسك من بعد إيمانه بالعلم ووحد الله وسبيله وكتابه جميعاً وهذا هو الذي يسميه سبحانه بالطيب.

﴿ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعضٍ فيركمه جميعاً..﴾ ٣٧ ـ الأنفال.

والله تعالى يعلم أن الخبيث لا يمكن ن يعطي طيباً:

﴿والذي خبث لا يخرج إلا نكداً﴾ ٥٨ ـ الأعراف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

لغة القرآن ولغة الحديث

إن أهم فرق بين لغة القرآن ولغة السنة (الحديث) أن القرآن كتاب حي لإله حي قيوم يخاطب دائماً الأحياء لمصلحة حقيقية قائمة في هذه الدنيا أولاً، لهم ولأولادهم جميعاً في دعوة صريحة للعمل والبناء لحضارة إنسانية تحت رعاية وصايا الله الدائمة. بينما لغة السنة (الحديث) هي لغة جاءت منذ عصور لأناس قد عاشوا وماتوا في عصور مختلفة، ولا تخاطب أبناء عصرنا بل قد خاطبت يوماً أبناء عصرها، ولا يمكن للإنسان أن يحقق العدالة في الأرض وهو يطبق على الناس قوانين وأعرافاً انقرضت منذ أجيال سحيقة.

والقرآن الحي ليس الورق أو الحبر بل هو كلمات الله التي تتفاعل مع عقل المؤمن المتفهم لها.

ذلك القرآن هو الذي يتماشى مع الأحياء فيقبل بكل أعراف الناس وقوانينهم ويعتبرها مقبولة ويستنكر ما أنكره الناس في مجتمع معين، شريطة أن لا تتخطى في حالة المعروف أو المنكر حدود الله فيما حلل وحرم في آيات الله البينات. هذا الفرق هو الذي يجعل القرآن الدستور الدائم للناس في الأرض، إذا أحبوا أن يعيشوا في سلام دائم مع أنفسهم ومع الآخرين، وهذا هو سر دعوة الله في القرآن للذين آمنوا من كل أمم الأرض بلا استثناء لأمة منها:

﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ ٢٠٨ ـ البقرة.

إن لغة القرآن تخاطب الأحياء من المسلمين الذين يعقلون ويفقهون ويتفكرون من أولي الألباب، كيف سيتدبرون القرآن وآياته البينات لإنجاز الأعمال الكبيرة والصالحة في مهمة الاستخلاف لهم لهذه الأرض باعتبارهم الصالحين الوحيدين لمثل هذه المهمة الصعبة.

ولغة الحديث تخاطبهم بلغة سحرية وتحدثهم عن عالم غريب عن واقعهم ووعيهم، فيتنازل الناس طواعية عن حقوقهم في الحياة والحرية والملكية وحتى عن حقهم في سن قوانينهم بأنفسهم إلى سلطان جائر وطغمة طاغية لا يعرفون شرعاً غير الظلم والقتل والتجويع لحكم الشعوب.

﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

إن إسلام القرآن يعترف بحقوق الإنسان وحرياته مع الضمان الاجتماعي للعاطلين عن العمل والفقراء، فقد اعتبر أن في أموال الأغنياء حق للفقراء عليهم أن يؤدوه كل عام ﴿وفي أموالهم حق للسائل والمحروم﴾ ١٩ ـ الذاريات، وإسلام القرآن هو الإسلام الوحيد الذي فتح بيتاً وصندوقاً للمال خاصاً بالفقراء والعاطلين عن العمل والمحرومين من الدخل كالمعوقين وجعل دفع المال هذا قبل العبادات وأهم ما فيها وهذا المال ليس له علاقة بأموال الزكاة المفروضة:

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ ١٧٧ ـ البقرة.

هذا الصندوق أغلق مباشرة بعد الخلافة الراشدة وصار مفتاحه مع أمير المؤمنين (السلطان) فأصبح يتبرع به للشعراء الذين يمدحونه صباح مساء. ويضن به على أصحابه من الفقراء والأيتام والمساكين. إن هذا كله ليس بمدهش ولا بمستغرب، لكن المدهش والمستغرب هو أن ترى المسلمين يتوقعون إعادة حقوقهم المسلوبة على أيدي رجال الدين الذين يؤمنون بما مع الطواغيت وأعوانهم من رجال الدين من دين وشرع محرف.

وبناء على ما تقدّم نقول:

ماهو عماد الدين:

هل هو في الصلاة والصيام أم هو في إيتاء المال على حبه للفقراء؟

إن أهم العبادات في دين الرحمن من بعد الإيمان بالله وباليوم الآخر ليست الصلاة كما يقول فقهاء السلطان، وإنما هي تطويع النفس على دفع المال صدقة مما يحب العبد من أحسن ما لديه للمستحقين. ومعنى الصدقة أن يدفع المؤمن أكثر من الزكاة المفروضة. وهذه العبادة إن تمت كما أمر بها الله واستمر المؤمن على دفع الصدقات برهن على صحة إيمانه وعلى حبه لله العلي العظيم.

ونجد الدليل عندما نلاحظ الآية التالية التي تقول أن البر والإحسان ليس في الصلاة

وفي دقة التوجه إلى القبلة بالبوصلة، وإنما البر والإحسان من بعد الإيمان، هو القدرة على دفع المال على حبه الشديد من قبل صاحبه للمستحقين من الفقراء والمحتاجين بدءاً من القريب إلى القريب.

﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا الصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾ ١٧٧ - البقرة.

وهكذا نجد أن دفع الصدقات هو أهم عبادة حسب هذه الآية وتأتي بعدها الصلاة ثم يأتي بعدها دفع الزكاة، أما دفع الصدقة تطوعاً وحباً بالله من غير إكراه من أحد، فهذا هو أعلى درجات الإيمان وبه يبلغ المسلم أعلى درجات التقوى في دين الرحمن.

هذا عن الصدقات وماذا عن الزكاة نفسها؟

نحن نعلم أن كثيرين يتهربون حتى من دفع الزكاة أيضاً المفروضة باللجوء إلى مشايخ يفتون لهم بما يشاؤون من وسائل التهرب عن دفعها، ولا يعلمون أنهم بذلك لا يخدعون أحداً إلا أنفسهم.

والله تعالى الذي ليس بحاجة لكل عباداتنا يعلمنا أن الزكاة أيضاً تأتي على رأس العبادات وأن أداءها أهم من كل العبادات، ولو توقف إنسان عن دفع ما فرض عليه منها للمستحقين أو تهرب منها فإن كل عباداته من بعد ذلك لا تساوي في ميزان الله تعالى شيئاً. والله تعالى قد وعد عباده المتقين الذين يدفعون الزكاة لمستحقيها مع إيمانهم بما أنزل الله تعالى من كتاب صحيح لا ظن فيه ولا تحريف برحمة واسعة. ﴿قال عذابي أصيب به من أشاء ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون﴾ ١٥٦ - الأعراف.

والله تعالى في كتابه العزيز لم يقل أنه سوف يجنب الجحيم للمصلين ولا للذين يصومون أكثر ولا للذين يحجون أكثر ولا للذين يقرأون القرآن أكثر بل قال تعالى أنه سوف يجنبها فقط للذي يدفع من ماله ويتزكى رحمة بالفقراء والمحتاجين، لأن هذا هو البرهان الأكيد على تقوى الإنسان الذي لا يمكن أن يلازمه رياء أو نفاق إذا استمر المؤمن على دفعه ما دام حياً يرزق. ﴿فأنذرتكم ناراً تلظى * لا يصلاها إلا الأشقى *

الذي كذب وتولى وسيجنبها الأتقى * الذي يؤتى ماله يتزكى﴾ ١٤ - ١٨ - الليل.

وهكذا وجدتم أن الله تعالى لم يقل أنه سوف يجنبها لأحد إلا للمؤمنين الذين لم يبخلوا فكانوا يدفعون دائماً مما رزقهم الله لمستحقيها رحمة للعالمين حتى يرحمهم الرحمن يوم القيامة وهذا هو الإقراض لله تعالي بالقروض الحسنة. لذلك نجد آيات كثيرة تدعوا المؤمنين بأن يقرضوا الله قرضاً حسناً: ﴿إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعف لهم ولهم أجر كريم﴾ ١٨ - الحديد.

وأحياناً نجد آيات في القرآن تعد المؤمنين بأنهم إن دفعوا من أموالهم للمستحقين من الناس فسوف يضاعفه لهم ويغفر لهم فوق ذلك ذنوبهم ﴿إن تقرضوا الله قرضاً حسناً يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم﴾ ١١ - التغابن.

ونجد آيات كثيرة في كتاب الله تعالى ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ ٢٤٥ - البقرة.

ولكنكم لن تجدوا في كتاب الله أي وعود من الله تعالى بأنه سوف يضاعف للمؤمنين أجرهم إن هم صلوا أكثر أو صاموا أكثر أو حجوا أكثر أو ذكروا الله ليلاً ونهاراً، وهذا كتاب الله بين أيديكم تستطيعون أن تروا بأنفسكم إن كنتم تجهلون.

لذلك عندما يقول سبحانه ويل للمشركين، لا يقول بعدها الذين لا يصلون أو لا يصومون أو لا يحجون أو لا يقرؤون كتاب الله، بل يقول تعالى الذين لا يأتون الزكاة لأن الذي قيمها هو الذي أقام الدين وأقام الرحمة في بلاد المسلمين - وليس كما يقول فقهاء السلاطين إلى اليوم، أقيموا الصلاة فالصلاة عماد الدين ومن أقامها أقام الدين، فأين هذا الكلام في كتاب الله إن كنتم صادقين ﴿وويل للمشركين * الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ٦ - ٧ - فصلت.

لذلك فالله تعالى عندما يوصي الفلاح في دينه لا يوصيه بالإكثار من الصلوات ومن الشكر يوم الحصاد بل الإكثار مما يدفع للفقراء والمحتاجين من غير إسراف في العطاء فالله لا يحب الإسراف، فالكرم هو الحد الوسط بين الإسراف والبخل، والإسلام يدعوا دائماً إلى الوسط ولا يدعوا أبداً للتطرف ﴿وهو الذي أنشأ جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفاً أكله والزيتون والرمان متشابهاً وغير متشابه كلوا من ثمره إذا أثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين﴾ ١٤١ - الأنعام.

لذلك نجد أن من أكثر أوامر الله لعباده تركيزاً هو البرهان على إيمان العبد بالإحسان

والدفع للصدقات وللزكاة من أمواله للمستحقين، بدءاً من الأقربين من أهله أولاً فهم أولى من غيرهم. إن كانوا بحاجة من غير تبذير في العطاء فالله لا يحب المبذرين ﴿وآت ذا القربى حقه والمساكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا﴾ ٢٦ ـ الإسراء.

فالذي يرجوا الفلاح في الدنيا يجب أن يرحم عباد الله. يجب أن يتذكر دائماً أن الله أعطاه وفتنه بهذا المال فهو الآن في اختبار إن استطاع أن يدفع من هذا المال الذي يحبه حباً جماً للفقراء، وانتصر على شيطان نفسه بذلك الدفع، نجح الإنسان وسقط الشيطان الذي فشل في نصائحه ومواعظه بالبخل والتوقف عن الدفع تخويفاً له من الفقر. وبسط الله الرزق للعبد فتنة له تتحول إلى نعمة إن عرفت نفس العبد ويديه العطاء والسخاء على الفقراء وتكون نقمة عليه إن بخلت واستغنت. ﴿أولم يرو أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون * فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون﴾ ٣٧ ـ ٣٨ ـ الروم.

في كل آيات الصلاة في القرآن العظيم نجد الزكاة مقرونة مباشرة مع ذكر الصلاة فلماذا؟

لأن الإنسان يستطيع أن يصلي رياء ويستطيع أن يصلي نفاقاً ويستطيع أن يصلي نتيجة عادة تعودها منذ الصغر من أبويه، لكنه لا يستطيع أن يدفع مما يحب من ماله إذا لم يكن مع تلك الصلاة نفس مؤمنة بالله عن حق، ونفس تحولت نتيجة الإيمان إلى نفس رحيمة قريبة من الله تحب الله وتخشى غضبه ﴿وأقام الصلاة وآتى الزكاة﴾ ١٧٧ ـ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين٤,

السماء وما أنزل الله تعالى لنا منها؟

طالما قد اخترت أن يكون عنوان هذا الكتاب (من حقائق القرآن).

أحب أن يكون فاتحته بأول سرٍّ لأول وأهم رمز من رموز الخير للإنسان في القرآن الكريم وهو رمز كلمة السماء.

فالسماء رمز الخير للإنسان، فهو أولاً رمز مكان العرش واللوح المحفوظ بقدرة الله الخالق المدبر الخبير العليم، الغفار العزيز الملك القدوس رب العرش العظيم. فمن السماء أنزل سبحانه الماء وأسكنه في الأرض بقدر محسوب ليكون خيراً للإنسان المخلوق المميز، الذي نفخ فيه سبحانه من روحه العقل والتفكير والقدرة على النطق والقراءة والكتابة والتعلم والتذكر والقدرة على الخلق والابتكار على مستواه ليستخلفه على هذا الكوكب المختار عن باقي الكواكب الأحد عشر مسخراً له الشمس والقمر مع باقي مخلوقات الأرض، على أن يعمل بعقله الذي منح الحرية والاختيار مع القدرة على اتخاذ القرار للتحرك يميناً نحو الخير بالعقل للإصلاح في الأرض بالأعمال الصالحة على هدى الحق والخير والله. أو الحركة يساراً على هدى الأنانية والنفس الأمارة بالسوء لتحقيق الشهوات والأهواء بالإفساد في الأرض والقيام بالأعمال الفاسدة والمفسدة على ضلال الباطل والشر والشيطان. ﴿وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الأرض﴾ ١٨ ـ المؤمنون.

وكان الماء رمز الرزق والخير للإنسان ﴿وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم﴾ ٢٢ ـ البقرة. ﴿وينزل لكم من السماء رزقا﴾ ١٣ ـ غافر.

والماء هو رمزُ الحياة في الأرض ﴿وأنزلنا من السماء ماء فأنبتنا فيها من كل زوج كريم﴾ ١٠ ـ لقمان.

والله تعالى أنزل من السماء معدن الصناعة للإنسان وهو معدن الحديد. لينتقل به الإنسان من العصر الحجري إلى عصر الحديد والصناعة والبأس الشديد ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾ ٢٥ ـ الحديد.

والله تعالى أنزل من السماء كتاباً سماوياً من أصل سماوي لكتابه المحفوظ وجعله قرآناً عربياً، وحكماً عربياً، وحفظهما سبحانه في كتاب سماه الله تعالى:

القرآن العظيم، رحمة بالإنسان المخلوق المميز لله في الأرض.

القسم الأول منه يحتوي على أنباء الغيب من العلوم والبراهين المصدقة لكتابه الأساسي الثاني الذي يحوي على الأحكام والشرع والدين ومنهج الهدى للإنسان الذي لا يمكنه الخروج من متاهات الضلالة إلى الهدى أو من ضياع وضلال الظلام إلى الاهتداء بالنور إلا به. وقال سبحانه عن القسم الأول ﴿إنا أنزلناهُ قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ ٢ ـ يوسف. وقال تعالى عن القسم الثاني ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً﴾ ٣٧ ـ الرعد.

علماً أن لفظ القرآن أصبح اسم الكتاب كله من مبدأ إطلاق اسم الجزء على الكل، كأن تقول: الشام عن دمشق ثم تقول بعدها بلاد الشام عن سورية الكبرى.

والقرآن كتاب الله المنزل وحياً من السماء على رسولنا الأمي الأمين الكريم من سلالة كريمة: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب الهاشمي القرشي الذي ينتهي نسبه إلى إبراهيم عن طريق ابنه البكر إسماعيل عليهم الصلاة والسلام أجمعين. ليكون خاتمة الرسل برسالته التي تعتبر خاتمة الرسالات في الأرض. أنزله سبحانه بالعربية على لهجة قريش على سنة الله تعالى الذي يرسل الرسالات عادة بلغة الرسول ولسانه ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ ٤ ـ إبراهيم.

﴿فإنما يسرناه بلسانك لتبشر به المتقين وتنذر به قوماً لداً﴾ ٩٧ ـ مريم.

فجعلها سبحانه آية بيانية ومعجزة بلاغية استخدم فيها سبحانه الكنايات والرموز والاستعارات والأمثال والتشابيه ليشرح بها أموراً عَقلية وفلسفية وعلمية وغيبية، لا يمكن إدراكها أصلاً عن طريق ما مع الإنسان من حواس قاصرة عاجزة وأبصار حسيرة.

جعل الله كلماته في كتابه المبين خادمة للمعاني والمقاصد التي هي الأصل والأساس ولا يمكن إدراك تلك المعاني إلا من سياق الآيات نفسها، علماً أن للقرآن السماوي أسلوب خاص لاستخدام الكلمات غير معروف أصلاً في الاستخدام البشري في كل كتب الإنسان الأدبية أو العلمية. ولهذا لا يمكن الاعتماد على معاجم اللغة وحدها لفهم كلمات القرآن، بل يجب أن يكون الاعتماد على نفس كلمات ومفردات القرآن وآياته لاستنباط المعاني من خلال أسلوب استخدام الله للكلمات في مختلف الآيات القرآنية، مع وضعنا في الاعتبار أن القرآن كتاب الله الحي القيوم المتصل بكل الأحياء في الأرض والعالم بأحوالهم ولما في أنفسهم من أفكار، محيطاً بسرهم وعلنهم، قادراً على

إلهامهم للمعنى إذا صدقوا الله وأصفوا النية وتوجهوا إلى الرحمن بنفوس صافية، وهم يتلون القرآن تلاوة تعقّل وتفكّر، وهذا من أكبر إعجازات كتاب الله التي لم ينتبه إليها الناس في أزمنة عديدة.

على قارىء القرآن أن يكون دقيق الملاحظة للكلمات، فالله تعالى يستخدم الكلمة أحياناً في مناسبات خاصة مثل استخدامه لكلمة المطر، التي لا يستخدمها إلا إذا كان سبب إنزاله على الناس غضباً وسوءاً ونقمة على الكافرين المضلين المفسدين في الأرض وتابعيهم من المشركين الضالين لعدم استخدامهم لعقولهم ﴿وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المنذرين﴾ ١٧٣ ـ الشعراء.

أو مثل استخدامه لكلمة الغيث إذا كان إنزاله ليكون رحمة ونعمة على المؤمنين العلماء الخاشعين المصلحين في الأرض وأتباعهم من عامة الناس على هدى الله ونوره: ﴿وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته﴾ ٢٨ ـ الشورى.

أو مثل استخدامه لكلمة الماء إذا كانت الآية حيادية خبرية كقوله تعالى: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماءا فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ ٩٩ ـ الأنعام.

وهكذا علمنا من القرآن وحده أن الكلمات الثلاث: المطر والغيث والماء ينزل من السماء، ليست كلمات مترادفة بل لكل كلمة منها مكانها الخاص ومناسبتها الخاصة، ومن لم يفهم كلمات القرآن على هذا المبدأ وهذه القاعدة لا يمكنه إدراك مقاصد الرحمن، لأن هذه الأمور تعتبر مفاتيح لأسرار كتاب الله لابد من الإلمام بها بداية، وبعد انتباهنا إلى أن القرآن يخلو من الكلمات المترادفة علينا أن ننتبه أيضاً إلى أن الكلمة الواحدة قد تأتي على معان مختلفة تماماً، علماً أننا لن نتمكن من معرفة هذا الاختلاف إلا من سياق الكلمة ضمن الآيات، فالسياق هو الذي يحدد معنى الكلمة وليس العكس.

أضرب على ذلك مثلين كشاهدين للاختصار كلمة كفار التي أصلها من كَفَرَ بمعنى غطى وسَترَ، لذلك نجدها أحياناً تأتي بمعنى الذين كفروا بالله أو بيوم القيامة على أساس المفهوم بأن الله هو الحق ومن يكفر بالحق هو الذي يحاول ستر أو تغطية الحقيقة فهو على هذا الأساس كافر من الكافرين.

وبما أن أهل الكَفْرِ من المزارعين وظيفتهم ستر وتغطية البذور في الأرض عند فلاحتها لذلك يطلق عليهم أيضاً اسم الكفار كناية عن ما يقومون به من عمل في الستر

والتغطية كما في قوله تعالى ﴿كمثل غيث أعجب الكفار نباته﴾ ٢٠ ـ الحديد. أي أعجب الفلاحين أو المزارعين نباته باعتبار أنهم خبراء في شؤون النباتات والمزروعات.

وكلمة نساء مثلاً تأتي عادة بمعنى النسوة والنساء هن الإناث اللواتي يقابلن الرجال من الذكور في المجتمع الإنساني. ونفس الكلمة تأتي أحياناً بمعنى الأحفاد الذكور على أساس المصدر من النسيء الذي يعني (الذي يأتي متاخراً) فيقال مثلاً النسيئة عن ثمن الشيء إذا تم الاتفاق على أن يدفع متأخراً مثلاً إلى موسم الحصاد لأن الفلاح الذي لا يملك مالاً فيشتري على مبدأ النسيئة.

والأحفاد الذكور هم من الذين يأتون متأخرين بعد الأولاد كما في الآية التالية ﴿ولا يبدين زينتهن إلا لبعولتهن أو آبائهن أو آباء بعولتهن أو أبنائهن أو أبناء بعولتهن أو اخوانهن أو بني إخوانهن أو بني أخواتهن أو نسائهن﴾ ٣١ ـ النور.

إذا دققنا وفكرنا في الآية نجد أن كل المذكورين من الذكور الذين استثناهم سبحانه، وبين أنه لا بأس للمرأة أن تبدي زينتها لهم، أما إذا فهمنا (نسائهن) على أساس أنهن من النساء فلا يستقيم المعنى، وكما أنها تبدوا شاذة عن كل المذكورين في الآية من الذكور.

يجب الانتباه أن كثيراً من رجال الدين يعتمدون على التفاسير القديمة لمفسرين قدماء استخدموا معاني لكلمات تناقض كلمات القرآن بدليل أن كتاب الله لم يستخدم المعنى الذي ذهبوا إليه أصلاً.

مثال ذلك تفسيرهم لمعنى السبع المثاني الواردة في القرآن على أساس أن معنى المثاني مصدره من الثناء وهي بالتالي سورة الفاتحة التي تحوي سبع آيات يمكن اعتبارها سبع آيات ثناء لله تعالى.

ولكن مع الأسف للمفسر القديم وللمعتمدين عليه فإن كلمة ثناء بمعنى الشكر لله غير واردة في كل القرآن المبين، بدليل أن الكلمة ليست من لغة قريش أصلاً، بينما الكلمات التي نجدها في القرآن من المشابهات لها هي: ثَنَا بمعنى الثَّني أي اللّي أو الطي، كأن نقول (ثنا عطفه) أو (ثنا صدره) ﴿إلا أنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ ٥ ـ هود.

أو كلمات تعني الزوجية مثل الكلمات (إثنا) و(إثنان) و(إثني) و(إثنتي) و(مثنى) التي يأتي جمعها مثاني وكلها تدل على الزوجية فلا يمكن أن يكون السبع المثاني إلا

لسبع أزواج لشيء ما في كتاب الله، الذي إذا بحثنا فيه لما وجدنا إلا سبع أزواج، وكل زوج منها يشكل آية كاملة في سبع فواتح من السورة المكية تأتي متسلسلة، وكل فاتحة فيها تحوي على حرفين هما (الحاء والميم) وتلك السور هي التي تحمل الأسماء التالية في القرآن الكريم: (غافر ـ فصلت ـ الشورى ـ الزخرف ـ الدخان ـ الجاثية ـ الأحقاف).

هناك موضوع أخير أحب لفت نظر القارىء إليه وهو ما يزال في مستهل هذا الكتاب، وهو أن الله تعالى قد نبهنا إلى وجود الشيطان بشكل دائم وإلى يوم القيامة، وهذا يحتم علينا توقعه في كل زمان ومكان، وأن لا نكون من السذج أو المغفلين الذين يظنون أنه قد مات وانتهى أمره، أو يظنون أنه أجرى معاهدة صداقة وودّ مع المؤمنين والمتقين، بل ما يزال في عدائه الدائم وفي تحديه لله تعالى على أن يضل أكثر الناس من نسل آدم. هذا إذا اعتبرنا الشيطان الجني من نسل إبليس اللعين، ولكن يجب أن لا ننسى شياطين الإنس الذين يشكلون على المؤمنين خطراً أكبر وأشد من خطر شياطين الجن.

كذلك عندما نقرأ الآية التالية ﴿إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون﴾ ٩ ـ الحجر. يجب علينا أن نعلم أن أسلوب الله تعالى لحفظ القرآن لن يكون أسلوباً سحرياً، بل هو أسلوب عملي باستخدام وسائل عملية قابلة للتطبيق، منها كتابة نص القرآن لحظة نزوله، مع وضع كل آية في مكانها ضمن سور القرآن التي رتبت أصلاً من الله تعالى، بدليل أشياء سوف أتطرق لذكرها في نص هذا الكتاب ثم حفظ القرآن قبل وفاة الرسول كما هو في المصحف في صدور الصحابة، فكانوا العون الأول عند جمع القرآن على كتابته في مصاحف عثمان الأربع على نفس الترتيب ونفس القراءة فسميت مصاحف عثمان.

ولكننا علمنا أن القرآن نزل من غير تنقيط، ثم نقط على يد الحجاج بن يوسف الثقفي بحسب أغلب الروايات في العصر الأموي، ومن خلال دراستي الطويلة أستطيع أن أشهد باطمئنان أن القرآن الحالي يخلو من أخطاء في التنقيط سواء كانت سهواً أو عمداً لتبديل المعنى، علماً أن القرآن الأساسي المحفوظ في استانبول والذي كُتب في عصر عثمان بن عفان وبأمره كان منقطاً بأسلوب آخر غير أسلوبنا الحالي وهذا ما سأشرحه في كتابي (مصحف عثمان يخرج ـ إلى النور من جديد).

ثم نعلم بعد ذلك أن تشكيل القرآن قد حدث في العصر العباسي وهو العصر الذي اشتهر بالتأثر بما سمي بالإسرائيليات، ولكني أريد لفت الانتباه لبعض الآيات القرآنية

منطلقاً من مبدأ علم الله للغيبيات، خاصة للكليات من أفعال الإنس والجن والمخلوقات الأخرى، فأعلمنا سبحانه عن أمور يجب أن نعتبرها ونصدق ما ورد فيها:

أولاً أعلمنا الله تعالى أن فريقاً من أهل الكتاب سوف يزيدون على ما أنزل الله من وحي كثيراً من الأمور، ولما كان من المستحيل الزيادة في كتاب سبق وكتب وحفظ، فكان مجال الزيادة في ادعاء الأحاديث التي وصل عددها اليوم إلى ما يزيد على مليون حديث، وهو يزيد عن (١٦٠) ضعفاً عن آيات القرآن الكريم، والآيتان موجودتان في سورة المائدة استشهد هنا بواحدة وهي:

﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدنَّ كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تاس على القوم الكافرين﴾ ٦٨ ـ المائدة.

إذا تأملنا الآية وجدنا أولاً في تشكيل (وما أنزل إليكم) وردت ما مخففة بمعنى الذي. وإذا قرأنا (وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً) مخففة أيضاً، لأصبح المعنى (أن كثيراً من أهل الكتاب سوف يزيدون على الذي أنزل إليك يا محمد) وذلك بادعاء وحي شفوي آخر ادعوا أنه أنزل من السماء وقالوا عنه كتاب الحكمة. ثم سمي أخيراً بالسنة النبوية ثم بالحديث الشريف.

بينما نجد في تشكيل القرآن الحالي، أن (ما) هذه عليها شدة لتفيد معنى (من ما) وإذا أدغمت أصبحت (مما) ولكنهم لما عجزوا عن إضافة ميم ثانية لعدم وجودها في الأصل اكتفوا بوضع الشدة على الميم فأصبحت تقرأ (مّا) وفسروها بمعنى مِمّا.

وقد أشار سبحانه إلى تبديل التشكيل في قوله تعالى ﴿إن الذين يلحدون في آياتنا لا يخفون علينا﴾ ٤٠ ـ فصلت. أي أن الذين يحاولون تبديل التشكيل في آياتنا لا يخفون علينا. وكذلك قوله تعالى ﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيجزون ما كانوا يعملون﴾ ١٨٠ ـ الأعراف. بمعنى أن الذين يبدلون في أسماء الله فيضيفون عليها أو ينقصون، وقد شرحت هذا في بحث أسماء الله الحسنى من هذا الكتاب.

وهؤلاء الناس لهم مقاصد شيطانية لتبديل معاني ومقاصد الرحمن يجب الانتباه لهم:

ففي القرآن ثلاث آيات تشهد بأن اليهود هم أصل البلاء وهم الأساس في تبديل

وتحريف كتب الله وكلماته وحرفها عن مواضعها في كتبهم المقدسة ﴿من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا لياً بألسنتهم وطعناً في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا وأطعنا واسمع وانظرنا لكان خيراً لهم وأقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلا﴾ ٤٦ ـ النساء.

والآية الثانية في (١٣ المائدة) أيضاً تحريفاً لكتبهم المقدسة.

والآية الثالثة هي قوله تعالى منبهاً رسوله منهم ومن أساليبهم ومكرهم:

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لَمْ يأتوكم، يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئاً أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ ٤١ ـ المائدة.

وفي الآية السابقة شرح مفصل عن نفسية هذه الفئة وخطرها المستمر على المؤمنين إن ترك المسلمون الولاية بيديهم وتحت تصرفهم.

ومما أنزل وينزل أيضاً الملائكة لكن الناس لا يمكن لهم رؤيتهم ﴿ما ننزل الملائكة إلا بالحق وما كانوا إذاً منظرين﴾ ٨ ـ الحجر.

ومن الملائكة جبريل الذي يأتي اسمه أحياناً الروح الأمين ﴿نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين﴾ ١٩٣ ـ الشعراء.

ويأتي اسمه أحياناً روح القدس ﴿قل نزَّله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا﴾ ١٠٢ ـ النحل.

ويأتي اسمه أيضاً جبريل ﴿وإن تظاهرا عليه فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾ ٤ ـ التحريم.

أما قوله تعالى ﴿وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ ٣٣ ـ الأعراف.

وإنزال السلطان هو إنزال البرهان على صدق الوحي لأن من حق الإنسان أن يشك إذا سمع عن وحي مدعى باسم الله فيسأل عن البرهان، والله تعالى لم ينزل كتباً من السماء أو رسالات إلا وعليها هذا البرهان الذي يسميه السلطان، لذلك نجد آيات كثيرة في القرآن تؤكد على موضوع البرهان هذا الذي يسميه الرحمن سلطاناً،

مثل قوله تعالى ﴿سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً﴾ أو قوله ﴿ولا تخافون أنكم أشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطاناً﴾ أو قوله تعالى عن اللات والعزى ومناة ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان، إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ٢٣ ـ النجم.

كل هذه الآيات تحكي لنا قصص الإشراك لأهل الأرض ومنها قصتنا نحن المسلمين من أهل وأتباع ما نسميه السنة، الذين يتبعون أحاديث ما أنزل الله بها من سلطان، بدليل أن لا برهان عليها بأنها من الله إلا الادعاء والظن، وهذا يدخلنا في فئة الذين يتبعون الظن وما تهوى الأنفس، بدليل أن أغلب أهل السنة يعشقون ويهوون تلك الأحاديث مع علمهم بتناقضها مع القرآن وتناقض بعضها مع البعض الآخر، وكثرة اختلافها الذي يصل إلى ثمانين نوعاً من أنواع الاختلاف. كل تلك الآيات السابقة تؤكد على أن المسلم يجب أن لا يقبل من أحد إلا ما كان عليه برهان ودليل أكيد أنه من الله مثل القرآن، منبهاً سبحانه الرسول الأمين ومن بعده المسلمون المؤمنون بالقرآن العظيم وحده الذي عليه السلطان والدليل على أن يبيّنوا لأهل الكتاب ما نزل إليهم من عند الرحمن.

﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون﴾ ٦٤ ـ النحل.

لكننا فعلنا عكس ذلك وصححنا ما عندنا على ما مع أهل الكتاب من نصوص محرفة، ما تزال قصص الأنبياء عندنا تشهد على ذلك التحريف المعيب.

لذلك فالتوراة والأناجيل بعد تحريفها لم يعد عليها دليل أو برهان إلا إذا تحدثنا عنها من خلال آيات الله التي تأتي بالصحيح منها دون المحرّف.

﴿والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

حقيقة الإنسان في القرآن

كيف خلق؟

كيف أصبحت له القدرة على التمييز بين الآنا والهو؟. ما هو دوره وما هي مهمته في الأرض؟ أين تنتهي حدوده؟ ما هو الخير وما هو الشر بالنسبة للإنسان؟

يكشف القرآن للإنسان كيف خلق، وكيف تطور، وكيف أصبح الآن، إن الحصول على أجوبة التساؤلات السابقة من الإنسان نفسه ومما يظن ويحتمل ويقدّر لا قيمة لها علمياً، لأن كل ما كتب الإنسان عن نفسه إلى هذا اليوم ما هو إلا ظنون في ظنون واليقين فيها نادر.

بينما أجوبة القرآن الآتية من الله الخالق المدبر العليم تكون صحيحة ولا مجال للشك فيها، فهي من الذي خلق الكون والإنسان وخلق كل شيء.

الإنسان ما هو وكيف تشكل وكيف خلق؟

يقول القرآن أن الله بدأ خلق الإنسان من الطين بداية من خلية واحدة تسلسلت وتطورت على مر الزمن ومرت بمراحل للخلق مختلفة ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين﴾ ١٢ ـ المؤمنون. ثم يشرح سبحانه عملية الخلق التي مرت بمراحل تطورية في عمليات خلق متتابعة مع إضافات جديدة: ﴿وخلقكم أطواراً﴾ ١٤ ـ نوح.

ومرحلة البشر سابقة للمرحلة الإنسانية، أي قبل نفخ الله في الإنسان العقل والإرادة الحرة مع القدرة على الكلام والقراءة والكتابة. ﴿إذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين﴾ ٧١ ـ ص. ومراحل تطور الخلق مذكورة في الآية التالية خلقاً من بعد خلق وكل مرحلة مرت بأزمنة جيولوجية وبايولوجية مختلفة. ﴿ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين * ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقةً فخلقنا العلقة مضغةً فخلقنا المضغة عظاماً فكسونا العظام لحماً ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ١٤ ـ المؤمنون.

هذه الآية تشرح مراحل تطور الإنسان باعتبار أن الجنين يعيد بذاته كل مراحل التطور التي مر بها الإنسان عبر تلك العصور السحيقة في القدم خلال تسعة أشهر في بطن الأم، معيداً كل تلك المراحل ـ كما لم يهمل الله تعالى ذكر عملية التحويل من

مرحلة البشر المسيَّر على الغرائز إلى مرحلة الإنسان الذي يسير في الأرض سوياً بعد تحكيم عقله. هذه القفزة يذكرها الله تعالى في القرآن بقوله ﴿ثم أنشأناه خلقاً آخر فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ١٤ ـ المؤمنون.

وأحياناً يعبر عنه سبحانه بأسلوب آخر كما يقول ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ ٢٩ ـ الحجر.

هذه النقلة هي التي حولت البشر إلى إنسان مفكر ومبدع، وخلق الإنسان على مبدأ الزوجية مثل باقي خلق الله في الأرض ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ٤٩ ـ الذاريات. وإذا ترجمنا كلمة الزوج إلى (Couple) نكون قد أخطأنا لأن هذه ترجمتها الزوجان الذكر والأنثى، بينما المرأة لوحدها زوج والرجل لوحده زوج بحسب القرآن، وقد شرحت هذه الزوجية سابقاً بأن الفرد الإنساني يتألف من اجتماع أزواج من كل شيء إلا شيء واحد هو قلبه والقلب بحسب لغة القرآن هو العقل المفكر بدليل قوله تعالى ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها﴾، أو قوله تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ ١٤٦ ـ الحج. وبما أن هذا الجهاز خاص بالفقه وهو الفهم وخاص بالإدراك وهو التعقل هو جهاز مفرد لوحده في كل إنسان خلق على مبدأ الزوجية في كل شيء حيث يعبر سبحانه عن تلك الفردية والابتعاد عن الزوجية: يقول تعالى ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ ٤ ـ الأحزاب. بمعنى أن ليس له عقلين متناقضين بل عقل يعطي دائماً رأياً واحداً.

وبما أن الله تعالى قد نفخ في الإنسان الزوجي شيئاً من صفات الله الفردية فليس غير العقل في كل الإنسان يمكن أن نشير إليه بأنه يمثل نفخة الروح الإلهية.

بعد أن تعرفنا على الإنسان بقي أن نعلم من هو؟ وما هي صفاته؟

من أولى صفات الإنسان الضعف حيث يقول تعالى ﴿وخلق الإنسان ضعيفاً﴾ ٢٨ ـ النساء.

وهو قليل الصبر عجول ﴿وكان الإنسان عجولاً﴾ ١١ ـ الإسراء.

ومن صفاته الإنكار وهو الكفر ﴿إن الإنسان لكفور﴾ ٦٦ ـ الحج.

ومن صفاته الخوف من كل شيء مع قلة الصبر على المكاره ﴿إن الإنسان خلق هلوعاً * إذا مسه الشر جزوعاً﴾ ١٩ ـ ٢٠ ـ المعارج.

والإنسان ظلوم للناس ولنفسه ﴿إن الإنسان لظلوم كفار﴾ ٣٤ ـ إبراهيم.

والظلوم جحود ينكر النعم ﴿ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ ٣٣ ـ الأنعام.

﴿أفبنعمة الله يجحدون﴾ ٧١ ـ النحل.

ومن صفات الإنسان أنه إذا قَدِرَ تسلط وطغى ﴿كلا إن الإنسان ليطغى﴾ ٦ ـ العلق.

والإنسان يحب الجدال حتى من غير حق أو منطق ﴿وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً﴾ ٥٤ ـ الكهف.

والإنسان لا يتعب ولا يسأم من طلب الخير لنفسه ﴿لا يسأم الإنسان من دعاء الخير﴾ ٤٩ ـ فصلت.

ولقلة صبر الإنسان فهو سريع اليأس ﴿ولئن أذقنا الإنسان منا رحمة ثم نزعناها منه إنه ليؤوس﴾ ٩ ـ هود.

لذلك ترى أكثر الذين يفقدون أموالهم من بعد غنى وإيمانهم بالله ضعيف يقتلون أنفسهم بسرعة.

تلك كانت صفات الإنسان الذاتية ولكن ما هي صفاته التعليمية التي يتعلمها حيث يخلق الإنسان ولا يعلم من العلم شيئاً.

﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾ ٧٨ ـ النحل.

والله تعالى هو المعلم الأول للإنسان ﴿وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم﴾ ٩١ ـ الأنعام.

أو قوله تعالى: ناسباً العلم لذاته ﴿ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون﴾ ١٥١ ـ البقرة.

﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ ٥ ـ العلق.

﴿خلق الإنسان علمه البيان﴾ ٣ ـ الرحمن.

﴿اقرأ وربك الأكرم * الذي علم بالقلم﴾ ٣ ـ ٤ ـ العلق.

بعد تعرفنا على الإنسان ننتقل إلى السؤال: ما هي مهمة الإنسان وما هو دوره المطلوب على الأرض؟.

قبل البدء بأجوبة القرآن عن هذا الموضوع علينا أولاً أن نعرف: هل خلق الله الإنسان عبثاً ليتسلى ويلهو به؟. ولينظر فقط ماذا يمكن أن يفعل؟ أم أن لله هدف وغاية من خلق الإنسان؟.

لنقرأ أجوبة الله تعالى على هذه التساؤلات أولاً ﴿أيحسب الإنسان أن يترك سُدَى﴾ ٣٦ ـ القيامة.

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ ١٧ ـ الأنبياء.

بعد أن قرأنا أجوبة الله على تساؤلاتنا الأولى ننتقل إلى دور الإنسان ومهمته على الأرض: وهذه تبدأ منذ قول الله تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ٣٠ ـ البقرة.

ومعنى خليفة هو من يكون مؤهلاً للاستخلاف ليقوم مقام الأصل الذي هو الله، وبهذا المعنى فإن الإنسان هو خليفة الله على الأرض، فماذا كان جواب الملائكة على هذا الخبر وهم يعلمون أن البشر قبل تحولهم إلى مرحلة الإنسان كانوا سفاكين للدماء في الأرض (وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء).

وبما أننا نعلم أنه لا يعلم الغيب إلا الله، فلو كان خلق آدم قد تم في لحظة واحدة كما نتخيلها في: كن فيكون، ثم ظهر أمام الملائكة فجأةً ولا يعلمون عنه شيئاً لما كان بمقدورهم أن يحاوروا الله تعالى قائلين: (أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء).

وهذا القول دليل على أن الملائكة على علم مسبق بما فعله أمثال آدم من البشر في الأرض قبل نفخة الروح التي حولت آدم المصطفى من البشر إلى آدم الإنسان العاقل القادر على التفكير، وله الإرادة الحرة، ويستطيع التعلم بالقراءة والكتابة ويعلمه الله تعالى ما لم يعلم ﴿إن الله اصطفى آدم﴾ ٣٣ ـ آل عمران.

ولكن هناك شيء ما يزال الملائكة يجهلونه وهو إمكانية تطور هذا الإنسان مع الزمن وتعلمه من أخطائه السابقة والتي سوف تحوله إلى إنسان آخر غير الإنسان الأول المحب لسفك الدماء. وهذا ما كان الملائكة يجهلونه فقال لهم الله تعالى في نهاية الآية القرآنية ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ٣٠ ـ البقرة.

وإذا فهمنا الاستخلاف، فهمنا لماذا لا يتدخل سبحانه في ما يفعله الناس في الأرض من مظالم كبيرة بشكل مباشر، فيمنع سبحانه الظلم الذي لا يحبه الله لأحد في العالمين. لكن الخلافة لن تتم إلا إذا أعطي الإنسان مع العقل حرية التصرف بحيث يكون مسؤولاً في الأرض عن تصرفاته، وإذا افترضنا تدخل الله في كل مظلمة لينصف

المظلوم من الظالم معناه أن الله تعالى قد سحب الحرية وجعلها محدودة لا يجوز تجاوزها.

لا أحد منا يعلم عن غيب الله شيئاً، ولا نعلم ماذا خبأ سبحانه للظالم وللمظلوم تماماً، لكننا نعلم يقيناً أنه لن يضيع حق لمخلوق عند الله يوم القيامة.

فالظالم سوف يواجه حتماً مصيره في الجحيم ليدفع ويندم على ما فعلت يداه ألماً وعذاباً شديداً.

وكما أن المظلوم سوف يعوض بالمقابل على ما واجه من مظالم في الأرض وجد فيما يقابلها نعيماً دائماً لا يقدر بمال الأرض ولا بشهواتها ولا بنعيمها المحدود.

﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ ٢٢ - إبراهيم.

﴿وأعتدنا للظالمين عذاباً أليماً﴾ ٢٧ - الفرقان.

﴿وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون﴾ ٢٤ - الزمر.

﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ ٥٢ - غافر.

هذا عن الظالمين، ولكن ماذا عن المظلوم والمظلومين؟:

﴿والذين هاجروا في الله من بعد ما ظُلموا لنبوئنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ ٤١ - النحل.

﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾ ١٠ - النساء.

أي أن اليتيم الذي ظلم سوف يجد حقه عند الله الذي لا يظلم مثقال ذرة ﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت لا ظلم اليوم﴾ ١٧ - غافر.

من خلال دراسة آيات الظلم نكتشف أن سكوت المظلوم عن حقه هو ظلم آخر يسميه الله ظلماً للنفس. والظالم والظَّلمة في الأرض قلة مثل قلة الأغنياء بين الفقراء.

ونسبة المظلومين في الأرض دائماً هي الأكبر، ولو استخدموا عقولهم لمنعوا عن أنفسهم الظلم بوسائل مختلفة وعدم استخدامهم لعقولهم هو ظلم لأنفسهم ومن هذا الباب تكون الأغلبية ظالمة لنفسها.

ومنع الظلم يمكن أن يتم باستخدام العقل أمام الظلم فيتم باتحاد المظلومين في مواجهة الظالم، لكن المظلوم الذي لا يحرك ساكناً يعتبره الله ظالماً لنفسه، لم يدافع عن حقه، فلن يغفر الله له ظلمه لنفسه أبداً لا في الدنيا ولا في الآخرة.

﴿كمثل ريح فيها صر أصابت حرثَ قوم ظلموا أنفسهم﴾ ١١٧ ـ آل عمران.

﴿وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم﴾ ١٠١ ـ هود.

﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ ٤٤ ـ يونس.

ومن أكبر المظالم التي يظلم بها الإنسان نفسه قبول ما جاء به السلف دون عودة إلى مصادر الحق التي في القرآن، ليعلم الإنسان ماله وما عليه قبل أن يصدق فلاناً أو فلاناً قد يكون لهم مصلحة فيما يدّعون. ماذا يقول لقمان لابنه وهو يعظه؟ ﴿يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ ١٣ ـ لقمان.

ننتقل بعدها إلى التساؤل الهام: أين تنتهي حدود الإنسان في الأرض؟.

إن كلمة خليفة الله في الأرض تعني الكثير، تعني أن الإنسان مكلف بإعمار الأرض بالأعمال الصالحة، ﴿هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾ ٦١ ـ هود.

وأساس العمران المطلوب من الإنسان هو أن يكون صالحاً وبالأعمال الصالحة.

أما العمران الذي أساسه الظلم فيهدمه الله تعالى بقوانينه في الأرض (سنن الله) ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشدَّ منهم قوّة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ٩ ـ الروم.

فإهرامات الفراعنة شاهدة من شواهد ظلم فرعون وليست شاهدة من شواهد عدله وإحسانه في الأرض. وكل عمل لا صلاح فيه مرفوض من الله ﴿إن الله لا يصلح عمل المفسدين﴾ ٨١ ـ يونس. ﴿ومن آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم﴾ ٦٩ ـ المائدة. ﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً﴾ ٣٣ ـ فصلت.

والإنسان باستخلافه في الأرض هو مبدع صغير على مستواه المحدود، يبدع ويخترع أجهزة ميكانيكية مختلفة، في كل مجال من مجالات الحياة الدنيا: في مجال السير في الأرض والسير في البحر بالغواصات أو السير فوق البحار بالسفن المختلفة. والسير في الهواء بالطائرات والسير في الفضاء بسفن الفضاء المختلفة. كما يبدع الإنسان في مجال الاتصالات ما نراه من وسائل متقدمة تقنياً وعلمياً. ويبدع الإنسان في مجال الحاسبات الإلكترونية فيخلق عمالاً من جديد يعملون له ليل نهار في المعامل بلا كلل ولا ملل.

لكنه لن يستطيع مهما حاول أن يخلق حياةً أو نفساً. لا مجال لخلق الإنسان في مجال الروح أو النفس، وحتى يبين لنا سبحانه هذه المحدودية يقول بكل صراحة لكل المشركين الذين يدعون ويسألون بوذا أو المسيح أو محمد. أو أحداً من خلق الله الآخرين المعونة أو الشفاعة أو الخلاص من النار في الدنيا أو الآخرة ﴿يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لا يستنفذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ماقدروا الله حق قدره إن الله لقوي عزيز﴾ ٧٤ ـ الحج.

والمثال الثاني على محدودية الإنسان ﴿إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً وما يضل إلا الفاسقين * الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أولئك هم الخاسرون﴾ ٢٦ ـ ٢٧ ـ البقرة.

والذي فهم المثال الأول يفهم المثال الثاني. وبهذا نكون قد فهمنا محدودية الإنسان تماماً وإلى أين يمكن أن يصل مدى خلقه وإبداعه. ونكون بذلك قد تعرفنا على الإنسان من وجهة نظر خالقه وليس من وجهة نظر الإنسان إلى نفسه، واقتربنا من الحق والحقيقة أكثر، وهذا ما أردته في كتاب الحقيقة ليس أكثر.

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

عقل الإنسان في القرآن

يحوي القرآن أسراراً كثيرة لكنه سبحانه وتعالى لا يكشفها إلا للذين يعقلون ولهم قلوب تعقل. والقلب في لغة القرآن هو الجوهر والمركز من كل شيء ولا علاقة لهذا بعضلة القلب التي تضخ الدم في المخلوقات والإنسان على حد سواء ﴿أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها﴾ ٤٦ ـ الحج.

وعلاقة السير مع التعقل هو ملاحظة الإنسان لما يرى حوله مع القدرة على التدقيق والبحث العلمي في مجال ما يرى والقدرة على إجراء التجارب إذا لزم الأمر. مثلاً يسعى الإنسان بشكل عام في الأرض وهو يرى الطيور تطير، لكن الذي يلاحظ ويدرس كيف يتم لها الطيران، وهل يمكن تقليدها، هذا هو الذي يستطيع أن يصنع طائرة، لكن بعض الناس في الأرض لا يرون ولا يسمعون ولا يعقلون حقيقة أغلب ما يرونه ويسمعونه ﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ ٤٤ ـ الفرقان.

والأمة إذا تفرقت واختلفت وإن كانت عددياً كبيرة فإنها تصبح لا قوة لها لأن أغلبها لم يعد يدرك أهمية الوحدة وارتباطها المباشر مع مصلحته الذاتية وإمكانية وجودهم ﴿تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ١٤ ـ الحشر.

والعقل هو أهم آلة منحها الله للإنسان، وهو موجود مع كل فرد منهم لكنه إذا أهمل يمكن أن يتعطل مثل أية آلة.

فالأمة التي تهمل تغذية أبنائها في سن الطفولة وفي سن تشكل هذا الجهاز تخسر الإمكانية الإبداعية لتلك العقول الفتية. والأمة التي تهمل بعد ذلك تعليم أبنائها العلوم المناسبة تخسر أيضاً ما كان لتلك العقول أن تفعل لتطوير الأمة وتحسين أحوالها تقدماً وحضارة. وإذا تعلم الإنسان وتدرب في المعاهد المجهزة بالمختبرات العلمية تحسنت قدراته وإمكانية استنتاجاته العلمية والمعرفية.

والأمم التي علمت أهمية المادة السنجابية في تلافيف دماغ الإنسان واهتمت به ونظمت مدارسها ومعاهدها وجامعاتها لتطوير هذا الجهاز في الإنسان، تقدمت وأصبحت من الأمم الرائدة في الأرض في قوتها وفي صناعتها وفي حضارتها حتى وفي

غناها، ومع أنها قد تكون فقيرة في أرضها التي لا تحتوي على ثروات معدنية تنبع من أرضها مثل اليابان.

أما الأمم التي أهملت العقل فقد بقيت متأخرة وضعيفة ومتخلفة حتى وإن كانت أرضها تنبع بالثروات، ويعيش أبناؤها أذلاء مهمومين ضعفاء، وآلة الفكر هي الهبة السماوية التي نفخها الله في مخلوقه المصطفى آدم ليحوله من بشر كان لا يعقل ولا يفكر إلى إنسان يفكر ويتدبر ويتعلم ويتقدم ﴿إن الله اصطفى آدم﴾ ٣٣ ـ آل عمران. والاصطفاء بلغة القرآن هو الاختيار من مجموعة ما لهدف معين ومحدد مع إهمال باقي المجموعة. والله تعالى يخاطب في كتابه العظيم أولي الألباب وهم أولي العقول المفكرة والمدبرة ونجد هذه المخاطبة في ستة عشر آية منها قوله تعالى ﴿إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ ١٩٠ ـ أل عمران.

والألباب وجدت لتفكر، والله أنزل القرآن للناس حتى يتفكروا فيه ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزّل إليهم ولعلهم يتفكرون﴾ ٤٤ ـ النحل.

وآيات القرآن أنزلت ليتفكر فيها أهل الفكر، وأمثال القرآن لا يمكن فهمها أو إدراك ما يرمي إليه الله إلا بالتفكير ﴿وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون﴾ ٢١ ـ الحشر.

وقصص القرآن لا يمكن فهمها وإدراك مرامي الرحمن إلا بالتفكير فيها أيضاً ﴿فاقصص القصص لعلهم يتفكرون﴾ ١٧٦ ـ الأعراف. والفقه في لغة القرآن هو الفهم عن طريق العقل. ﴿انظر كيف نصَرِّف الآيات لعلهم يفقهون﴾ ٦٥ ـ الأنعام. ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ ٩٨ ـ الأنعام. والعلم هو حصيلة جهاز الفكر وذخيرته ومنبعه الأساسي من الله ﴿آتيناه رحمة من عندنا و علمناه من لدنا علماً﴾ ٦٥ ـ الكهف. ﴿علَّم الإنسان ما لم يعلم﴾ ٥ ـ العلق. وعكس العلم الظن. ﴿مالهم به من علم إلا اتباع الظن﴾ ١٥٧ ـ النساء. والحق هو العلم الإلهي الذي نزل في رسالات من السماء. ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ ٦ ـ سبأ. ﴿مالهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ ٢٤ ـ الجاثية.

لكن العلماء الحقيقيون هم العلماء الذين يبتعدون عن مصادر الظنون ﴿قد فصلت الآيات لقوم يعلمون﴾ ١٠٥ ـ الأنعام. وفي ميزان الله لا يستوي الذين يعلمون مع الذين

لا يعلمون ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ ٩ - الزمر. ويطلب الله تعالى من عباده الإيمان به عن طريق العقل الذي عرّفناه قبل قليل بأنه آلة التفكير والتعقل والفقه والإدراك.

وهذا الجهاز مصمم لكي لا يقبل إلا بالدليل والبرهان. فينصحه سبحانه أن لا يعطل تلك الآلة في ذاته بإهمالها. فعزة الإنسان وكرامته وقوته كلها مرتبطة بفاعلية ذلك الجهاز، الذي كلما نما وسما وعلا سما معه الإنسان وعلا. وكلما هَزُل وتدنا وانحط تدنت وانحطت معه قيمة الإنسان.

وبما أن لكل شيء ثمرة، فمن ثمرات العقل والعلم: القوة والصحة والغنى والرضى ومن ثمرات الهوى والجهل: الضعف والمرض والفقر والطمع.

وكذلك من ثمرات العقل: الإيمان مع التوحيد لله وحده لا شريك له.

ومن ثمرات الأهواء: الإشراك بالله باتباع الظنون فتجد أغلب الذين يهملون آلة الفكر عندهم من المشركين بالله مع أنهم يعتقدون بأنهم مؤمنون، بدليل قول الله تعالى عنهم ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ ٣٦ - يونس. فماذا تكون النتيجة العامة لاتباع الظنون ﴿وما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ - يوسف. وهذا هو سبب وقوع أغلب الناس في العالم اليوم في بؤرة الإشراك بالله وإن كانوا لا يعلمون. وسنة الله في الأرض أن أكثر الناس لا يعقلون ﴿قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ ٦٣ - العنكبوت.

وكذلك فإن أكثر الناس لا يعلمون: ﴿ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ٥٥ - يونس. ﴿قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ٢٥ - لقمان. لأن أكثر الناس يتبعون الظن ولا يتبعون العلم. ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ ٣٦ - يونس. والذي يتبع الظن لا يمكنه أن يتبع الحق والعلم، وما الحق والعلم إلا لله تعالى، لذلك لا يؤمن أكثر الناس بالله تعالى بل يؤمنون بالطاغوت وهم يظنون أنهم يؤمنون بالله ولكنهم لا يؤمنون به حقيقةً بدليل أنهم يقبلون بالعبودية لغير الله ﴿إن الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون﴾ ١٧ - هود.

والذين لا يؤمنون بالله الحق كيف لهم أن يشكروا الله على نعمه؟ لذلك فأكثر الناس لا يشكرون الله حقيقة بل يشكرون أسيادهم في الأرض: ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ ٢٤٣ - البقرة.

وفي كل أمة يمكن أن تجد فئة مؤمنة بالله لأنها تعلم وتعقل وتفكر لكن أكثر الناس تجدهم فاسقين ﴿منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون﴾ ١١٠ ـ آل عمران.

لماذا؟ وما هو السبب في ذلك؟.

نجد الجواب من خلال دراستنا لآيات الله في القرآن المبينة أن العلة والسبب هما في تعطل جهاز الفكر عندهم ﴿يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون﴾ ١٠٣ ـ المائدة. الله حق ووسائله حقيقية وكلماته حق ومخلوقاته حقيقية ولا خيال أو ظن أو سحر في خلق الله.

الحق علم حقيقي مبني على مبادىء علمية ورياضية محسوبة. بينما الشيطان في المقابل رئيس الباطل ووسائله وهمية ويعتمد على الظن والظنون، ومن هنا تأتي قوة الحق وضعف الباطل وسرعة زهوقه إذا ظهر الحق أمامه ﴿بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق﴾ ١٨ ـ الأنبياء. وزاهق بحسب لغة القرآن، تعني أنه يزول ويختفي بسرعة ﴿وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً﴾ ٨١ ـ الإسراء.

ومن هنا نعلم قوة الحق من قول الله بينما نجد الشيطان وكيده ضعيف أمام من يتسلح بالقرآن العظيم ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾ ٧٦ ـ النساء.

وكما أن الصائغ الخبير لا يقبل الاستغناء عن حجر الكشف بديلاً للكشف عن المعادن الخسيسة من بين المعادن الثمينة. كذلك شاء الله تعالى لعبده العاقل المتفكر أن لا يقبل بكل ما يسمع ولا يؤمن به إلا بعد أن يرى البرهان والدليل على صدق ما يرى وما يسمع. فعقل الإنسان إذا درب وعلم يستطيع التفريق بين الحق والباطل.

والله سبحانه يحب عبده الذي يشك فيما يسمع ولا يقبل بالأفكار والآراء إلا بعد البحث عن الأدلة والبراهين والحجج الدالة على حقيقته أو الكاشفة لبطلانه.

وضرب لنا سبحانه بأحد عباده المتقين مثلاً وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام، الذي بحث وحده حتى اكتشف حقيقة الله بالعقل والبرهان من قبل أن يختاره الله رسولاً. فاكتشف وحده واجب وجود الله ووحدانيته عقلاً.

لأن العقل يرفض وجود خلق بلا خالق، أو وجود سبب بلا مسبب فلا بد من وجود علة وسبب لكل موجود ولكل مخلوق.

تخيل إبراهيم بعقله أولاً أن سبب وعلة الوجود هما من ضمن الموجودات

والمخلوقات مما يراها أمامه من ملكوت الله العظيم في هذا الكون الهائل الماثل أمام ناظريه في ليلة صافية السماء مظلمة، ولا يرى إلا الكواكب والنجوم. فتفكر إبراهيم في خلق الله اللامنتهي مما يراه في هذا الفضاء ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين﴾ ٧٥ ـ الأنعام.

فالله تعالى يريد من عباده أن يتوصلوا إليه بعقولهم لأن العقل وحده هو الذي يفتح بعد ذلك باب اليقين، حتى يكون المؤمن من الموقنين، الذين تعجز أمامهم كل الشياطين على اختلاف أنسابهم، من القدرة على صرفهم عن اليقين.

كما استطاع شيطان واحد وهو السامري في صحابة موسى من قومه، عندما غاب عنهم أربعين ليلة للقاء ربه فأشركوا بالله وعبدوا العجل الذهبي. وكما حصل مثله مع النصارى ومع المسلمين. إن كتاب الحق صارم لا يلين مع الأهواء والشهوات ولا يتساهل في الحقوق ولا في الوصايا العشر التي في الصراط المستقيم.

قالت اليهود إن التلمود وحي من الله، مع علمهم أنه من مكتتبات شيوخهم، بعد أن أخفوا ما أنزل الله من وحي حقيقي في التوراة على الأنبياء والرسل.

وقالت النصارى إن مكتتبات بولس بعد متى ولوقا ومرقص ويوحنا هي الحق، وقالت مشايخهم ما يغضب الله وبدلوا تبديلاً.

كذلك فعل المسلمون بأيدي مشايخهم الذين أخرجوا لهم كتب الظنون التي تناقض وحي الله الكريم الذي أنزل حرفاً بحرف وكلمة كلمة وآية آية على رسوله الكريم محمد عليه الصلاة والسلام. وسبحان الله الذي لم يحفظ من كتبه ورسالاته التي أنزلت وحياً منه إلى الأرض وإلا كتاباً واحداً وأبقى سبحانه في نصه برهانه الذي لا ريب فيه، إن هذا الكتاب وحده الباقي من كل الكتب سليماً ولم يمسسه إنس ولا جان، بتبديل حرف واحد منه إلى هذا اليوم. هذا الكتاب هو وحده الذي يقص الحق على الباحثين عنه.

لكن ماذا اكتشف إبراهيم الباحث عن الحقيقة بعقله وهو يريد أن يرى البرهان، ويتأمل بعينيه فضاء الله وسمائه وكونه العظيم؟. ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغةً قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي

فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ ٧٦ - ٧٩ - الأنعام.

نعم لقد توصل إبراهيم إلى الحق بعقله، وعلم أن وراء ما يرى من الأشياء والمخلوقات خالقاً عظيماً قديراً عليماً مدبراً ومحركاً لكل شيء وله الصفات الحسنى وليس كمثله شيء.

ليس كما يقول اليهود في العهد القديم (وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا) سفر التكوين الإصحاح الأول الفقرة،٢٦ (فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه) سفر التكوين - الإصحاح الأول الفرقان ٢٧ - ٢٨.

وليس كذلك كما يقول المسلمون في الصحيحين على رواية أبي هريرة (الحديث رقم ٢٨٤١ من صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة عن رسول الله، أنه قال: «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً». فالله تعالى يقول لرسوله محمد عليه الصلاة والسلام مبيناً ما يجب إظهاره من القرآن لأهل الكتاب ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾ ٦٤ - النحل.

لكن إبراهيم كان بحاجة إلى البرهان حتى تطمئن نفسه وعقله لما توصل إليه من حقٍ ومن استنتاج عقلي ليس عليه برهان بعد ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أو لم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾ ٢٦٠ - البقرة.

والقلب كما قلنا سابقاً في لغة القرآن هو العقل والله تعالى يريد مؤمنين قد اطمأنت قلوبهم وعمرت بالإيمان حتى لا يقدر عليهم أي شيطان من شياطين الإنس أو الجن.

أما الذين آمنوا بالله تسليماً قبل الشك وقبل البحث عن الأدلة العقلية وعن البرهان فمثلهم مثل أغلبية المؤمنين في الأرض يسهل أن يسوقهم أصغر شيطان من ذرية آدم، أو من ذرية إبليس، فينقلهم من التوحيد إلى الإشراك بالله ليعبدوا بعد ذلك الطاغوت وهم يظنون إنما يعبدون الله ويوحدونه كما حصل ويحصل الآن في الأديان سماوية كانت أم أرضية، وكلها استبدلت كتاب الحق بكتب الظنون والأوهام.

﴿إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون﴾ ٤٤ - يونس.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ضرورة الدين والعقيدة في حياة الإنسان

مهما ألحد ابن آدم وأنكر علاقة السماء بالأرض بصوت عال يجد في داخله صوت آخر ينكر ما يدعيه ويسفه أفكاره ويؤكد له وجود الله، مما يؤكد على حقيقة قائمة وهي وجود فكرة الله في فطرة الإنسان، وهذا ما يؤكده كتاب الله عندما يقول ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا﴾ ١٧٢ ـ الأعراف.

معنى الآية أن الله تعالى قد زرع فطرة الإيمان بالله في نطفة الإنسان فهي موجودة في الجميع كبذرة تحتاج إلى تنمية وتقوية، ليتحول الإنسان إلى الإيمان، ولكن إن تركها وأهملها تغلبت عليه العادات والتقاليد وما قاله الآباء فقتلتها. أو حولتها إلى الإشراك بالله. لكن الإنسان إذا آمن وبدأ يبحث في ما حوله من المعطيات عن الحق والحقيقة، يكتشف أن فكرة وجود الله واجبة عقلاً وفكرة وحدانيته أيضاً واجبة بالعقل والمنطق، وإلا لفقد السلام والانسجام في العالم كله، وهذا ما يؤكده كتاب الحق والحقائق، فلو كان في الأرض والسماء آلهة غير الله لفسدتا في نزاعاتهم وحروبهم وخلافاتهم. ﴿لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ ٢٢ ـ الأنبياء.

وكفّر سبحانه من جزَّأ الله إلى ثلاثة أقانيم في الثالوث حيث قال ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد﴾ ٧٣ ـ المائدة.

كما رفض الذين قالوا بإلهين إله للخير وإله للشر فالخير والشر بيد الرحمن وحده ﴿وقال الله لا تتخذوا إلهين إثنين إنما هو إله واحد فإياي فارهبون﴾ ٥١ ـ النحل.

ولو فكر الإنسان وأجهد فكره لاكتشف أنه لا يستقيم نظام الكون وانسجامه الكامل إلا بوجود خالق مدبر مفكر منظم منفذ واحد أحد لا شريك له في الحكم والملك والعلم والهدى والرحمة والشفاعة، ولو فرضنا وجود أكثر من إله اشتركوا في الخلق بداية لاختلفوا وذهب كل إله بحصته وتوزع العالم إلى مجموعات مختلفة متناحرة وفقد السلم والسلام الذي نراه في الكون من حولنا ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ ٩١ ـ المؤمنون.

ولله تعالى صفات لا تنسجم مع صفات مخلوقاته، فمن صفات الله الأحدية أي أنه أحد صمد، بينما مخلوقاته كلها زوجية، ولذلك لا يجوز تخيل الله تعالى مخلوقاً زوجياً كالإنسان، بل هو فوق تصور الإنسان وخياله وليس كمثله شيء ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ١١ ـ الشورى.

له القدرة على أن يكون في كل مكان وفي كل زمان، ومع كل إنسان أو مخلوق في الوجود في نفس اللحظة، وكأنه سبحانه كالكمبيوتر المركزي الهائل في الكون كله، تنقل إليه كل عيون مخلوقاته ما ترى وكل آذان مخلوقاته ما تسمع وكل عقول مخلوقاته ما تدرك، فهو بالتالي بكل شيء عليم.

والإنسان مخلوق ضعيف لا يستطيع الاستغناء عن خالقه فهو بحاجة دائمة إليه، وكلما زادت رابطة الإنسان بالذي خلقه قوي الإنسان بالله، وقلّت مخاوفه لشعوره أن الله معه، وكما قال رسولنا لصاحبه أبي بكر وهما في الغار يختبآن من قريش التي كانت تطاردهما لقتلهما ﴿إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم﴾ ٤٠ ـ التوبة.

فالإنسان بحاجة لهذه الرابطة بينه وبين الذي خلقه وكلما زاد إيمان العبد بخالقه ازدادت قوته لتضاف إلى قوى الخير التي تجابه قوى الشر من أتباع إبليس اللعين، الذي يسلط الأضواء البراقة حول شهوات النفس فيجتمع حوله الغافلون كما تجتمع الفراشات البلهاء حول النار لتحترق بها.

والذي يتخذُ اللهَ خليلاً كما اتخذه إبراهيم ينجو بنفسه من الشياطين.

إذا درس الإنسان الباحث عن الحقيقة تاريخ الأديان يكتشف في النهاية أن كل الأديان في البداية كانت من الله، وكلها بدأت برسالات حقيقية تدعوا إلى دين الله الصحيح ولكنها تبدلت مع الزمن وأصبحت على سبل مختلفة وأديان مختلفة.

والباحث في كتاب القرآن يكتشف من خلال القصص القرآني هذه الحقيقة التي رآها الباحث أولاً في أديان الأرض من واقع الحياة، ومن ثم يصل إلى قناعة يقينية بأن هذا التبديل والتحريف لرسالات السماء بشكل دائم لم يحصل بالصدفة ولا بسبب

الجهل وحده بل وراءه دافع ومصلحة لفئة خاصة موجودة في كل أمة يسميها القرآن (الملأ) وهي الأقلية الغنية المترفة التي بيدها مقاليد الأمور من مال وسلطة ونفوذ في الأمة. هذه الفئة تعود بالتدريج لتمسك زمام الأمور وتعيد الأمور إلى ما كانت عليه إن لم تعدها إلى أسوأ مما كانت عليه.

إن من يقرأ تاريخ الخلافة العثمانية خاصة في فترة ضعفها وانحلالها يعلم علم اليقين، أن الشيطان تربع على عرشه وفعل ما يشاء باسم الله والحق والعدل والقانون، أموراً تقشعر لها الأبدان ومظالم تخجل من فعلها الوحوش ومصاصي الدماء التي نسمع عنها في الأساطير الشعبية.

وإذا تعمق الإنسان ودرس السؤال القديم لماذا خلق الله الإنسان؟ لوجد الباحث عن الحقيقة من خلال نصوص القرآن أن الله تعالى لم يخلق الكون والإنسان عبثاً. ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ ١١٥ ـ المؤمنون. وكما لم يخلقهما كذلك لاهياً ولا لاعباً. ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما لاعبين * ولو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنا إن كنا فاعلين﴾ ١٦ ـ ١٧ ـ الأنبياء.

من خلال القصص القرآني ومن ملاحظة أن الله تعالى في كل مرحلة تاريخية لكل رسالة من الرسالات ينقذ سبحانه الذين آمنوا ويدمر الذين كفروا وأشركوا معاً، ومن ذرية الذين آمنوا يعود سبحانه لينشر تكاثرهم على الأرض من جديد.

والذي يصل إليه الباحث من تكرار عمليات الرسالات التي كانت تتلوها رسالات مع الاحتفاظ بالمؤمنين وتدمير الآخرين، نستنتج أن نسبة المؤمنين كانت تزداد مع الزمن ومع تطور الإنسان على الأرض جيلاً بعد جيل، ثم يعترف لنا سبحانه أنه قد خطط منذ البداية لشيء أخبرنا به من لحظة اصطفاء آدم ومنحه الميزات الخاصة في الخلق التي أهلته حتى يكون هو وذريته خلفاء الله في الأرض من أجل إصلاح الأرض وإعمارها بالأعمال الصالحة ـ وبما أن آدم كان من نسل آبائه الأولين من البشر الذين تعودوا على سفك الدماء والظلم اعترض الملائكة على قرار الله لما يعلمونه عن هذا الكائن المتوحش الظالم فقالوا ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح ونقدس لك﴾ ٣٠ ـ البقرة. فماذا قال سبحانه وتعالى لهم في الجواب على استنكارهم السابق هذا؟ ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ٣٠ ـ البقرة.

والله تعالى لم يجعل مهمة الإنسان في الأرض سهلة بل جعل له في الأرض عدواً مبيناً هو الشيطان، كما جعل للإنسان نفساً أمارة بالسوء والظلم والعدوان وتميل بشكل طبيعي لما يعرض الشيطان من أهواء وشهوات ليغريه بها، لذلك ليس من الغريب أن نجد أن أكثر الناس في النتيجة مع الشياطين في الأرض وسبحانه لم يفاجأ بالنتائج بل أخبرنا سلفاً في كتابه المبين عن النتائج مؤكداً أن الضلال هو سبيل الأكثرية في تاريخ الإنسان ﴿ولقد ضل قبلهم أكثر الأولين﴾ ٧١ ـ الصافات.

وقليل من الناس من يشكر الله على نعمه ﴿إن الله لذو فضل على الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾ ٢٤٣ ـ البقرة. وكثير من الناس من يكفر بنعم الله عليه مع علمه بها ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾ ٨٣ ـ النحل. وبالتالي قليل من الناس من يؤمن ﴿لقد حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون﴾ ٧ ـ يس. وحتى الذين آمنوا نجد أكثرهم قد تحول إلى الشرك بالله جهلاً وجهالة ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

والسر في هذا التدهور الإيماني هو أن أكثر الناس أولاً لا يعلمون ﴿قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ٢٥ ـ لقمان. لماذا لأنهم بدلاً من اتباع العلم يتبعون الظنون ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ٣٦ ـ يونس.

وبدلاً من اتباع العقل يتبعون الأهواء والشهوات لأنهم لا يعقلون ﴿قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ ٦٣ ـ العنكبوت.

لذلك وكما ترون اليوم فإن الفساد قد عم وانتشر في كل شيء بدءاً من الإنسان وأخلاقه إلى الأرض والتراب وحتى في الهواء الذي يتنفسه الأحياء، في الماء الموجود في المحيطات، وأينما اتجهنا هناك فساد وإفساد مما كسبت أيدي الناس ومن صناعاتهم للحرب والدمار ﴿ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون﴾ ٤١ ـ الروم.

ولكن هل ستستمر الأمور إلى يوم القيامة على ما نراه اليوم بدون تغيير؟.

إن الله تعالى يؤكد أنه هو ورسله الدائمين في الأرض سينتصرون، لقد قال تعالى في رسالته الأخيرة للعالمين (القرآن) أنه قد ختم الأنبياء بنبيه محمد عليه الصلاة والسلام ﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ ٤٠ ـ الأحزاب. والنبي هو الذي يأتي الله على لسانه من السماء وحياً في رسالة للناس والوحي انتهى

دوره بالقرآن الذي أصبح موجهاً لكافة الناس من العالمين، فلم يعد للوحي والنُّبوة دور بعد حفظ القرآن بقدرة الله عن التحريف.

إن كل إنسان متعلم مثقف يؤمن برسالة الله يمكنه أن يبشر وينذر بكتاب الله وكلماته ويبلغها لكل الخلق في الأرض حتى يعودوا إلى دين الله الحقيقي دين السلام يتحول إلى رسول لله ومبلغ جديد لكتاب الله، وهذا اليوم لابد آت بدليل قوله تعالى مؤكداً أنه ورسله المبلغين هؤلاء سيغلبون في النهاية كل أتباع الشياطين الذين قالوا لأتباعهم ﴿لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ ٢٦ - فصلت.

لكن الله تعالى يؤكد نصره عليهم مع رسله وغلبه الأخير للجميع ﴿كتب الله لأغلبَنَّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ - المجادلة. والله غالب على أمره وإن كان أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقيقة ﴿والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ٢١ - يوسف.

واليوم الذي بشَّر به الرحمن عندما أنزل الآيات التالية هو يوم قادم لاشك فيه ﴿بسم الله الرحمن الرحيم * إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان تواباً﴾ سورة النصر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

القضاء والقدر

إذا بحث المسلم المحب معرفة دينه عن القضاء والقدر الذي سيطر على عقل المسلم الذي آمن بالحديث بعد أن ترك كتاب الله، يفاجأ بأن لا يجد في كتاب الله قضاء وقدراً بالمفهوم العام لدى المسلمين اليوم فكلمة قضى تأتي بمعاني مختلفة مثل ﴿فقضاهن سبع سموات في يومين﴾ ١٢ ـ فصلت. وهنا أخذت معنى أتم وأكمل. ومثلاً الآيات التالية ﴿ولكن ليقضين الله أمراً كان مفعولاً﴾ ٤٢ ـ الأنفال.

﴿ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى﴾ ٦٠ ـ الأنعام.

وقد تأتي بمعنى شاء كما في الآية ﴿وإذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ ١١٧ ـ البقرة.

ولكن ما معنى قضى في الآية التالية ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ٢٣ ـ الإسراء. هنا تأتي قضى بمعنى أمر وحكم ولكن الأمر والحكم صدر لمخلوق له القدرة بإذن الله على رفض الأمر والحكم أو الامتثال له إن شاء، وليس مثل الأمر للشمس والقمر فهذا أمر ملزم بالتنفيذ ولا اختيار فيه لذلك ميزها سبحانه بقوله ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً﴾ ليدل على عدم وجود فرق بين الطوع والكراهية هنا لأنها ملزمة بالتنفيذ من غير خيار أصلاً لأنها لا تعقل بذاتها.

ولكن الله تعالى ميز ذلك عندما تكلم عن المخلوقات العاقلة المخيرة ﴿ولله يسجد من في السموات والأرض طوعاً وكرهاً﴾ ١٥ ـ الرعد.

مثل مخلوقات الجن والإنس المخيرين يسجدون لله طوعاً وهم المؤمنون، وهناك مخلوقات يسجدون بالأمر وهم كل مخلوقات الله الأخرى غير مخيرة ومنهم الملائكة، ومعنى السجود هو الطاعة عن حب واختيار.

وحتى المخلوقات المخيرة مثل الجن والإنس يسجدون لله كرهاً في كل الأمور الأخرى التي لم تخير فيها مثل خلقهم وموتهم وفرض آبائهم وأمهاتهم وجنسهم عليهم بلا خيار، وكذلك في أن يكونوا ذكوراً أم إناثاً وهكذا، ولكن هناك أمور لم يكره سبحانه عباده عليها مثل الدين ﴿لا إكراه في الدين﴾ ٢٥٦ ـ البقرة. ﴿من يشاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

فالله سبحانه لا يناقض نفسه عندما يقول ﴿وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه﴾ ٢٣ ـ الإسراء.

وأتى المعنى هنا بأن الله تعالى لن يقبل من عبده عبادة إلا إن كانت خالصة له وحده، فإن أشرك العبد بتلك العبادة شيئاً مثل حديث مع حديث الله، أو سنة مع سنة الله، لرفضها سبحانه.

وكذلك إذا أشرك العبد بالله أحداً من مخلوقاته سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من الإنس من رسول أو ولي من الصالحين بالشفاعة مثلاً، اعتبر سبحانه ذلك إشراكاً به فرفض عبادة العبد كلها، ولهذا يجب أن يحذر المسلم من هذين الموضوعين بالذات فلا يشرك بالله شيئاً ولا أحداً.

ولكن ما معنى الآية التالية ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ ٣٦ - الأحزاب.

المؤمن والمؤمنة كما نعلم اختارا بحريتهما وإرادتهما الحرة من غير إكراه من أحد منهج الله وكتابه وآمنا به، والإيمان ليس مجرد عقيدة بل هو سبيل يلزم المؤمن والمؤمنة الالتزام به والسير بموجبه فلا يعود للمؤمن خيار في تطبيق منهج الرحمن الذي سبق واختاره لنفسه سبيلاً عند إعلان إيمانه.

فإن كان أمر الله تعالى ورسوله بالقتال مثلاً، على المؤمن القتال مع كون الموت والقتل مما يكرهما الإنسان. أما إن رفض أو تقاعس عن الخروج للقتال زالت عنه صفة الإيمان أصلاً، فيدخل إلى فئة المنافقين أو من الذين كفروا وتركوا الإسلام خوفاً من الموت. فكلمة قضى هنا تأتي بمعنى أصدر أمراً أو حكماً.

وأحياناً تأتي كلمة قضى بمعنى (نال) في كتاب الله كما في الآية التالية ﴿فلما قضى زيدٌ منها وطراً زوجنا كها لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطراً﴾ ٣٧ - الأحزاب. ومثلها الآية التالية ﴿إلا حاجة في نفس يعقوب قضاها﴾ ٦٨ - يوسف.

لذلك فإن الفعل قضى لا يمكن فهم معانيه من خلال القاموس بل من خلال سياق الآيات القرآنية نفسها.

إن القاعدة الصحيحة لمعنى الكلمات هي أن الألفاظ والكلمات هي التي تخدم المعاني وليست المعاني هي التي تخدم الألفاظ والكلمات خاصة في كتاب الله تعالى العظيم ومن لا يطبق هذه القاعدة في تفهم معاني النصوص خاصة في القرآن الكريم يقلب المعاني دون أن يشعر، خاصة إذا كان أعجمياً، ودرس اللغة العربية. وكان

يجهلها في صغره، وبالتالي فإنه يضل عن معاني ومقاصد الرحمن.

إنَّ قُضي في الآية التالية تأتي بمعنى: تَمَّ وانتهى ﴿وقُضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾ ٢١٠ ـ البقرة.

بينما نجدها في الآية التالية أتت بمعنى (حَكَمَ) ﴿وقُضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون﴾ ٥٤ ـ يونس.

إنَّ الالتباس في معنى قضى أتى للناس من اقتران الفعل قضى مع الأجل، ومن عدم فهم معنى الأجل من القرآن الكريم مباشرة، بل تم الاعتماد على فهمها من أحاديث تعتمد على الرواية التي تختلف بحسب ذاكرة كل راو فتختلف معها الكلمات، فيضل الإنسان عن المعنى المقصود.

إن أول مبدأ قرآني يجب أن نعلمه عن الأجل، أن كل مخلوق بما في ذلك الإنسان له أجلين إثنين:

١ ـ أجلٌ مسمى: وهذا الأجل هو الأجل الثابت ويعتمد على أمور كثيرة؟ منها العوامل الموروثة المأخوذة من الأم ومن الأب من كل نوع لوحده.

٢ ـ أجلٌ بقضاء: القضاء هنا متنوع قد يكون مرضاً أو حالة طارئة مثل جوع شديد أو نهم شديد أثر على خلايا الجسم كله، أو حادث ما مثل الغرق والحرق والزلازل، أو السقوط من مكان عال أو الإصابة بصاعقة أو حوادث، نتيجة استخدام وسائل السفر الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات، وحدث أن تعرض لإحدى الحوادث فأصيب وجرح إما بإصابات قاتلة أو بإصابات كانت غير قاتلة، ولكن لعدم توفر الإسعاف وسرعته في الوقت المناسب تسبب في الموت نتيجة ظروف وأحوال مختلفة ومتنوعة لا يمكن حصرها. ولكن يكفي أن نعلم بأن الله تعالى قد وضع شروطاً معينة وثابتة للحياة وشروطاً أخرى إن حصلت وقع أو حصل بعدها الموت حتماً.

مثلاً إنسان تعرض لحادث ما ففصلت رأسه عن جسمه سوف يموت حتماً، وإنسان آخر، تعرض في نفس الحادث ففصلت يده أو رجله إذا أسعف يمكن أن يعيش.

والآن إذا تخيلنا أن كل حوادث الكون مقدرة ومكتوبة ومحسوبة حتى من قبل أن يخلق الإنسان، نكون قد دخلنا في مجال الوهم وليس في ذلك المجال علم أبداً.

بعد هذه المقدمة يمكن أن نرى بعض آيات الأجل مع القضاء لنتفهم تلك المعاني من

خلال آيات الله نفسها مع استخدام كلمة كتب ومكتوب ﴿إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه﴾ ٢٨٢ ـ البقرة.

هنا أجل مسمى تعني أَجلاً محدد التاريخ بالأشهر والأيام، وكتابته من أجل ضمان عدم الاختلاف نتيجة النسيان لأن الإنسان إذا اعتمد على ذاكرته نسي، لأن النسيان من صفات الإنسان الملازمة له ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزماً﴾ ١١٥ ـ طه. ﴿فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما﴾ ٦١ ـ الكهف.

لذلك وضع سبحانه دعاء للإنسان يقول فيه ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا﴾ ٢٨٦ ـ البقرة.

لأن من صفات الإنسان الطبيعية الخطأ والنسيان وليس من إنسان معصوم عنهما. وأفضل طريقة للتذكر هو الاعتماد على الكتابة، ولذلك أمر سبحانه رسوله أن يكتب الوحي المتنزل عليه فوراً ومن غير تأجيل بهدف حفظ القرآن الكريم من الاختلاف مستقبلاً، ولو كتب بعد فترة لحصل فيه اختلاف شديد.

ولكي نفهم الأجل والقضاء لابد من فهم الآية التالية ﴿هو الذي خلقكم من طين ثم قضى أجلاً وأجلٌ مسمى﴾ ٢ ـ الأنعام.

ضَمَّنَ الرحمن في هذه الآية الأجلين معاً (قضى أجلاً): وهو الأجل الذي ينتهي به عمر الإنسان بقضاء مثل القتل والحوادث والحروب والكوارث والأمراض. ثم هناك بعد هذا الأجل (الأجل المسمى) إذا عاش الإنسان إلى ذلك العمر يدخل في مرحلة أرذل العمر فينسى من بعد علم كل شيء وقد يخرف ويعود كالطفل الصغير لا يعلم من بعد علم شيئاً. وهذا ما شاء الله تعالى أن يبينه لنا في الآية التالية ﴿والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾ ٧٠ ـ النحل.

فالإنسان في حياته خاضع لقوانين الله تعالى ومنها قانون الاحتمالات التي تنظمها النسبية وليس لها علاقة بالأفراد، وفي قوانين الاحتمالات نجد القانون مجرداً عن الأفراد وصفاتهم وأسمائهم.

إذاً يمكننا القول أن الأجل بقضاء وهو الأجل الذي يمكن أن يخضعه الإنسان للعلم وللمعرفة، ولكن ليس مع الأجل المسمى دور للإنسان.

فالإنسان الذي يبلغ الأجل المسمى سوف ينتهي لأن الموت حق لابد منه وهو قانون مكتوب على الجميع لابد من شرب كأسه من الجميع وبلا استثناء.

أما بالنسبة لأجل القضاء فيكون بحسب قانون الاحتمالات مثلاً إن نسبة الوفيات بحوادث السيارات تكون أكبر للأشخاص العاملين كمتسابقين ويشتركون بصفة مستمرة في سباق السيارات. وكذلك نسبة الوفيات في القتلى للمشتركين في المعارك الحربية أيضاً تكون أكبر بكثير من غير المشتركين، ولكن الحكم هنا ليس للأفراد وللحوادث الفردية مثلاً نسبة وفيات الناس من المدخنين بمرض سرطانات الصدر والحنجرة أعلى بكثير من نسبة المتوفين بنفس المرض من غير المدخنين.

ولكن إذا قال شخص أنا أعرف أن فلاناً لم يكن مدخناً ومات من سرطان الرئة، بينما فلان الفلاني عاش تسعين سنة وكان مدمناً على التدخين، لكنه مات بمرض الشيخوخة (أجل مسمى) ولم يمت من السرطان.

نقول له هذه ليست القاعدة والشاذ لا يقاس عليه بينما القاعدة والقانون هو للنسب المذكورة، وهي النسب المعتمدة من العلم والعلماء. أما الذين يأخذون بالحالات الشاذة ويقيسون عليها فهم دائماً من المتوهمون والجهلاء الذين لا يؤمنون بالعلم أصلاً.

إن حالة النوم هي حالة غياب كاملة عن الوعي تشبه الموت يسميها الرحمن الوفاة ﴿وهو الذي يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم إليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعلمون﴾ ٦٠ ـ الأنعام، والآية السابقة يمكن فهمها أكثر في الآية التالية ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ ٤٢ ـ الزمر.

وأغلب حالات الموت تحصل بعد غيبوبة وما الغيبوبة إلا نوم قسري يحصل لأسباب مختلفة، فإما أن يتخطى الجسم الخط الأحمر الفاصل بين الحياة والموت ولم يعد من أمل لحياة الشخص فيحصل الموت، أو أن يكون الشخص لم يتخط ذلك الخط بعد فيصحو ليعيش من جديد إلى أجله المسمى وكأن شيئاً لم يكن أو يتعرض لحادث (قضاء) آخر فيتعرض لخطر الموت من جديد وهكذا.

أما أن نظن أن هذه الأمور مكتوبة ومقدرة على الإنسان من قبل أن يولد فهذه كلها أمور في منتهى الوهم والضلال الفكري.

والله تعالى رؤوف رحيم، وليس عنده أحقاد وضغائن مسبقة ضد أحد من خلقه من الناس، بل يطبق قوانينه وسننه على جميع خلقه بلا تمييز لأحد على أحد. وهكذا

مهما تابعنا البحث في آيات الله تعالى متقصين كلمات قضى ومشتقاتها فلا نجد أن هذه الكلمة وردت بمعنى (ألزم بقرار مسبق) بمعنى القضاء والقدر الذي قدرته الأحاديث التي نسبت للرسول الكريم، وهي كلها تُحمِّل هذا الفعل معنى الجبرية والقهر المتعمد والمكتوب سلفاً، مع تقدير وتقرير وإلزام مسبق من الله تعالى إن هذا لا وجود له في آيات الله والقرآن الذي هو كتاب الله الصحيح والمرجع الأساسي للمعرفة عند المسلمين.

نستنتج مما سبق أن المعنى المقصود من وراء القضاء والقدر الذي رآه السلف أنه يعني فكرة الجبرية التي ألغت فكرة الحرية والاختيار والحرية للإنسان، فهذه كلها أفكار تتعارض وتتصادم مع أفكار القرآن الأساسية التي تؤكد أن مبدأ المسؤولية والمحاسبة قائمة على مبدأ الحرية والإرادة الإنسانية الحرة حيث يكافأ الإنسان بعدها بالنعيم إذا أحسن الاختيار وصبر على الاهتداء وراء سبيل الرحمن والسير على مبادىء الصراط المستقيم، أو يكافأ بالجحيم إذا أساء الاختيار وجزع وسار خلف أهوائه وشهواته الدنيوية، وظن أن سبحانه قد توقف عن فتنته بالشيطان فاطمأن إلى ما يظن في نفسه من خير ومن إيمان، فأشرك بالله تعالى إشراكاً خفياً معتقداً أن محمداً سوف يشفع له، أو ظن أن محمداً له حديث أو سنة أو هدي خاص فيهلك بسببه لأنه لم يكن قادراً على رؤية حقائق كتاب الله تعالى الباهرة والواضحة لكل من يبحث عنها، فتركها ليؤمن بأحاديث نبوية ظناً أنها صحيحة فحجبت عن بصيرته حقائق الرحمن. مثلاً الحديث الذي نجده في صحيح البخاري وصحيح مسلم تحت عنوان كيف حجَّ آدم موسى (أي كيف غلبه بالحجة عندما تعرض له في اللوم): الحديث ٣٤٠٩ من صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله،: احتج آدم وموسى فقال له موسى: أنت آدم الذي أخرجتك خطيئتك من الجنة (وفي رواية أخرى ـ أخرجتنا من الجنة) فقال له آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه ثم تلومني على أمر قد قُدِّر عليَّ قبل أن أخلق؟ (وفي رواية أخرى يقول: ألم تقرأ في التوراة التي كتبها الله قبل أن أخلق بأربعين عاماً ﴿وعصى آدم ربه فغوى﴾ ١٢١ ـ طه. فقال موسى: نعم ـ فقال آدم: أتلومني على أمر قد قدره الله عليَّ قبل أن أخلق بأربعين عاماً؟. فحج آدم موسى).

وكما نجد في صحيح الترمذي من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الحديث الذي يقول بأن الرسول، قال للناس في خطبة عامة ومن على المنبر بعد أن قبض كفه

اليمنى «هذا كتاب الله كتب فيه أهل الجنة بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيه ولا ينقص» ثم قبض كفه اليسرى وقال «هذا كتاب كتب فيه أهل النار بأسمائهم وأسماء آبائهم لا يزاد فيهم ولا ينقص، وليعملنَّ أهل السعادة بعمل أهل الشقاوة حتى يقال كأنهم منهم بل هُمْ هُم، ثم يستنقذهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة، وليعملن أهل الشقاوة بعمل أهل السعادة حتى يقال كأنهم منهم بل هم هم ثم يستخرجهم الله قبل الموت ولو بفواق ناقة. السعيدُ من سعد بقضاء الله والشقي من شقي بقضاء الله والأعمال بالخواتيم).

ليس في العالم نص يخدم الطاغوت ورجال دينه كما يخدمهم هذا الحديث المفترى على رسول الله إذ به يبرهن كل سلطان ظالم يزني ويشرب الخمر ويقتل الناس من غير حق، فيروي رجال دينه للناس هذا الحديث في خطب الجمعة من أجل إسكاتهم وهم يقولون لا تحكموا على سلطانكم بالظن، فإنه قد يكون من أولياء الله الصالحين وأنتم لا تعلمون.

وكذلك إذا أحب الناس رجلاً صالحاً ينصح الناس ويكشف لهم عن حقوقهم المسلوبة فيتصدى له رجال دين الطاغوت ليبرهنوا عن طريق هذا الحديث أنه ربما يكون هذا الذي تحكمون له من خلال أعمالهم بأنه رجل صالح من أهل الجحيم ومن المغضوب عليهم وأنتم لا تعلمون. فيسكتون الناس به ويتصدون للرجل الصالح أو ربما قتلوه ليكسبوا الثواب لأنفسهم قبل غيرهم.

إن الناس يظنون أن هذا قضاء الله وقدره دون أن يعلموا أن عليهم الخطوة الأولى بتغيير ما في أنفسهم من مصادر للوهم وللظن وللجهل ليعودوا إلى مصادر العلم واليقين في كتاب الله، وليتمسكوا به وحده الذي هو حبل الله المتين الذي به وحده يمكنهم الاتحاد من جديد بعد أن فرقتهم الأحاديث عن سبيل الله الواحد، إلى السبل المتفرقة التي نحن عليها اليوم. فالرسول وصحبه لم يكونوا يوماً من السنة، أو من أحد مذاهبها، ولا من الشيعة، أو من أحد فرقها، بل كانوا مسلمين موحدين لله لا يشركون به أحداً.

وكانوا موحدين لكتاب القرآن ويسمون فقهاءهم بالقراء لأنهم كانوا معروفين بحفظ القرآن وقراءته ولم يكن أحد منهم يدَّعي مع حديث الله حديثاً ولا مع سنة الله سنةً ولا مع هدي الله هدياً آخر.

والآن بعد أن رأينا كلمات قضى ومشتقاتها من كتاب الله ننتقل إلى كلمات القدر.

هل في كتاب الله تعالى معنى لهذه الكلمة مثل المعنى الذي نجده في الأحاديث ﴿وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه﴾ ٨٧ ـ الأنبياء. أتت بمعنى (أن لن نتمكن منه). وأما قوله تعالى ﴿وضرب الله مثلاً رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء﴾ ٧٦ ـ النحل أتت بمعنى (لا يحسن شيئاً) أما في قوله تعالى ﴿أيحسب أن لن يقدر عليه أحد﴾ ٥ ـ البلد. أتت بمعنى (أن لن يغلبه أحد) وفي قوله تعالى ﴿إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾ ٣٠ ـ الإسراء. أو في قوله تعالى ﴿من قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله﴾ ٧ ـ الطلاق. أتى المعنى بحيث يفيد الضيق والقلة في الرزق بعكس الغنى والبحبوحة.

ننتقل لاشتقاق آخر من كلمة قدر وهي كلمة مقدار:

﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ٤ ـ المعارج. أو قوله تعالى ﴿وكل شيء عنده بمقدار﴾ ٨ ـ الرعد. وكذلك قوله ﴿ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير﴾ ٢٧ ـ الشورى.

وكلمة بقدر هنا تعني كمية محسوبة بدقة من رب العالمين، وكذلك قوله تعالى وهو يحدثنا عن ليلة خاصة من غيب الله وليس عندنا من العلم عنها شيء أكثر لما ورد في الآيات التالية:

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر * وما أدراك ما ليلة القدر * ليلة القدر خير من ألف شهر * تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم من كل أمر * سلام هي حتى مطلع الفجر﴾ ١ ـ ٥ ـ القدر.

فهل يخجل الإنسان أن يقول لا علم لنا إلا ما علَّمنا ربنا؟.

ليس في كتاب الله أكثر من ذلك عن ليلة القدر، وكل زيادة عن ذلك تدخل في مجال الوهم والظن، وكلاهما في ميزان الله لا تساوي شيئاً. أما قول الله تعالى ﴿وكان أمر الله قدراً مقدوراً﴾ ٣٨ ـ الأحزاب. فهي بمعنى لا راد لأمره وأمره لابد نافذ.

أما قوله سبحانه ﴿أخذناهم أخذ عزيز مقتدر﴾ ٤٢ ـ القمر. فهنا وصف لقوة الله تعالى وأنه قوي وقدرته عظيمة لا شبيه لها أبداً.

وكما نجد سبع آيات ورد فيها كلمة قدر. تأتي أيضاً بمعان مختلفة بحسب سياق الآية مثلاً في الآية التالية ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم﴾ ٢١ - الحجر.

فهنا أتت بمعنى التقدير الكمي المحسوب.

أما قوله تعالى لرسوله موسى عليه السلام ﴿فلبثت سنين في أهل مدين ثم جئت على قدرٍ يا موسى﴾ ٤٠ - طه.

فهي تعني أن الله تعالى كان قد اختار موسى وهذا هو أسلوبه في اختيار رسله وأنبيائه، وتلك هي سنته، ولأنهم أشخاص غير عاديين يختارهم سبحانه نتيجة حسابات خاصة به لا يعلمها إلا هو.

أما قوله تعالى عن المطلقات ﴿ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعاً بالمعروف﴾ ٢٣٦ - البقرة.

أي على الزوج الغني أن يعطي مطلقته بما يتناسب مع غناه وقدرته على العطاء وكذلك الفقير بما يتناسب مع ما عنده بشكل يكون مقبولاً من الناس بحسب المتعارف عليه في المنطقة التي يعيش فيها، والزمان الذي وقع فيه الطلاق، وهذا هو حكم الله وشرعه في الإسلام.

وهكذا يفاجأ القارىء الذي لا يجد المعنى الموجود في الحديث عن القضاء والقدر في آيات القرآن الكريم كلها. وهذا دليل ثابت أن أصل تلك الأحاديث ليست من رسول الله لأن علم رسول الإسلام ينتهي بما بلغ من رسالة الإسلام التي هي القرآن العظيم. والله تعالى قد استنكر وجود حديث أصلاً مع كتابه المبين ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ - الجاثية.

وقرر سبحانه أن أحسن الحديث في الإسلام هو كتاب الله الكريم ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد﴾ ٢٣ - الزمر.

أما الذي آمن بعد هذا كله بحديث مع حديث الله، وبهدي أحسن من هدي الله، سماه هديُ محمد، هذا الإنسان قد ضل السبيل ولن يكون له ولياً مرشداً إلا إذا عرف بضلاله وعاد عن سبيل الشيطان إلى سبيل الله الواحد، ليتمسك مع

المسلمين بكتاب الله وحده حتى لا يتفرقوا من بعده.

وذلك الكتاب هو الوحيد الذي يخلو من الظن ومن الشك والأوهام.

والله تعالى هو وحده الذي شرح الكتاب وفصله وليس رسوله الكريم: ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ٣٧ ـ يونس.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

أولى الحقائق المسكوت عنها

كيف يمكن للإنسان المسلم أن يطبق أمر الله تعالى:

﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان﴾ ٩٠ ـ النحل، إذا لم يمنحه الله تعالى الحرية مع الإرادة والمشيئة المتحررة من سلطة القضاء والقدر.

إن هذه الآية وأمثالها تتناقض مع فكرة القضاء والقدر التي زرعها كهنة الحكام عامةً في عقول الرعية منذ بداية حكم الفراعين.

فكيف يمكن أن نجعل الدعوة إلى حكم الله فريضة على كل مسلم ومسلمة، ما دام الحكم نفسه في يد أقلية متسلطة على الأغلبية بالقوة، رافضة لكتاب الله أصلاً.

﴿وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه﴾ ٢١٣ ـ البقرة.

إنه طلب المستحيل في عصر المستحيلات.

وكيف يمكن أن نفهم قول الله تعالى عن نفسه أنه لا يظلم مثقال ذرة مع أنه يعتبر الإنسان مسؤولاً أمامه عما كسبت يداه وما فعلت جوارحه. ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ ٣٠ ـ الشورى، ﴿ليجزي الله كل نفس ما كسبت إن الله سريع الحساب﴾ ٥١ ـ إبراهيم. إذا لم نعلم أولاً ما هو الشرع القرآني الذي يحمي حقوقه وحرياته من الاعتداء من أصحاب السلطة وزبائنة مخابراتهم وبوليسهم السري.

وكيف يمكن أن نبرىء الله تعالى من الظلم عقلاً لو كان قرآنه يخلوا من شرع ومنهج يضمن للذين آمنوا به سبيلاً عملياً يمكن تطبيقه في الأرض كشرع عادل على الصراط المستقيم؟

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ ٤٨ ـ المائدة.

وكيف يمكن للمسلم أن يطبق كل ما سبق إذا لم يكن له ولأمثاله من المسلمين في الأمة سلطة تمثلهم فوق السلطة التنفيذية بإمكانها محاكمة الحاكم المقصر أو المهمل أو المرتشي أو المفسد؟.

كيف يمكن للقضاء الإسلامي أن يحكم بالعدل بين الناس إذا كان بإمكان الحاكم أن يزج القاضي الذي لا يعجبه في السجن أو يطرده من عمله أو يقتله إذا شاء، بتهمة ما، بحسب قوانين وشرائع صيغت وما تزال حسب رغبته.

إن موضوع الإصلاح الذي نتحدث عنه في الإسلام ليس مجرد فتق يحتاج إلى رتق، أو توقف عن الاجتهاد في الإسلام فتوقفت عجلة الإسلام عن الدوران. إن الموضوع كان تبديلاً كاملاً لشرع الله كله مع توقيف العمل بما أنزل الله بالجملة وإلى أجل غير مسمى ومنذ ألف وأربعمائة عام.

إن الواقع الحالي لمعظم أنظمة الحكم في البلاد الإسلامية التي ورثت العقلية (العثمانلية) ما تزال مع ادعائها للتقدمية على نفس العقلية التسلطية.

صحيح أن دولاً منها أسست أحزاباً وبرلمانات وادعت الديموقراطية، ولكنها في الحقيقة كانت مجرد أصبغة وألوان وشعارات من غير أي محاولة لتطبيق الديموقراطية الحقيقية (نظام الشورى). إذ يستحيل لحاكم فوق رأس السلطة التنفيذية وتحت سلطته كل السلطات ومن حقه إلغاء القضاء إذا شاء أو حتى إلغاء البرلمان إذا غضب على أعضائه، أن نتوقع منه حكماً ديموقراطياً عادلاً لا تسلط فيه ولا ظلم. كيف يستطيع قاضي على مقاضاته وهو لا يجرؤ على التنفس أمامه؟

إن الدين أساساً لم يأت إلى الناس من أجل تعليمهم أصول العبادات وأركان الوضوء، بل أتى لفك الحصار عن حقوق المواطنين المصادرة إلى أجل غير مسمى من قبل الحكام (أهل الرأي والحل والعقد).

إن المواطن من دون أن يكون عضواً في منظمة لها سلطة فوق سلطة الحاكم التنفيذي لا يمكن لأحد على الأرض أن يضمن حقوقه، حتى الله تعالى أعلن سلفاً أنه لن يتدخل لأنه جعل مشيئة الله تعالى مرتبطة بحركة الإنسان نفسه عندما يقول:

﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

فالإسلام من دون تلك السلطة التابعة مباشرة لأغلبية الأمة يبقى شعاراً يستحيل تنفيذه، وتبقى آيات الله ومواعظ الرحمن في بنود الصراط المستقيم مجرد لوحات جدارية لا يلتفت إليها أحد.

إن روح الإسلام هي فقط في تدبر ما أنزل الله في القرآن، وهل يكون التدبر إلا بالتنفيذ ابتداء من الفرد وانتهاء بالأمة كلها.

ذلك هو الكتاب الوحيد المطلوب التمسك به تمسك الغريق بحبل المنقذ: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ ١٠٣ ـ آل عمران.

هذه هي الحقيقة المرة التي لا نجرؤ حتى على قولها صراحة من غير خوف على رقابنا. ولكن أين نحن من هذه الحقيقة بعد أن أصبحنا نعيش حقيقة أخرى مختلفة تماماً.

إننا في مؤخرة أمم الأرض ومن أشدها فقراً وجهلاً ومرضاً، إذا اعتبرنا أن الفقر والجهل والمرض توابع للأمة دون زعمائها وسلاطينها وكهنتها الذين ورثوا العلم والنبوة معاً.

إذا أعدنا قراءة آية الرعد من جديد لوجدنا أن كلمة (ما بقوم) أتت في الآية مبينة للمجهول دون أن يحدد سبحانه كفرها أو إسلامها وهذا بالتالي يعني: أن الله تعالى يمد ويساعد حتى الكافرين إذا بنو دولتهم على العلم والعدل، والله يغضب ويسحب تأييده عن الذين يدعون الإسلام وقد تمسكوا بالجهل والظلم. تماماً كما نرى الآن تناقض أوضاع الغرب مع الشرق الإسلامي.

وإذا عدنا وقرأنا الآية القرآنية التالية:

﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة وفضلا﴾ ٢٦٨ ـ البقرة.

أليست هذه الآية تعلن صراحة بأن ما نعايشه من إسلام اليوم هو إسلام الفقر والفحشاء والمنكر والبغي، وإننا قد تورطنا بعد تورط آبائنا القديم في وعود الشياطين ونحن اليوم نردد ونقول:

﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ٢٣ ـ الزخرف.

أليس كل هذا دليل على أننا بعيدون عن مغفرة الله وفضله، وإننا في منطقة غضب الله ونقمته، بدليل أنه قد سحب عنا كل النعم واحدة بعد أخرى مثل نعم الوحدة والحرية والرفاهية والسعادة ونعيم الحياة الدنيا: ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ٥٣ ـ الأنفال.

غيرنا من الأحسن إلى الأسوأ فبدل الله تعالى النِّعَم إلى نِقَم، حتى أصبحنا نقاسي من عذاب الذل والهوان الذي هو من عقاب الله تعالى في الأرض للإنسان الذي لا يتبع ما هداه إليه ربه:

﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ ١١٤ - البقرة.
﴿فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ ٢٦ - الزمر.
صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

شعار إعادة المسلمين إلى سبيل السلف الصالح.
هل كان للحق أم للباطل؟

إن شباب الأمة الإسلامية المتحمس مثل كل الشباب يعاني من ظروف صعبة وقاهرة في بلاده، ويبحث عن أفضل السبل للخلاص من تلك الأوضاع التي تدل علائمها وصفاتها على غضب الله الشديد.

غير أن القيادات الإسلامية لم تعطهم بدائل ترضي الله تعالى، بدليل أن الشباب كان وما يزال يبحث عن السبيل الذي صلح به أول الأمة وهو سبيل الخلفاء الراشدين، الذين نجحوا في الدنيا والآخرة بإجماع شهادات الأعداء قبل الأصدقاء. مع ما يشهد لنزاهتهم واستقامتهم من حقائق واقعية من التاريخ لا يمكن أن تنكر.

فكما أننا علمنا من القرآن العظيم، أن إبراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانياً بل كان مسلماً حنيفاً، علينا أن نعلم بداية أن محمداً وأصحابه لم يكونوا سنة ولا شيعة بل كانوا مسلمين أيضاً على ملة إبراهيم الحنيف.

كذلك علينا أن نعلم أنهم جميعاً كانوا يتمسكون بحبل الله وحده الذي هو القرآن العظيم، ولم يكن معهم حبال أخرى ليتمسكوا بها كبدائل ضالة، وإن ضللنا عن هذه الحقيقة فلن نهتدي بعدها لكن رجال الدين الذين قالوا لشباب المسلمين لاخلاص إلا بالعودة إلى السلف الصالح لم يقولوا لهم ما أخفوه مدعين العودة إلى كتاب الله وسنة رسول الله، علماً أنهم كانوا منذ البداية يخططون للعودة إلى بديل مصطنع بدهاء سموه في البداية كتاب الحكمة ثم استبدلوه مع الزمن باسم السنة النبوية الشريفة، ثم أخيراً بعد أن عم الجهل واستتب الأمر لهم كله قالوا أنها أحاديث الرسول الشريفة، متغاضين عن استنكار الله تعالى لأي حديث بعد حديث الله، حتى لا يشرك المؤمنون بالله ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ ـ البقرة.

﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ ٤٣ ـ فاطر.

﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾ ٤٤ ـ الزمر.

وهكذا أعادوا الشباب إلى إتباع ما أبدع السلف وأتباعهم من دين أعاد الناس إلى

الجاهلية الأولى، تحت شعار إعادة الناس إلى السلف الصالح. فتحول دين الإسلام الذي كان دين سلم وسلام ورحمة من رب العالمين إلى دين قمع وإرهاب وظلم وقتل للأبرياء باسم الدين. تحول إلى دين يسمح بالغدر والاغتيال مع أن الله تعالى يأمر في كتابه المؤمنين ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ١٩٠ ـ البقرة.

والله ورسوله بريئان من علماء السوء الموجودين في كل زمان، وهم دائماً على استعداد لمبايعة الشيطان طالما علموا أنه بالإمكان الحصول على ما يشاؤون ويرغبون من مال الدنيا وجاهها ومتعها وشهواتها، وفي تصدر المجالس مع نظرة الإجلال والتقدير والتقديس من أتباعهم مع تقبيل أطراف أثوابهم وأيديهم.

والشباب المسلم ينقصه العلم والمعرفة ليعلم أن ما يردده اليوم هو ما ردده آباؤه من قبله، من الذين لم يحصلوا دنيا ولا آخرة، كذلك سوف يكون حالهم إن لم يتعلموا وإن لم يستخدموا عقولهم حتى يحرروا أنفسهم من الوصاية الفكرية ليعلموا الحق عن دين الحق من كتاب الحق وحده.

يجب أن يعلموا أن الله تعالى لم يقرر لهم ولم يقدر عليهم شيئاً سلفاً، بل تركهم يقررون لأنفسهم بعد أن منحهم الفكر الحر مع الإرادة الحرة الفاعلة.

لذلك على الشباب المسلم الذي يحب العودة إلى مبادىء السلف الصالح حقيقةً وإلى دين الرحمن الحقيقي أن يبدأ الإصلاح بنفسه لنفسه وبأسلوب تفكير جديد ويكفر أول ما يكفر بأحاديث الطاغوت ويؤمن بكتاب الله العظيم من جديد، ويعود إليه ليس للقراءة والتلاوة وحدها، بل لتدبر آياته وتطبيقها في واقع حياته وحياة أسرته ليعم مع أمثاله المجتمع كله.

على الشباب المسلم أن يدرس التاريخ ليعلم عن طريق البحث والاستقصاء متى حصل الانحراف الكبير في اتجاه دفة سفينة المسلمين، ويعلم ما هي المصالح التي دعت لتبديل ذلك الاتجاه، ومن هم تحديداً أصحاب المصلحة في ذلك التبديل وماذا كانوا يريدون.

على الشباب المسلم أن يعيد دراسة تاريخه مع نقد ذلك التاريخ على مبادىء علمية، واضعاً في عين الاعتبار دواعي الكذب والتبديل والتحريف في نصوص التاريخ سواء كتبها الأصدقاء أو كتبها الأعداء. فالحقائق لا يمكن أن تخفى على العين الخبيرة المتسلحة بالعلم والمعرفة.

على الشباب أن يعلم أن من يسمون علماء الدين أغلبهم علماء سوء ومن أهل الفساد وهم الذين يلحنون للسلاطين ما يرغبون من أناشيد الدين، وهؤلاء ينتشرون في كل عهود الاستبداد والتسلط والظلم مثل انتشار الجراد.

على الشباب المسلم أن يعود ليبني عقيدته على القرآن من جديد وينسى كل العقائد المزورة الموروثة حول قصص الأنبياء والنار والجحيم والجنة والنعيم، مع قصص الحشر والحساب والصراط المستقيم، ويعلم من القرآن أن الله تعالى قد خلقه حراً وأسجد للإنسان الملائكة واستخلفه في الأرض ليبني فيها جنته الأولى حتى يكافئه الرحمن بجنة الآخرة أجراً على ما بناه في الأرض، وإن لم ينجح في الأولى فلن ينجح في الآخرة.

يجب أن يعلم أن الله تعالى قد خلقه وحده فرداً وسوف يحشره فرداً ويحاسبه فرداً وليس معه أحد ليشفع له أو يخلصه بدليل قوله تعالى في كتابه المبين: ﴿ونرثه ما يقول ويأتينا فردا﴾ ٨٠ ـ مريم.

﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ ٩٥ ـ مريم.

﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ ٩٤ ـ الأنعام.

وكل قول نقوله اليوم ولا دليل له في القرآن هو مجرد زعم لا برهان عليه عندنا، لأن الله تعالى لم يشهد لنا بصحته حتى ولو أقسمنا أن ملائكة السماء قد قالوا ذلك ظناً منا بلا دليل يجعل ما معنا نصاً قطعي الدلالة مثل القرآن. وكل مخلوقات الله بمن فيهم الملائكة والرسل والأنبياء وجميع خلق الله يعودون عبيداً لله بدليل قوله تعالى ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبدا﴾ ٩٣ ـ مريم. وهذا دليل من الله بأنه لن يقبل يوم القيامة الشفاعة لأحد من أحد. ﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ ٥١ ـ الأنعام.

﴿أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ ٢٥٤ ـ البقرة.

على الشباب المسلم أن يعلم أن الفئة الباغية والطاغية تناست ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ١٣ ـ الحجرات. وأرادت العودة للقول أن القرشي والأموي أو العباسي هم من أكرم الخلق في الإسلام.

كما نجد في الحديث رقم ٣٥٠١ من صحيح البخاري عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي، قال: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهم إثنان» أو الحديث رقم ٣٤٩٥ من صحيح البخاري عن أبي هريرة: أن النبي، قال: «الناس تبع لقريش في هذا الشأن مسلمهم لمسلمهم وكافرهم لكافرهم» ومعنى الحديثان واضح بأن الإمارة من حق قريش في العالم كله، وإن لم يبق منهم سوى إثنين والحديث الثاني بمعنى أن الإمارة أيضاً للكافرين يجب أن يكون أميرهم قرشياً كافراً.

هكذا أصبحت الإمارة وقفاً على بني قريش في العالم كله.

فأين أصبح قول الله تعالى لرسوله: ﴿وشاورهم في الأمر﴾ ١٥٩ ـ آل عمران. وأين أصبح قول الله تعالى عن المسلمين عامة ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ ٣٨ ـ الشورى.

لقد أكتمل الإسلام بكمال القرآن العظيم وحده حيث قال تعالى ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون * اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ٣ ـ المائدة.

فالله تعالى أبلغ المسلمين بكمال دين الله وبتمامه قبل أن يسمع الناس في العالم كله بحديث واحد خاص للرسول من دون القرآن والله الذي يعلم الغيب قد استنكر سلفاً في كتابه المبين أن يكون حديثاً بعد حديث الله المبين حيث يقول ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون﴾ ١٨٥ ـ الأعراف. وكما يقول تعال ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين﴾.

واذكر من الأحاديث ما ينطبق عليه نص الآية السابقة وهو ما ذكره الإمام مسلم في صحيحه في الحديث رقم (٣١) المسلسلِ رقم (٣١) عن أبي هريرة في حديث طويل مفاده أن الرسول خرج ليقضي حاجته ليلاً فخرج خلفه أبو هريرة خوفاً عليه، ثم يستهزء المحدث أن جبريل نزل على الرسول وهو في الخلاء، وطلب منه أن يبشر أمته من قال لا إله إلا الله وهو مطمئن القلب دخل الجنة، فأرسل النبي رسولاً آخر ليبلغ البشارة وحتى يكمل الراوي الاستهزاء الذي بدأه جعل شاهدي المبشِّر نعلي رسول الله بدل شاهدي العدل الموجودين في القرآن العظيم، ومن لا يصدق فأمامه رقم الحديث وعليه أن يعود إلى صحيح الإمام مسلم ليقرأه بنفسه.

العقلية الظنية

إن ما مع المسلمين من كتب معتمدة هي كتب الأحاديث التي يطلقون عليها: الأحاديث النبوية الشريفة وهم لا يعلمون حقيقة تناقض أغلبها مع آيات الله في القرآن العظيم.

إن معظم تلك الكتب تعتبر روايات لرجال من الإنس غير معصومين عن الخطأ والنسيان، ولا يعلم إلا الله تعالى ماذا كان في سرائرهم وهم يروون تلك الروايات المتناقضة غالباً، والمخالفة لأوامر الله وشرعه في غالب الأحيان، كما برهنت على ذلك في كتاب كامل اسمه البرهان (دين السلطان)(*).

(*) ـ يقول الإمام ابن قيم الجوزية في كتاب الروح الصفحة ١٣١ طبع دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٤

وقال تعالى ﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة﴾ ١١٣ ـ النساء.

والكتاب هو القرآن والحكمة هي السنة (النبوية الشريفة) باتفاق السلف. وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله، وهذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم وقد قال النبي، إني أوتيت الكتاب ومثله معه.

لقد صار هذا الكلام الذي ليس عليه برهان لمجرد إجماع مشايخ السلطان عليه، صار واجباً على المسلمين تصديقه من دون نقاش أو شك فيه، وهذا يشبه تماماً ما فعله قيصر روما عندما جمع كبار رجال دينه الرسميين الموزعين في أنحاء إمبراطوريته وأمرهم أن يجمعوا على تأليه المسيح، فذهب رجال الدين إلى مدينة أفسس في اليونان ليحضروا اجتماعاً مسكونياً عاماً وليقرروا فيه أمراً سبق صدوره إليهم فأجمعوا على تأليه المسيح وعادوا إلى مدنهم فهل إجماع علماء المسيحية دليل على ألوهية المسيح؟.

وهل إجماع علماء السلطان في أي زمان دليل على أن الأحاديث المنسوبة للرسول الأمين أصبحت تشكل نصف كتاب الله الذي يقول فيها الرحمن: ﴿وأنزل عليك الكتاب والحكمة﴾.

إن إجماعهم لن يغير الحقيقة فالكتاب والحكمة هما جزئي الكتاب المقدس للمسلمين، والكتاب هو الجزء المكي الذي يحوي على غيب الله وعلومه.

والحكمة هي الجزء الثاني المدني الذي يحوي رسالة الإسلام والدين والأحكام في نفس القرآن الكريم. إن كتاب صحيح البخاري يتألف من عشرات من الكتب مثل كتاب الإيمان وكتاب الصلاة وكتاب الزكاة وكتاب الجهاد وكتاب الحج إلى آخر تلك الكتب فلماذا نستغرب أن يكون القرآن مؤلفاً من كتابين؟).

ولا يتوفر اليقين في الإسلام إلا لكتاب واحد لوجود برهان الله عليه في نفس الكتاب، لأنه لم يحرف مع وجود الأدلة العقلية والعلمية التي تثبت أنه كتاب فوق طاقة الإنسان على التأليف، لأن ما يحتويه من معلومات لم تكن مع معلومات عصر الرسول الكريم، وما تزال بعض معلومات الكتاب ليست من معلومات علمنا الحاضر في القرن الحادي والعشرين.

تحوي السور المكية البراهين الدامغة والمعجزة للناس جميعاً على أن يأتوا بمثل تلك المعلومات من أسرار العلوم التي لم يكن أحد يعلم بها عند نزول القرآن.

هذا اليقين الذي يطمئن له قلب المؤمن غير متوفر في كل الكتب الأخرى التي تبناها المسلمون بعد القرآن، والتي صنفت ثمانين نوعاً من أنواع الاختلاف لتكون دليلاً قاطعاً على أنها ليست من الله ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا﴾ ٨٢ ـ النساء.

إذا لم يكن بيد المسلمين من دليل إلا هذه الآية الكريمة لوجب على جميع المسلمين التوقف عن الأخذ بغير القرآن إلى يوم الدين.

يجب على المسلم المثقف أن يعلم أن الفئة نفسها التي طالبت في حياة الرسول الأمين بتبديل القرآن الذي كان خطراً على ما تراه من مصالح ذاتية لنفسها ﴿وإذ تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾ ١٥ ـ ١٦ ـ يونس. هذه الفئة التي عجزت عن تحريف القرآن أو تبديله في حياة الرسول وحياة الخلفاء الراشدين هي التي عملت على استبدال الحديث بالقرآن الكريم وهي الفئة التي قال عنها سبحانه في الآية التي بعدها مباشرة: ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾ ١٧ ـ يونس.

ولكن هل نظن أنهم سوف يصفقون لنا لأننا كشفنا سر لعبتهم ليقولوا بعدها تائبين: صحيح ما تقولون إننا قد افترينا وكذبنا وبدلنا وغيرنا، واليوم نحن ورجال ديننا الذين يفتون لنا كما نشاء سوف نخلع أزياء السلطة لنلبس بدلات العمل وننزل اعتباراً من صباح الغد إلى ميادين العمل، لنعمل في الصناعة والزراعة والتجارة سعياً للرزق الحلال

مثل باقي الأمة ولنعمل في الأعمال الصالحة والشريفة ونتوب عن الكذب والافتراء والظلم والتحايل على شرع الله إلى يوم الدين.

لا أظن أن ذلك سوف يحصل ولن يحدث إلا بوعي عام من الأمة التي تبحث وتتعلم لتكون قادرة على كشف زيف أقاويلهم وتناقضها مع آيات الله في القرآن العظيم.

وبما أن مسلمي اليوم قد آمنوا ببدائل القرآن كلها، بعد أن هجروا القرآن وجعلوه كتاباً يتلى في مناسبات الموت والجنازات، وآمنوا بأقاويل ظنية كلها روايات من فلان عن فلان عن فلان، تعود المسلمون بعدها أن لا يسألوا عن الأدلة والبراهين طالما دينهم كله يستند إلى ظن وظنون. وكأن العقلية العامة للأمة أصبحت عقلية ساذجة يمكن أن تؤمن بالإشاعات سريعاً، وما الإشاعات إلا أقاويل ظنية يطلقها أصحاب الأغراض الخبيثة دائماً. وهكذا يكفي أن يتقول زيد من الناس على عمروٍ كلاماً، فيصبح كلام زيد وحده دليلاً كافياً لإدانة عمرو ولو كان بريئاً منذ البداية.

إن المسلمين اليوم يحكمون بالظن على أمور كثيرة في حياتهم تحتاج إلى أدلة وبراهين ثابتة. فإن سمعوا بجريمة حكموا على المتهم سلفاً قبل السؤال عن الأدلة بمجرد الظنون. ولو كانوا يؤمنون بكتاب الله الحقيقي وآياته البينات المحكمات وعلموا رأي الله في الظن والظنون لما تسرعوا وهكذا بالحكم جزافاً، ولم يقبلوا أن يكون دينهم قائماً على الظن والروايات. وإذا احتكم المسلم لعقله لاكتشف أن أغلب أحكامه اليوم تعتمد على الظن ﴿إن نظن إلا ظناً وما نحن بمستيقنين﴾ ٣٢ - الجاثية.

ومعظم أمور المسلم تعتمد اليوم على الظنون ﴿وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ ٢٤ - الجاثية.

والله تعالى يعلم أن أغلب الناس يتقولون على الله وعلى كتابه ما يظنون من غير علم ولا معرفة حقيقية لما يقولون ﴿وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون﴾ ٢٤ - الجاثية.

أو قوله تعالى: ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم إلا يظنون﴾ ٧٨ - البقرة.

وأغلب ما نتبعه ونطبقه اليوم على أنه دين الله وشرعه، كلها ظنون في ظنون. ﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ٣٦ - يونس.

لذلك فالله تعالى يعلم أن أكثر المؤمنين من المسلمين يعتمدون على الظن ويشركون

به مع كتاب الله، وهذا إشراك بالله، علماً أننا لسنا على سبيل الخلفاء الراشدين اليوم بل على سبيل الذين استبدوا من بعدهم واستبدلوا القرآن ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾.

علماً أن الله تعالى نصحنا ودعانا لنتجنب كتب الظنون فلم نفعل ﴿يا أيها الذين آمنو اجتنبوا كثيراً من الظن إن بعض الظن إثم﴾ ١٢ ـ الحجرات.

لهذا ينبهنا سبحانه أن الحق والهدى والإيمان الصحيح لا يمكن أن نجده إلا في كتابه العظيم ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ٢٣ ـ النجم.

وفي الخلاصة ومن خلال جولتنا في كتب الظنون من الأحاديث المستنكرة من الله، فإن سبحانه يستنكر كل رأي يعتمد على الظن ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ٢٨ ـ النجم.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

لماذا لا يستطيع المسلمون المعاصرون فهم القرآن؟

إن السؤال المباشر السابق له أسباب متعددة، لكن أهم الأسباب أن المسلمين قد تعودوا منذ القدم أن يتعاملوا مع القرآن وكأنه نص (مُشفَّر) له مفاتيح (شِيفْرة) نزلت بوحي شفوي على رسول الله الكريم، أخذها عنه صحابته ففسروا بها القرآن فأصبح تفسيرهم مقدساً يؤخذ كما هو لا يبدل ولا يناقش. ولو كان هذا الاعتقاد له ما يؤيده لكان ذلك من ايجابيات فهم القرآن، ولكن الحقيقة أن الذي وضع نصوص التفاسير كانوا نفس فئة الملأ التي تسعى عادة إلى تبديل رسالات الله من بعد وفاة الرسل مباشرة، أو بعد فترة، لسبب وجيه وأساسي بالنسبة لهم وهو أن تلك النصوص السماوية أتت لمصلحة عامة الأمة، والملأ لا يريد تلك المصلحة ولا تحقيقها بل يريد بالعكس تحقيق المصلحة الخاصة لأقلية متنعمة في الأمة سماها الله تعالى الملأ في كل القصص القرآني.

وملأ قريش منذ البداية لم يعجبهم ما ورد في القرآن من حقوق للإنسان بشكل عام وجدوها تتعارض مع مصالحهم الاستبدادية والتسلطية والاستعبادية فقالوا للرسول الكريم بداية ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ١٥ ـ يونس. فأجابهم الرسول الأمين بأمر ربه ﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحي إليّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ ١٥ ـ يونس.

فنوى الملأ تبديله عندما تحين له الفرصة في المستقبل، ولما كان الله تعالى يعلم ما في النفوس ويطلع على الأفئدة، كشف لرسوله الكريم من هي الفئة التي ستعمل على تبديل ما أنزل الله طغياناً وكفراً. ولما كانت شهادات الله في القرآن تأتي عادة زوجية أو أكثر، قال تعالى مخاطباً رسوله ومن بعد رسوله كل المؤمنين بالإسلام ديناً حتى يتخذوا حذرهم ﴿وقالت اليهود﴾ إلى أن قال سبحانه ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً﴾ ٦٤ ـ المائدة.

وقال تعالى في الآية الثانية ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تاس على القوم الكافرين﴾ ٦٨ ـ المائدة. وكلمة (تأس) في لغة القرآن معناها

تحزن بدليل قوله تعالى ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾ ٢٣ ـ الحديد. تأسوا أتت هنا بعكس كلمة تفرحوا وبالتالي معناها تحزنوا.

لكننا إذا لجأنا لكتب التفسير نجد أنهم قد بدلوا المعنى تأويلاً ليبعدوا عن أنفسهم الشبهة، خاصة بعد أن أصبحت أمور الدين كلها في أيديهم، فقالوا في تفسير الآيتين السابقتين مبدلين الضمير لغير العاقل (ما) الذي يعود إلى ما أنزل الله على رسوله وهو القرآن. وإذا عدنا للجملة مرة أخرى لوجدنا الفعل (ليزيدن) قَسَم وتأكيد على فعل الزيادة، وكثيراً منهم فاعل الزيادة، والضمير ما مع عبارة أنزل إليك، تعني الآيات القرآنية التي نزلت وحياً على رسول الله الكريم، ولكنهم قالوا أن (ما) هنا خاصة وهي تعني (مِمّا) فجعلوا ما أنزل الله هو الفاعل وهم أي الكافرين مفعول به (وطغياناً وكفراً) صفة للفعل فأصبح المعنى (ليزيدن كثيراً من أهل الكتاب طغياناً وكفراً من ما أنزل إليك يا محمد) والغريب أن هذا المعنى الذي نجده في كل كتب التفسير ويقبل به كل علماء المسلمين إلى هذا اليوم بدون نقاش يناقض قواعد اللغة العربية بشكل واضح ولا يشك فيه أحد يعرف تلك القواعد.

هذا المثال ينطبق على كل التفسيرات القديمة إذ أنهم لا يناقشون بل يقبلون بما قاله الأقدمون وسنتهم في ذلك. ﴿قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ ٢١ ـ لقمان. ولكن إذا قال لهم أحد ﴿أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ ٢٤ ـ الزخرف. لقالوا فوراً كما قالوا للمرسلين سابقاً. ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ ٢٤ ـ الزخرف.

وحتى نفهم تماماً لماذا لا يستطيع المسلمون المعاصرون فهم القرآن، سوف انتقل مع القارىء إلى مثال من القرآن حول ستة آيات نجدها في أول سورة الروم لم يفهمها المسلمون إلى هذا اليوم، مع أنها كانت مفهومة في عصر الرسول وصحابته، وبدلها الحاقدون بعد انتهاء الخلافة الراشدة وأصبحت أمور الدين كلها في أيديهم ويؤيدهم على ما يفعلون سلطان المسلمين.

لماذا لا يستطيع المسلمون رؤية حقائق القرآن؟ وكيف وضع الله تعالى غشاوة على عقول وحواس الذين أشركوا بالله؟

لم تكن تلك العملية سحرية، لأن الله تعالى لا يتعاطى السحر بل هو سبحانه الذي يبطل السحر وأعمال السحر. كما فعل تعالى مع سحرة فرعون في قصة موسى في القرآن.

أن كل من يؤمن بكتاب مع كتاب الله مثل كتب التفاسير المختلفة والمعتمدة في تفسيرها على أحاديث ظنية، ما أنزل الله بها من سلطان، لتكون وحدها المفسرة لآيات الله تعالى البينات المفصلات أحسن التفصيل من رب العالمين الذين تعهد بداية وقال صراحة أن بيان كتابه عليه وحده ولا يعتمد على أحد في العالمين ﴿إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾ ١٧ ـ ١٩ ـ القيامة.

إن من يؤمن بوجود كتب أخرى مفسرة لكتاب الله المبين بذاته والذي لا يستعين أصلاً بغيره مثل كتب أهل الكتاب، فإن تلك الكتب الأخرى تقف حائلاً وحاجزاً بين عقل المسلم وبصيرته، فلا يستطيع رؤية مقاصد الرحمن ولا إدراكها. وهذا ما عناه سبحانه في آيات كثيرة في القرآن العظيم تقول ﴿وجعلنا على قلوبهم أكنةً أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا﴾ ٢٥ ـ الأنعام.

أو قوله تعالى ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ ٧ ـ البقرة.

وحتى أوضح هذه الحقيقة للقارىء الكريم سوف استشهد في هذا البحث بمثال واحد من القرآن المبين ومثالي هو ما قاله الله تعالى في الآيات الستة الأولى من سورة الروم المكية ﴿الم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبهم سيُغْلَبون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم * وعد الله لا يخلف الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ١ ـ ٦ الروم.

هذه الآيات الستة فهمها الرسول الأمين فهماً صحيحاً وكذلك فهم معه المؤمنون من المهاجرين والأنصار من صحابته. وغاب فهمها على أتباع السلاطين.

وحتى نفهم الآيات الستة السابقة لابد من الاستعانة بكتاب تاريخ معتمد أخذ عن مصادر موثوقة لأحداث هامة في العالم كتبها مؤرخون معروفون عاشوا أحداث قصة الروم والفرس وكتبوا أحداثها بتواريخها الحقيقية.

إذا عدنا إلى مؤلف معروف شبه محايد المؤلف الأمريكي ويل ديورانت (Will Durant) واخترنا كتابه (قصة الحضارة) الذي بَسَّط فيه التاريخ وفتحنا على الجزء الأول من المجلد الرابع أو ما يقابله في النص المترجم للعربية وهو الجزء الثاني عشر لنقرأ تحت عنوان الفصل الثاني: المملكة الساسانية ما يلي:

وحكم بعد (كسرى) ابنه هرمز الرابع ٥٧٩ ـ ٥٨٩ ميلادية لكن قائده (بهرام) خلعه وأعلن نفسه وصياً على كسرى الثاني ابن هرمز ٥٨٩ ـ ميلادية، ثم أعلن نفسه ملكاً بعد عام واحد من ذلك التاريخ. ولما بلغ كسرى سن الرشد، طالب بعرش أبيه، فرفض (بهرام) طلبه، ففر كسرى إلى هيرابوليس في سورية الرومانية، وعرض عليه الإمبراطور الروماني (موريس) أن يعيده إلى ملكه إذا انسحب الفرس من أرمينية، ووافق كسرى على هذا الطلب، وشهدت طيسفون ذلك المنظر العجيب الفذ: منظر الجيش الروماني يجلس على العرش ملكاً فارسياً عام ٥٩٦ م (كان عمر رسولنا الكريم ٢٦ عاماً وقتها).

وبلغ كسرى أبرويز (الذي يعني الظافر) درجة من السلطان لم يبلغها ملك آخر من ملوك الفرس منذ أيام خشيارشاي. ومهد السبيل لسقوط دولته عندما قتل القائد الروماني (فوفاس) الإمبراطور الروماني (موريس) وجلس مكانه قيصراً، فأعلن كسرى أبرويز الحرب على المغتصب فوفاس عام (٦٠٣) ميلادية انتقاماً لصديقه المغدور. ولكن الواقع أن الحرب لم تكن إلا تجديداً للنزاع القديم. وكانت الدولة البيزنطية قد مزقتها الخلافات والتحزبات فلم تجد جيوش الفرس صعوبة في الاستيلاء على دارا وأميداً والرها وهيرابوليس وحلب وأفاميا ودمشق عام ٦١٣ م.

زاد هذا النصر من حماسة أبرويز فأعلن الحرب الدينية على المسيحيين وانضم (٢٦) ألفاً من اليهود إلى جيشه، ونهبت جيوشه المتحدة في عام ٦١٤ م أورشليم وقتلت (٩٠) ألفاً من المسيحيين وأحرقت كثيراً من كنائسها المشهورة ومن بينها كنيسة الضريح المقدس، وأخذ الصليب الحق (وهو الصليب الذي صلب عليه السيد المسيح عليه الصلاة والسلام) وهو أعز أثر على المسيحيين، إلى بلاد فارس وأرسل أبرويز إلى هرقل،

الإمبراطور الجديد رسالة دينية قال فيها «من كسرى أعظم الآلهة وسيد الأرض كلها إلى هرقل عبده الغبي الذليل: إنك تقول بأنك تعتمد على إلهك فلم إذن لم ينقذ أورشليم من يدي؟».

بعد انتصار كسرى على الروم هذا النصر الساحق، نزلت الآيات الستة السابقة مباشرة من الله على رسولنا الأمين عام ٦١٤ ميلادية، وكان عمره وقتها ٤٤ عاماً وهو ما يصادف السنة الرابعة للرسالة، وكان الرسول عليه الصلاة والسلام ما يزال يبشر رسالته للمشركين في مكة ويعرض ما تنزل عليه من الله من آيات على الجميع في مواسم الحج التي كانت تدوم ثلاثة أشهر (شوال ـ ذو القعدة وذو الحجة) وتفتح فيها أسواق تجارية مثل سوق عكاظ وذي المجاز وغيرها في تلك المنطقة.

وكل ما قرآناه حتى الآية في نص (ويل ديورانت) اختصره الله تعالى بأسلوبه الإعجازي في القصص القرآني بكلمتين لا ثالث لهما وهو بقوله تعالى: في الآية الثانية: ﴿غُلِبَتِ الرومُ﴾.

وكان هذا قبل وصول أخبار نصر الفرس وهزيمة الروم عن طريق القوافل لتخبر عنها، فكانت بمثابة معجزة خبرية في القرآن حيث التزم سبحانه أن لا يؤيد خاتم أنبيائه بمعجزات بصرية مثل معجزات موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، حتى لا يقول الناس عن رسوله أنه ساحر كما قالوا عن الذين من قبله.

والآية الثالثة التي تقول في أولها ﴿في أدنى الأرض﴾ تحدد موقع الهزيمة والنصر للطرفين، وهي منطقة الشرق الأدنى التي تبدأ بالساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط لمنطقة سورية الكبرى أو منطقة ما عرف بعد ذلك ببلاد الشام.

والآن لنتابع ما كتبه ديورانت حتى نعلم باقي أحداث القصة (لم يكن باقياً للإمبراطورية البيزنطية إلا عدد قليل من الثغور الآسيوية وقليل من أرض إيطاليا، وأفريقيا، وبلاد اليونان، وأسطول لم يهزم بعد، وعاصمة جن جنونها من الرعب واليأس، ولبث هرقل عشر سنين ينشيء جيشاً جديداً ودولة جديدة من أنقاض الجيش القديم والدولة القديمة، فلما تم له ذلك لم يحاول مهاجمة الفرس من الجبهة لعلمه أن ذلك العمل كثير النفقة متعب وشاق، فأبحر بأسطوله عبر البوسفور إلى البحر الأسود وأنزل قواته على ساحل أرمينية التي اعتبرها قاعدة لانطلاقه وهجومه على عدوه من الخلف، وهكذا دمر كلورومية مسقط رأس زرادشت (كما ضرب كسرى من قبل مدينة أورشليم ذات

المكانة العقائدية) وأطفأ نارها المقدسة الخالدة. وسير إليه كسرى الجيوش يتلو بعضها بعضاً ولكن هرقل هزمها جميعاً، ولما تقدم الرومان فر كسرى إلى طيسفون.. وآلم قواده ما كان يوجهه إليهم من إهانات، فانضموا إلى النبلاء وخلعوه، ثم سجنوه ولم يطعموه إلا الخبز القفار والماء، وذبحوا ثمانية عشر ابناً من أبنائه أمام عينيه، وانتهى أمره بأن قتله ابن آخر من أبنائه يدعى شيروي سنة (٦٢٨ ميلادية).

(عند نصر الرومان هذا على الفرس أخذاً لثأرهم وانتقاماً لما حدث لهم في هزيمة سنة (٦١٤ ـ ميلادية) كان عمر رسولنا الكريم ٥٨ عاماً وكان في المدينة وهو في العام السابع للهجرة وبين الحدثين ١٤ سنة كما تلاحظون).

وقد عبر الله تعالى عن هذه الحادثة التاريخية في القرآن بأسلوب مختصر جداً حيث قال (من بعد غَلَبهم) بمعنى من بعد ثأر الروم لأنفسهم وغَلَبهم للذين غلبوهم أول مرة. والآن لنكمل ما يشرحه ويل ديورانت في الفصل الرابع من نفس الكتاب تحت عنوان فتح العرب لنقرأ في الصفحة ٣٠٤ من النص المترجم للعربية مايلي (قتل شيروي أباه وتوج من بعده ملكاً باسم كفادة الثاني ثم عقد الصلح مع هرقل ونزل له عن مصر، وفلسطين وسوريا وآسية الصغرى وغرب الجزيرة، وأعاد الأسرى الذين أخذهم الفرس إلى بلادهم ورد إلى أورشليم الصليب المقدس. وابتهج هرقل وحق له أن يبتهج بهذا النصر المؤزر، ولكنه لم يكن يعرف أنه في اليوم الذي أعاد فيه الصليب المقدس إلى موضعه في الضريح عام ٦٢٩ قد هاجمت سرية من العرب حامية رومانية بالقرب من نهر الأردن، (هذا التاريخ يقابل العام الثامن للهجرة وهي التي حدثت فيها غزوة تبوك التي كانت غزوة استطلاعية وإنذارية من المؤمنين للروم).

في عام (٦٣٢ م) توفي محمد بعد أن أنشأ دولة عربية جديدة وتلقى أبو بكر خليفته الأول رسالة من المثنى قائده على الثغور السورية يبلغه فيها أن الفوضى ضاربة أطنابها في بلاد الفرس، وأنه آن الأوان للاستيلاء عليها. وعهد أبو بكر هذا العمل إلى خالد بن الوليد أعظم قواده جميعاً، وزحف خالد إزاء الساحل الجنوبي الفارسي على رأس قوة من العرب البدو الذين ضرستهم الحروب والراغبين أشد الرغبة في الغنائم. ثم أرسل رسالة إلى هورمزد حاكم الولاية القائمة على الحدود الفارسية يقول فيها (أسلم تسلم).

ودعاه هورمزد إلى المبارزة وقبل خالد دعوته وقتله. وتغلب المسلمون على كل ما

واجهوه من مقاومة حتى وصلوا إلى نهر الفرات، ثم استدعى أبو بكر قائده خالد لينقذ جيشاً عربياً في جبهة أخرى وتولى المثنى قيادة العرب حتى أرسل له الخليفة (سعد بن أبي وقاص) فاستلم القيادة على جيش العراق بدلاً عن المثنى.

ولم تكن فترة خلافة أبي بكر طويلة لذلك تسلم بعد وفاته قيادة المسلمين الخليفة الثاني عمر بن الخطاب، وأول الأحداث الهامة في عصره كانت معركة اليرموك التي حصلت في سهل مكشوف بين حوران والجولان التي تنتهي بوادي اليرموك غرباً وجنوباً انتصر فيها العرب بقيادة أبو عبيدة بن الجراح (لأن الخليفة عمر رضي الله عنه كان قد عزل خالداً عن قيادة الجيش وسلمها لأبي عبيدة). على قوات هرقل في معركة فاصلة (يقول عنها ديورانت) منهياً نصه:

(وهكذا قامر الإمبراطور هرقل ببلاد الشام كلها في معركة واحدة فلما خسرها أصبحت تلك البلاد قاعدة للدولة العربية الآخذة في الاتساع).

وبحسب ما نجده عند المؤرخين الذين أخذوا عن الفرس والروم مباشرة تواريخ أحداث تلك المنطقة، نجد كما نجد عند ويل ديورانت، أن تاريخ انتصار العرب على الروم في معركة اليرموك الفاصلة كان عام ٦٣٥ ميلادية وتاريخ انتصارهم على الفرس في معركة القادسية كان عام ٦٣٦ ميلادية.

والآن بعد أن توفرت لدينا المعلومات التاريخية التالية عن ثلاث حوادث:

- الأولى: غلبت فيها الروم وانتصر فيها الفرس عام ٦١٤ ميلادية، وهي نفس السنة التي نزلت فيها آيات سورة الروم المكية على رسولنا الكريم يقابلها في القرآن: (غلبت الروم).
- الثانية: غَلَبت فيها الروم وانتصرت على الفرس وحصل ذلك عام ٦٢٨ ميلادية وتقابل العام السابع للهجرة ويقابلها في القرآن: (من بعد غَلَبهم).
- الثالثة غُلبت فيها الروم والفرس معاً، وانتصر فيها المسلمون على الروم عام ٦٣٥ م في اليرموك وانتصروا على الفرس عام ٦٣٦ ميلادية في القادسية. وهذان يقابلان عامي ١٤ و١٥ هجرية. والتي يقابلها من القرآن (وهم... سيُغلبون في بضع سنين).

إذا قرأنا الآيات من جديد وبين أيدينا هذه الحقائق أصبحت معاني الآيات واضحة، لذلك قال تعالى في نهايتها عبارة لها مغزاها العلمي بقوله ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ والأساس في كل شيء هو العلم والمعرفة.

ـ أعود بعدها لشرح الآيات الستة شرحاً مباشراً كما فهمتها من كتاب الله المبين بعد أن تبينت لي المعلومات السابقة وتوضحت الأحداث الثلاث:

ـ الآية الأولى: (الم) لها علاقة ببرهان الله الرياضي الإحصائي للقرآن شرحته سابقاً في الإعجاز العددي للقرآن في كتاب (إنذار من السماء) فلا داعي لإعادة شرحه من جديد.

ـ الآية الثانية: (غُلبت الروم) فيها إشارتان الأولى بنائها للمجهول مع أن الفاعل لم يكن مجهولاً بينما المجهول كان: هل كانت تلك الهزيمة آخر هزيمة للروم؟ والإشارة الثانية هي وضع نجمة نهاية الآية قبل انتهاء الجملة وذلك من أجل جعل فكرة الهزيمة مفصولة عن المكان والزمان. (هُزمت الروم) متى؟ أين؟ من غير تحديد وجعل الحدث بذاته هو البارز في ذهن القارىء.

ـ الآية الثالثة: ﴿في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبهم﴾

تحديد المكان (في أدنى الأرض) وهذا يشمل ساحل بلاد الشام (سورية وفلسطين اليوم) (وهم) إشارة من الله تعالى الذي استخدم الصيغة المفردة لكل فريق على حده سواء كان للغالب أو للمغلوب ثم عاد عندما شاء أن يجمعهما بأن أشار إليهما بعبارة (هم) للروم والفرس معاً.

وفي نهاية الآية الثالثة نجد عبارة: ﴿وهُم من بعد غَلَبِهِم﴾

هذه لو كانت معطوفة على الحدث الأول: غُلِبَت الروم لقال تعالى: (من بعد أن غُلِبُو) أو قال: (من بعد غُلْبِهِمْ) ولكن بما أنه سبحانه قد قال (غَلَبِهِم) فقد أصبح حدثاً مستقلاً بمعنى أخذهم بثأرهم وانتصارهم على الفرس انتقاماً للهزيمة التي حصلت عام ٦١٤ ميلادية، وبحسب التاريخ فقد حدث الحدث الثاني هذا عام ٦٢٨ ميلادية الذي يقابل العام السابع هجري، وهذا يفارق أربعة عشر عاماً بين الحدثين الذين لا ينطبق عليهما قول الله تعالى ﴿في بضع سنين﴾ بل ينطبق عليهما القول ﴿بضعٌ وعشرُ سنين﴾.

والآن، أين الحدث الثالث الذي سيفرح له المؤمنون وكان وعداً من الله لرسوله وللمتقين من الذين آمنوا مع رسوله الكريم؟ ﴿وهم من بعد غلبهم سيُغلَبون﴾؟

قلنا إن الله تعالى تكلم عن الحدث الأول بصيغة المفرد (غلبت الروم) وتكلم عن الحدث الثاني أيضاً بصيغة المفرد (من بعد غَلبهم) بينما استخدم صيغ الجمع في الضمير

المنفصل (وهم) لأول مرة كما استخدمها في نهاية الآية الثالثة في كلمة (سيُغلبُون) التي تعني هذه المرة أن كليهما الغالب والمغلوب سيُغلَبُون معاً، لذلك صاغها الله تعالى في صيغة الجمع وقال (وهم.... سيُغلَبُون) وجعلها، سبحانه أيضاً مبنية للمجهول لثلاثة أسباب: أولها: أن السامع العادي كان لا يعلم متى سوف يحصل هذا الحدث الذي كان ما يزال في غيب الله وحده ثم حددها سبحانه وجعلها في بضع سنين من بعد الحدث الثاني، ثانيها أن المكان كان مجهولاً. وثالثها القوة القادرة على مجابهتهما معاً لم تكن مجهولة فحسب بل لم تكن موجودة بعد ولم يعلم بها إلا الذين وعدهم الله بالنصر من المؤمنين مع رسولهم الأمين وبشرهم به سبحانه فآمنوا به تسليماً.

علماً أن الذين آمنوا لم يكونوا قد تجاوزوا عدد أصابع الأطراف بكثير وقت نزول هذه الآيات في السنة الرابعة للرسالة في مكة المكرمة. فكانت مثاراً للسخرية من المشركين الذين يسمعون من المؤمنين أن الله تعالى قد وعدهم بالنصر على الروم والفرس معاً.

إذا فتحنا كتاب تاريخ بن كثير (البداية والنهاية ـ المجلد الرابع ـ الجزء السابع ـ طبع دار الريان للتراث عام ١٩٨٨ ص ١٢) نقرأ أن رجلاً أتى أبا عبيدة قائد المسلمين في معركة اليرموك قائلاً: وكان قد نوى الاستشهاد في سبيل الله: «إني قد تهيأت لأمري فهل لك من حاجة (تبلغها) إلى رسول الله؟ قال: «نعم تقرئه عني السلام وتقول: يا رسول الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً» هذا الخبر لا معنى له لو أن أبا عبيدة كان لا يعلم بوعد الله الذي في أول سورة الروم ونصرهم على الروم والفرس إن صدقوا الله ما عاهدوه عليه بالإيمان والصبر والجهاد. كما نجد في الصفحة (٣٩) محاورة لرستم قائد الجيش الفارسي مع المفرزة التي أرسلها سعد بن أبي وقاص لدعوته إلى الإسلام حيث قال لهم رستم ما أقدمكم (علينا)؟ فقالوا: جئنا لموعود الله إيانا.. فنحن على يقين من ذلك (أي النصر) هذا الخبر أيضاً لا معنى له إذا كان المؤمنون لا يعلمون بوعد الله المذكور في أوائل سورة الروم.

والآن دعنا نعيد قراءة آيات سورة الروم مرة أخرى ﴿غُلبَت الروم﴾ وهو الحدث الأول الذي حصل عام ٦١٤ ميلادية.

﴿في أدنى الأرض﴾ وهو مكان الحادث على أرض سورية الكبرى بكاملها.

﴿من بعد غلبهم﴾ وهو الحدث الثاني الذي تم للروم بأخذ ثأرهم من الفرس عام

٦٢٨ ميلادية بفارق ١٤ سنة بين الحدثين.

﴿وهم..... سيُغلَبون﴾ الحدث الثالث المبني للمجهول ولم يعلم به إلا المؤمنون نتيجة وعد الله الذي سيتلوا هذا من آيات.

﴿في بضع سنين﴾ هذا تحديد للوقت ببضع سنين كان معروفاً عند العرب في الجزيرة وهو أكثر من ثلاثة وأقل من عشرة.

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ هذا موضوع مسلّم به بالنسبة لكل مؤمن بالله.

﴿ويومئذ يفرح المؤمنين﴾ هذه بشرى من الله بيوم قادم من بعد هزيمة الفرس وانتصار الروم عليهم في بضع سنين. ﴿بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ وسبب الفرح يوضحه سبحانه بالنصر للمؤمنين على الكافرين.

والآن إذا أحببنا أن نعرف (في بضع سنين) أين تقع هل تقع بين الحادثة الأولى والثانية التي بينها ١٤ عاماً من ٦١٤ إلى ٦٢٨ م؟

نجد الجواب بالنفي لأن أربعة عشر عاماً يقال عنها بالعربية (بضع وعشر سنين) ولا يقال عنها (في بضع سنين). أم هل هي بين الحادثة الثانية التي حصلت عام ٦٢٨ والحادثتين اللتين تبعتهما في عامي ٦٣٥ ـ ٦٣٦؟ حيث نجد الحادثة الأولى قد حدثت بعد سبع سنوات والثانية قد حدثت بعد ثماني سنوات. الجواب بالإيجاب لأن كلا الحادثتين ينطبق عليهما قول الله تعالى (في بضع سنين).

وهكذا فهمنا بعد الاستعانة بكتب التاريخ العلمية ما هي حقيقة آيات سورة الروم؟ وأن الله تعالى قد وعد فعلاً المؤمنين من صحابة رسولنا الكريم قائلاً ﴿وعد الله لا يخلفه الله وعده ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ٦ ـ الروم.

هكذا فهمنا الآيات لأننا لم نستند في فهمنا لها لأي كتاب من كتب التفاسير التي تعتمد في فهمها على روايات ظنية متناقضة لاحق فيها فتضل عن الحق وتضيع الحقيقة.

الآن وحتى نتأكد من ذلك سوف أختار عالماً عاش في القرن العشرين ويشهد له علماء السنة بغزارة وسعة الإطلاع وهو الإمام الشهيد سيد قطب رحمه الله الذي كتب كتاباً عن تفسير القرآن سماه (في ظلال القرآن) حتى أنقل لكم تفسيره المستند إلى كتب التفاسير القديمة للآيات الستة السابقة من سورة الروم، حتى تتأكدوا كيف ضل عن الحقيقة فلم يستطع رؤية الحق الواضح في آيات الله بعد أن حجبتها كتب التفاسير عن بصيرة علماء المسلمين وفقهائهم إلى هذا اليوم.

يقول سيد قطب (نزلت الآيات الأولى من هذه السورة بمناسبة معينة. ذلك حين غلبت فارس الروم فيما كانت تضع يدها على جزيرة العرب. وكان ذلك في إبان احتدام الجدل حول العقيدة بين المسلمين السابقين إلى الإسلام في مكة قبل الهجرة والمشركين. ولما كان الروم في ذلك الوقت أهل كتاب دينهم النصرانية، وكان الفرس غير موحدين ديانتهم المجوسية. فقد وجد المشركون من أهل مكة في الحادث فرصة لاستعلاء عقيدة الشرك على عقيدة التوحيد. وفألاً بانتصار ملة الكفر على ملة الإيمان.

ومن ثم نزلت الآيات الأولى من هذه السورة تبشر بغلبة أهل الكتاب من الروم في بضع سنين غلبة يفرح لها المؤمنون، الذين يودون انتصار ملة الإيمان من كل دين).

بعد هذا الكلام العام ينتقل سيد قطب لتفسير الآيات فيقول: (بدأت السورة بالأحرف المقطعة «ألف. لام. ميم» التي اخترنا في تفسيرها أنها للتنبيه إلى أن هذا القرآن ـ ومنه هذه السورة ـ مصوغ من مثل هذه الأحرف التي يعرفها العرب، وهو مع هذا معجز لهم لا يملكون صياغة مثله، والأحرف بين أيديهم ومنها لغتهم.

ثم جاءت النبوة الصادقة الخاصة بغلبة الروم في بضع سنين. وقد روى ابن جرير ـ بإسناده ـ عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: كانت فارس ظاهرة على الروم وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس، لأنهم أهل الكتاب، وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت ﴿ألم * غلبت الروم * في أدنى الأرض وهم من بعد غَلَبِهِم سيَغْلِبُون * في بضع سنين﴾ قالوا يا أبا بكر: إن صاحبك يقول إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين. قال صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين. فمضت السبع ولم يكن شيء. ففرح المشركون بذلك، فشق على المسلمين، فذكر ذلك للنبي، فقال: ما بضع سنين عندكم؟ قالوا دون العشر. قال: «اذهب فزايدهم وازدد سنتين في الأجل». قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس. ففرح المؤمنون بذلك.

ثم انتقل سيد قطب وفسر آية وعد الله وأن الله لا يخلف وعده قائلاً: ذلك النصر (أي انتصار الروم على الفرس) وعدٌ من الله فلا بد من تحققه في واقع الحياة ﴿لا يخلف الله وعده﴾ فوعده صادر عن إرادته الطليقة، وعن حكمته العميقة. وهو قادر على تحقيقه، لاراد لمشيئته، ولا معقب لحكمه، ولا يكون في الكون إلا ما يشاء». وتحقيق هذا الوعد طرف من الناموس الأكبر الذي لا يتغير ﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ولو

بدا في الظاهر أنهم علماء، وأنهم يعرفون الكثير. ذلك أن علمهم سطحي يتعلق بظواهر الحياة(*).

هذا هو التفسير التقليدي الذي نجده في كل التفاسير القديمة والحديثة. لأنه تم تبديل فيْ تشكيل حرف واحد من أحرف الآية الثالثة، فذكرت كلمة سيُغلَبُون بضم الياء وتحولت إلى سيَغْلِبون بفتح الياء فتبدل المعنى، وتحولت ثلاث حوادث في الآيات إلى حادثتين، لأن العلماء لم يشكوا ولم يحاولوا أن يستعيدوا تواريخ الأحداث الثلاثة كما فعلنا في أول هذه الدراسة.

حيث غُلبت الروم أولاً عام ٦١٤ ميلادية

ثم: غَلَبَت الروم الفرس عام ٦٢٨ ميلادية بفارق ١٤ سنة.

أخيراً: غلب المؤمنون الفرس والروم بين عامي ٦٣٥ و٦٣٦. وهذا الحدث وحده الذي يمكن أن نقول عنه أنه حدث في بضع سنين بعد الحادث الثاني وهو الحدث الذي يمكن أن يفرح له المؤمنون فعلاً. وهو الحدث الذي يستحق أن يبشر به المؤمنون، ويستحق أن يكون وعداً من الله للمتقين بنصر مبين. والله لا يخلف وعده أبداً.

إن ما ورد في التفسير ينطبق عليه قول سيد قطب الأخير عندما قال في نهاية شرحه السابق (ولو بدا في الظاهر أنهم علماء. وأنهم يعرفون الكثير، ذلك أن علمهم سطحي).

علماً أن في تفسيره مغالطات كثيرة آتته من كتب التفسير القديمة التي يؤمن بصحتها إيماناً يقينياً.

كل علماء المسلمين ولا يشكون فيها، معتبرين ما قاله العلماء كلام مقدس لا يقبل النقاش ولا الحوار، وهذا هو الحاجز الذي يمنع من الرؤية والسمع وإدراك الحقيقة، ولو تركوا تلك الكتب القديمة لفهموا كلام الله بشكل مباشر دون عناء أو جهد إضافي لأنها في الواقع بعيدة عن الحق وليس فيها إلا الظنون.

وهكذا ترون أن الحقيقة لا يمكن أبداً أن يغيرها رأي الناس ولا إجماع علمائهم، والله تعالى يقول في القرآن ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ ـ البقرة.

(*) ـ في ظلال القرآن ـ الجزء الحادي والعشرون ـ ص ٢٧٥٦ ـ طبع دار الشروق.

وإجماع علماء السنة على شفاعة محمد لن يجعل له شفاعة والله تعالى يقول في القرآن ﴿قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض﴾ ٤٤ ـ الزمر. وإجماع علماء السنة على وجود حديث منسوب لمحمد لن يجعل حديثاً بديلاً عن القرآن والله تعالى يقول في القرآن مستنكراً ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

والموضوع الثاني هو اعتبار مشركي مكة من عبدة الأوثان وتشبيههم بالمجوس، هذا لا أصل له إذا كان دليلنا هو القرآن العظيم الذي يقول في ست آيات بينات عن مشركي مكة أنهم جميعاً كانوا يؤمنون بالله العلي العظيم ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ ٦١ ـ العنكبوت. ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماء فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ ٦٣ ـ العنكبوت. ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ٢٥ ـ لقمان. ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ ٨٧ ـ الزخرف. ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله﴾ ٣٨ ـ الزمر. ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم﴾ ٩ ـ الزخرف.

إذاً ماذا كانت مشكلة مشركي مكة إذا كانوا يعلمون كل ذلك؟

لقد كانت مشكلتهم في الإشراك بالشفاعة مع الله للملائكة فيدعونها لتقربهم إلى الله زلفى ﴿ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ ١٨ ـ يونس. أو يقولون ﴿ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون﴾ ٣ ـ الزمر.

إذن كان مشركو مكة في الجاهلية الصغرى يؤمنون بالله ويدعون مع الله الملائكة بأسماء سموها هم وآباؤهم تقرباً إلى الله وطلباً لشفاعتهم كوسطاء. ومشركوا اليوم من المسلمين في الجاهلية الكبرى يؤمنون بالله ويدعون مع الله الرسول الأمين والأولياء والصالحين تقرباً إلى الله زلفى وطلباً لشفاعتهم كوسطاء بيننا وبين الله العليّ العظيم.

والآن عودة إلى رجال ديننا الأعزاء لنسألهم إذا كان ما يقولونه صحيحاً في كتبهم الصفراء عن الآيات الستة من أول سورة الروم، فكيف تفسرون إذاً تنبؤ رسولنا الكريم بالفتح القريب وتبشيره لدرجة أن يرسل الصحابي أبا عبيدة رسالة شفوية لرسول الله مع طالب للشهادة في معركة اليرموك يقول له فيها: «تقرئه عني السلام وتقول: يا رسول

الله إنا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقاً». هذه أمور كانت بدهية بالنسبة لصحابة رسول الله وأوائل المؤمنون وعميت علينا نحن بعد دخول شياطين الإنس إلى ديننا ليبدلوا ويحرفوا ويضلوا كما يشاؤون، ونحن ما زلنا نتبع أضاليلهم إلى هذا اليوم، دون أن يقف الذين يفكرون ليقولوا للناس: كفاكم ضلالاً وإضلالاً وعودوا إلى كتاب الله العظيم الذي هجرتموه وآن الأوان لتهجروا ماعشقتموه من كتب لاحق فيها ولا خير حتى يعود الخير والوحدة والحب والتفاهم إلى دياركم من جديد.

أما أن نصدق أحاديث تقول أن الرسول قد سأل صديقه أبا بكر قائلاً (ما بضع سنين عندكم)؟ وكأنه أعجمي يسأل عن لسان قوم يجهل لغتهم. هذا أكثر من أن يحتمل. علماً أن هذه الأمور وضعها الذين أضلوا المسلمين وكانت وسائل للإضلال والتعمية، ولو كان الرسول الأمين لم يقرأ للمؤمنين الآية صحيحة كما أنزلها الله ونطقها جبريل: ﴿وهم من بعد غلَبِهِم سَيُغْلَبُون﴾ بضم الياء ليكون المعنى أن المؤمنين الذين مع الرسول سوف يَغلبون في بضع سنين الغالب والمغلوب معاً، فلا معنى لكل الأحاديث الموجودة في السيرة النبوية والتي تؤكد أنهم جميعاً كانوا يعلمون بوعد الله هذا والنصر على الروم والفرس معاً ولو كره الكافرون ولما كان من معنى أيضاً للأحاديث التي نجدها في تاريخ السيرة وهي تقول بأن رسولنا قد وعد (سراقة بسواري كسرى) ولا معنى أيضاً للأحاديث التي تقول بأن عمر بن الخطاب الذي تسلم غنائم فارس رمى لسراقة بسواري كسرى قائلاً (هذا ما وعدك به رسول الله) في نفس كتب السيرة.

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

هل لكتاب الله يدين؟
وهل بين يدي الكتاب الأول كتابٌ ثان؟

إذا اعتمدنا على آيات القرآن تبيَّن لنا أن كتاب الله مكون من كتابين بحيث نجد بين يدي الكتاب الأول كتاباً آخر متماشياً مع خلق الله الثنائي في كل شيء: إذ أن قاعدة الله تقول: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ٤٩ ـ الذاريات.

وهذه القاعدة لا شذوذ لها سواء في العناصر أو الذرات أو الأشياء أو في النباتات أو في الأحياء من مختلف المخلوقات حشرات كانت أو فقريات، غازات كانت أم سوائل أم جمادات.

والقرآن على هذه القاعدة زوجان زوج في السماء في اللوح المحفوظ ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم﴾ ٤ ـ الزخرف. ﴿بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ﴾ ٢٢ ـ البروج. وقرآن آخر أرسل إلى الأرض بأمر ربه بعد أن جعله عربياً. ﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ ٣ ـ الزخرف. وفي هذا القرآن نجد تسع آيات بينات تشهد أن كتاب الله مكون من كتابين استشهد منها بثلاث آيات وهي ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ ٤٨ ـ المائدة. ﴿ما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ٣٧ ـ يونس. ﴿ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدىً ورحمة لقوم يؤمنون﴾ ١١١ ـ يوسف. نفهم من هذه الآيات أن الكتاب الأول وظيفته البرهان والتصديق، وإذا دققنا النظر فيه نكتشف أنه مفصول فعلاً عن الكتاب الثاني، وذلك أن السور المكية تشكل الكتاب الأول الذي يحوي على البراهين العقلية والرياضية والعلمية والمعرفية التي تثبت أن هذا الكتاب ليس من معلومات مخلوقات الله بل هو فوق معرفتهم العلمية في كل زمان ومكان.

والقسم الثاني يتكون من مجموع السور والآيات المدنية التي فيها أحكام الدين والعبادات والصراط المستقيم وأحكام الشرع والحلال والحرام مع حدود الله وكل ما يهم المسلمين عن دينهم بالتفصيل.

كما قلت سابقاً وأقول دائماً، فإن القرآن كتاب أدبي في أعلى درجات البلاغة

والبيان في اللغة العربية. لذلك نجد دائماً الاستعارات والتشابيه وحتى الرموز منتشرة في أسلوب القرآن، الذي لا يمكن فهمه أو ترجمته على شكله الحرفي. كما لا يمكن فهم أغواره من قبل إنسان لا يعرف أسرار البيان والبلاغة في اللغة العربية. ولكن الذي لاحظته شخصياً من خلال دراستي الطويلة لكتاب الله العظيم، أن الاستعارات والتشابيه في كتاب الله تكون حقيقية ومستندة إلى حقائق. وحتى أبين للقارىء الكريم ما أقصده لابد من أن أضرب مثلين من القرآن الكريم.

المثال الأول: في قوله تعالى في سورة يوسف ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ ٤ ـ يوسف. وإذا أخذنا بعين الاعتبار ما قاله سبحانه في نفس السورة ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ ٧ ـ يوسف. ونحن نعلم أن يوسف كان له أحد عشر أخاً من أبيه وبالتالي فهو يمثل الأخ الثاني عشر باعتباره يتكلم عن نفسه. وإذا عدنا إلى نهاية قصة يوسف نقرأ في القرآن ﴿ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً﴾ ١٠٠ ـ يوسف. وهنا نجد (أبويه) مثنى ونجد (وخروا له سجداً) بالجمع، إذاً صيغة الجمع لكلمة (خرّوا) تأتي للتمييز بأن المقصود بهم إخوته الأحد عشر وليس أبويه، وبما أن يوسف هو الذي يمثل الأخ الثاني عشر، فعندما قال تعالى في بداية القصة على لسان يوسف ﴿يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾ ٤ ـ يوسف. فكأننا نقول كما أن الشمس والقمر وأحد عشر كوكباً خلقهم الله وسخرهم لكوكب الأرض الذي هو الكوكب الأهم من بين الكواكب كلها، كذلك يوسف من بين إخوته الأحد عشر هو أهمهم وأعلاهم درجة ومقاماً.

ونفهم من ذلك حقيقة علمية يخبرنا بها سبحانه بأسلوب غير مباشر، بأن عدد كواكب المجموعة الشمسية هي اثنا عشر كوكباً مع الشمس والقمر التي لا تعد من الكواكب، وهذه معلومات لم تكن معروفة زمن نزولها.

كذلك فإن عدد إخوة يوسف بمن فيهم هو اثنا عشر وأبواه يمثلان الشمس والقمر لأنهما لا يعدان من ضمن الإخوة وهذا هو معنى قول الله من البداية ﴿لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين﴾ ٧ ـ يوسف.

وإذا لاحظنا قول الله آيات بالجمع وليست آية علمنا أن عدد الحقائق في هذا التشابه يجب أن لا تقل عن ثلاثة، فقد عرفنا الحقيقة الأولى وهي أن عدد الكواكب في

المجموعة (١٢) كوكباً والحقيقة الثانية أن الشمس ليست من الكواكب، والحقيقة الثالثة أن القمر ليس من الكواكب أيضاً. والحقيقة الرابعة أن يوسف في أهميته بين إخوته جميعاً يمثل أهمية الأرض بالنسبة لباقي الكواكب الأخرى في المجموعة.

المثال الثاني: له علاقة بموضوعنا مباشرة في نفس الآيات البينات التسع التي تشير إلى أن كتاب الله الحاوي على النور يحمل بين يديه كتاباً آخر فيه آيات بينات. أو أن الكتاب يحوي بين يديه كتاب الحكمة الثاني كما نسمع ونقرأ في الآية رقم (٤٨) من سورة المائدة التي ذكرتها في مقدمة الموضوع. ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾ ٤٨ ـ المائدة.

قلنا أن الكتاب الأول هو الذي يحوي على السور والآيات المكية والكتاب الثاني هو الذي يحوي على السور والآيات المدنية.

إن القسم المكي هو الذي يحوي على المعلومات العلمية والتاريخية (القصص) التي ليست من معلومات مخلوقات الأرض في القرن السابع الميلادي، فهي برهان على أنها من الله وحده لا شريك له الذي وسع كل شيء علماً، ومع البرهان كتاب آخر فيه نور وهدىً للمؤمنين من أجل إخراجهم من ظلمات الجهل إلى نور العلم والمعرفة ومن عذاب الحروب إلى نعيم السلام.

﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ ١٧٤ ـ النساء.

وبما أن الهدى والهداية تكون عادة للدين ولا تكون للعلوم المجردة، فيقول سبحانه في أول آية مدنية من سورة البقرة بعد آية الأحرف المقطعة، ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين﴾ ٢ ـ البقرة. والمتقون لا يمكن أن يكونوا إلا من المؤمنين بالله وبكتابه، بينما العلم والعلماء لا يشترط فيهم الإيمان والتقوى مع أنهم أقرب الناس للإيمان. لذلك يبين الله تعالى هذه الحقيقة في القرآن حتى لا تلتبس على المسلمين، فيظنون أن كلمة العلماء يقصد بها الله علماء الدين، بينما إذا شاء الله أن يشير إليهم قال الفقهاء تمييزاً ولم يسميهم بالعلماء، والدليل هو القرآن الكريم. ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتُخْبِتُ له قلوبهم﴾ ٥٤ ـ الحج. ولو فرضنا أنهم علماء الدين فكيف يؤمنون من جديد وقد أوتوا العلم من قبل ثم دخل في علمهم أنه الحق فآمنوا به.

مثلاً معرفة النبي يوسف بعلم تأويل الأحلام ماذا قال عنه ربه ﴿وأنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾ ٦٨ ـ يونس.

وقول الله تعالى يعلمون أو لا يعلمون، المقصود به وصول حقيقة علمية ما إلى الناس ودخولها إلى علمهم، وبعدها نقول يعلمون وإلا نقول عنهم لا يعلمون وليس لها علاقة إيمانية كقوله تعالى ﴿وسوف يعلمون حين يرون العذاب من أضل سبيلاً﴾ ٤٢ ـ الفرقان. ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ ٩ ـ الزمر.

والفرق والمفارقة في هذه الآية بالعلم والمعرفة مع ما يقابلها من الجهل والضلال باعتبار أن العلمُ نورٌ والجهل ظلام وضلال.

ولكن العالم إذا أوتي مع علمه الإيمان يصبح إنساناً كاملاً وهذا ما يبنيه سبحانه بقوله الكريم ﴿وقال الذين أوتو العلم والإيمان لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث﴾ ٥٦ ـ الروم.

وهذا كان جواب من العلماء الحقيقيين بين الجهال الذين عندما سئلوا كم لبثتم بين الأموات قالوا ﴿ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة﴾ ٥٥ ـ الروم. لأنهم يتذكرون لحظة موتهم والآن هم أحياء، أما الفاصل الزمني بين الموت والحياة فلم يشعروا به لتوقف الزمن بالنسبة لهم. لكن الذين أوتوا العلم يعرفون هذه الحقيقة فنبهوهم أن هذا ظنكم ولكن في الحقيقة لقد لبثتم ملايين السنين وأنتم لا تشعرون.

أما الذين يتعمقون في الأمور الشرعية والدينية فيسميهم الرحمن بالفقهاء ﴿فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين﴾ ١٢٢ ـ التوبة.

علماً أن كلمة فقِهَ ويفقهون معناها اللغوي فهِمَ ويفهمون. وهكذا فإن معنى كلمة الفقهاء يأتي بمعنى الفاهمين لأمور الدين والشرع فهماً عميقاً.

باختصار فإن دارس القرآن يتعرف على وجود كتابين في كتاب الله من آيات كثيرة مثل الآية المبينة التالية: وهي سورة مكية ﴿طس تلك آيات القرآن و كتاب مبين﴾ ١ ـ النمل.

أي أن حرفي الطاء والسين هما من آيات القرآن المكي.

كذلك إذا قرأنا الآيات التالية ﴿طسم * تلك آيات الكتاب المبين﴾ ١ ـ ٢ ـ الشعراء. ﴿طسم * تلك آيات الكتاب المبين﴾ ١ ـ ٢ ـ القصص. ﴿حم * والكتاب المبين﴾ ١ ـ ٢ ـ الزخرف. والكتاب المبين هنا معرفة والمقصود به الآيات والسور المكية، كذلك في سورة النمل آيات القرآن هي السور المكية وكتاب مبين بدون تعريف المقصود به السور المدنية.

﴿يس * والقرآن الحكيم﴾ ١ - ٢ - يس. ﴿الم * تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ ١ - ٢ - لقمان. ﴿الر * تلك آيات الكتاب الحكيم) ١ - يونس. والآية التالية تفسر معنى الكتاب الحكيم أكثر ﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير﴾ ١ - هود.

ثم حتى نستدل أين نجد آيات ذلك الكتاب في المصحف الشريف نبحث عن آية أخرى تدل عليها وهي التي تقول: ﴿ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم﴾ ٥٨ - آل عمران.

ونحن نعلم أن سورة آل عمران مدنية وتبحث آياتها في أحكام الدين والشرع. إذاً فالكتاب الحكيم أو الذكر الحكيم أو القرآن الحكيم كلها تنطبق على الآيات والسور المدنية بينما الكتاب المبين ينطبق على الآيات والسور المكية وحدها وتلك الأحرف مخصصة إما للكتاب المبين أو للكتاب الحكيم وهذا ما سوف أشرحه في مواضيع أخرى من هذا الكتاب.

وكذلك فإننا نجد آيات أخرى تقسم الكتاب وتقول ﴿وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به﴾ ٢٣١ - البقرة. ﴿لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين﴾ ١٦٤ - آل عمران.

في البداية قال تعالى ﴿يتلو عليهم آياته﴾ لأن كل المصحف لا يحوي إلا آيات الله ثم عاد وفصَّلها قائلاً ويعلمهم الكتاب والحكمة مشيراً إلى قسمي القرآن وهما المكي الحاوي على الكتاب والمدني الحاوي على الحكمة والأحكام ولذلك فالكتاب الأول نور وعلم مبين وبرهان وتصديق للكتاب الثاني الحاوي على الأحكام والشرع والدين والحلال والحرام والصراط المستقيم.

ربما أن الصراط المستقيم من الدين فإننا بعد أن نقرأ بنودها في سورة الإسراء يقول سبحانه ﴿ذلك مما أوحى ربك من الحكمة﴾ ٣٩ - الإسراء. أي من الكتاب الحكيم أو كتاب الحكمة أو الأحكام.

إن الله تعالى كما قلنا لا يضرب مثلاً إلا ويكون له في الواقع مايؤيده، ربما أنه سبحانه قد تحدث عن يد القرآن بإمكاننا أن نبحث عن هاتين اليدين في القرآن وضمن السور المكية.

فأين نجد بين السور المكية سورتين تمثلان يدي القرآن؟ إننا نجد في فاتحة الكتاب

سورة مكية هي سورة الفاتحة وعدد آياتها سبع بما فيها البسملة. كما نجد في آخر القرآن سورة مكية هي سورة الناس وعدد آياتها سبع مع البسملة أيضاً(*).

ولكن لماذا سبع آيات بالذات؟

إن اليد التي يعرفها الإنسان هي يده التي تتألف من كف فيه خمسة أصابع ظاهرة متصلة بالساعد الذي يتصل بالعضد، وهذه سبعة عناصر في اليد الواحدة. فشاء الله أن يجعل يدي القرآن أيضاً تتكون كل واحدة منها من سبع آيات.

هذه الحقيقة تلغي ما يتقوله كثير من الناس عن القرآن بأن جمع القرآن على شكله الحالي تم في عهد عثمان بن عفان حيث وضعت السور الطويلة أولاً، ثم وضعت السور القصيرة بعدها، إذ أن ترتيب القرآن على شكله الحالي كان من رب العالمين وحده وليس من الناس.

وهكذا نكون قد تعرفنا فعلاً على يدي القرآن وعلمنا ماذا يحوي الكتاب الأول الذي هو القرآن المكي وعلى ماذا يشمل الكتاب الثاني الذي هو القرآن المدني.

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ٩ ـ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

(*) بعد أن تحقق لي بفضل الله الحصول على نسخة كاملة عن القرآن الأثري لعثمان بن عفان الموجود في متحف سراي الباب العالي في استانبول، والذي يبين بشكل واضح لا لبس فيه أن كل البسملات في أوائل السور آيات أساسية تعتبر من الوحي والآيات المعدودة في صلب القرآن الكريم، أستطيع الجزم بأن عدد آيات سورة الناس هي سبع آيات وليست سته كما يظن الأغلبية، وهذا القرآن سوف يكون موضوع كتابي الجديد (المؤلف).

خصوصية سورة التوبة

جاءت لتهيئة المسلمين لحرب الروم والفرس التي كانت حرباً حتمية على المؤمنين.

الإسلام والإيمان:

ليس في الإسلام الصحيح الذي في كتاب الله المبين أي تمييز بين المسلم والمؤمن بحيث يمكننا القول مثلاً: الإسلام: ثم نقول بعد ذلك أركان الإسلام ثم شروط الإسلام، أو أن نقول الإيمان ثم نقول بعدها أركان الإيمان ثم شروط الإيمان. لكن الفارق الموجود أن الذي يعلن إسلامه باللسان قد يكون كاذباً ولم يدخل الإيمان إلى قلبه (الذي هو عقله).

لكن هذا الاختلاف أوجدته الظروف المحيطة. ففي عصر رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام وجدت حركات سياسية مناوئة للإسلام ومبادئه، أعلنت الحرب والقتال ضد الإسلام ودخلت معه في معارك قتالية دامية. ومن تلك الزعامات المناوئة مثلاً كانت عائلة الأمويين ضد العائلة الهاشمية، تغذيها مصالح عشائرية بحسب العقلية الجاهلية القبلية التي كانت وما زالت مسيطرة في أغلب الجزيرة العربية. فكان الشخص يرفض الحق لأن الذي يدعو إليه كان بحسب رايه أقل مكانة منه.

وكذلك الأمر بالنسبة لرؤساء القبائل العربية الذين كانت لهم وجهات نظر مصلحية مشابهة.

ويعلم الله تعالى باستحالة تبليغ الرسالة الإسلامية مع وجود هذه الحركات المناوئة للمؤمنين. فالإسلام لم يكن منذ البداية ديناً لقوم أو قبيلة أو عشيرة بل هو للناس كافة من غير تمييز.

كما كان الله تعالى الذي يعلم الغيب وما في نفوس الناس جميعاً يحيط علماً بأن الروم والفرس سيرفضان ظهور قوة ثالثة في العالم القديم خاصة في الجزيرة العربية التي كانوا يسخرون من سكانها ويستخفون بشأنهم كثيراً، فكان لابد من تهيئة المسلمين الذين يجهلون الحروب والتخطيط والاستراتيجيات والمعارك الكبيرة. فخطط الله سبحانه لهم بحرب غايتها الدفاع عن الوجود مع إثبات الذات بأسلوب الهجوم

الدفاعي وبحرب لم يكن الروم والفرس يتوقعونها. بحيث يكون النصر فيه للمؤمنين. ويكون تبليغ الإسلام لشعوب تلك المناطق المحررة من ظلم هاتين الإمبراطوريتين نتيجة لتلك الحرب وليس سبباً لها.

ويظن معظم المسلمين أن تلك الحرب كانت لإجبار الشعوب على الدخول في الإسلام والواقع أنه لا إكراه في الدين عند الله، بل من شاء آمن ومن شاء كفر وكلهم حسابهم عند الله يوم القيامة، وليس للناس الحق في محاسبة الناس، فالله تعالى لم يوكل أحداً عنه لذلك كله نجد أن الله تعالى سمح لرسوله الكريم بحرب خاصة ضد كل الحركات السياسية من حوله، مكلفاً رسوله الكريم بمهمة قتالية خاصة جداً غايتها فرض الاستسلام على كل المناوئين له بالقوة مع كسر شوكتهم وتفريق صفوفهم بكل الوسائل، وليس طلباً لإيمانهم لعلم الله تعالى أن الإيمان لا يمكن أن يفرض على الإنسان بالقوة أبداً. لذلك فكل آيات سورة التوبة الخاصة بالقتال لم تكن حرباً وقتالاً من أجل نشر الإسلام بالسيف كما شاء سلاطين المسلمين تصويره للناس ولشعوبهم بهدف متابعة نفس الحرب وإلى ما نهاية بعد أن تحولت غايتها للسلب والنهب وسبي النساء لتصدر إلى قصور السلطان ورجال دينه تحت اسم الله والجهاد الإسلامي. وكما سوف أبين في مكانه فقد استثنى سبحانه سورة التوبة من البسملة حتى يلفت نظر المؤمن إلى خصوصية هذه السورة عن باقي سور القرآن الكريم والعظيم.

علماً أن الله تعالى لم يغير سنته ولن يغيرها من أجل أحد. فالإسلام لا يمكن نشره بين الناس بالسيف والدليل موجود في كتاب الله المبين وفي آياته البينات التي لا تحتاج لتأويل أو تفسير أو شرح إضافي ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي...﴾ ٢٥٦ - البقرة.

والله تعالى يقول لكل المسلمين من بعد رسوله المبلغ الأمين حقيقة كبرى يتغاضى عنها المسلمون اليوم مفضلين اتباع ظنون آبائهم الأولين ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ٩٩ - يونس.

وحرية العقيدة بالنسبة للإنسان من أهم الحريات التي منحها الله تعالى للإنسان حتى قبل أن يفكر المفكرون بحريات الإنسان وحقوقه في العالم ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ - الكهف.

وكما قلنا لقد سمح الله تعالى لرسوله الكريم وخلال حياته فقط بحرب خاصة.

﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى أن يكفَّ بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا﴾ ٨٤ ـ النساء. يستطيع خلالها سبحانه قيادتها عن طريق الوحي في أي وقت يشاء من أجل تنظيف الجزيرة العربية من المناوئين السياسيين وليس من أجل نشر الإسلام والإيمان كما هو ظاهر في نص الآية الكريمة السابقة.

مثلاً: عندما شهد أبو سفيان بعد فتح مكة بالشهادة التي لا يعلم أحد إلا الله تعالى إن كان قلبه مطمئناً للأيمان لأنه قالها مكرهاً بالسيف والقوة، ولكن الله تعالى الذي يعلم ذلك ومن أجل أن لا يعود إلى رفع السيف من جديد عندما تحين له الفرصة، جعله هو وزعماء الحركات السياسية من المؤلفة قلوبهم، يدفع لهم رسوله من أموال الزكاة وأموال الفيء (غنائم الحرب) تأليفاً لقلوبهم التي كانت تكره الإسلام، والله تعالى لم يأمر رسوله بتوزيع مئات الإبل على زعماء القبائل لكونهم من الفقراء والمساكين، بل كان يعلم أنهم من الأغنياء والمترفين، لكنه مع ذلك كان يعلم أنهم يحبون المال حباً جماً وكان في قلوبهم كراهية قديمة للإسلام وللمسلمين لا يمكن إزالتها بسهولة. ﴿إنما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم﴾ ٦٠ ـ التوبة.

والحرب التي أعلنها الله على المشركين الذين نقضوا عهودهم جعلها باسم رسوله الكريم مباشرة ومتعلقة بنفسه لعلم الله تعالى بأن نفس الرسول سوف تنتهي بموته وتعود تلك النفس الطاهرة إلى بارئها راضية مرضية، فينتهي بذلك هذا النوع من القتال الذي وضح سببه الله تعالى في القرآن العظيم قائلاً: ﴿عسى الله أن يكف بأس الذين كفروا﴾ ٨٤ ـ النساء. ولم يقل سبحانه عسى أن يؤمن الذين كفروا.

فالحرب لم تكن وسيلة ناجعة من أجل نشر العقائد يوماً من الأيام حتى يجعلها سبحانه سُنةً في الإسلام، فمنطقة الكفر والإيمان لا سلطة للقوة والسيف عليها من نفس الإنسان، بل هي محفوظة في سره وضميره ووجدانه الداخلي الذي لا اطلاع عليه إلا لرب العالمين وحده لا شريك له.

لذلك فإن الله تعالى قد أنسى كل آيات القتال السياسية المقاصد التي سمح بها فقط في فترة نزول الآيات المدنية من الرسالة وبدأ سبحانه بإنسائها اعتباراً من حجة الوداع حيث قال تعالى ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون. اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ٣ ـ المائدة.

ثم نزلت بعدها الآية التي أنهت الحرب الخاصة التي كلف بها الرسول الكريم وحده من دون المؤمنين باعتباره المسؤول الوحيد عنها في الآية التي تقول ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلف إلا نفسك﴾ ٨٤ ـ النساء.

فكانت الآية التي أنهت مفعول آية القتال تلك هي الآية التي تقول ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

مع الآية التي تقول ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

حتى آية المؤلفة قلوبهم السابقة لم يترك سبحانه أمر إنسائها وإبطال مفعولها للناس، بل أنساها الله بآية محكمة أخرى قبل وفاة رسوله الكريم ﴿ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ ٧ ـ الحشر.

والآية تقول كي لا يكون مال المسلمين في تداول الأغنياء منكم لأنه من حق الأمة ومستحقيها. خذوا ما أعطاكم الرسول منها أما مانهاكم عنها فلم يعطكم منها فانتهوا عنها حتى ولو سبق للرسول أن أعطاكم منها. الآن انتهى الوضع الذي كان يوجب العطاء للمؤلفة قلوبهم.

لكن هذه الأمور كانت لا تعجب ملأ قريش منذ البداية فطلبوا من الرسول استبداله بغيره لكون ما في القرآن من حقوق مشروعة للناس كافة بمن فيهم الفقراء والمساكين والمستضعفين، وهم لا يرون لأنفسهم مصلحة في تطبيق عدالة الله تعالى وشرعه القويم، وهذا ما تشرحه الآية الكريمة المبينة ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إليَّ إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم شديد * قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون * فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾ ١٥ ـ ١٧ ـ يونس.

هذه الآيات تشرح تماماً أسباب تبديل القرآن من قبل ملأ قريش من بعد الخلافة الراشدة، ومن بعد انتصار الفئة الباغية في الإسلام في الفتنة الكبرى، وعادت العقلية القبلية إلى الناس بعد تناسي ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ١٣ ـ الحجرات. التي طبقت في الإسلام فقط في عهد الخلافة الراشدة.

فبدّل الذين ظلموا كلام الله بغيره وسموه كتاب الحكمة، جمعوا فيه روايات ما أنزل الله بها من سلطان، لكن السلطان الحاكم فرض ذلك بالقوة على المسلمين. بعد أن تجاهل كتاب الله.

وهذا التبديل الذي فعله كل ملأ الذين سبقونا في جميع الرسالات، كان لابد أن نتوقع تبديلاً مثله، لأننا نحن أيضاً من نفس طينة الذين سبقونا ولا نختلف عنهم في شيء، ونجد له آيتان شاهدتان كما هي عادة الله تعالى في شهادات القرآن ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ ٥٩ ـ البقرة. والشهادة الثانية في قوله تعالى ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذين قيل لهم﴾ ١٦٢ ـ الأعراف.

إن الله تعالى الذي خلق الناس جميعاً يعلم تماماً كيف يفكر كل فرد منهم وبالتالي يعرف كيف سيتصرفون ويبين القصص القرآني أن التاريخ الإنساني يعيد نفسه تقريباً مع فروق بسيطة، لذلك يقع الناس غالباً في نفس أخطاء آبائهم الأولين إلا من آمن منهم برسالة سماوية غير محرفة يهتدي بها إلى الحق ويتجنب بإتباعه الوقوع في أخطاء الأولين.

كان الإسلام في العصر الراشدي على هدي الله وكما بلغه الرسول الأمين تماماً والناس جميعاً كانوا يطبقون رسالة الله التي في القرآن العظيم.

وأغلبنا يعلم أن الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام كان أمياً وأغلب صحابته أميون، والعرب لم يكونوا سابقاً أصحاب حضارة وعلم، فلو ترك الله تعالى المؤمنين لشأنهم من بعد إيمانهم لما عرفوا كيف يواجهون الأخطار وكيف يمكنهم التغلب عليهم. فكان الله تعالى خلال الفترة التي قضاها الرسول الكريم في المدينة من بعد الهجرة، يحضر المؤمنين لأحداث قادمة عليهم وإن كانوا هم غير قادرين على رؤيتها. لكن الله تعالى كان يعلم كيف يفكر الروم والفرس، وحتى يتم تحضير المؤمنين لعمليات قتالية لابد منها أخبرهم سبحانه منذ السنة الرابعة للرسالة (عام ٦١٤) ميلادية، بأن الروم قد غُلبوا في أدنى الأرض وهم من بعد أن يأخذوا بثأرهم ويَغْلِبوا الذين غلبوهم أول مرة (الفرس) سيُغْلَبون معاً، أي:: الروم والفرس من قبل المؤمنين، وعندئذ سيفرح المؤمنون بنصر الله وهذا جعله سبحانه وعداً بالنصر على الكافرين.

﴿وكان حقاً علينا نصر المؤمنين﴾ ٤٧ ـ الروم.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ما هي الآيات التي تتبع سورة التوبة في القرآن؟

يصعب على المسلم فهم أبعاد خصوصية سورة التوبة وتفردها إذا لم يفهم بالمقابل نموذج السبع المثاني في القرآن العظيم.

وحتى أبين ما أرمي إليه أحب أن أضرب بعض الأمثلة للتوضيح. مثلاً لقد ورد اسم الله تعالى مقروناً مع كلمة رسوله ٢٤ أربعاً وعشرين مرة في سورة التوبة وحدها، وكلمة الرسول لوحدها ذكرت في نفس السورة تسع مرات. علماً أن عدد آيات سورة التوبة ١٢٩ آية.

وإذا عدنا وتفقدنا سور المثاني السبع التي مجموع عدد آياتها (٤١٩) ماذا نتوقع بعد أن وجدنا أن كلمة الرسول التي ذكرت في سورة التوبة وحدها (٣٣) مرة، أن يكون العدد في سور المثاني السبع بنفس النسبة ويجب أن نتوقع ورود كلمة الرسول (١٠٧) مرات. بينما في الحقيقة لم ترد كلمة الرسول في كل سور السبع المثاني مرةً واحدة.

وإذا أحببنا أن نرى نموذجاً لآية تخاطب الناس في عصر الرسول وخلال حياته في سورة التوبة نجد مثلاً قوله تعالى ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ٩٤ ـ التوبة. بينما نجد في نموذج السبع المثاني قولاً مختلفاً تماماً ذلك أن الله يعلم أن كتابه دائم يخاطب به العالمين إلى يوم الدين حيث يقول ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ١٠ ـ الشورى.

بالنسبة لحب الرسول لم يذكره سبحانه إلا في سورة التوبة وحدها حيث يقول ﴿قل إن كان آباءكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٢٤ ـ التوبة.

بينما إذا عدنا وتفقدنا القرآن كله لن نجد حب الرسول في باقي سور القرآن، لعلم الله تعالى أن سورة التوبة كانت خاصة ويمكن لقارئها أن يلاحظ مباشرة أنها كانت خطاباً مباشراً من الله تعالى لأحياء كانوا يتفاعلون مع كلام الله المباشر كقوله تعالى

﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين * فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ ١ - ٢ - التوبة. إلى قوله تعالى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم﴾ ٥ - التوبة.

إن هذا الكلام خاص جداً، لا يمكن تعميمه وهذا هو سبب استثناء هذه السورة فلم يجعل لها سبحانه البسملة في أولها حتى لا تختلط الأمور على المسلم في المستقبل، وتلك الآيات نموذج للآيات المُحكمات.

وبقي علينا أن نعلم أن هناك آيات أخرى في القرآن تشبه آيات سورة التوبة وتتبع نموذجها، أي أنها أيضاً آيات مُحكمات.، كما أن باقي سور القرآن تتبع نموذج السبع المثاني للسور المكية السبع التي في كتاب الله التي كلها من المتشابهات.

علماً أن عدد سور القرآن التي فيها آيات خاصة تعامل كآيات سورة التوبة اربعة عشر وهي السور التالية

١ - سورة النساء: ١٨ - آية، والآيات المشابهة لآيات سورة التوبة فيها هي: الآيات ذوات الأرقام:

٥٩ - ٦٠ - ٦١ - ٦٢ - ٦٣ - ٦٤ - ٦٥ - ٦٦ - ٨٠ - ٨١ - ٨٤ - ٨٩ - ٩٠ - ٩١ - ٩٤ - ١١٣ - ١١٤ - ١١٥ - ونموذج من هذه الآيات الآية رقم ٦١ والآية رقم ٨١.

﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا﴾ ٦١ - النساء. ﴿ويقولون طاعةٌ فإذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذي تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا﴾ ٨١ - النساء.

٢ - سورة المائدة: الآيات ذوات الأرقام:

١١ - ٤١ - ٤٢ - ٤٣ - ٤٤ - ٤٥ - ٥٥ - ٥٦ - ١٠١ - ١٠٢ - ١٠٣ - ١٠٤ ومجموعها (١٢) آية. ونموذج من آيات سورة المائدة الآية ١٠١ - ١٠٢ - ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تُبْدَ لَكُمْ تسؤكم وإن تسألوا عنها حين ينزَّل القرآن تُبْدَ لكم عفا الله عنها والله غفور حليم * قد سألها قوم من قبلكم ثم أصبحوا بها كافرين﴾ ١٠١ - ١٠٢ - المائدة.

٣ ـ سورة الأنفال: الآيات ذوات الأرقام:

٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ومجموعها (٦) آيات ونموذج من آيات سورة الأنفال:

﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم إني ممدكم بألف من الملائكة مردفين﴾ ٩ ـ الأنفال.

٤ ـ سورة النور: الآيات ذوات الأرقام:

١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ٥٣ ـ ٥٤ ـ ٦٢ ـ ٦٣ ـ ٦٤ ـ مجموعها (١٢) آية ونموذج من آيات سورة النور:

﴿إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم لا تحسبوه شراً لكم بل هو خير لكم لكل امرىء منهم ما اكتسب من الإثم والذي تولى كبره منهم له عذاب عظيم﴾ ١١ ـ النور. ﴿وأقسموا بالله جَهد أَيمانهم لئن أمرتهم ليخرجن قل لا تقسموا طاعة معروفةٌ إن الله خبير بما تعملون * قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا فإنما عليه ما حمل وعليكم ما حملتم وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ ٥٣ ـ ٥٤ ـ النور.

٥ ـ سورة الأحزاب: الآيات ذوات الأرقام:

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ٤٠ ـ ٤٥ ـ ٤٦ ـ ٤٧ ـ ٤٨ ـ ٥٠ ـ ٥١ ـ ٥٢ ـ ٥٣ ـ مجموعها (٤١) آية وهذه نماذج من سورة الأحزاب ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين إن الله كان عليماً حكيماً واتبع ما يوحى إليك من ربك إن الله كان بما تعملون خبيراً﴾ ١ ـ ٢ ـ الأحزاب.

﴿إذ جاؤوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالاً شديداً﴾ ١٠ ـ ١١ ـ الأحزاب.

﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتنَّ تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً * يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة مبينة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾ ٢٨ ـ ٣٠ ـ الأحزاب.

٦ ـ سورة محمد: الآيات ذوات الأرقام:

٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ١٦ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٣ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ ـ ٣١ ـ ٣٢ ـ ٣٣ ـ ٣٧ ـ ٣٨ ـ مجموعها (٢٠) آية.

وهذه نماذج من سورة محمد ﴿إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى الشيطان سول لهم وأملى لهم * ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم * فكيف إذ توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم﴾ ٢٥ ـ ٢٧ ـ محمد.

٧ ـ سورة الفتح: الآيات ذوات الأرقام:

٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ ـ ٢١ ـ ٢٢ ـ ٢٤ ـ ٢٥ ـ ٢٦ ـ ٢٧ ـ ٢٩ ـ مجموعها (١٩) آية.

وهذه نماذج من سورة الفتح ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة فعلم ما في قلوبهم فأنزل السكينة عليهم وأثابهم فتحاً قريباً * ومغانم كثيرة يأخذونها وكان الله عزيزاً حكيماً﴾ ١٨ ـ ١٩ ـ الفتح.

٨ ـ سورة الحجرات: الآيات ذوات الأرقام:

١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٧ ـ ١٨ ـ مجموعها (٧) آيات.

ونموذج عن سورة الحجرات ﴿إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم﴾ ٤ ـ ٥ ـ الحجرات.

٩ ـ سورة المجادلة: الآيات ذوات الأرقام:

١ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ ـ ١٦ ـ ١٧ ـ ١٨ ـ ١٩ ـ ٢٠ مجموعها (١٢) آية.

١٠ ـ سورة الحشر: الآيات ذوات الأرقام: ١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤ ـ ٥ ـ ٦ ـ ٧ ـ ٨ ـ ٩ ـ ١٠ ـ ١١ ـ ١٢ ـ ١٣ ـ ١٤ ـ ١٥ عدد الآيات (١٥).

ونموذج من سورة الحشر ﴿هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم لأول الحشر ما ظننتم أن يخرجوا وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله فأتاهم الله من حيث لم يحتسبوا وقذف في قلوبهم الرعب يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين

فاعتبروا يا أولي الأبصار * ولولا أن كتب الله عليهم الجلاءَ لعذبهم في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب النار﴾ ٢ - ٣ - الحشر.

١١ - سورة الممتحنة: الآيات ذوات الأرقام:

١ - ٢ - ١٠ - ١١ - ١٢ - مجموعها (٥) آيات.

ونموذج من سورة الممتحنة ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ ١٢ - الممتحنة.

١٢ - سورة المنافقون: الآيات ذوات الأرقام:

١ - ٢ - ٣ - ٤ - ٥ - ٦ - ٧ - ٨ - مجموعها (٨) آيات.

ونموذج من سورة المنافقون ﴿وإذا قيل لهم تعالوا يستغفرْ لكم رسول الله لووا رؤوسهم ورأيتهم يصدون وهم مستكبرون * سواء عليهم أسْتغفرت لهم أم لم تَستغفر لهم لن يغفر الله لهم إن الله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٥ - ٦ - المنافقون.

١٣ - سورة التحريم: الآيات ذوات الأرقام:

١ - ٣ - ٤ - ٥ - ٩ - مجموعها (٥) آيات.

ونموذج من سورة التحريم ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحَلَّ الله لك تبتغي مرضات أزواجك والله غفور رحيم﴾ ١ - التحريم. ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ ٩ - التحريم.

١٤ - سورة الإنسان: الآيات ذوات الأرقام:

٢٣ - ٢٤ - ٢٥ - ٢٦ - ٢٧ - ٢٨ - مجموعها (٦) آيات.

ونموذج من سورة الإنسان ﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً * فاصبر لحكم ربك ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ ٢٣ - ٢٤ - الإنسان.

وهكذا فعدد الآيات الخاصة هو (١٨٦) آية. إذا أضيفت إلى آيات سورة التوبة ١٨٦ + ١٢٩ = ٣١٥ آية.

هذه الآيات كانت تخاطب الرسول وصحابته من أجل قيادة وتنظيم المؤمنين، ومن أجل تحضير المؤمنين لقتال الروم والفرس معاً، ولولا ذلك التحضير الذي أمر به الله تعالى

بشكل مباشر مع تخطيطه ودعمه المستمر سبحانه لما كان بالإمكان على الفئة التي آمنت مع رسول الله أن تفكر بغزو الروم والفرس، ناهيك عن الانتصار عليهم معاً في نفس الوقت، مع فتح جبهتين متوازيتين جبهة ضد الروم في سورية وجبهة ضد الفرس في العراق وفارس.

والآيات الأخرى هي الآيات الخاصة بالنبي وأسرته وأزواجه، أو الخاصة بالنبي مع أسلوب احترامه والتعامل معه في الحياة اليومية من الصحابة. أو الآيات الخاصة التي كان فيها النبي شاهداً على أحداثها ورأى مواقف الجميع منها الصحيح ومنها الخطأ، هذه الأمور توقفت بعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام لأن شهادته توقفت بوفاته كما قال سبحانه عن رسوله عيسى بن مريم ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ ١١٧ ـ المائدة.

وبما أن شهادة الرسول انتهت بالنسبة إلينا اليوم فإننا عندما نقرأ آية مثل الآية التالية ﴿فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا﴾ ٥٩ ـ النساء.

فإننا في الواقع نعيد هذه الآية إلى نموذج السبع المثاني الخاصة لكل العصور في الإسلام بعد وفاة الرسول الكريم، إننا نردها إلى الله الحي القيوم وحده، كما في قول الله تعالى في سورة الشورى، وهذه هي خصوصية السبع المثاني في القرآن العظيم ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ١٠ ـ الشورى.

وهكذا لا يتوقف الحكم بما أنزل الله كما أمر الرحمن فنرد كل أمورنا للذين يفقهون كتابه ويعلمون أسراره حتى يستنبطوا حكم الله من القرآن ﴿لَعَلِمَهُ الذين يستنبطونه منهم﴾ ٨٣ ـ النساء.

لهذا كله إذا بحثنا في كل القرآن ماعدا سورة التوبة لن نجد أكثر من قول الله تعالى ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم﴾ ٣١ ـ آل عمران.

وهذا كله لعلم الله تعالى أن حُبَّ الغائب عند الإنسان يتحول مع الزمن إلى عشق، والعشق يتطور مع الزمن ومع زيادة الحب إلى تأليه المعشوق. الله تعالى لا يحب لنا أن نقع في مثل ما وقع فيه الأولون من تأليه رسلهم وإشراكهم بالله، بل يحب لنا أن نحب

الله وحده مع أنه غني عن حبنا، لكنه سبحانه لا يحب أن نشرك به أحداً، لعلمه أن الشرك ظلم عظيم للإنسان في الدنيا والآخرة، فيريد أن يحمينا من ذلك الظلم لأنه الرحمن الرحيم. يريد سبحانه أن لا نقع في مثل ما وقع فيه الأولون من تأليه رسله وإشراكهم مع الله بالشفاعة والسنة والهدي والتحليل والتحريم ومعرفة الغيب والقدرة على فعل المعجزات، لعلمه أن ذلك كله من اختصاص الله وحده لا شريك له فيه من ملاك أو إنس أو جن.

﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله﴾ ٣٧ - يونس.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

أسباب خصوصية سورة التوبة في القرآن العظيم

إن الله تعالى يخاطب الذين يفقهون والذين يعقلون والذين يتفكرون من أولي الألباب من خلقه. أي باختصار الذين يستخدمون منحة الله الإضافية التي منحها لآدم الذي اصطفاه من بين أمثاله من البشر، ليكون أول مفكر يتحول من البشر إلى إنسان عاقل متميز عن باقي خلقه جميعاً. لذلك فالفرد الذي لا يستخدم عقله لا يمكنه أن يفهم كتاب الله.

أعود الآن إلى القارىء الكريم لأشرح أسباب خصوصية سورة التوبة التي فاتت على كثير من المسلمين فسببت إشكالات كبيرة في الماضي وما تزال تسبب إشكالات كبيرة في عقيدة كثير من الشباب المسلم الذين يظنون أن الله تعالى يريد نشر دينه بالسيف والقتل بعد أن غير رأيه في الآية التي تقول:

﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ ١٢٥ ـ النحل.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ٩٩ ـ يونس.

أشار الله تعالى إلى خصوصية سورة التوبة بأسلوبين مختلفين أولهما بالأسلوب المباشر وهو أيضاً على طريقتين أحدهما بالإشارة المباشرة، مثل قوله تعالى ﴿ويقول الذين آمنوا لولا نزلت سورة فإذا أنزلت سورة مُحكمةٌ وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت فأولى لهم * طاعةٌ وقول معروف فإذا عزمَ الأمرُ فلو صدقوا الله لكان خيراً لهم﴾ ٢٠ ـ ٢١ ـ محمد.

يقول سبحانه في بداية الآية الأولى ﴿فإذا أنزلت سورة محكمة﴾ ويجدر بالمسلم أن يعلم ما هو المقصود بالسورة المحكمة، فكما ذكرت مراراً إن القرآن يتألف من كتابين: الكتاب والحكمة، وقلت أن الكتاب هو الذي يحوي أنباء الله، من غيبه سواء كانت أنباء علمية (مثل أسرار بعض العلوم مثل علم الأجنة والتطور وأسرار عن الأرض وطبقاتها وأسرار عن الكون وسمواتها وأسرار عن السماء الدنيا «المجموعة الشمسية» وأسرار عن تاريخ الإنسان في الأرض «القصص القرآني» وأسرار عن أمور خاصة مثل العرش والروح والكرسي وسدرة المنتهى وغيرها من غيب الله). وحتى يكون هذا لكتاب مميزاً بالنسبة للمسلم فصله تاريخياً ومكانياً عن الكتاب الثاني فأصبح الكتاب

يضم كل السور المكية أي التي نزلت في الفترة الأولى من الإسلام في مكة المكرمة.

بينما الحكمة تحوي الأحكام والدين والعبادات والحدود والحرام والحلال وما يخص الإنسان المؤمن في حياته من سياسة خاصة وعامة. أما السورة أو الآية المحكمة هي التي تحوي على أوامر ونواهي مباشرة ومحددة لأشخاص يعيشون في زمان ومكان محددين علماً أن هذا لا ينطبق في كل القرآن إلا على الرسول الكريم ومعاصريه.

وعندما بحثت في سور القرآن لم أجد إلا سورة التوبة تنطبق عليها الصفات المطلوبة في إحكام الآيات كما ذكر فيها القتال.

وهكذا نكون قد أشرنا إلى الطريقة الأولى وهي طريقة الإشارة المباشرة.

أما الطريقة الأخرى فتكون عن طريق الرمز المستخدم بأسلوب مباشر، فنجد مثلاً: أن عدد سور القرآن كله هي (١١٤) سورة، نجد منها (١١٣) سورة تبدأ عادةً بالبسملة ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ إلا سورة واحدة هي سورة التوبة لا نجد في بدايتها هذه الآية، فهذا استثناء من الله بأسلوب رمزي يمكن استنتاجه عقلاً دون الحاجة لأن يقولها سبحانه بشكل مباشر لكل الناس. وهذا هو أسلوب الله في كل القرآن حيث يحب سبحانه التعرف على معاني الرحمن عن طريق تركيز التفكير وتدبر معانيه، دون أن تكون العقول مقفلة.

ثم يقول سبحانه مؤكداً أن الذي يتفكر ويتدبر القرآن هو وحده الذي سيعلم أن ليس في القرآن تناقض أو اختلاف في قوله تعالى في كتابه العظيم ﴿ألا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

والآن بعد إتمام الأسلوب المباشر للرحمن والذي كان على طريقتين، انتقل للأسلوب غير المباشر، وهذا يتم عن طريق العدد والإحصاء فيكون الرقم هو الرمز وحتى أوضح كلامي أقول: لقد استخدم سبحانه مثلاً كلمة شهر في القرآن العظيم اثنتي عشرة مرة فقط، وهذا أسلوب غير مباشر للقول بأن السنة عند الله إثنا عشر شهراً، وهذا ما قرره سبحانه بأسلوب مباشر في الآية الكريمة ﴿إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم﴾ ٣٦ ـ التوبة.

وكذلك إذا أحصينا عدد كلمات يوم في القرآن نجدها (٣٦٥) كلمة يوم، وهذا إن دل على شيء فإنما يرمز إلى أن عدد أيام السنة عند الله أيضاً (٣٦٥) يوماً وليس ٣٥٤ يوماً كما يظن المسلمين حتى هذا اليوم.

وعندما نجد سبحانه يقول ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ٨٧ ـ الحجر، وعند الرجوع إلى القرآن لنعلم ما هي المثاني، نجد أن الله تعالى لم يستخدم كلمة ثناء التي تعني الشكر في القرآن، بدليل أنها ليست من لغة قريش، بينما نجد مثاني أتت من جمع مثنى الموجودة في ثلاث آيات أخرى في القرآن، وعلى هذا الأساس لا نجد في كل القرآن سبع مثان بمعنى سبع أزواج، إلا لسبع آيات في أوائل سبع سور مكية متتالية وهي التي تسبقها عادة آية الحاء والميم في أولها.

وإذا أحصينا عدد أحرف الحاء في هذه السور السبعة نجدها ٦٤ في غافر + ٤٨ في فصلت + ٥٣ في الشورى + ٤٤ في الزخرف + ١٦ في الدخان + ٣١ في الجاثية + ٣٦ في الأحقاف فيكون مجموعها ٢٩٢ حاءاً. وإذا أحصينا عدد أحرف الميم في هذه السور السبعة نجدها ٣٨٠ في غافر + ٢٧٦ في فصلت + ٣٠٠ في الشورى + ٣٢٤ في الزخرف + ١٥٠ في الدخان + ٢٠٠ في الجاثية + ٢٢٥ في الأحقاف = ١٨٥٥ ميماً. ويكون مجموعهما ٢٩٢ + ١٨٥٥ = ٢١٤٧

وإذا قسمنا هذا الرقم من مجموع المثاني السبع في السور السبع على الرقم الذي التزم به الرحمن في كتابه وفي الكون كله يكون الناتج

٢١٤٧ ÷ ١٩ = ١١٣

فإلى ماذا يرمز الرقم ١١٣ في القرآن الكريم؟ إنه يرمز إلى (١١٣) سورة بدأها الله تعالى بالآية الأولى من سورة الفاتحة بسم الله الرحمن الرحيم، مستثنياً سورة واحدة من كل القرآن، وهي سورة التوبة، فهذا هو الأسلوب غير المباشر، والذي يحتاج إلى استنتاج من معلومات يمكن للمؤمن المتفكر أن يحصل عليها من كتاب الله، ليعلم دقة الله في الإحصاء لكلماته وأحرفه كما وعد بداية عندما قال ﴿وكل شيء أحصيناه في كتاب مبين﴾ ١٢ ـ يس. أو قوله تعالى ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ ٢٩ ـ النبأ. أو قوله تعالى ﴿وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ ٢٨ ـ الجن.

من خلال ما تقدم كله يكتشف المسلم العاقل الذي يقرأ القرآن العظيم قراءة تفقه وتدبر وتفكر، أن لسورة التوبة بالذات خصوصية شاء الله تعالى أن يلاحظها في المسلم، فلا يخلط هذه السورة المستثناة بأساليب عديدة من باقي سور القرآن المبين وآياته البينات. وحتى لا يظن أن في كتاب الله تناقض لاسمح الله.

لكن الباحث عن الحقائق وعن أسرار القرآن الكريم الهامة يختلف عن القارىء

المذكور بتركيزه على تساؤلات هامة وكثيرة، وبتخصيصه ما يكفي من الوقت للبحث والاستقصاء مع المنهجية في العمل، مما يمكنه من الوصول إلى نتائج مقنعة لم يتوصل إليها الذين سبقوه، منطلقاً من حقيقة مبدئية يؤمن بها وهي أن الله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً.

وعن إيمان يوازيه ويسير معه هو أن الله تعالى يعلم ما يمكن أن يطيقه عقل الإنسان فلا يعاجزه بأن ينزل إليه رسالة إنذار وتبشير لإنقاذه مما هو فيه من ظلم وظلام وضلال إلى عدل ونور وصراط مستقيم، رحمة به، ثم يجعلها مستحيلة الفهم والإدراك، وهو وحده القادر على تبسيطها حتى يفهمها كل إنسان في الأرض بحسب ما يحمل من قدرة عقلية وقدرة استيعاب إذا ما قورنت بقدرة الله الشاملة ذات الإحاطة الكاملة.

مع الأخذ بعين الاعتبار أن الله تعالى شاء أن لا يجعل معانيه متاحة ومباحة إلا للذين يتفكرون، وهم يوحدون الله ويوحدون المصدر، فلا يجعلون مع القرآن كتباً أخرى، سواء كانت كتب تفسير أو كتب تأويل أو كتاباً لشرح أسباب النزول، لأن تلك الكتب الظنية تصبح بمثابة غشاوة بين عين المسلم وكتاب الله الحقيقي، فتمنعه من رؤية حقائق الرحمن ونوره بشكل مباشر ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ ٧ ـ البقرة.

لنعد إلى سورة التوبة التي أشارت إليها آية من آيات تفصيل الكتاب في سورة محمد التي قرأناها في بداية موضوعنا هذا ﴿ويقول الذين آمنوا لولا أنزلت سورة فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت﴾ ٢٠ ـ محمد.

والمتفكر في آيات القرآن يلاحظ أن آيات الحكمة تتألف من آيات محكمات وأخرى متشابهات مع آيات تفصيل الكتاب كقوله تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله. والراسخون في العلم يقولون: آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾ ٧ ـ آل عمران.

إذاً باختصار يمكننا أن نقول أن القسم المتشابه الذي لا يعلم تأويله إلا الله هو للآيات العامة الموضوعة لكل المسلمين والموجودة في كلا القسمين المدني والمكي من القرآن،

بينما آيات الكتاب المكية لا يفهمها أحد من الناس إلا بعد أن يصل العصر إلى مستوى المرحلة العلمية القابلة لتأويلها علمياً فيكون قد كشف عنها بإذن الله فَتَعْلَمْ مثل آيات كثيرة جداً في القرآن ظهر تأويلها بعد تقدم العلوم في القرن العشرين، علماً بوجود آيات كثيرة أخرى ما تزال تنتظر تأويلها من الله عندما يأذن بها سبحانه ﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ ٨٨ ـ ص.

ويحوي المتشابه كما قلنا كل الآيات العامة في الدين والذي له علاقة مباشرة بعقيدة الناس والتي فيها أوامر، افعل ولا تفعل، وفيها بنود الصراط المستقيم العشرة وشروط الإيمان والعبادات وأحكام المعاملات داخل المجتمع المؤمن، من تجارة وصناعة وزراعة، مع شرح لكل أصول المعاملات والعلاقات الاجتماعية من زواج أو طلاق أو بيع وشراء وآجار واستئجار ومداينة وميراث وما فيها من حلال وحرام.

بينما سورة التوبة نلاحظ فيها آيات لها علاقة مباشرة بالمؤمنين في عصر الرسول بالذات. ويذكر فيها الرحمن آيات للقتال يفضح بها المنافقين، كاشفاً أعذارهم الواهية لتخلفهم عن القتال في سبيل الله، أو عن الجهاد في سبيل الله على حد سواء.

أولاً نلاحظ قول الله تعالى ﴿يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزءوا إن الله مخرجٌ ما تحذرون﴾ ٦٤ ـ التوبة.

ونجد في السورة بعد ذلك ثلاثة إشارات في ثلاث آيات واضحة لا نجد غيرها في كل القرآن تقول المرة الأولى: ﴿وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون﴾ ٨٦ ـ ٨٧ ـ التوبة.

والمرة الثانية تقول ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً فأما الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون * وأما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجساً إلى رجسهم وماتوا وهم كافرون * أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون﴾ ١٢٤ ـ ١٢٦ ـ التوبة.

والمرة الثالثة تقول ﴿وإذا ما أنزلت سورة نظر بعضهم إلى بعض هل يراكم من أحدٍ ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون﴾ ١٢٧ ـ التوبة.

وكل تلك الآيات هي شهادات من الله تعالى بأن هذه السورة لها خاصية غير موجودة في باقي سور القرآن الكريم الأخرى، الموجهة لكل المسلمين في كل زمان

ومكان. بينما هذه السورة بالذات فيها ذكرٌ للرسول وذكرٌ للصحابة وذكرٌ للأعراب من الذين كانوا حول المدينة، وذكرٌ حتى للثلاثة الذين تخلفوا عن المسير مع الرسول الكريم في ساعة العسرة، وذكرٌ للبكائين الذين أتوا الرسول وأعينهم تفيض بالدمع وليس معهم ما يكفي لتجهيز أنفسهم للخروج معهم، وذكرٌ للذين يؤذون النبي بألسنتهم وذكرٌ لما كان في قلوب المنافقين وماذا كانوا يقولون.

كل هذه الأمور يمكن ملاحظتها بشكل مباشر في سورة التوبة والقرآن الكريم يخبرنا سلفاً أن الله تعالى قد أنزل ذكر الرسول وصحابته في خطاب مباشر عندما قال ﴿لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم أفلا تعقلون﴾ ١٠ ـ الأنبياء.

ولكلمة ذكر هنا نفس معنى كلمة ذكر في الآيات التالية ﴿فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تتفكرون﴾ ١٥٢ ـ البقرة. أو قوله تعالى ﴿فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم﴾ ١٩٨ ـ البقرة. أي بالتكبير والتلبية.

وعند دراسة سورة التوبة نجد فيها أشياء خاصة كثيرة لا توجد في باقي سور القرآن الكريم، ومن هذه المواضيع بحسب ترتيب تسلسل القرآن نجد الأمور التالية:

أولاً من ميزات هذه السورة أنها خطاب مباشر من الله تعالى منطوقة بلسان رسوله الأمين في بلاغ هام موجه للناس الأحياء من معاصري الرسول الأمين، كذلك ميزة وجود عبارة (الله ورسوله) تسعة عشر مرة وذكر الرسول ٣٣ مرة في نص السورة، والبيان الإلهي المباشر يعلن براءة الله ورسوله من عهود المشركين الذين خالفوه العهد وخرقوه، ويعطيهم هدنة أربعة أشهر تبدأ بعد نهاية موسم الحج مباشرة.

والأشهر التي منحها سبحانه هي نفس الأشهر التي كان العرب قد تعارفوا على تحريمها قبل الإسلام، وربما من أيام إبراهيم عليه السلام فكان يحرم فيها الغزو وصيد البر لتصادف هذه الأشهر عادة في موسم الربيع مع ولادة الحيوانات البرية ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾ إلى قوله تعالى ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين﴾ ثم إلى قوله تعالى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم﴾ ٥ ـ التوبة.

وكما تلاحظون من سياق الآيات فقد أتت كلها بلغة عربية مفهومة جداً ومبينة

بالتفصيل لم يترك سبحانه فيها ثغرات. فيذكر مثلاً حالة استجارة أحد المشركين بحسب أعراف الاستجارة بالرسول الكريم ماذا يمكن أن يفعل وكيف يتصرف الرسول فيقول له ﴿وإن أحدٌ من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله ثم أبلغه مأمنه ذلك بأنهم قوم لا يعلمون﴾ ٦ـ التوبة.

ولن أحاول أن أشرح كلام الله لأن بيانه الإلهي فوق كل شرح ممكن قطعاً.

بعدها يقول سبحانه ﴿كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم إن الله يحب المتقين﴾ وبعدها يبين سبحانه أشكال الاستقامة ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون* وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون﴾ ١٢ ـ التوبة.

وكما تلاحظون من نص الآية لم يكن سبب القتال لكفرهم أو لاشراكهم بل السبب أنهم كانوا يطعنون في الدين ويظهرون العداء المباشر له.

المواضيع الأخرى الهامة في سورة التوبة:

أ ـ موضوع عمارة المساجد:

﴿وما كان للمشركين أن يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم وفي النار هم خالدون * إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآمر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أن يكونوا من المهتدين*﴾ ١٧ ـ ١٨ ـ التوبة.

هذه الآيات والتي بعدها، تبين حالة خاصة نشأت بعد فتح مكة: إذ كان المشركون هم القائمين على خدمة وإدارة وعمارة المسجد الحرام، فيبين سبحانه المبدأ والقاعدة في الإسلام، وأن المساجد لا يمكن أن توكل إدارتها إلا للمؤمنين، أما المشركون فقد انتهى وقتهم بعد نصر الله وفتح مكة، يجب إعادة عمارة المساجد وخدمتها للمؤمنين.

لذلك نجد الله سبحانه وتعالى يبين تلك الأمور عند قوله في كتابه المبين ﴿اجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدي القوم الظالمين * الذين آمنوا

وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون﴾ ١٩ ـ ٢٠ ـ التوبة.

نستدل من سياق الآيتين وجود خلاف بين القرشيين بعد فتح مكة ودخول الفئة التي كانت مشركة إلى الإسلام استسلاماً، فأحبوا أن يتصدروا في المراتب بين الصحابة، مدعين كما يبدو من الآيات نفسها أنهم وإن كانوا من المشركين لكنهم كانوا يقومون، بخدمة وإدارة المسجد الحرام خلال تلك الفترة كلها (قبل فتح مكة)، فيبين سبحانه الموضوع وينهيه لصالح المؤمنين السابقين بالإيمان، فهم أعظم درجة عند الله ويشهد لهم بأنهم الفائزون. كما يبين سبحانه صفةً خاصة يمكن أن نعرف بها المؤمنين الحقيقيين بشهادة من الله تعالى وهي ﴿ولم يخش إلا الله﴾ بمعنى أن الذي يدير المسجد وهو يخشى الطاغوت أكثر من خشيته الله، فهو يدير مسجد الطاغوت ولا يدير مسجد الله تعالى.

وليسأل المسلم نفسه اليوم مَنْ مِنَ المسلمين اليوم يخشى الله تعالى أكثر من خشيته للسلطان المتمثل بالسلطة في بلده الإسلامي؟.

ب ـ موضوع حب الرسول الكريم بأمر من الله:

إن الله سبحانه وتعالى تجنب أن يذكر حب الرسول في القرآن إلا في آية واحدة أتت في سورة التوبة التي استثناها سبحانه من كل القرآن (كما بينت الأسباب الموجبة مبيناً أن سورة التوبة كلها بيان وخطاب إلهي موجه لأحياء في مكان وزمان محددين هما عصر الرسول في أواخر حياته) وتجنب سبحانه أي ذكرٍ أو أمرٍ لحب الرسول إلا ما كان موجهاً لهؤلاء الأحياء الذين عاشوا مع نبي الله ورسوله وعلموا حقيقته الإنسانية ولمسوا حبه وكرم أخلاقه، أما في باقي سور القرآن الموجهة إلى يوم الدين للمسلمين وللناس أجمعين فلم يطلب سبحانه حب الرسول لعلم الله تعالى أن الحب الغيبي وهو الحب الموجه إلى إله أو مخلوق غائب عن حواس الإنسان، هذا الحب إذا تعاظم يتحول إلى تأليه المحبوب مع جعله معصوماً بذاته. ولا عيب في محبة الله في الغيب لأنه إله حقيقي ولا عيب في زيادة تأليه الله. لكن العيب يكون في محبة إنسان غائب، فتأليهه يستولي على قلب الإنسان ويجعله شريكاً لله في الحب الغيبي، وهذا إشراك خفي لكنه حقيقي ومرفوض عند الله. لكن حب الله وخشيته إنما يتمان بالغيب فقط فقال سبحانه مبيناً ذلك ﴿إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرة وأجر كبير﴾ ١٢ ـ الملك.

أما حب الرسول الغائب فلا يجوز إطلاقاً أن يتجاوز حبنا لأجدادنا الغائبين عنا، حتى لا نجعل منه نداً لله نحبه كحبنا لله، وهذا ما نبه إليه سبحانه في آيات كثيرة، خوفاً من وقوع المسلمين فيه، لأن الذين سبقونا كلهم سقطوا في ذلك قبلنا وأشركوا بالله من غير علم بدليل أنهم سيقولون عندما يواجههم ربهم بحقيقة إشراكهم يوم القيامة ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ٢٣ - الأنعام. ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ ١٦٥ - البقرة.

إن حب المؤمن لرسول الله شيء طبيعي وبدهي، فالمؤمن لم يصله الإسلام والقرآن إلا عن طريق لسان الرسول الذي بلغ ما أنزل إليه بأمانة تامة شهد له الله عندما قال ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ٣ - المائدة.

لكن الله سبحانه يعلم بأن كل الأديان التي سبقتنا انحرفت إلى الإشراك بالله غالباً بالغلو في حب الرسول إلى حد رفعه فوق مستوى البشر وإعطائه صفات إلهية خاصة، نجدها بالعشرات في صحيح البخاري ومسلم. ولا نجد في القرآن إلا آية وحيدة وجهها سبحانه للمهاجرين والأنصار من أصحابه الذين أحبوه وعاشوا معه وعاشروه، وكان الرسول خلالها معلمهم وقائدهم وإمامهم وقاضيهم والمجيب على تساؤلاتهم بوحي من السماء. كانوا معه في أوقات السلم وفي أوقات الشدة، فمن الطبيعي أن يحبوه حباً عظيماً، ولكنهم لم يسقطوا في خطيئة تأليهه لأنه كان موجوداً معهم ولا يصل الإنسان إلى مرحلة التأليه لمحبوبه إلا بعد غيابه، وهنا خطر الحب إذا زاد عن حده.

فالآية الوحيدة الموجهة للمؤمنين في سورة التوبة تقول ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٢٤ - التوبة.

والدليل على أن الله تعالى يخاطب الذين عاصروا الرسول وعاشوا معه من صحابته قوله تعالى بعدها مباشرة وبخطاب مباشر ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً وضاقت عليكم الأرض بما رحبت ثم

وليتم مدبرين﴾ ٢٥ ـ التوبة. وليس بين المسلمين اليوم من يمكن أن يوجه له هذا الخطاب أبداً!.

لأنه ببساطة لم يكن في غزوة حنين ولم يكن أحد الذين ظنوا بأن كثرة عددهم سوف تكون سبباً لنصرهم، وكما لم يشعر معهم شعورهم بضيق الأرض لأنه لم يعش الحرج الذي كانوا فيه، وهم قد أداروا ظهورهم وتركوا رسولهم خلفهم وولوا مدبرين لا يلوون على شيء. فقط الذين فعلوا ذلك فعلاً، هم الذين يمكن لله أن يخاطبهم بذلك الخطاب الإلهي المباشر وهؤلاء أيضاً هم من طلب منهم سبحانه أن يحبوا الرسول الكريم بشكل مباشر وخاص جداً.

أما الذين أتوا من بعد ذلك مثلنا فيطلب الله منا اتباع القرآن الذي أتى به محمد عليها الصلاة والسلام وهو اتباع لما بلغ الرسول من وحي الله، وفضل الرسول الأمين واضح لأن القرآن لم يكن ليصلنا بحسب سنة الله إلا عن طريق رسول من الإنس يوحي له الله.

هذا ما نفهمه من قول الله تعالى في كتابه المبين ﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله﴾ ٣١ ـ آل عمران. والمؤمن الحقيقي هو الذي يكون حبه لله فوق كل محبة أخرى ﴿ومن الناس من يتخذ من دون الله أنداداً يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حباً لله﴾ ١٦٥ ـ البقرة.

هذا ما يجده المؤمن في كتاب الله في كل سور القرآن إلا في سورة التوبة، التي استثناها الرحمن وجعلها خطاباً وبياناً من الله تعالى لرسوله وصحابته الذين عاشوا معه نور الإسلام الأول. وبما أن الرسول وصحابته قد ماتوا، فإن السورة الخاصة التي كانت تخاطبهم قد انتهى مفعولها المباشر، والمسلم المؤمن عليه اتباع باقي سور القرآن التي عددها (١١٣) سورة وما ورد فيها من أوامر، أما سورة التوبة فعلينا تلاوتها ونحن نعلم أنها سورة قد خاطب بها سبحانه الرسول وصحبه مصححاً بها خطواتهم، حتى نتعظ بما حصل معهم من أخطاء، فلا نقع فيها نحن المسلمين اليوم إنشاء الله.

فأين هي الآية التي تجعل من حب الرسول الكريم شرطاً من شروط الإيمان في كل آيات القرآن؟. إنه لا وجود لها. بينما إذا فتحنا مثلاً كتاب الإمام مسلم وصحيحه، نجد تحت باب خاص يجعل حب الرسول شرطاً أساسياً من شروط الإيمان.

لنقرأ مثلاً الحديث رقم (٧٠) من ذلك الباب فنجد بعد ذكر السند كله موصولاً بأنس بن مالك قال: قال رسول الله، «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده (وماله) والناس أجمعين».

كيف تريدون أن يصدق عاقلٌ بصحة هذا الحديث لمجرد أن بعض الناس قرروا أو قد شهدوا أو قد أجمعوا على صدقه أو صدَّق رواته من السند؟.

الأساس هو المتن. فمتن الحديث يناقض ما بلغ الرسول من آيات الوحي ا لبينات التي تشهد بعكس هذا الحديث تماماً. هل هذه الحقيقة صعبة الإدراك عقلاً؟

إن الحب عاطفة واتباع العاطفة هو من اتباع الهوى هذه حقيقة أيضاً. كما أن اتباع الحديث والأحاديث لاختلافها العظيم يؤدي بالمسلمين إلى اختلاف دائم، بين القرآن الذي لا خلاف عليه ولا اختلاف فيه إن تمسكنا به وحده أدَّى إلى وحدة صف المؤمنين. وهل هذه الحقيقة صعبة الإدراك بالعقل أيضاً؟

ج ـ موضوع النسيء:

﴿إنما النسيُء زيادةٌ في الكفر يُضِلُّ به الذين كفروا يحلّونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرَّم الله فيحلوا ما حرَّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ ٣٧ ـ التوبة.

أولاً: يجب أن نعلم ما هو النسيء: النسيء لغة هو ما يأتي متأخراً، ومن خلال دراستي لتقاويم العالم كله في دراسة وبحث طويلين، علمت أن أغلب أمم الأرض، كانت ومازالت تطبق النسيء الذي يعتبر شهراً يأتي متأخراً بعد كل (٣٢) شهراً قمرياً، من أجل تعديل السنة القمرية فتجعلها تنطبق على السنة الشمسية الموسمية بشكل دائم ومستمر مع التقويم. علماً أن التقويم الذي لا ينطبق على السنة الموسمية لا يمكن الانتفاع منه من قبل الناس، الذين كلفوا منذ عهد استخلاف آدم إعمار الأرض بالأعمال الصالحة، هذا وقد بينت كل هذه الأمور في كتاب كامل إسمه، (ما هو الشهر النسيء)(*) فارجو العودة إليه حتى لا أطيل الشرح في موضوع كبير ومتشعب.

ولكن ما أرجوه من القارىء أن يقرأ الآية مباشرة بدون العودة لكتب التفسير التي مع

(*) ما هو النسيء ـ تقاويم العالم والتقويم العربي الإسلامي ـ نيازي عز الدين ـ دار الأهالي، ١٩٩٩.

الأسف لا تعلم ما هو النسيء ولا ما هي الأشهر الحرم الأربعة، التي حرم فيها سبحانه صيد البّرِ للحفاظ عليها من الانقراض لأنها تتوالد في تلك الأشهر الأربعة وتعتني فيها بصغارها. وهي تصادف إن كانت السنة موسمية بوجود النسيء فيها دائماً في موسم الربيع والأشهر هي: محرم - صفر - ربيع أول - وربيع ثاني.

والآية واضحة تقول أن الزيادة في الكفر ليس للنسيء بذاته إنما يقع الكفر في تحليل الأشهر الحرم عندما يأتي النسيء فيها ثم تحريمه فقط في الأعوام التي لا يقع النسيء ضمن أشهر الحُرم الأربعة وفي آخرها بالتحديد، فيصر سبحانه على وجوب تحريم الأشهر الحرم سواء وقع فيها النسيء أم لم يقع، أما مواطأة ما حرَّم الله بقول شيء لم يقل به فهو المحرم وهذا هو ما زين للكافرين أن يتبعوه إضلالاً للناس عن الحق.

د - موضوع صفات المنافقين:

إن الله تعالى قد حجب الغيب عن كل خلقه لأسباب لم يبينها لأحد، وحتى يبين لنبيه الإنسان الذي لا يعلم ما في قلوب الناس عن أتباعه الذين يدّعون الإيمان، أعطى سبحانه في سورة التوبة علامات ليسترشد بها رسوله ويعرف بها المنافقين، حتى يوحد صفوفه فلا يجعل بينهم منافقاً قد أظهرته صفاته.

فما هي تلك الصفات؟

أول صفة ظاهرية للمنافق أسلوب صلاته ﴿ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا هم كارهون﴾ ٥٤ - التوبة.

صفتان متلازمتان مع المنافقين إن قاموا إلى الصلاة، قاموا وعلائم الكسل بادية عليهم. وإذا دفعوا الزكاة لم يدفعوها إلا وهم كارهون لها. والصفة الثالثة من الصفات الظاهرية للمنافق أنه إذا دعي إلى قتال أو جهاد في سبيل الله استأذن، لذلك يقول تعالى ﴿لا يستأذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم والله عليم بالمتقين﴾ ٤٤ - التوبة.

بينما يقول سبحانه عن المنافقين ﴿إنما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم في ريبهم يترددون﴾ ٤٥ - التوبة.

ولو أراد المؤمن الخروج لأعد له عدته بينما المنافق لا يستعد لذلك أبداً حسب قوله

تعالى ﴿ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عدَّةً ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين﴾ ٤٦ ـ التوبة. ويعمل المؤمن لوجه الله تعالى، بينما يعمل المنافق للطاغوت، أي للسلطة الحاكمة أو السلطة التي يتبعها حزباً كان أو مؤسسة ﴿لو خرجوا فيكم ما زادوكم إلا خبالاً ولأوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين﴾ ٤٧ ـ التوبة.

إن بعض الكلمات في الآية السابقة قد تصعب على بعض الناس، والمعنى العام للآية هو في قولنا: لو أن المنافقين خرجوا فيكم لم يزيدوكم قوة بل زادوكم تفرقاً، وحاولوا زرع الفتنة بين صفوفكم، وهم جواسيس ينقلون ما يسمعون لرؤسائهم، وهكذا نفهم أن الله تعالى يشرح لرسوله أموراً هامة يجب أن يعلمها قائد المسلمين ثم يخبرنا سبحانه عن حادثة بالذات لا نعلمها ويعلمها الرسول المخاطب في الآية التي تقول ﴿لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الأمور حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ ٤٨ ـ التوبة.

ومن إحدى صفاتهم الآية التالية ﴿إن تصبك حسنة تسوؤهم وإن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون﴾ ٥٠ ـ التوبة.

والمقصود بالمصيبة هي مصيبة الموت، ومعنى قولهم قد أخذنا أمرنا، أي لقد اتخذنا حذرنا فلم نقبل أصلاً بالخروج معكم حتى لا نموت.

بعدها يقول سبحانه وهو يخاطب المنافقين ﴿قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون * قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربصوا إنا معكم متربصون * قل انفقوا طوعاً أو كرهاً لن يتقبل منكم إنكم كنتم قوماً فاسقين * وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون﴾ ٥٤ ـ التوبة.

بعدها يأمر سبحانه رسوله أن لا تعجبه أموالهم ولا أولادهم، وما يزال الخطاب للأحياء ﴿فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون * ويحلفون بالله أنهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يَفْرَقون * لو يجدون ملجأً أو مغارات أو مدخلاً لولوا إليه وهم يجمحون * ومنهم من يلمزك في الصدقات فإن أعطوا منها رضوا وإن لم يعطو منها إذا هم

يسخطون﴾ ٥٨ ـ التوبة.

هذه هي الآيات التي تكشف أحوال المنافقين للرسول الكريم حتى يميز الله تعالى الخبيث من الطيب فينظف الرسول صفوفه منهم ويتجنبهم.

وبعدها ينتقل سبحانه إلى قول فيه أذى للرسول بشكل مباشر من قبل المنافقين، الذين كانوا يقولون على سبيل الاستهزاء (ما محمد إلا مجرد أذن) وهم يقصدون أن الرسول مجرد أذن تسمع الوحي، وهو بالتالي لا رأي له ولا أمر ولا فكر مجرد أذن تسمع الوحي وتبلغ ما سمعت، فيجيب الله عنه ﴿ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذنٌ. قل أذنُ خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمةٌ للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم*﴾ ٦١ ـ التوبة. وبعدها يقول سبحانه مكملاً أوصافهم ﴿يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ ٦٢ ـ التوبة. وتحتاج الآية السابقة إلى بعض الشرح لأن المعنى قد يغيب عن البعض، وهي تعني أن الرسول الكريم له صفتان صفته الشخصية كإنسان وصفته كرسول الله. فالمنافقون يحاولون إقناع محمد الإنسان الذي قد يرتاح لبعضهم ويظن أنه صادقون من كثرة ما يحلفون، لكن الصفة الرسولية المتبعة للقرآن ترفض حججهم وأيمانهم، ومن ثم يعلم أنهم منافقون وبعدها يقرر سبحانه أن المنافقين كانوا يخشون من نزول هذه السورة الإعلامية البيانية التي تكشف كل خباياهم للمؤمنين فيقول سبحانه ﴿يحذر المنافقون أن تُنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزئوا إن الله مخرج ما تحذرون * ولئن سألتهم ليقولن إنما كنا نخوض ونلعب. قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون * لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم إن نعف عن طائفة منكم نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين * المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله فنسيهم إن المنافقين هم الفاسقون * وعد الله المنافقين والمنافقات والكفار نار جهنم خالدين فيها هم حسبهم ولعنهم الله ولهم عذاب مقيم﴾ ٦٨ ـ التوبة.

بعدها يبين سبحانه أن صفة النفاق وصفة الكفر وصفة الإيمان وصفة الإشراك، كلها حالات وردت في كل الرسالات السابقة، ولذلك على الرسول وصحابته أن يتوقعوا وجود كل هؤلاء بينهم، لأن ذلك هو الطبيعي وهي سنة الله في خلقه، إلا إذا خلقهم سبحانه مؤمنين جميعاً بالقوة مثل خلقه للملائكة. ﴿كالذين من قبلكم كانوا أشد

منكم قوة وأكثر أموالاً وأولاداً فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وأولئك هم الخاسرون﴾ ٦٩ ـ التوبة. (الخلاق: هي كل ما يملك الإنسان وله حق الاستمتاع بها) يبين الله تعالى للمشركين والمنافقين في عصر الرسول الكريم ويقول لهم إن الذين سبقوكم كانوا أحسن حالاً وأموالاً وأولاداً وقد استمتعوا بما ملكوا كما استمتعتم أنتم وقد سبقوكم بالكفر والإشراك والنفاق وها أنتم ضالون مثلهم، هم حبطت أعمالهم وذهب ذكرهم وفعلهم واندثرت حضارتهم وأنتم على سبيلهم من الخاسرين، وهكذا تتابع آيات المنافقين من الذين تخلفوا عن الخروج للجهاد في سبيل الله مع الرسول، وتبين دقائق الأمور وتطلب من الرسول ما عليه أن يفعل وما عليه الامتناع عنه امتثالاً لأمر الله العزيز الحكيم * كقوله تعالى ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرةً فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٨٠ ـ التوبة. أو قوله سبحانه لرسوله بشكل أمر واجب التنفيذ ﴿لا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون * ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون﴾ ٨٤ ـ ٨٥ ـ التوبة.

بيان خصوصية الآيات في سورة التوبة:

عندما يقول سبحانه في الآية ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنين﴾ ١٠٥ ـ التوبة، فإن العمل المطلوب من الناس ليس العبادات وإنما الأعمال التي يقوم بها الإنسان خدمة للناس في كل المجتمع، مهما كان ذلك العمل، طالما هو مطلوب من الناس فهو خير إن كان لصلاحهم ومنفعتهم في الدنيا والآخرة ويكون عملاً فاسداً إن كان فيه ضرر لهم في الدنيا والآخرة.

وقول الله تعالى في هذا الخطاب الإلهي الذي يخاطب فيه لأول مرة الأحياء بشكل مباشر، والكلام موجه بشكل شخصي لكل فرد منهم في هذه السورة الخاصة كلها.

فعندما يقول سبحانه لهم فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون يعني أن الله تعالى سوف يراه فعلاً، لأنه حي قيوم موجود في كل زمان ومكان. ومعناه أيضاً أن رسوله سوف يرى أعمالهم، هنا يجب أن نعلم أن هذه الرؤيا محددة بزمن هي فترة

بقاء الرسول الكريم حياً يرزق بينهم فقط. أما إذا توفاه الله، فعندها تنتهي رؤيته، والرؤية هي الشهادة بالعين والسمع بالأذن وهذا يتوقفان بعد الموت مباشرة عن كل مخلوق كما قال على لسان عيسى ﴿ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربُكم وكنتُ عليهم شهيداً ما دمتُ فيهم فلما توفيتني كنتَ أنت الرقيبُ عليهم وأنت على كل شيء شهيد﴾ ١١٧ ـ المائدة. أي أن الشهادة توقفت عن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بعد وفاته وعادت الشهادة لله وحده لأنه حي لا يموت. والأمر نفسه في الآية التالية التي وردت في سورة التوبة قبلها حيث يقولون فيها سبحانه ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون﴾ ٩٤ ـ التوبة.

وحسب هذه الآية ما يزال الخطاب في السورة مباشراً للأحياء من المؤمنين في عصر الرسول الكريم أثناء بقاء الرسول حياً يرزق بينهم يقودهم في الغزوات ويؤمهم في الصلوات ويقضي بينهم ويحضر أفراحهم وأتراحهم ويرى كل أحوالهم وأعمالهم، فيقول تعالى لهم أن رسوله سوف يرى عملكم لأنه حي يرزق بينكم، ولكن بعد وفاة الرسول الكريم سوف تتوقف الرؤية عنه كما ستتوقف الشهادة معها تماماً وتبقى الشهادة لله تعالى وحده.

هـ ـ موضوع بناء مساجد للفتنة والضلال والضرر للمسلمين:

﴿والذين اتخذوا مسجداً ضراراً وكفراً وتفريقاً بين المؤمنين وإرصاداً لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون * لا تقم فيه أبداً لمسجدُ أسّسَ على التقوى من أول يوم أحقُ أن تقوم فيه، فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين * أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوانٍ خيرُ أم من أسس بنيانه على شفا حرفٍ هارٍ فانهارَ به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ١٠٩ ـ التوبة.

زمن الكلام في هذه الآية هو في عهد الرسول مباشرة، ولم يكن عند المسلمين وقتها مسجداً أسسه غير الرسول، إذا استثنينا المسجد الحرام الذي بناه بداية إبراهيم عليه السلام، ثم أعاد الرسول فتحه بعد فتح مكة كما كان على طهارته الأولى، ولكننا نجد اليوم ملايين المساجد عند المسلمين، وكلها تدعوا لمئات المذاهب والطرق والنحل، وليس فيها مسجد واحد يدعو للرحمن وحده مستثنياً الطاغوت. وعلى هذا

الأساس يمكن أن نفهم أن كل المساجد لابد من تطهيرها من جديد وإقامتها على مبادىء القرآن، وفهم التوحيد الحقيقي لله، أما أن نبني مسجداً وندعي أننا نحن الفرقة الناجية وغيرنا كلهم من الفرق الضالة فلن نكون إلا أن زدناهم فريقاً جديداً ولم نصلح من الأمر شيئاً.

فالعملية قبل بناء المساجد تحتاج إلى إعادة نظر في كل ما مع المسلمين، من قبل المفكرين الإسلاميين الدارسين للقرآن الكريم، وإلا فإننا لن نستفيد شيئاً، ولن تتغير أوضاع المسلمين بالدعاء والابتهال تمنياً على الله من غير عمل يلازمه. ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

و ـ موضوع خطأ الرسول الذي استحق بموجبه التوبة فتاب الله عليه:

﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعدما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ ١١٣ ـ التوبة.

وغضب الله واضح من الأساس في موضوع الاستغفار عندما نقرأ ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ٨٠ ـ التوبة.

لذلك نجد بعدها آية قبول التوبة من الله تعالى تقرر وتقول ﴿لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة﴾ ١١٧ ـ التوبة.

وكان ذلك جواباً من الله للآية السابقة ﴿ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم﴾ ١١٣ ـ التوبة.

أما الموضوع الآخر الذي يقول عنه سبحانه ﴿عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين﴾ ٤٣ ـ التوبة.

فهنا لم يعتبر تعالى إذن الرسول لبعض المنافقين من الذين اعتذروا عن الخروج إلى الجهاد مع الرسول في غزوة تبوك خطأً كبيراً يستحق الاستتابة فقال سبحانه غفر الله لك، ولكن عاتبه ربه وقال (لم أذنت لهم) وهناك موضوع نجده في أحاديث كثيرة تروي أن الرسول الكريم قد صلى على أحد المنافقين وهو زعيمهم (أُبَيّ بن سبأ) مما كان سبباً لنزول الآية.

فلو أن الرسول الكريم صلى عليه وهو يعلم أنه منافق منذ البداية لما سكت عنه ربه، بل لعاتبه لأنه عاتبه عندما عبس في وجه الأعمى، وعاتبه على مسألة شخصية جداً حصلت في بيته من كيد بعض نسائه، فحرم رسول الله على نفسه وليس على الناس شرب ماء العسل مصدقاً زوجاته، فأنزل سبحانه سورة كاملة عن التحريم والتحليل مبيناً أن ذلك أمر خطير ليس لأي رسول مهما كان شأنه أن يتدخل في الحرام والحلال، لأن ذلك يقع ضمن حدود الله وحده لا شريك له فقال لرسوله الكريم ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك﴾ ١ ـ التحريم.

لذلك ولكل ما تقدم يتبين لنا أنه على فرض أن الرسول قد صلى على زعيم المنافقين وهو يعلم بأنه منافق لما سكت عنه ربه، بل لاستجابت توبةً أخرى، ولكن الله تعالى لم يذكر شيئاً عن الموضوع بدليل أن رسوله لم يصل على أحد منهم، ولكن الله تعالى نبهه حتى لا يفعل هو أو غيره من صحابته ﴿ولا تصل على أحد منهم مات أبداً ولا تقم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون﴾ ٨٤ ـ التوبة.

بعد ذلك يحدثنا سبحانه عن حادثة بعينها فيتوب عن ثلاثة كان الصحابة يعلمون بأنهم قد تخلفوا عن الغزوة من غير عذر مقبول فتابوا إلى الله واستغفروه كثيراً حتى تاب عليهم سبحانه، بعد أن ضاقت الأرض عليهم، لعلمهم أن الله تعالى قد غضب عليهم ﴿وعلى الثلاثة الذين خُلّفوا حتى ضاقت عليهم الأرض بما رحبت وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ثم تاب عليهم ليتوبوا إن الله هو التواب الرحيم﴾ ١١٨ ـ التوبة.

ويلاحظ في الآية السابقة إن الله تعالى استخدم كلمة ظنوا، مع أن المقصود بها علموا يقيناً، وهذا يدل أن الكلمة بحد ذاتها ليست هي التي تقرر المعنى بل الذي يقرر المعنى هو سياق الآية نفسها والمعنى العام المقصود من العبارة الإلهية. لذلك استخدم سبحانه كلمات كثيرة في القرآن الكريم لها معاني مختلفة تماماً حتى ينتبه القارىء للمعنى المراد منها أولاً وليس للكلمة بحد ذاتها.

وأخيراً يختم الله سبحانه وتعالى خطابه وبيانه الإلهي العظيم الذي استمعتم إليه في سورة كاملة موجهاً الخطاب بشكل أساسي للرسول الكريم وللمؤمنين من الصحابة، مهاجرين وأنصاراً بعبارة جميلة وآيات رائعة تبين حقيقة رسوله الأمين ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾

ومعزياً رسوله الكريم بعبارة أخرى وآية قرآنية كانت ختاماً لهذا البيان الرائع الذي وجهه سبحانه لأول مرة في تاريخ المسلمين بشكل مباشر، وتحدث إلى رسوله وللمؤمنين ومعاصريهم أصدقاء كانوا أم أعداء من أهل المدن كانوا أو من أعراب الصحراء.

﴿فإن تولوا فقل حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم﴾ ١٢٩ ـ التوبة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

خصوصية السبع المثاني في القرآن الكريم

لا يمكن لعاقل أن يصدق بأن الله سبحانه وتعالى يقصد في كل الأسماء والرموز التي استخدمها في القرآن الكريم تعجيز الإنسان، لكن الأقرب للتصديق أنه يخاطب ذوي العقول والألباب، عالماً أن الإنسان قادر وحده على التعرف على تلك الأسماء والرموز إذا استخدم عقله وترك أقاويل الأولين التي كانت وما تزال تعمل كحجاب حاجز أمام الحقيقة التي لا يمكن التوصل إليها إلا لمن استطاع التخلص من عوالق الأقدمين وتأثير أقوالهم الظنية في الدين وفي العقائد الإنسانية كلها.

وإذا تفقد المسلم العاقل كتاب الله وحده باحثاً عن السبع المثاني التي يتحدث عنها سبحانه في الآية الكريمة ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ٨٧ ـ الحجر، لابد أن يبحث أولاً من خلال كلمات القرآن الكريم بالذات:

ثاني ـ اثنين ﴿إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾ ٤٠ ـ التوبة.

إثنان: ﴿إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان ذوا عدل منكم﴾ ١٠٦ ـ المائدة.

إثنين: ﴿ثمانية أزواج من الضأن إثنين ومن المعز إثنين﴾ ١٤٣ ـ الأنعام.

إثنتين: ﴿فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك﴾ ١١ ـ النساء.

﴿قالوا ربما امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين﴾ ١١ ـ غافر.

مثنى: ﴿فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع﴾ ٣ ـ النساء.

مثاني: ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني﴾ ٢٣ ـ الزمر.

من خلال تفقد معاني مفردات ثاني ـ إثنان ـ مثنى ـ مثاني.

يتبين لنا أنها دائماً ترمز إلى شيئين متميزين يترافقان، مثل شخصين أو مخلوقين أو حرفين مثل (الحاء والميم) و(الياء والسين) و(الطاء والهاء). وهذه مثاني مختلفة.

كما أنه عندنا في القرآن أيضاً سبع مثاني تأتي مترافقات ومتشابهات وهي (الحاء والميم) في سبع سور مكية، تأتي مباشرة بعد سورة الزمر، التي تعلمنا بآية منها، عن تلك المثاني السبعة في الآية الكريمة ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي

به من يشاء ومن يضلل فماله من هاد﴾ ٢٣ ـ الزمر.

وتلك المثاني وذلك الكتاب المكون من مثاني (الحاء والميم) في أولها هي السور السبعة المكية المتتالية. إذ ليس في القرآن ما يمكن أن يطلق عليها السبع المثاني بحسب ما فهمنا المثنى من كتاب الله إلا السور السبع التالية وهي:

غافر ـ فصلت ـ الشورى ـ الزخرف ـ الدخان ـ الجاثية ـ الأحقاف، وكلها تبدأ بحرفين متتاليين وهما الحاء والميم ـ حم ـ وكما قلنا ليس من بينها سورة مدنية واحدة.

وهذه السور السبعة، اعتبرها سبحانه أحسن الحديث، لأنها باختصار تحوي ملخص غيب الله، بحيث إذا فهم المسلم تلك السور السبعة فهم قصة الإنسان وتاريخه على الأرض، وعلم اتجاه ومنحى ذلك التاريخ وإلى أين يقصد الرحمن أن ينتهي به. نعم بحسب القرآن نستطيع أن ندرك إرادة الله الساعية للانتهاء بأمة واحدة متحدة بالعقل على الخير والسلم والإخاء في العالم كله.

لقد بدأ التاريخ بأمة واحدة متحدة على الأهواء والغرائز والشهوات والمنافع المادية، بغض النظر عن الخير والسلم المبني على الإخاء والتعاون على أسس ومبادىء بعيدة عن الأهواء والغرائز الحيوانية وأقرب إلى العقل والمنطق الإنساني السليم.

من تلك السور السبعة يفهم الإنسان مقاصد الرحمن من كل الرسالات في الأرض، التي أتت من أجل هداية الإنسان الذي مُنح حق الحياة وحقوق الإنسان ومنها حقوقه في الحريات المتاحة لإرادته ولمشيئته الخاصة بإذن الله تعالى. مبيناً صراع الإنسان مع أصحاب الحزب المعارض لحزب الرحمن من أتباع الطواغيت في الأرض، الذين كانوا يتبعون الأهواء والشهوات ويخدعون المؤمنين لاستثمار طاقاتهم ونهب ثرواتهم وأكل حقوقهم من غير وجه حق، وذلك لقلة تبصر أصحاب الحقوق ولندرة المفكرين من أصحاب الضمائر لإنقاذ تلك الفئة المستضعفة المستغلة لجهلها خاصة لحقوقها.

هذا وأفضل طريقة لفهم تلك السور السبعة أن يقرأها المسلم وحده مباشرة، وسيكتشف عندها وحده أن المعاني ستدخل في إدراكه من غير حواجز خاصة إذا أغفل كل التفاسير القديمة والتأويلات المغرضة القديمة منها والحديثة.

أما محاولتي في تبسيط تلك المعاني وعرضها للقارىء فليس من أجل أن يعتبرها تفسيراً للقرآن، بل لينظر إليها وكأنها نموذج لفهم مسلم مثله يحاول أن يدرك معاني

الرحمن من غير الرجوع إلى أقوال الأقدمين وتفسيراتهم الظنية التي تُحَجِّمُ القرآن بتأويلات ظنية لا تستند إلى علم أو منطق.

تعتبر هذه السور السبعة من عجائب القرآن، وأبدأ بأولها وهي سورة غافر:

عدد آياتها مع البسملة ٨٦ آية.

عدد أحرف الحاء فيها = ٦٤ حرفاً

عدد أحرف الميم فيها = ٣٨٠ حرفاً.

هذه السورة هي الأولى من سور المثاني السبع وتبين بدايةً علاقة الله تعالى مع الإنسان فهو سبحانه:

غافر الذنب وحده لا شريك له، وهو وحده قابل التوبة، لا شريك له فيها، وهو سبحانه الذي من صفاته أنه شديد العقاب مع رحمته الواسعة لمستحقي العقوبة فتنزل بهم سواء في الدنيا من معجّل العقاب أو في الآخرة من مؤجّل العذاب.

بعدها يبين سبحانه أن استغفار الملائكة أو استغفار الرسل أو الناس لأنفسهم أو للآخرين هو دليل تعاطف المؤمنين، وهذه صفة حسنة لكنها لا تؤثر على قرارات الله في الثواب أو العقاب، لأنها مبنية على قوانين وسنن خاصة بالرحمن لا يتجاوزها من أجل أحد حتى لا يظلم الله مثقال ذرة.

تبين سورة غافر أن من طبع الإنسان مخلوق الله المميز والمختار والمستخلف على الأرض: الكفر بالله تعالى إذا ذاق النعمة والغنى والترف وأغرق نفسه في الملذات. وسعى إلى جر بسطاء الناس إلى الإشراك بالله.

وقصة الإنسان على الأرض تتلخص بأن تلك الفئة الغنية المترفة التي حصلت من العلم والمعرفة ما جعلتها تميز بين الحق والباطل، تغض النظر عن الحق في سعيها وراء أهوائها وشهواتها العاجلة، وتكفر به وتخفيه عن الناس وتبدي لهم الباطل، فيشرك الناس على أيديهم ويتبعون الباطل وهم يظنون أنهم يتبعون الحق. فيتبع الناس أحكام الطاغوت وشرعه وهم يظنون أنهم يطبقون شرع الله وحكمه. ﴿وكذلك حقّت كلمة ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار﴾ ٦ ـ غافر. ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾ ١٢ ـ غافر.

في هذه السورة يكشف سبحانه لإنسان القرن الحالي ومن سيأتي بعده من الذين

سيكتشفون أن الذين عاشوا قبلنا كانوا أقوياء وتركوا آثاراً في الأرض ومع ذلك فقد أخذهم الله بذنوبهم.

وفي هذه السورة أيضاً يعرض سبحانه قصة موسى مع فرعون كاشفاً سر الكافر الذي يكفر عن علم يكون عادة عن كِبْرٌ وغرور. وليس عن جهل للحقيقة. .

كما يكشف لنا سبحانه عن أسلوب تبشير المؤمنين للضالين وهو أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، دون أن يلجأ للعنف أو للشدة بل يستخدم اللِّين من القول حتى يكون بين المستمعين من الطرف الآخر من يستطيع الدفاع عنه فهو يقول: ﴿أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصيبكم بعض الذين يعدكم﴾ ٢٨ ـ غافر. ﴿يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من بأس الله إن جاءنا﴾ ٢٩ ـ غافر، وفي السورة أيضاً تذكير برسالة يوسف عليه الصلاة السلام وكيف كان موقف الناس من رسالته ﴿ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جاءكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾ ٣٤ ـ غافر، والسورة فيها حقيقة موقف الإنسان من ربه وحقيقة مصيره بشكل مختصر على لسان الرجل الرمزي (الذي آمن) ﴿وقال الذي آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع وإن الآخرة هي دار القرار * من عمل سيئة فلا يجزى إلا مثلها ومن عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب * ويا قوم مالي أدعوكم إلى النجاة وتدعونني إلى النار * تدعونني لأكفر بالله وأشرك به ما ليس لي به علم وأنا أدعوكم إلى العزيز الغفار﴾.

في هذه السورة نموذج من أسلوب الله في البلاغة والبيان اللغوي بتصوير أهل النار وهم يتحاجون وكأنهم حاضرون، علماً أن نار الله الكبرى لا تكون إلا بعد نفخة الصور الثانية التي تؤذن بيوم القيامة، وهذه الساعة حسب كتاب الله ما زالت في غيب الله. لكن البلاغة القرآنية جعلت ذلك اليوم وكأنه حاضر وأدخله إلى وجدان الإنسان حتى يصل إلى مرحلة الخشوع اللازمة للمؤمنين الذين بلغوا من الإيمان مرحلة اليقين التي لا يدركها الغالبية إلا بعد رؤية العين لغيب الله: ﴿إذ يتحاجون في النار فيقول الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا نصيباً من النار﴾ ٤٧ ـ غافر.

وحتى يبين سبحانه أن ذلك اليوم ما يزال في غيب الله يقول بعدها:

﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد * يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾ ٥١ ـ ٥٢ غافر.

وفي السورة آيتان شاهدتان لكل الذين يجادلون في آيات الله التي آتى عليها سلطان وهو البرهان الذاتي الذي نجده في الوحي الحقيقي مثل وحي القرآن، فيأتي المجادل بأحاديث لا برهان عليها، سواء كانت أحاديث من التلمود أو من التوراة المحرفة أو من الأناجيل المحرفة أو من الأحاديث المنسوبة للرسول وكلها لا برهان على صدقها ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ٢٣ ـ النجم.

ثم مُقَيِّماً الظن مع الحق بأنه لا يساوي شيئاً ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ٢٨ ـ النجم.

وآية الذين يجادلون في آيات الله من غير برهان لديهم هي في قوله تعالى ﴿إن الذين يجادلون في آيات الله بغير سلطان آتاهم إن في صدورهم إلا كبر ماهم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾ ٥٦ ـ غافر.

بعدها يبين سبحانه لمن يجب أن يوجه الدعاء في الإسلام، ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم﴾ ٦٠ ـ غافر.

بينما قال سبحانه عن الذين يدعون غيره ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ ١٩٤ ـ الأعراف.

وأغلب الذين يدعون إلى هذا اليوم هم عادة من الأموات، والميت لم يعد لديه شيء ليفعله، وعلى الإنسان العاقل أن يدعو الحي القيوم الذي يسمع ويجيب ولا يدعوا الأموات لأنهم لا يسمعونه فهم غير قادرين على أن ينصروا أنفسهم فكيف لهم أن ينصروه إذا طلب ذلك منهم. ﴿إن ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين * والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا أنفسهم ينصرون﴾ ١٩٧ ـ الأعراف.

بعدها يبين سبحانه للمؤمنين أن الذي ينزل الآيات والمعجزات من السماء هو الله وتحصل عادة بإذنه وحده، وعلى الرسول فقط أن يتبع ما يوحى إليه بلا اعتراض ﴿وما كان لرسول أن يأتي بآية إلا بإذن الله﴾ ٧٨ ـ غافر.

لذلك فكل المعجزات المنسوبة للرسول الكريم هي افتراء طالما لم يحدثنا عنها سبحانه في القرآن ليكون دليلاً وبرهاناً على صدقها. كما فعلها في كل معجزات موسى وعيسى بدون استثناء.

بعدها يحدثنا سبحانه عن أشكال معجزات القرآن، المعجزات الباقيات حتى يستطيع رؤيتها كل المسلمون إلى يوم الدين، ومن تلك المعجزات، المعجزة التاريخية في كون الأمم السابقة لنا مثل أمم الصين والهند والفراعنة القدماء كانوا أكثر منا عدداً وأشد منا قوة وأكثر آثاراً في الأرض ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾ ٨٢ ـ غافر.

بعدها ينهي سبحانه السورة بنصيحة للإنسان أن لا يجعل فرعون قدوةً له في الإيمان، لأنه أخر إيمانه إلى ما بعد رؤيته لبأس الله الذي رآه وهو يغرق في البحر، فلم يستفد من إعلان إيمانه بعد ذلك، وكانت مقبولة منه قبلها فلم يغتنمها. ﴿فلم يكُ ينفعُهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنة الله التي قد خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ ٨٥ ـ غافر.

بعدها ننتقل للسورة الثانية من المثاني السبع وهي سورة فصلت:

عدد آياتها مع البسملة: ٥٥ آية.

عدد أحرف الحاء فيها: ٤٨ حرفاً

عدد أحرف الميم فيها: ٢٧٦ حرفاً.

تشهد الآية الثانية بأن القرآن تنزيل من الرحمن الرحيم ولا علاقة لأحد من خلقه بحرف واحد مما يحتويه من أحرف وكلمات وسور وآيات.

وتشهد الآية الثالثة بأن تفصيل الكتاب وشرحه أتى لقوم يعلمون وليس لقوم يجهلون فالعلم أساس لفهم القرآن.

يبين لنا سبحانه في الآية السابعة جوهر الدين وجوهر الإيمان من خلال عملين فالذي يؤتي الزكاة للمستحقين هو إنسان قريب من الله لأنه يدفع مما يحب وهذا صعب على غير المؤمنين بالله الذين يخشون عقابه.

وكذلك الذي يؤمن بالآخرة، ﴿الذين لا يؤتون الزكاة وهم بالآخرة هم كافرون﴾ ٧ ـ فصلت.

يذكر سبحانه معجزتين علميتين لم تكن في علم الذين عاشوا زمن نزول القرآن: المعجزة العلمية الأولى: كون الجبال رواسي مثل رواسي السفينة من أجل تثبيتها فوق ما ترسو فوقها من سائل تطفو عليه في باطن الأرض بحسب قانون الطفو على السوائل

وتخفيف حدة الزلازل إلى الحد الأدنى.﴿وجعل فيها رواسي من فوقها﴾ ١٠ ـ فصلت.

والمعجزة الثانية: كون السماء الدنيا متميزة عن السماء العليا التي فيها النجوم فالسماء الدنيا ليس فيها إلا المجموعة الشمسية وحدها بما تحويها من إثنتي عشرة كوكباً مع أقمارها ومع ما يحيط بالأرض من شهب ونيازك لا علاقة لها كما قلنا بسماء النجوم التي تقع بعدها وعلى مسافات فلكية شاسعة ﴿وزينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظاً ذلك تقدير العزيز العليم﴾ ١٢ ـ فصلت.

والدليل على أن تلك المصابيح هي الكواكب التابعة للشمس قوله تعالى ﴿إنا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب﴾ ٦ ـ الصافات.

وفي السورة إنذار خاص ملفت للنظر ومحرك للعقل ومحرض للتفكير وهي في قوله تعالى ﴿فإن أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾ ١٣ ـ فصلت.

ويتخيل القارىء المبتدىء بتلاوة القرآن صاعقة مثل صواعق البرق والرعد التي يراها ويسمعها في موسم الأمطار من كل سنة. بينما إذا تابع القارىء وهو يحاول أن يعقل ما يقرأ يكتشف أن الله تعالى يشرح ماذا ينتظر الذين كفروا بالدين الذي بشر به محمد عليه الصلاة والسلام وكان بذلك خاتم النبيين، واتبعوا دين الطاغوت، فيضرب لنا مثلاً قومين سبقانا في تاريخ النبوات والرسالات وهما قوما عاد وثمود فيشرح لنا تاريخ كل قوم على حدة ﴿فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوةً أو لم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة وكانوا بآياتنا يجحدون﴾ ١٥ ـ فصلت.

هذه كانت جريمتهم فماذا كان عقابهم بعد ذلك ﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً في أيام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أخزى وهم لا ينصرون﴾ ١٦ ـ فصلت.

وماذا كانت صاعقة ثمود؟ ﴿وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى فأخذتهم صاعقة العذاب الهون بما كانوا يكسبون﴾ ١٧ ـ فصلت. وماذا عن المؤمنين من قوم عاد وثمود فالله تعالى لا يعذب المؤمنين مع الكافرين. ﴿ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون﴾ ١٨ ـ فصلت.

والآن علينا أن نعود لنتفكر بصاعقتي الخزي والهوان، ونتفكر بأحوالنا وبما معنا من دين، فنجد أننا قد استبدلنا هدى الله الذي في القرآن الذي أنزل من السماء وحياً وعليه برهان وسلطان بكتب أخرى، اتبعها آباؤنا الأولون بعد أن هجروا كتاب الله الذي

حولوه ليتلى على الأموات وفي مناسبات الموت، فبدل الله ما بأحوالهم من نعم سابقة مثل القوة والاتحاد إلى ضعف وتمزق وتخاذل واختلاف، واستبدل لهم نعيم العزة ورفعة الإيمان إلى جحيم الخزي وحضيض الهوان.

إننا نعيش في صاعقة عاد وثمودُ فمع أننا أكثر الناس عدداً لا يأبه لعددنا أحد ومع أننا من أكثر أمم العالم أموالاً وثروات فأننا نعامل معاملة الذليل المهان وتؤخذ أموالنا منا بلا حمدٍ ولا شكور.

علينا أن نعود إلى كتاب الله ونبدل تفكيرنا كله من تفكير قائم على الظنون والروايات مما تهوى النفوس الضعيفة إلى تفكير القرآن القائم على العلم والحق حتى نسموا ونرتفع من جديد من هذا المستنقع الذي ورثناه عن آبائنا الأولين. يجب أن نقاوم الذين قالوا لا تسمعوا لهذا القرآن: ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ ٢٦ ـ فصلت. بينما أغلب المسلمين اليوم يجحدون بآيات الله ويفضلون عليها آيات أبي هريرة، ثم نتساءل بعدها لماذا يعذبنا الله في الدنيا عذاب الخزي والهوان. وماذا يقول لنا سبحانه عن موقفنا يوم القيامة؟ ﴿وقال الذين كفروا ربنا أرنا الذين أضلانا من الجن والإنس نجعلهما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين﴾ ٢٩ فصلت.

ولكن هل تظنون أن ذلك سوف يشفع لنا ونحن نعلم أننا نحن الذين بدلنا الهدى بالعمى والهداية بالضلالة لأننا لم نستخدم ما نفخ الله فينا من ذاته عقلاً قادراً على التفكير والتمييز باستخدام إرادتنا ومشيئتنا التي حررها الله ولم نتمسك بحبل الله الذي هو كتابه المبين: القرآن الكريم.

أما الذين عادوا وتابوا قبل فوات الأوان يقول لهم ربهم: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون * نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون * نزلاً من من غفور رحيم * ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾ ٣٣ ـ فصلت.

وهكذا فالذين توجهوا للإيمان وقالوا بلسانهم بدايةً ربنا الله ثم عادوا فطبقوا ما قالوه بالفعل بتطبيق بنود الصراط المستقيم مبتعدين عن الكبائر العشر، تحول إيمانهم إلى يقين فعلي وهذا هو الإسلام الحقيقي باختصار. بعدها يشرح سبحانه أنه جعل كتابه كاشفاً

بذاته لكل محاولات التبديل والتحريف سواء بالحذف أو بتغيير التشكيل أو بالتأويل وقد شرحت ذلك بتفصيل أكبر في هذا الكتاب.

بعدها ينتقل سبحانه للكشف عن بعض صفات الإنسان ومنها حبه للخير وسرعة يأسه وقنوطه إذا مسه الشر، ثم كيف يدخل الغرور والكبر إلى نفسه إذا حصّل مالاً أو قوّة أو نفوذاً بتحصيل منصب في الدنيا فيظن أنه قد حصّلها بفضل ذكائه أو بفضل تفوقه الذاتي وكفر بالآخرة وإن لم يكفر بالله.

بعدها ننتقل للسورة الثالثة من سور المثاني السبع وهي سورة الشورى:

عدد آياتها مع البسملة التي في أولها ٥٤ آية.

عد أحرف الحاء في السورة: ٥٣ حرفاً

عدد أحرف الميم في السورة: ٣٠٠ حرفاً

وهذه السورة تمتاز بأن الآية الثانية فيها أيضاً أتت من الأحرف المقطعة ورد فيها ثلاثة أحرف أخرى وهي:

حرف العين وعدد أحرفها في السورة: ٩٨ ع

وحرف السين وعدد أحرفها في السورة: ٥٤ س

وحرف القاف وعدد أحرفها في السورة: ٥٧ ق.

ويكون المجموع العام ٢٠٩ وهذا يصادف ويساوي عدد عظام الإنسان.

٢٠٩ ÷ ١٩ = ١١

الله تعالى يبدأ السورة بالإشارة إلى الأحرف المقطعة الخمسة التي رتبها سبحانه في آيتين منفصلتين، وحتى القرن العشرين لم يعرف الذين سمعوها إلى ماذا يرمز سبحانه بتلك الأحرف، ثم أظهرها سبحانه لكي تقوم مقام البراهين الرياضية على صدق كتاب الله وأنه من رب العالمين وليس من قدرة البشر على التأليف والإحصاء.

بعدها ينتقل سبحانه لوصف ذاته بالعزيز الحكيم الغني الذي له كل ما في السموات والأرض وهو العلي العظيم بينما الإنسان المخلوق المميز على الأرض يجحد بآيات الله ويكفر به، فتكاد السموات تتحطم من فوقه، بينما الملائكة الذين خلقوا للطاعة والسجود يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لهذا الإنسان الظلوم في الأرض.

ومع ذلك فالله تعالى يقول لرسوله، حتى هؤلاء الجاحدين من الذين اتخذوا من دون

الله أولياء فهو الحافظ لهم وهم مسؤولون أمامه فقط ولست أنت بوكيل عليهم حتى تحاسبهم على مواقفهم الإيمانية. ووظيفتك يا محمد تنتهي بإبلاغ الإنذار الذي معك لمكة وما حولها وتبلغهم عن يوم القيامة أنه يوم قادم عليهم جميعاً بلا ريب.

وأن الله تعالى لو شاء لجعل الناس أمة واحدة متحدة على الإيمان ولكن مشيئة الله كانت بإعطاء الفرصة للإنسان لاختيار أحد سبيلين: سبيل الهدى أو سبيل الضلال، فالذين اختاروا سبل الضلالة اتخذوا من دون الله أولياء وشفعاء ومخلصين، والذين اختاروا هدى الله اتخذوا الله تعالى ولياً من دون أولياء أو شفعاء. ووحدوا الله تعالى في كل شيء، ولم يشرك به أحداً ولا شيئاً.

فوحدوا هديه وقالوا عنه هدي الله.

ووحدوا كتابه وقالوا عنه كتاب الله.

ووحدوا حديثه وقالوا أحسن الحديث حديث الله.

ووحدوا شفاعته وقالوا لله الشفاعة جميعاً.

ووحدوا التحريم والتحليل ونسبوه لله وحده.

عرفوا حدود الله ونسبوها لله تعالى وحده.

وهذا التوحيد الشامل لا يلائم الملأ من كل أمة فكانوا دائماً يبدلون الرسالات السماوية العادلة إلى ما يناقضها من ديانات متسلطة جائرة مستبعدة للناس وهذا هو حكم الطاغوت ودينه. ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلكم الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ١٠ ـ الشورى.

أشرت سابقاً إلى خصوصية سورة التوبة، وأشير هنا إلى خصوصية سبع سور أخرى هي السبع المثاني التي تمثل باقي سور القرآن التي عددها ١١٣ سورة بالدليل الرياضي، الذي جعله سبحانه في مجموع أحرف الحاء والميم في السور السبع التي حاصل قسمتها كما قلنا على الرقم الأصم تسعة عشر يساوي أيضاً للرقم ١١٣ الذي يرمز إلى تلك السور. ويبين سبحانه للمسلم خصوصية هذه السور في آيات بينات مثل الآية السابقة من سورة الشورى ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله ذلك الله ربي عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ١٠ ـ الشورى. بينما كان المبدأ في حياة الرسول أن نعيده لله وللرسول المنفذ لحكم الله، ولكن بعد وفاة الرسول تعود الأمور لله وحده، ولألي الأمر من الذين يتبعون الله فيما أمر بالقرآن المبين.

لقد كان الأمر يختلف عندما كانت الطاعة لله ورسوله معاً كما جاء في سورة التوبة ﴿ويطيعون الله ورسوله﴾ ٧١ ـ التوبة. وكان الرسول مفوضاً بأن يعطي من مال الله لذلك قال تعالى: ﴿ولو أنهم رضوا ما أتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله إنا إلى الله راغبون﴾ ٥٩ ـ التوبة.

وبعدها يشرح سبحانه أن الدين عند الله واحد وشرعه من الأساس واحد، بدأه بوصايا لنوح عليه السلام وطوره سبحانه من شرع حدي إلى شرع حدودي ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً والذي أوصينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه﴾ ١٣ ـ الشورى.

والمطلوب من المسلم الذي يتلو القرآن اليوم أن يتبع الآية التالية ﴿فلذلك فادع واستقم كما أمرت ولا تتبع أهواءهم وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم الله يجمع بيننا وإليه المصير﴾ ١٥ ـ الشورى.

بعدها يبين سبحانه سنته في الأرض بأنه يعطي الرزق للمؤمنين وللكافرين، ولكن الفرق بينهم أن المؤمنين لهم الدنيا والآخرة بينما الكافرين ليس لهم من الآخرة نصيب ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾ ٢٠ ـ الشورى.

أما الذين ادعوا سنناً وشرائع لغير الله فهؤلاء بشرهم بعذاب أليم ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله ولولا كلمة الفصل لقضي بينهم وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ ٢١ ـ الشورى.

بعدها نجد إشارة إلى الكلمات التي ألقاها الشيطان على لسان الرسول الكريم (تلك الغرانيق العلى * إن شفاعتهن لترتجى) فنسخها الله وأنزل بدلاً عنها ﴿ألكم الذكر وله الأنثى * تلك إذاً قسمة ضيزى﴾[*] ٢١ ـ ٢٢ ـ النجم.

فقال الذين كفروا عندها متهمين الرسول الأمين بالافتراء على الله ﴿أم يقولون افترى

(*) من الجدير بالذكر أن الله تعالى ذكر موضوع النسخ هذا في سورة الحج التي رقمها المتسلسل ٢٢ في الآيتين رقم ٥٢ ـ ٥٣، وإذا عكسنا هذه الأرقام، وبحثنا في السورة: ٥٣ عن الآيتين: ٢١ ـ ٢٢ لوجدنا مكان النسخ الوحيد في القرآن، وهو في سورة النجم، الآيتين: ٢١ ـ ٢٢ فعلاً.

على الله كذباً فإن يشأ الله يختم على قلبك ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته إنه عليم بذات الصدور﴾ ٢٤ ـ الشورى.

بعدها يبين تعالى لماذا لا يبسط الرزق لكل الناس وما حكمة الله في ذلك بقوله ﴿ولو بسط الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير * وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولي الحميد﴾ ٢٧ ـ ٢٨ ـ الشورى.

بعدها يعدد سبحانه الوصايا العشر للمؤمنين من الآية ٣٧ وحتى الآية ٤٦ ـ الشورى.

بعدها يبين سبحانه نصيحته ووصيته للعالمين بالبلاغ المبين وبأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة ﴿استجيبوا لربكم من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله مالكم من ملجأ يومئذ وما لكم من نكير * فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ﴾ ٤٧ ـ ٤٨ ـ الشورى.

ثم ينهي سبحانه السورة مبيناً أنه قد أنزل هذا الكتاب وحياً على رسوله الكريم ﴿صراط الله الذي له ما في السموات وما في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور﴾ ٥٣ ـ الشورى.

بعدها ننتقل للسورة الرابعة في السبع المثاني وهي سورة الزخرف:

عدد آياتها مع البسملة التي في أولها: ٩٠ آية.

عدد أحرف الحاء في السورة: ٤٤ حرفاً.

عدد أحرف الميم في السورة: ٣٢٤ حرفاً.

خلال السورة يبين سبحانه أنه جعل كتابه الذي أنزل عربياً حتى يفهمه الرسول وقومه، يبدأ سبحانه السورة بالحديث عن الأولين وكيف كانوا يكذبون الرسل ويستهزئون بهم فكانت سنة الله بأن يهلك الذين لا يستمعون ولا يهتدون، علماً أنهم جميعاً يعلمون بوجود الله الخالق القادر على كل شيء، لكنهم كانوا في ريب دائم حول يوم القيامة فيستبعدون الحياة بعد الموت.

ثم يذكرهم الرحمن بفضله ونعمه على الناس الذين قالوا ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا

قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون * فانتقمنا منهم فانظر كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ٢٢ - ٢٥ - الزخرف.

ثم يضرب لنا الرحمن مثلاً بإبراهيم الذي رفض سنة الآباء وسعى للوصول إلى الخالق عن طريق عقله وحواسه بشكل مباشر.

هكذا نرى أنه عندما أنزل الله القرآن على رسوله الكريم في مكة قالوا تماماً مثل ما قال الأولون ﴿ولما جاءهم الحق قالوا هذا سحر وإنا به كافرون * وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ ٣٠ - ٣١ - الزخرف.

ثم يبين سبحانه أن أغلب الناس واهمون ويصدون عن سبيل الله وهم يحسبون أنهم مهتدون بسبب تركهم كتاب الله المبين وتمسكهم بكتب أخرى لغير الله ﴿ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين * وإنهم يصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون﴾ ٣٦ - ٣٧ - الزخرف.

بعدها يذكر سبحانه الحقيقة الكبرى للناس مع أن أغلبهم لا يسمعون ﴿أفأنت تسمع الصُم أو تهدي العمي ومن كان في ضلال مبين * فإما نذهبن بك فإنّا منهم منتقمون أو نرينَّك الذي وعدناهم فإنا عليهم مقتدرون * فاستمسك بالذي أوحي إليك إنك على صراط مستقيم * وإنه لذكر لك ولقومك وسوف تُسئلون * وسئَل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يُعبدون﴾ ٤٠ - ٤٥ - الزخرف.

ثم يحدثنا الرحمن عن قصة موسى مع فرعون وملأه وكيف استخف فرعون بقومه فأطاعوه وكانوا فاسقين، ثم انتقم منهم الرحمن وأغرقهم أجمعين ليجعلهم مثلاً للآخرين.

ويحدثنا سبحانه عن عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام. ويذكر سبحانه حقيقة عيسى فيقول ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل * ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون * وإنه لعلم للساعة فلا تمترن بها واتبعون هذا صراط مستقيم * ولا يصدَّنكم الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ ٦٢ - الزخرف. فلا تمترن بها: بمعنى فلا تتجادلوا شكاً وريبة فيه.

وطالما لم يذكر القرآن أي شيء عن عودة عيسى عليه السلام إلى الأرض مرة أخرى كما يقول بذلك علماء أهل الكتاب خاصة من النصارى، فإن قول الله تعالى بأن

إرسال المسيح لبني إسرائيل على الأسلوب العجائبي المذكور في القرآن الكريم حول ولادته وكلامه وهو في المهد كلام البالغين وهذا الاعجاز غير مذكور في كتب أهل الكتاب المحرفة.

ثم يتحدث سبحانه عن عباده المتقين بأن لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، وأن الجنة سوف تكون لهم، ولكن ليس من أجل إيمانهم وحده ولا من أجل عباداتهم فقط، بل من أجل ما كانوا يعملون في الأرض من أعمال صالحة لخدمة الناس وإعمار الأرض وإصلاحها ﴿وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون﴾.

ثم تأتي الصورة المقابلة التي تصف الكافرين وأتباعهم من المشركين الذين لم يظلمهم الله ولكن كانوا لأنفسهم ظالمين، إذ آتاهم الله تعالى الحق والنور والهداية فكانوا لكل ذلك كارهون، ويشركون بالله ويدعون غيره ويطلبون الخلاص والشفاعة من عباد ميتين تاركين الحي القيوم، الرحمن الرحيم الذي هو إله السموات وإله الساعة ويوم الدين وإله الحياة الدنيا وإله كل شيء في العالمين ﴿ولا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة إلا من شهد بالحق وهم يعلمون﴾ ٨٦ ـ الزخرف.

ننتقل بعدها للسورة الخامسة في السبع المثاني هي سورة الدخان:

عدد آياتها مع البسملة التي في أولها: ٦٠ آية.

عدد أحرف الحاء في السورة: ١٦ حرفاً

عدد أحرف الميم في السورة: ١٥٠ حرفاً.

إذا عددنا أسماء وصفات الله الحسنى التي استخدمها الرحمن في أوائل سور السبع المثاني قال عن نفسه في السورة الأولى ﴿من الله العزيز العليم﴾ وقال عن نفسه في الثانية ﴿من الرحمن الرحيم﴾ وقال عن نفسه في الثالثة ﴿الله العزيز الحكيم﴾ وقال عن وصف كتابه في الرابعة ﴿والكتاب المبين﴾ ثم في وصف الكتاب المبين يقول سبحانه ﴿وإنه في أم الكتاب لدينا لعليّ حكيم﴾. وقال عن وصفه كتابه في الخامسة ﴿والكتاب المبين﴾ ثم في وصف الكتاب المبين بقوله تعالى ﴿فيها يُفرقُ كل أمر حكيم﴾ وقال في السادسة عن نفسه ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ وقال في السابعة مؤكداً ما قاله في السادسة ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾.

تؤكد آيات السورة بعدها علاقة الله بالإنسان على أنها علاقة رحمة ﴿إنا أنزلناه

في ليلة مباركة إنا كنا منذرين * فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ ٥ ـ الدخان. ثم يقول تعالى ذاكراً رحمته ﴿رحمةً من ربك إنه هو السميع العليم﴾ ٦ ـ الدخان.

بعد تلك الآية يذكر سبحانه إحدى علامات الساعة القادمة وهو ظهور دخان حقيقي في السماء تغطي الأرض وتحجب الشمس.

تخيلوا توقف وصول أشعة الشمس إلى الأرض ووصول درجة حرارة الأرض إلى ما يقارب الصفر المطلق في ليل دائم وظلام لم يعد في سمائه نجوم ولا كواكب والدخان فوق الظلام يعمي العيون ويكتم الأنفاس وفوقها برودة قاتلة يصفها سبحانه بقوله ﴿فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين * يغشى الناس هذا عذاب أليم﴾ ١١ ـ الدخان.

والناس يتصايحون في ذلك الظلام الخانق ﴿ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون﴾ ١٢ ـ الدخان.

ويذكرنا سبحانه بطبيعة الإنسان الذي عندما يقع في العذاب سرعان ما يتذكر الله وحده فيدعو الله وحده بلا شريك، ولكن ما أن يشعر الإنسان مرة أخرى أن الله تعالى قد أزال وكشف العذاب الذي كان حتى يعود الإنسان لسيرته الأولى كما تبينها الآية ﴿إنا كاشفوا العذاب قليلاً إنكم عائدون﴾ ١٥ ـ الدخان.

ويذكر لنا سبحانه قصة موسى مع فرعون لأنها أقرب القصص إلى حياة المسلمين. ويبين سبحانه ما فعل لبني إسرائيل وما منحهم من النعم بعد أن أنقذهم من العذاب المهين ﴿ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين﴾ ٣١ ـ الدخان. ثم كيف اختارهم الله على علم على العالمين ﴿ولقد اخترناهم على علم على العالمين * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين﴾ ٣٣ ـ الدخان.

ولكن كل ذلك الاهتمام قابلوه بالكفر بالحياة الثانية وبالحساب بعد الموت وقالوا ﴿إن هؤلاء ليقولون * إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن منشرين﴾ ٤٤ ـ الدخان.

وحتى نعلم أن تفضيل الله تعالى لأمة يكون ضمن مكان وزمان محددين، فاختيار الله تعالى وتفضيله لبني إسرائيل كان لفترة زمانية كان المؤمنون بينهم هم الأكثر، بدليل قوله تعالى في تفضيل غيرهم عليهم من الذين عاشوا قبلهم بقوله سبحانه ﴿أهم خيرٌ أم قوم تُبَّعَ والذين من قبلهم أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين﴾ ٣٧ ـ الدخان.

فاختيار الله تعالى لا يدوم إلا مع الأجيال التي تختار الله وتتبع سبيله وإن ذهب

الصادقون وأتى من بعدهم المجرمون فالله تعالى يحاسب كل جيل بحسب ما يستحق ويبدل الله تعالى مواقفه بحسب ما يتبدلون. ثم يذكر سبحانه في السورة أحد أسراره مشيراً أن له هدف محدد من خلق الإنسان ومن استخلافه في الأرض ومن اختياره أجياله جيلاً بعد جيل مرسلاً الرسالات لتشمل أمم العالمين ﴿وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما لاعبين﴾ ٣٨ ـ الدخان.

لكن حساب الله سوف يكون معاً للجميع في يوم الفصل الذي يأتي بعد القيامة مباشرة، في يوم واحد وفي لحظة واحدة حساباً سريعاً، لأن الله تعالى من قدراته الخاصة أن يكون مع جميع عباده في نفس اللحظة دون أن يكون مع العبد وربه في ذلك اللقاء الذي فيه تقرير مصيره الأبدي أحد، إلا جنود الله الذين كانوا قد كلفوا بإحصاء أعمالهم في الدنيا وتسجيلها عليهم خيراً كانت أم شراً. ﴿إن يوم الفصل ميقاتهم أجمعين * يوم لا يغني مولى عن مولى شيئاً ولا هم ينصرون * إلا من رحم الله إنه هو العزيز الرحيم*﴾ ٤٢ ـ الدخان.

وفي يوم الفصل يفصل سبحانه بين المتقين ليرسلهم زمراً إلى أبواب النعيم، ويرسل المجرمين أيضاً زمراً إلى أبواب الجحيم، وفي نهاية السورة يقول سبحانه لقارىء القرآن تذكر ما قرأت من كلمات الله الصادقات وارتقب الساعة مع المرتقبين فإنها قادمة بلا شك ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾ ٥٩ ـ الدخان.

أما السورة السادسة التي في السبع المثاني وهي سورة الجاثية:

عدد آياتها مع البسملة التي في أولها: ٣٨ آية.

وعدد أحرف الحاء في السورة: ٣١ حرفاً

وعدد أحرف الميم في السورة: ٢٠٠ حرفاً.

يخاطب سبحانه فيها الإنسان الذي كان يحتاج في الرسالات السابقة إلى آيات معجزات حتى يؤمن فيشاء سبحانه في آخر الرسالات أن لا يرسل مع رسوله الأخير معجزات من النوع الأول، مكتفياً بالمعجزات (الآيات) العلمية من خلق الله في السموات والأرض، من التي يراها العلماء رؤيا العين فيقول سبحانه مشيراً إليها ﴿إن في السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾ ٣ ـ الجاثية.

ثم يشير للإنسان وإلى نفسه وإلى ما حوله من خلائق كلها معجزة إذا فكر فيها الإنسان ﴿وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون * واختلاف الليل

والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الأرض بعد موتها وتصريف الرياح آيات لقوم يعقلون * تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

بعدها يهدد سبحانه الذين افتروا أحاديث مع حديث الله ﴿ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم﴾ ٨ ـ الجاثية. ﴿هذا هدىً والذين كفروا بآيات ربهم لهم عذاب من رجز أليم﴾ ١١ ـ الجاثية.

ولاحظنا سابقاً في ذكر آيات الله بأنه سبحانه ينهيها بعد أن يوجهها فيقول ﴿آيات لقوم يوقنون﴾ ٤ ـ الجاثية. ﴿آيات لقوم يعقلون﴾ ٥ ـ الجاثية. ﴿إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ ٣ ـ الجاثية.

والله تعالى يبين للإنسان أن كرم أبيه أو أخيه لن يفيده إذا لم يكن هو نفسه محسناً وكريماً، فالإنسان حسابه لوحده، ولن يشفع للإنسان إلا أعماله في الأرض ـ إن كانت صالحة فلا الأولياء سينفعونه ولا آباؤه الأولين ولا حتى الأنبياء والمرسلين سيشفعون لأحد عند الله فإن الشفاعة يوم القيامة لله جميعاً ﴿من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها ثم إلى ربكم ترجعون﴾ ١٥ ـ الجاثية.

بعدها يذكرنا سبحانه بما حصل في الرسالة السابقة لرسالتنا على بعض أبناء إبراهيم واتباعهم من بني إسرائيل ﴿ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر﴾ ١٦ ـ ١٧ ـ الجاثية.

فماذا حصل بينهم؟. لقد اختلفوا بعد أن علموا الحقيقة من الله ومن وحيه الحقيقي ﴿فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون﴾ ١٨ ـ الجاثية.

ويخاطب سبحانه رسوله الكريم ومن بعد رسوله كل قارىء للقرآن ومبلغ له إلى يوم الدين ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون * إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين﴾ ١٩ ـ الجاثية.

وكما نلاحظ يخاطبنا سبحانه ويقول لنا بشكل مباشر أنه قد وضعنا على شريعة كتاب الله في القرآن الذي عليه برهان وسلطان من الله، ويأمرنا باتباعه وينصحنا أن لا

نتبع أهواء الآخرين من الذين لا يعلمون ولن يغنوا عنا من الله شيئاً وحسابهم على الله والله تعالى ولينا طالما نوحد الله ونتقيه ولا نشرك به شيئاً.

إن الإنسان الذي يترك قيادة نفسه لهواه متبعاً شهواته في الدنيا تاركاً عقله في وادي النسيان، يكون قد اختار الضلالة على الهدى، فيختم سبحانه على سمعه وعقله ويجعل على بصره غشاوة، فلن يستطيع مخلوق بعد ذلك أن يهديه لأنه أصبح لا يسمع ولا يرى ولا يعقل فكيف يمكن إيصال الهدى لمثل ذلك الإنسان؟ ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضلّه الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكرون﴾ ٢٣ ـ الجاثية.

ويصور لنا سبحانه مشهداً من مشاهد يوم القيامة عن أمم الأرض وهي جاثية تنتظر حكم الله وكل أمة تحاكم بموجب ما كان معها من كتاب حسبما عملوا وطبقوا شرع الله وأمره في الأرض ﴿وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون﴾ ٢٨ ـ الجاثية.

ويشهد على كل فرد منهم أعماله في الدنيا يعرضها سبحانه عليه من مسجلات فيراها وكأنه يفعلها الآن، علماً أن من قدرة الله تعالى أن يكون مع كل فرد منهم لوحده في نفس الوقت في حساب سريع. ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾ ٢٩ ـ الجاثية.

وأكثر الناس في الأرض كانوا في شك بلقاء الله مرة أخرى يوم القيامة فيقول لهم تعالى ﴿وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾ ٣٤ ـ الجاثية.

ثم ننتقل إلى السورة الأخيرة من سور المثاني السبع وهي سورة الأحقاف:

عدد آياتها مع البسملة: ٣٦ آية.

عدد أحرف الحاء في السورة: ٣٦ حرفاً.

عدد أحرف الميم في السورة: ٢٢٥ حرفاً.

ويخبرنا الله تعالى أحد أسراره في أول السورة وهي أنه قد حدد سلفاً عمر الأرض والسموات وما بينهما من مخلوقات أخرى بعمر مسمى وبرقم لا يتجاوزه سبحانه، وعندها فإن الساعة قائمة بانفجار كوني هائل ينهي هذا الكون المكاني والزماني ليبدأ سبحانه بعدها مرحلة أخرى خالدة ليس بعدها زمن يُفْني. ويُغير الأشياء ويبدلها ﴿ما

خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق وأجل مسمى والذين كفروا عَمّا أنذروا معرضون﴾ ـ ٣ ـ الأحقاف.

بعدها يسألنا سبحانه سؤالاً مباشراً خاصة لكل الذين تعودوا أن يدعوا خلق الله من الأنبياء والقديسين أو الأولياء الصالحين أو من الملائكة المكرمين ﴿قل أرأيتم ما تدعون من دون الله أروني ماذا خلقوا من الأرض أم لهم شرك في السموات ائتوني بكتاب من قبل هذا أو أثارة من علم إن كنتم صادقين﴾ ٤ ـ الأحقاف.

والكلام واضح، ماذا خلق المسيح أو محمد أو علي أو الحسن أو الحسين وهل لهم شراكة مع الله تعالى في السموات ولهم القدرة على مشاركته سبحانه يوم القيامة لمحاسبة الناس أو الشفاعة لهم يوم العذاب؟.

ثم يتحدى سبحانه ويقول: هاتوا كتاباً عليه برهان أنه من الله يضمن لكم ما تدَّعون إن كنتم صادقين. أما ما معكم من روايات وظنون فاتركوها للظنون لا لليقين لأن الظن لا يغني من الحق شيئاً.

بعدها يسخر سبحانه من هؤلاء الضالين الذين يدعون من دون الله أو يجعلون معه شركاء في الدعاء ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ ٥ ـ الأحقاف.

ويؤكد الله تعالى على موضوع غفلة الميت الذي في مرتبة النائم فهو لا يحس بمعنى لا يرى ولا يسمع ولا يتصل بالواقع إلى يوم القيامة، ولا يغير هذا الواقع الحقيقي كل ما لدى المؤمنين من أقاويل أو ظنون مكتوبة في كتب الحديث عن عذاب القبر، وعن أن النبي يسمع ويحس ويجيب ويستجيب، فكلها أقاويل وضعت لأهداف دنيوية من أجل تبديل شرع الله الحقيقي وإن غفل عنه الجاهلون.

والله تعالى يقول لنا الحقيقة الغائبة بأن بوذا إن كان نبياً سوف يعادي الذين ألهوه يوم القيامة، والمسيح أيضاً سوف يعادي الذين ألهوه أو قالوا عنه أنه المخلص لهم يوم القيامة، ورسولنا محمد أيضاً سوف يعادي الذين أشركوا به مع الله وجعلوه شفيعاً وهو نفسه يعلم أن الشفاعة يوم القيامة لله وحده، تماماً كما بلغ بلسانه بأمانة مطلقة آيات القرآن الكريم التي نزلت عليه وحياً من السماء، فكتبها كتبة الوحي بأمر منه على قرطاس، فأصبح بعده كتاباً متداولاً بين الناس.

وليس من مصلحة أي رسول أن يناقض ما بلغ للناس من رسالة عن ربه لذلك يقول

تعالى: ﴿وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين﴾ ٦ ـ الأحقاف.

والرسول يعترف من خلال القرآن وآياته أنه لا يعلم ماذا يفعل الله به، فكيف له أن يعلم ماذا سيفعل الله بغيره من المسلمين ﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي وما أنا إلا نذير مبين﴾ ٩ ـ الأحقاف.

بعدها أقول للمسلمين الذين يظنون أن رسالة الله (القرآن) خاصة بهم وحدهم لا يشاركهم بها أحد في الأرض مستنداً إلى المثال الذي ضربه الله في القرآن، لنفرض أن يهودياً من بني إسرائيل قرأ كتاب الله الحقيقي الذي هجره أغلب المسلمين وآمن به واتبعه، فمن سيكون الفائز يوم القيامة ﴿قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ١٠ ـ الأحقاف.

بعدها يخبرنا سبحانه الحقيقة الغائبة عن أكثرنا وهي أن هناك دائماً مؤمنٌ يخشى الله، وهناك كافرٌ ظالمٌ جاحد، وهذان لا يستويان عند الله بغض النظر عن اسم الدين لكليهما، لأن ذلك لن يبدل الحقيقة: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ١٣ ـ الأحقاف.

بين سبحانه نموذج الإنسان الصالح عند الله في وصف مختصر فيقول ﴿ووصينا الإنسان بوالديه إحساناً حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً وحمله وفصاله ثلاثون شهراً حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين * أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم في أصحاب الجنة وعد الصدق الذي كانوا يوعدون*﴾ ١٦ ـ الأحقاف.

بعدها يضع لنا سبحانه في الصورة المقابلة لتلك الصورة الإيجابية صورة سلبية فيقول ﴿والذي قال لوالديه أف لكما أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين * أولئك الذين حق عليهم القول في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾ ١٧ ـ ١٨ ـ الأحقاف.

يظن الابن أن ما يسمعه من أبويه بخروج الأحياء من القبور يوم القيامة هي من تخاريف وأساطير الأولين ويستشهد بأنه لم ير أحداً قد عاد بعد موته أبداً من جميع

السابقين ثم يترك أبويه ليلحق هواه وشهواته فكان من الخاسرين.

أما قوله تعالى: ﴿واذكر أخا عاد﴾ ٢١ ـ الأحقاف، فهو اختصار وكناية عن ذكر هود الذي حفظنا اسمه من آيات كثيرة مثل قوله تعالى ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً﴾. لكن يجب أن لا يغيب عنا أن هذا له علاقة بإحصاء الأحرف. ويذكر لنا سبحانه ﴿واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف وقد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه ألا تعبدوا إلا الله إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم * قالوا أجئتنا لتأفكنا عن آلهتنا فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين * قال إنما العلم عند الله وأبلغكم ما أرسلت به ولكني أراكم قوماً تجهلون * فلما رأوه عارضاً مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم * تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين﴾ ٢٥ ـ الأحقاف.

ويذكر لنا سبحانه حقيقة ما زلنا نجهلها وهي أن الله تعالى قد مكنهم في أمور في الدنيا لم يمكننا منها بعد، وأعطاهم علماً أصبحوا به يسمعون ويبصرون ويدركون لكنهم فوق كل هذا جحدوا بآيات الله فاستحقوا الهلاك كغيرهم من أمم السابقين ﴿ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء إذ كانوا يجحدون بآيات الله وحاق بهم ما كانوا به يستهزءون*﴾ ٢٦ ـ الأحقاف.

بعدها يذكر سبحانه حقيقة أُخرى من الحقائق لرسولنا بداية ولنا وإلى يوم القيامة وهي أن الجن قد ﴿قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم * يا قومنا أجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم * ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض وليس له من دونه أولياء أولئك في ضلال مبين أو لم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يَعيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى بلى إنه على كل شيء قدير﴾ ٣٣ ـ الأحقاف.

بعدها ينصح سبحانه رسوله الكريم بداية ومن سوف يأتي من بعده من المؤمنين من الذين عليهم تبليغ رسالة الله للعالمين إلى يوم الدين أن يصبروا كما صبر أولوا العزم من الرسل، وأن لا يستعجلوا الناس بل عليهم تركهم من بعد البلاغ حتى يختاروا ما يشاؤون، فحسابهم على الله وليس على الناس سواء آمنوا أو كفروا أو

أشركوا هذا شأنهم وحدهم ﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل ولا تستعجل لهم كأنَّهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار بلاغٌ فهل يُهلكُ إلا القوم الفاسقون﴾ ٣٥ ـ الأحقاف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

وفي الخلاصة لقد كان مجموع آيات السبع المثاني يساوي كما يلي:

غافر ٨٦ + فصلت ٥٥ + الشورى ٥٤ + الزخرف ٩٠ + الدخان ٦٠ + الجاثية ٣٨ + الأحقاف ٣٦ + = ٤١٩ آية.

عدد أحرف الحاء فيها:

غافر ٦٤ + فصلت ٤٨ + الشورى ٥٣ + الزخرف ٤٤ + الدخان ١٦ + الجاثية ٣١ + الأحقاف ٣٦ = ٢٩٢ حرف حاء.

عدد أحرف الميم فيها:

غافر ٣٨٠ + فصلت ٢٧٦ + الشورى ٣٠٠ + الزخرف ٣٢٤ + الدخان ١٥٠ + الجاثية ٢٠٠ + الأحقاف ٢٢٥ = ١٨٥٥ حرف ميم.

ومجموع هذين الرقمين يساوي: ٢٩٢ + ١٨٥٥ = ٢١٤٧ حرفاً.

وإذا قسمنا ذلك الرقم على الرقم الأصم (تسعة عشر) يكون: ٢١٤٧ ÷ ١٩ = ١١٣ بدون باقي.

وهذا الرقم يرمز لسور القرآن التي تبدأ في أولها البسملة مستثنية سورة التوبة التي شرحنا خصوصيتها لوحدها قبل هذا الموضوع[*].

وهذا ما قصدته عندما قلت بخصوصية السبع المثاني.

(*) في عام ١٩٩٩ وخلال شهري تموز وآب ذهبت إلى تركيا للحصول على نسخة كاملة لمصحف عثمان بن عفان الموجود في استانبول بمتحف سراي الباب العالي، وبعد جهد جهيد حصلت على نسخة فوتوغرافية كاملة للمصحف الذي عدد صفحاته ٨١٢. وأنا الآن بصدد إعداد كتاب كامل عنه تحت عنوان «مصحف عثمان يظهر للوجود بعد غياب أربعة عشر قرناً، ويُنشَر للعالم كما كتب في عصر الرسول الكريم».

بحسب هذا القرآن: كل البسملات تعتبر آيات معدودات ضمن نص السور التابعة لها، وتُكتب من أول السطر وليس في منتصف الصفحة، ويأتي بعدها النجمة الأولى كدليل اعتبارها الآية الأولى.

شريعة القرآن
أسس ومبادىء حكم الله وشرعه المنزل
بحسب آيات القرآن العظيم

لاشك أنك قد سمعت وما تزال تسمع أن سبب تخلف الشريعة الإسلامية هو توقف الأخذ بالاجتهاد من قبل المسلمين.

إن من يقارن ما مع المسلمين من فقه وما يدعونه من شرع يتبين له تناقضه مع آيات الله البينات في القرآن العظيم، وهذا كان من أحد أهم أسباب تخلف المسلمين ومن أهم العوائق في سبيل تقدمهم الحضاري وفهمهم للعلوم الحقيقية التي بها يتشكل حضارات العالم.

بإمكان أي باحث أن يكتشف من خلال آيات القرآن وحدها مع مقارنتها بما معنا من شرع ندعيه، أننا ما زلنا نتخبط في الظلام داخل كهف عظيم لا نجد فيه بصيصاً من نور، حشرنا فيه منذ زمن قديم بالقوة، فظننا أن العالم كله ينتهي في حدود كهفنا، وبقينا فيه فوق الألف من السنين وما زلنا نقيم فيه رافضين الخروج منه بل مكفرين كل من يتحدث عن نور خارج كهفنا، لمجرد أننا عاجزون عن رؤية ذلك النور الذي لا يمنعنا عنه إلا عنادنا وإصرارنا أن لا نستخدم عقولنا. ويطلق علينا من بعدها أننا من أتباع سنة رسول الله.

وقد نهانا الله في آخر وصية من وصاياه العشر قائلاً ﴿وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ١٥٣ ـ الأنعام.

فأصبحنا رغم وصية الله هذه على سبل انحرفت عن الحق منذ تلك الأيام لدرجة أن الأجداد والآباء ومن بعدهم الأبناء والأحفاد قد تعودوا السير على تلك الطرق فأصبحنا نعتبرها سبلنا الطبيعية، بل أصبحنا نعتبرها سنةً سماويةً واجبة الاتباع، وكل من يفكر أن يغير أو يبدل فيها اعتبرناه كافراً مارقاً من الدين ومبدعاً ضالاً عن سنة الآباء التي تقول (أن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار).

أما إذا اعتمدنا القرآن وحده باعتباره هو الكتاب الوحيد الذي أنزل على رسولنا

الأمين الذي بلغه بأمانة مطلقة لا ينقصه حرفٌ واحدٌ وحياً من ربه الكريم وهو يأمره بداية ويأمرنا من بعده ﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ ٤٨ ـ المائدة. وسمعنا رأي الله تعالى فيمن لا يحكم بما أنزل الله في سورة المائدة في ثلاث آيات شاهدات حيث تقول في الآية الأولى ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ٤٤ ـ المائدة. والآية الثانية تقول ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ٤٥ ـ المائدة. والآية الثالثة تقول ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ ٤٧ ـ المائدة.

طالما نحكم ونحتكم بما لم ينزل الله، ينطبق علينا ما ذكر الله تعالى في الآيات الثلاث حتى ولو قلنا بلساننا (لا إله إلا الله) وصلينا خمس مرات في اليوم، وصمنا رمضان وذهبنا إلى الحج لنغسل ذنوبنا بماء زمزم كل عام مرة. أما إذا عدنا لله تعالى تائبين مستغفرين وبدأنا نطبق ونحكم بما أنزل الله وبدأنا نبحث كيف يمكننا نقل هذه الآية وهذا الأمر للتطبيق الفعلي على الناس، لابد عندها أن نعلم ما في كتاب الله من أجوبة لأسئلة كثيرة في كتابه المبين والمفصل أحسن التفصيل حتى نجد الأسلوب والمثال للتطبيق دون أن نتوقع قوانين تفصيلية لكل الحالات التي لا حصر لها، والتي يمكن أن تقابل المسلمين على اختلاف أماكن أوطانهم مع اختلاف الزمان وتطور الناس وأدواتهم وعقلياتهم وأسلوب معاشهم يوماً بعد يوم.

علماً أننا قد علمنا سلفاً أن رسالة القرآن هي خاتم الرسالات في الأرض، كما أنها أتت هذه المرة للناس كافة دون أن تكون لقوم أو أمة محددة مثل باقي الرسالات السابقة.

لذلك نستطيع القول أن القرآن أتى ليكون دستوراً دائماً للعالمين، ومرجعاً ثابتاً للإنسان أينما كان لمعرفة الحق في أي موضوع، وللحصول على الأجوبة المباشرة لأمور لا يمكن للإنسان وعقله المحدود أن يجد لها الأجوبة الصحيحة وحده، إذا أراد أن لا يتخبط في أسلوب التطبيق لتجارب قد لا تحمد عقباها.

لذلك فمن المنطق أن لا نتوقع في القرآن أحكاماً ثابتة لأي شيء، بل ما يمكن أن نجده دائماً هو الحد الأعلى مع الحد الأدنى أيضاً واحياناً دون ذكر الحد الأدنى، خاصةً إذا كان ذلك الحد يمكن أن ينتهي إلى الصفر الذي هو العفو في الأحكام.

والقاضي المسلم المتفهم للقرآن الكريم وأحكامه على هذا الأسلوب عليه التحرك دائماً ضمن هذين الحدين دون أن يتجاوزهما، وهذا ما يقصده الرحمن في آيات

كثيرة ينبهنا فيها أن لا نتجاوز حدود الله في كل شيء مثل ﴿ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه﴾ ١ ـ الطلاق. ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله ناراً خالداً فيها﴾ ١٤ ـ النساء.

وأسلوب القضاء والحكم بما أنزل الله يتم على نفس وصية الرحمن لرسوله بداية لأن الرسول كان أول قاض يحكم بين الناس بما ينزل له سبحانه من حدود للأحكام من القرآن بحسب مناسباتها الظرفية ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ ١٠٥ ـ النساء.

ومن تلك الآية البينة نستطيع الاستدلال أن النموذج الإلهي موجود في كتاب الله إن بحثنا فيه، وعلى القاضي المسلم الذي يجب أن يحكم بين المسلمين بما أنزل الله من وحي حقيقي لا ظن فيه وهو القرآن، عليه أن يتقيد بذلك النموذج كدليل لأحكامه كلها، ولا نستطيع أن نقول عن ذلك بأنه مقياس، لأن ما يهمنا من النموذج هو معرفة أسلوب الحركة بين حدي الله الحد الأعلى والحد الأدنى دون أن نتجاوزهما. أما الحادثة نفسها ونوع الجرم المرتكب فذلك يختلف دائماً في كل حادثة بذاتها فلا يمكن قياس أي حادثة على حادثة أخرى، لأن لكل حادثة خصوصياتها، وإن ظننا في البداية أن بعض الجرائم أو الجنايات متشابهة، والنموذج الوحيد هذا نجده في سورة وحيدة هي سورة المائدة، السورة المتخصصة في بيان وشرح أحكام كثيرة مع بيان الفرق بين شرع أهل الكتاب وشرع خاتم الرسالات. فإلى آية النموذج في سورة المائدة ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض. ذلك لهم خذي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ ٣٣ ـ المائدة.

من دراسة هذه الآية نتبين ما يلي:

الجريمة هي من أكبر الجرائم ومع ذلك نجد أن الله تعالى قد وضع لها أربعة نماذج من الأحكام متسلسلة من الحد الأعلى إلى الحد الأدنى:

أولها: تحكم بالقتل بلا تعذيب ولا تمثيل بجثة المقتول. ولم يحدد سبحانه وسائل القتل لعلمه أنها متعددة بحسب أعراف الناس المتغيرة مع تغير الزمان والمكان فتركها سبحانه مفتوحة علماً أن قاعدة العقوبات في الإسلام مبنية على الآية القرآنية البينة ﴿ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ ١٦٤ ـ الأنعام.

فلا يجوز بعدها في الإسلام ملاحقة أهل المجرم وأقربائه وأولاده وآبائه كما تفعل بعض الدول في الأرض تنكيلاً وظلماً للعباد. وآخرها، هو الحد الأدنى لنفس الجريمة يمكن أن تكون النفي من الأرض.

والظروف السياسية والأمنية وظروف البلد وعلاقاتها مع ظروف المكان والزمان كل ذلك يجب اعتباره وإدخاله بالحساب عند تقدير العقوبات في الإسلام. لذلك يجب أن يكون في الإسلام لكل جريمة حد أعلى وحد أدنى وهي القاعدة الثابتة في نظام الأحكام.

مثلاً ـ السرقة:

الحد الأعلى لأكبر وأعظم سرقة ينتهي بقطع اليد مع مصادرة المسروق، والحد الأدنى يمكن أن يكون العفو إذا ثبت للحاكم أن السارق قد سرق عن حاجة لا ترد مثل جوعه نفسه أو جوع من هو مسؤول عن إعالتهم.

الزنى: الحد الأعلى مائة جلدة بلا رأفة. على أن يتم جلده أمام الناس علناً إذا تبين للقاضي أنه متزوج وزوجته صحيحة الجسم والعقل وتقيم معه في داره وشهد عليه أربعة شهود مشهود لهم بالصدق عند الناس ثم ينزل نحو الحد الأدنى بالجلد خمسين جلدة أو أربعين أو عشرين أو بالحبس و بالغرامة المالية أو بالعفو إذا رأى أن الفاعل أو الفاعلة غير مسؤولان عن الفعل. وإنما المسؤولية تقع على المجتمع أو النظام السائد في أعراف الزواج، فتتطلب شروطاً قاسية ليست من قدرة أغلب الشباب وبالتالي يتوقف كثير منهم عن التفكير فيه، وكذلك الأمر بالنسبة لعدد من الشابات.

صحيح أننا لا تستطيع إلا أن ننصحهم بالصبر والصلاة ولكن ذلك كما نعلم غير كاف لمنع حاجة جسمية ونفسية خلقها الله في الإنسان. وهكذا فليس في الإسلام المبني على القرآن المنزل وحياً من السماء أحكاماً ثابتة لأي شيء بمعنى العين بالعين والسن بالسن.

وهذه الشريعة تدعى الشريعة الحدية وقد كانت شريعة لبني إسرائيل قبلنا، لأن تطور الناس وعقلياتهم مع الزمن لم يكن يسمح إلا بذلك، ولكن شريعة القرآن شريعة عالمية لكل زمان ومكان. فهي شريعة مرنة تتماشى مع تطور الناس وعقلياتهم مع الزمن وتختلف عن شريعة العين بالعين الخاصة بأهل الكتاب وحدهم ﴿وكتبنا عليهم

فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ٤٥ ـ المائدة.

والقاعدة الثانية في الحكم والأحكام القضائية في الإسلام المعتمد على ما أنزل الله من وحي يقيني لا ظن فيه هو الاستنباط من القرآن ﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ٨٣ ـ النساء. وقد كانت تلك الآية مسبوقة بآية أخرى مبينة لها وهي الآية التالية ﴿أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

وعملية تدبر القرآن عملية شاملة لكل ما في القرآن وعملية استنباط الأحكام من القرآن ومن روح هذا الكتاب العظيم هي إحدى العمليات تدبر القرآن من قبل المسلمين.

فكما أن الله تعالى استثنى سورة التوبة بكاملها لأنها سورة خاصة، خاطب فيها الله سبحانه الرسول وصحابته الأحياء، حتى لا يظن المسلم أن ما فعله الرسول في مكة أو في المدينة في القرن السابع الميلادي أصبح نموذجاً ثابتاً لا يتغير يجب أن يطبق على كل المسلمين في العالم وفي جميع الأزمنة، مع أن التغير والتبدّل سنة الله في كل خلقه وقانونه الدائم في الكون لكل مخلوقاته، ونحن نعلم أن عبارة (الله ورسوله) وردت في سورة التوبة وحدها ـ ١٩ ـ مرة بدليل أن الناس كانوا يتعاملون مع الرسول مباشرة حيث كان هو شخصياً يطبق أوامر الله وأحكامه يوماً بيوم بحسب التنزيل الحكيم، فلم يكن الرسول بحاجة أصلاً إلى قرارات خاصة طالما يريه سبحانه ما عليه أن يفعل في كل حالة، لكن هذا الموضوع يختلف بعد وفاة الرسول حيث يبقى القرآن شرعاً ودستوراً دائماً للمسلمين مع عدم وجود الرسول الذي مات مثل غيره من الناس منذ زمن بعيد ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ ٣٠ ـ الزمر.

إن الإسلام الذي بلغه خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام كان خاتم الرسالات، وجهه سبحانه للعالمين من كل أمم الأرض على اختلاف عاداتهم وتقاليدهم.

والله سبحانه الذي يخاطب عقول الناس وأفئدتهم لا يمكنه أن يطلب من الناس المستحيل، فهو يعلم أن الأمم لا يمكنها أن تتخلى عن عاداتها وتقاليدها وأعرافها، لذلك

قبل سبحانه أن تكون كلها مقبولة في الإسلام العالمي شريطة أن لا تتعارض أحد تلك الأعراف مع حدود الله.

مثلاً الأمة التي من أعرافها قبول الربا أو شرب الخمر أو زواج المتعة أو أكل لحم الخنزير أو الزواج من الاختين معاً. على تلك الأمة أن تلغي تلك الأعراف التي تتخطى حدود الله بشكل عام أما ما عدا ذلك فمن حق كل أمة أن يكون لها من الأعراف ما تشاء وترغب.

عندها تعود الأمور كلها لله باعتبار أن الشرع والقرآن لله أصلاً وليس لغيره، وهذا هو سر التوحيد الإسلامي الحقيقي والابتعاد عن الإشراك بالله ﴿واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً﴾ ٣٦ ـ آل عمران.

علماً أننا نجد في السورة الخاصة في القرآن وهي سورة التوبة التي استثناها الله تعالى من كل القرآن وجعلها لا تبدأ بالبسملة حتى يعلم المسلم خصوصية هذه السورة الوحيدة ليعتبرها نموذجاً لأوامر الله في عهد رسوله وخلال حياته وحكمه بين الناس بما أنزل الله عليه وتحريمه لما حرم الله في الآيات المنزلات، فنجد سبحانه يقول في تلك السورة ﴿ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق﴾ ٢٩ ـ التوبة. لعلمه سبحانه أن رسوله الأمين كان يحرم تماماً ما حرمه الله ﴿ولو أنهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله﴾ ٥٩ ـ التوبة.

لعلم الله أن ما آتاهم الرسول كان بحسب ما أمره سبحانه في آية قرآنية لن يخالفها الرسول الأمين المنفذ لأمر الله وتعليماته آية آية ﴿وقعد الذين كذبوا الله ورسوله﴾ ٩٠ ـ التوبة. لعلمه سبحانه أن الذين كذبوا على رسول الله كانوا يحاولون أن يكذبوا على الله الذي كشف كذبهم لعلمه ما في نفوسهم ﴿وسيرى الله عملكم ورسوله﴾ ٩٤ ـ التوبة. لأن الله حي قيوم يرى دائماً أعمال عباده جميعاً وعندما كان الرسول حياً مع أصحابه كان يرى أعمالهم التي كانت تجري أمامه. لكن بعد وفاة الرسول وعودة نفسه الطاهرة راضية مرضية إلى ربها اختلف الموضوع، لذلك فقد وضع لنا سبحانه نموذجاً في القرآن لنهتدي به، وهو نموذج السبع المثاني الذي سبق وشرحناه قبل هذا الموضوع مباشرة.

إن القاعدة اليوم هي أن الناس على دين ملوكهم وزعمائهم وآبائهم وهؤلاء هم العامة، ولكننا إذا عدنا إلى كتاب الله لنعلم رأي الله فيما هو قائم، نجده يستنكر الآبائية

ثم يضرب لنا سبحانه نموذج إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذي اهتدى بعقله إلى الله قبل أن يختاره سبحانه رسولاً. لأنه عليه الصلاة والسلام كان يستخدم عقله ويفكر به كما يجب على كل إنسان عاقل أن يفعل. ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾ ٧٤ ـ الأنعام.

لقد عرف أن آباءه كانوا في ضلال ولكنه هو نفسه لم يكن قد وجد سبيل الهداية بعد، حيث نعلم من قصته ما حدث له وهو يبحث عن الله الحقيقي الذي اهتدى إليه بعقله الفطري ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين * فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريءٌ مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ ٧٦ ـ ٧٩ ـ الأنعام.

ومطلوب من كل إنسان أن يهتدي إلى الحق إن كان بين تلك الكتب والديانات دين حقيقي وكتاب سماوي عليه برهان من الله تعالى يثبت عدم تحريفه، وليس من قدرة أحد أن يأتي بمثله أبداً. كتاب الله يجب أن يكون كتاباً فوق الكتب يحوي إعجازات لا تعد ولا تحصى لأنه من صنع خالق عليم قدير على كل شيء لا يعجزه شيء أبداً.

كتاب شامل كامل فيه كل الأجوبة على كل تساؤلات المسلمين، كتاب لا تناقض فيه ولا اختلاف مثل باقي كتب الأرض من تآليف الناس. كتاب يصدق للعلوم كلها، ويحيط بكل العلوم لأنه كتاب الخالق العليم الخبير.

لذلك سوف نترافق أنا والقارىء في هذا الكتاب الفريد لأبين له بعض أسرار القرآن مما فتحها سبحانه وتعالى أمام بصيرتي وأنا أتلو القرآن وأرجو منه وحده سبحانه إلهامي بالمعاني والمقاصد الحقيقية، لعلمي أنني أمام كتاب فيه رموز كثيرة جعلها الله سهلة الاكتشاف على المتفكر في القرآن، ولم يجعلها أحاجي صعبة الحل حتى يُعجزَ بها الناس. بل نجدها سهلة على المتفكرين في آيات الله من الذين يحاولون أثناء التلاوة الفهم والإدراك للمعاني مع العودة للاستدلال بالآيات المتشابهة لها مع الكلمات المستخدمة في القرآن.

إن إيمان العلماء بالقرآن بعد رؤية البراهين من جديد سوف يكون مختلفاً عن إيمان

الأولين بالتسليم. والفرق كبير، لأن المؤمن تسليماً لم يؤمن عن برهان ولاعن عقل وتفكير، فيسهل على المضللين من الكافرين حرفهم إلى دين الملأ (الطاغوت) من جديد كما حدث في كل الأديان والرسالات الأولى، لكن العلماء إذا آمنوا لن يسهل إضلالهم فهم يعرفون الحق ويقدرونه، كما أنهم إذا تعرفوا على الله تعالى سوف يقدرونه حق قدره، لأن الله سبحانه هو الذي يقول عن هؤلاء الذين سيؤمنون بالله والقرآن إيماناً عقلياً مستنداً إلى البراهين العلمية لا يمكن لإبليس أن يزحزحهم عن الصراط المستقيم ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن الله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم﴾ ٥٤ ـ الحج.

﴿إن الذين أتوا العلم من قبله إذ يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا﴾ ١٠٧ ـ الإسراء.

﴿قال الذين أوتوا العلم إن الخزي واليوم والسوء على الكافرين﴾ ٢٧ ـ النحل.

﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق﴾ ٦ ـ سبأ.

﴿إنما يخشى الله من عباده العلماء﴾ ٢٨ ـ فاطر.

لأن الذين يؤمنون بالعلم وقوانينه يؤمنون بوجوب الوجود لخالق عالِم خلق كل شيء بالعلم.

أعود قبل نهاية هذا الموضوع إلى فقرة مررت عليها مر الكرام بلا تفصيل وهو أن القرآن كتاب يعتمد في بنائه على الرموز والكنايات والتشابيه والأمثال لماذا؟ لأنه كتاب أنزل للذين يعلمون ويفقهون ويتفكرون ويعقلون من أولي الألباب، فهو ليس للذين لا يعلمون ولا يفقهون ولا يتفكرون ولا يعقلون.

وهؤلاء هم جهلة الناس الذين قال عنهم سبحانه استخفافاً بهم ﴿وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾ ٦٣ ـ الفرقان. أو قوله سبحانه ﴿وأعرض عن الجاهلين﴾ ٩٩ ـ الأعراف. فأسلوب الله مبني على الكناية مثل قوله سبحانه ﴿لامستم النساء﴾ ٦ ـ المائدة. بمعنى القيام بالعمل الجنسي المشروع بين الرجال والنساء بعد عقد النكاح شرعاً. أو قوله تعالى مستخدماً عدة كنايات في آية المحيض ﴿ويسألونك عن المحيض قل هو أذىً فاعتزلوا النساء في المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فإذا تطهرن فأتوهن من حيث أمركم الله إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ٢٢٢ ـ البقرة. (قل هو أذىً) كناية أن العلاقة مع الحائض قد تسبب أذى للطرفين.

(فاعتزلوا النساء) كناية عن الابتعاد فقط بالأعمال التي لها علاقة جنسية.

(ولا تقربوهن) كناية عن الابتعاد فقط بالأعمال التي لها علاقة جنسية.

(فأتوهن من حيث أمركم الله) أي من الفرج المكان المخصص للإنجاب فقط.

لذلك نستطيع القول مطمئنين أن القرآن مبني على الكنايات إذا استوجب الموقف والحديث السماوي ذلك. ولكن ماذا عن الرموز:

إنها كثيرة ومتدرجة منها الرموز الخفية التي تحتاج إلى تفكير مع دراسة للآيات والكلمات: (علماً أن كلمة رمز في القرآن تعني الإشارة دون الحاجة إلى التعبير بالكلام) مثل قوله تعالى لرسوله زكريا الذي طلب من ربه علامة يستدل بها: ﴿قال رب اجعل لي آيةً قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا﴾ ٤١ ـ آل عمران.

وذلك أن الله تعالى ربط له لسانه فعجز عن الكلام ثلاثة أيام فاضطر أن يتفاهم مع من حوله بالإشارات التي سماها الله تعالى في القرآن (رمزاً).

ومن الرموز الخفية مثلاً قول الله تعالى لآدم وزوجه في القرآن، ﴿ويا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين * فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين * وقاسمهما إني لكما من الناصحين * فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكم عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين * قالا ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين * قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين * قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون * يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون * يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج أبويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوءاتهما إنه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون * وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله مالا تعلمون﴾ ١٩ ـ ٢٨ ـ الأعراف.

من خلال دراسة آيات سورة الأعراف والآيات الأخرى من سورة البقرة وفيها الموضع الثاني الذي يتطرق إلى الموضوع في الآيات من ٣٥ ـ ٣٩ ـ من سورة البقرة.

نعلم أن الشجرة رمز للمعصية لما أمر الله الابتعاد عنه، كما نعلم أن الله تعالى قد أحل للزوجين متعتين لا ثالث لهما وهما تابعتين لشهوتين مقابلتين هما شهوة البطن: وتقابلها المحللات التي هي الطيبات والمحرمات التي هي الخبائث، شهوة الفرج: ويقابلها الحلال بالنكاح والحرام بالزنى، وعندنا بعد ذلك الفاحشة ما ظهر منها وما بطن.

والحقيقة أن الله تعالى ينهى عن الفحشاء. وهذا في تقديري هو ما نهاهما ربهما عنه، هذا وقد ذكرت في كتبي السابقة بالتفصيل أن آدم خلق من تراب هذه الأرض وإلى هذا التراب نفسه عاد جسده بعد موته، فهو لم يخلق في السماء وللذين يظنون أنه هبط من السماء بدليل قوله تعالى: ﴿قل اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾.

بينت دليلي بأن الله تعالى لم يستخدم كلمة الهبوط في القرآن الكريم ليشير إلى النزول من السماء وإنما إلى الانتقال من مكان إلى مكان آخر في الأرض وآياتها كثيرة مثل قوله تعالى مثلاً لبني إسرائيل ﴿اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم﴾ ٦١ ـ البقرة. أو قوله سبحانه لرسوله نوح عليه السلام ومن معه أن يهبطوا من السفينة إلى الأرض التي وصلوا إليها ﴿قيل يا نوح اهبط بسلام وبركات عليك﴾ ٤٨ ـ هود.

فلا مجال للظن بأن للهبوط علاقة بالنزول من السماء، وعقوبة آدم كانت بإخراجه من منطقة لا عمل فيها إلى منطقة أخرى من الأرض يحتاج فيها للعمل وللزراعة حتى يأكل ليعيش. وغاية القصة الرمزية كلها هي أمر آدم بالابتعاد عن الفاحشة، والتقرب إلى الله بالتقوى، وهي أفضل لباس للإنسان يقيه من السوءات والشياطين، والمعنى الثاني توجيه آدم للعمل والبناء في الأرض.

لذلك إذا قلنا أن القرآن كتاب يعتمد على الرموز دفعاً للعقل الإنساني إلى التفكير نكون قد اقتربنا أكثر من حقيقة القرآن ولا نكون قد ابتعدنا. ولا مجال لشرح رموز القرآن كلها في هذا الكتاب لعلمي أن هذا يحتاج إلى كتاب كامل والله الموفق دائماً، وما كان مقصدي من كل ما كتبت إلا تقريب القارىء من حقيقة القرآن وعظمته، ليصل بعد ذلك لوحده إلى مقاصد الرحمن بسهولة ويسر. ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسي ما قدمت يداه إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾ ٥٧ ـ الكهف.

هنا الرموز في الآية من الرموز الظاهرة التي لا تحتاج إلى عمق في التفكير لمعرفتها ﴿إنا جعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقراً﴾.

لفهم مثل هذه الآيات لابد أن نفهم أولاً أن الله تعالى عنده دائماً حقائق وليس عنده سحر ولا أعمال سحرية، فعصى موسى عندما تحولت إلى ثعبان أصبحت ثعباناً حقيقياً لا وهم فيه ولا ظن، لذلك يجب أن نفهم أن الأكنة والغشاوة على القلوب هي حقيقية والوقر في الآذان أيضاً حقيقي بمعنى وجود مانع حقيقي لسماع الحقيقة، أو مانع حقيقي لرؤية الحقيقة، أو مانع حقيقي لفهم الحقيقة، وهذا كله يكون في الأصل الإيمان بكتب أخرى مع كتاب الله نظنها كتب تفسير مقدسة أو كتب تأويل تعتبر فوق الشبهات والظنون، فنؤمن بها وبما تقوله عن حقائق الله دون رؤية أو سمع أو فهم ما قاله الله أصلاً، مع أن إبعاد تلك الكتب هو مثل إبعاد الغشاوة عن العين والوقر عن الأذن والمانع عن الفهم، ومع الإيمان بكتب أخرى مع كتاب الله الحقيقي لا يمكن هداية أي إنسان إلى الحق وهذا ما يقصده الرحمن بقوله ﴿وإن تدعهم إلى الهدى فلن يهتدوا إذاً أبداً﴾.

ومع المسلمين اليوم آلاف الكتب التي تعتمد كلها على أحاديث تقوم مقام الغشاوة على عقل المؤمن فتمنعه من فهم الحقائق القرآنية، وكذلك تعمل عمل الغشاوة على العين فتمنعه من رؤية الحقيقة في القرآن، وكما تمنعه أيضاً كالوقر في الأذن من سماع الحقيقة إذا قالها له ناصح أمين فتجاهل وكأنه لم يسمع شيئاً، وكذلك المسلم أو المسلمة على فرض أنهما لم يقرآ كتب الأحاديث، لكن الأبناء يتلقنونها من شيوخهم، فينشأ الشاب المسلم وتنشأ الشابة المسلمة وفكرهما ومخيلتهما قد تشبعتا بكل ما لقنوا من ضلالات. والآن عندما تحدثهم عن القرآن وحده يقفون أمامك مشدوهين ويسألونك أليس في القرآن كذا وكذا؟ لأنهم لم يقرأوا بعد أي كتاب في الدين وكل ما يعرفونه قد تلقوه تلقيناً، وهذا يتكرر في كل الأديان. لذلك أعلم أن عملية إعادة الناس إلى حقائق الله في القرآن العظيم ليست سهلة بل تحتاج إلى جهود كل المتعلمين والمثقفين من الشباب الذي يعود فيبني إيمانه من جديد بالله عن طريق معرفته الفعلية بما قاله الله تعالى فعلاً في القرآن وليس ظناً أو تلقيناً من أحد. والقرآن كتاب دقيق في استخدام الألفاظ يجب الانتباه لها دائماً.

لقد مرت علينا آية يقول الله تعالى فيها ﴿يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوءاتكم وريشاً﴾ وهنا على المسلم المتفكر في آيات الله أن يكون موضوعياً: فلا يظن مثلاً أن الله تعالى قد أنزل من السماء السابعة مثلاً لباساً للإنسان ومع اللباس ريشاً، لأن

في ذلك شذوذ عن القاعدة القرآنية الأساسية التي تقول ﴿فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة الله تحويلا﴾ ٤٣ ـ فاطر.

فما هي سنة الله وأين أوجد سبحانه للإنسان مما يلبس؟.

قبلها علينا التفكير ماذا ينزل الله تعالى عادة من السماء في كل موسم؟.

لنقرأ الآية التالية لنقرب المعنى أكثر أو نقترب نحن من المعنى القرآني ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله من رزق﴾ ٥٩ ـ يونس. والرزق هو كل ما يأكله الإنسان من لحوم أو من إنتاج الأشجار والنباتات مثل القمح مثلاً أو الزيتون إلى آخر المأكولات.

وأصل هذا الرزق ماء نزل من السماء لولاه لما كان كل هذا الرزق أصلاً.

وكذلك يجب فهم اللباس الذي تنزل من السماء أصلاً على شكل ماء ثم أصبح على شكل ألياف الكتان أو القطن فتتحول بعد صناعتها إلى ملبوسات كتانية أو قطنية، وكذلك الحرير الطبيعي الذي تصنعه دودة القز مما تأكله من أوراق شجر التوت الذي أصله بدايةً من السماء بدليل قوله تعالى ﴿هو الذي أنزل من السماء ماء منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون﴾ ٩ ـ النحل.

فالشجر أساسه ومنشأه الماء الذي نزل من السماء والآية واضحة كما تشاهدون.

وعلى نفس الطريقة فمصدر كل الحيوانات هو الماء ومن جلودها وأوبارها وأصوافها وشعرها نصنع الملابس، وكذلك الريش أساسه من الماء، وهكذا فهمنا المصدر الأساسي دون أن ندخل في الظنون والمتاهات.

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين﴾ ٩ ـ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

القرآن هو الأساس الثابت للإسلام
فهم مبادىء الشرع الإسلامي من القرآن مباشرة

إن الشباب المسلم المثقف الذي يريد العودة إلى الإسلام الصحيح لابد أن يعلم بأن فكرة الإسلام نفسها مرت في تاريخها بمرحلتين مختلفتين تماماً، علماً أننا لا نستطيع اعتبار مرحلة دعوة النبي محمد عليه الصلاة والسلام في مكة ومرحلة حكمه في المدينة وتطبيقه لوحي الله الذي كان يتنزل عليه تباعاً بحسب المواقف، إلا نموذجاً للدعوة لمن أراد أن يقتدي بها اليوم من أجل التبشير للدين الإسلامي، ومعه وحي الله الصحيح في نص قطعي الثبوت وهو القرآن العظيم.

أما مرحلتي الإسلام بعد وفاة الرسول فكانتا:

أولاً - مرحلة حكم الخلفاء الأربعة المعروفة في تاريخ الإسلام بعصر الخلفاء الراشدين، دامت هذه المرحلة زمنياً من عام ٦٣٢ ميلادية إلى عام ٦٦٠ ميلادية وهي فترة قصيرة نسبياً (٢٨ سنة) لكنها تحتل مرحلة هامة من تاريخ الإسلام لأنها كانت نموذجاً صحيحاً من نماذج ما يمكن استنباطه من فهم القرآن ليطبق على أرض الواقع انطلاقاً من الفرد والأسرة كوحدة هامة وأساسية في الهيكل الإسلامي، للوصول إلى الأمة الإسلامية المتحدة على مبادىء الإسلام دون أن نحاول فهم الاتحاد توحيداً، إلا لشيء واحد هو الله سبحانه وتعالى ولكتابه القرآن. الدستور الاتحادي لجميع المسلمين، مع ترك المجال واسعاً للاختلاف في العادات والتقاليد والأعراف شريطة أن لا تتجاوز حدود الله المبينة في كتابه ودون تخطي خطوط ما حرم الله، أو بالسماح لما نهى عنها وأمر باجتنابها.

لكن تلك المثاليات بدأت تزول بالتدريج من قلوب الناس، خاصة أن المجتمع كان في أوله مجتمعاً جاهلاً، فعاد الناس إلى الميل لأهوائهم وشهواتهم، خصوصاً عندما توفرت الإمكانيات المادية بين أيديهم. كما حصل مباشرة بعد الفتوحات الإسلامية التي تمت في عصر الخليفة الثاني عمر بن الخطاب.

صحيح أن أغلب صحابة الرسول تمسكوا بحبل الله وهديه، ولم يلتفتوا إلى أموال الدنيا، لكن الكثيرين منهم، تاقت نفوسهم للتمرغ في متع الدنيا كما يقررها معاوية بن

أبي سفيان بنفسه، إذا صح الحديث الذي رواه ابن كثير الدمشقي في تاريخه البداية والنهاية. قال معاوية: (أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته فلم يردها وأما نحن فتمرغنا فيها ظهراً لبطن)(*).

وهكذا عادت الأمور إلى فئة الملأ من الأمة وهي سنة الأولين في قصص القرآن.

ثانياً - مرحلة حكم الملأ للإسلام:

هذه المرحلة تبدأ بحكم معاوية بن أبي سفيان الذي قاد حرب الفتنة الكبرى في الإسلام، وكانت نتيجتها تقسيم المسلمين إلى ثلاث فئات كبرى أساسية وهي:

السنة: وهم أتباع المنتصر ويشكلون الأكثرية.

الشيعة: وهم الذين كانوا يناصرون الخليفة الرابع علي بن أبي طالب.

الخوارج: وهم الذي خرجوا على علي من جيشه في موقعة صفين الفاصلة.

وحتى نكوّن فكرة عن الملأ يجب العودة للقرآن، فهم يمثلون الفئة الغنية في قريش، من الذين تضررت مصالحهم الشخصية بالقرآن، الذي حرم عليهم أموراً كانوا يتمتعون بها عن طريق أموالهم قبل الإسلام في قضاء الشهوات. كما تضررت مصالحهم المالية بإلغاء الربى والربح الفاحش والاحتكار والأمر بدفع الزكاة حقاً على الأغنياء للفقراء والمحتاجين إليها.

لذلك قالوا للرسول الكريم عندما سمعوا بآيات القرآن يتلوها عليهم ﴿وإذ تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا آئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ ١٥ - يونس.

وحتى لا يظن الجاهل أو قليل العلم والإيمان أن القرآن من عند الرسول كله أو بعضه يقول تعالى ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾ ١٦ - يونس.

وتحدث سبحانه عن الذين سيقولون في المستقبل بوجود وحي آخر مع الرسول هو أحاديثه التي دعوها بالقدسية، ليرفعوها إلى مستوى القرآن، أو الأحاديث الصحيحة أو

(*) - المجلد الرابع الجزء السابع - الصفحة ١٣٨ طبع دار الريان للتراث في القاهرة ١٩٨٨.

المتواترة فيقول تعالى رأيه عنها سلفاً ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾ ١٧ ـ يونس.

ثم يشركون بالله ويعبدون معه غيره من عباده وهذا يكون بالدعاء أو الرجاء لأشخاص من غير الله ليس بيدهم أن يضروا ولا أن ينفعوا لأنهم ببساطة قد ماتوا وأصبحوا في ذمة الله.

﴿ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون * وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون﴾ ١٨ ـ ١٩ ـ يونس.

هؤلاء الذين لم يعجبهم ما في القرآن من صراط مستقيم ووصايا عشر مع كبائر الإثم العشرة، مع الحلال والحرام، وإظهار ما يجب اجتنابه في الإسلام وما فيه من شرائع الحق والعدل والإحسان، كما لم تعجب الملأ فبدلوه بدهاء بادعاء وحي آخر، مع تأويل آيات القرآن لتصب في خطهم الفكري مناقضين أفكار الله في الإسلام، ومبدلين معنى الجهاد ومعنى القتال، سامحين لأنفسهم بالقتل والتعذيب والاغتيال باسم الله ظلماً وافتراء. وحكموا به في ثلاث مراحل أساسية وهي المرحلة الأموية ثم المرحلة العباسية. ثم المرحلة العثمانية، وكلها كانت باسم الله والإسلام، علماً أن الله ورسوله والإسلام والقرآن براء مما كانوا يفترون ويطبقون.

وعلى الشباب المسلم المثقف الذي علم بتلك المراحل التي مر فيها الإسلام، وما يزال يريد العودة إلى إسلام الله الصحيح، الذي كان عليه الرسول الأمين وأصحابه الراشدين، أن يدرك أن روح الإسلام هو القرآن وكل إسلام من دون ذلك الكتاب هو إسلام مفترى من الشيطان. وعليه أن يؤمن كما ورد في كتاب الله، بأن الله تعالى على كل شيء قدير.

فلن يعجزه أن يرسل كتاباً يحوي على معجزات عديدة منها أنه كتاب سهل الفهم، صمم من الله بحيث يفهمه كل إنسان في الأرض إذا قرأه مباشرة بالعربية وهو لا يجهل العربية، أن يفهم منه بقدر حاجته وقدرة عقله على الاستيعاب، علماً أنه ليس بحاجة لأكثر من ذلك الفهم.

والإسلام دين مبني لتكون العلاقة مباشرة بين العبد وربه بلا وسيط من أي نوع وإذا

أحب الإنسان الازدياد في المعرفة ما عليه إلا أن يسأل كتاب الله قبل أن يسأل غيره، وأن يتعود بأن يفتي لنفسه في النهاية مهما سمع من آراء في الإفتاء من الآخرين. هذا أفضل بكثير من الاعتقاد بأن العلم والمعرفة محصورة ومحتكرة في طبقة معينة من الناس ولا يجوز لنا العمل إلا بعد الأخذ بآرائهم. فالإسلام قد ألغى الوصاية وألغى كذلك الوكالة من الله على الناس، وحتى الرسول الكريم منعه تعالى أن يكون وكيلاً له في الأرض بل الله يحكم بما يشاء من خلال كتابه المبين الدستور الدائم للعالمين وإلى يوم الدين.

أقول لهذا الشباب المسلم المتعطش للإيمان وإلى الإسلام عليكم بكتاب الله الذي يحوي شرع الله الحكيم وسنته، وهديه وحديثه وشفاعته، علماً أنه بحسب القرآن لا شرع ولا سنة ولا هدي ولا حديث ولا شفاعة إلا لله رب العالمين، وهذا هو التوحيد الذي يجب أن يسعى إليه المسلم وهو يقول (لا إله إلا الله وحده لا شريك له) وهو يؤمن بأن القرآن هو الهدى وهو النور الذي يخرجه من الظلمات ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور﴾ ١ - إبراهيم.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ما هو شرع الله الحقيقي المذكور في القرآن العظيم

لقد كنت أردد مثل غيري من المسلمين من طائفة السنة ما تعود آباؤنا ترديده نقلاً عن مشايخهم أن مصادر الشرع في الإسلام خمسة هي:

الكتاب ـ والسنة ـ والإجماع ـ والقياس ـ ثم الاجتهاد.

دون أن أعلم أن كلمات ومصطلحات مثل السنة(*) ـ والإجماع ـ والقياس والاجتهاد لم يرد ذكرها أصلاً في كتاب الله الذي هو القرآن العظيم رسالة الله للعالمين و(للناس كافة).

كما كنت أظن أن سبب تأخر المسلمين يعود إلى توقف الاجتهاد بعد أئمة السنة الأربعة الذين اجتهدوا مما كنت أسمعه من الناس من حولي.

بقيت على ذلك الاعتقاد حتى تسنت لي الفرصة لدراسة الأديان وخاصة ديانات أهل الكتاب وما عندهم من كتب مثل التوراة والتلمود والكبالا والزهار، على اعتبار أن التوراة بحسب مصطلحات رجال الدين هو الكتاب باعتباره النص الإلهي الذي أوحي إلى موسى ووصله قسم كبير منه مكتوباً على الصخر بيد الله.

بينما التلمود هو الوحي الشفهي الذي كتبه رجال الدين في عصور مختلفة، ويحوي على مواضيع كثيرة مثل التاريخ والتقاليد والأعراف وخاصة الأحكام الفقهية في المعاملات. (القانون المدني) وكانوا يطلقون عليه اسم (السنة أو الحديث).

وهذا هو سر استنكار الله تعالى للحديث في القرآن، بينما لم يكن أحد من المسلمين قد سمع في الإسلام بمصطلح الحديث في ذلك الوقت، لذلك يحدثنا سبحانه في أحسن الحديث عن أخبارهم قائلاً:

﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون * وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلا بعضهم إلى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون * أولا يعلمون أن الله يعلم ما يسرون وما يعلنون﴾ ٧٥ ـ ٧٧ ـ البقرة.

(*) ـ كلمة السنة: وردت في القرآن فقط بمعنى قانون الله أو بمعنى أعراف الأمم أو قوانينهم العرفية.

إن الذين وقفوا بالمرصاد لرسالة الرسول كانت فئة من يهود الجزيرة، مع أنهم كانوا يبشرون الناس بأن نبياً سوف يظهر من نسل إسماعيل في الجزيرة العربية قبل ذلك:

﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون * ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشره بعذاب أليم * وإذا علم من آياتنا شيئاً اتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين﴾ ٦ - ٩ - الجاثية.

وكان من مصطلحات الفقه اليهودي:

الإجماع: بمعنى إجماع كبار رجال الدين.

القياس: بمعنى قياس حالة على حالة.

الاجتهاد: اجتهاد الفقيه أو القاضي بحكم جديد عندما لا يجد له حكماً في الكتاب أو الحديث أو الإجماع أو ما يقيس عليه.

بينما الشرع الإسلامي من الأساس مبني على قاعدة أخرى مختلفة عن قاعدة أهل الكتاب الحدية التي قال عنها سبحانه شارحاً أن ذلك الشرع كان فقط لدين مرحلي ولشعب واحد من شعوب العالم قائلاً:

﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن﴾ ٤٥ - المائدة.

بينما الشرع الإسلامي مبني على قاعدة الحدود التي لم يتطرق إليها أحد من رجال دين المسلمين وكأنها غير موجودة في القرآن العظيم.

نجد في صحيح البخاري في أول باب تفسير سورة المائدة إشارة ذات مغزى من الشيخ البخاري تحت عنوان:

قال سفيان: ما في القرآن آية أشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم) إذا سمع مسلم لا يعرف القرآن وليس عنده نسخة خاصة ليقرأ منها هذا النص على الشكل الذي أورده البخاري يفهم من النص ما يلي:

ليس مسلماً ولا على دين الله من لا يتبع ويطبق كل ما ورد في التوراة والإنجيل وما أنزل عليه من ربه في كتاب القرآن.

بينما إذا استعرضنا القرآن لنقرأ الآية كاملة نجد عكس ذلك تماماً. فالكلام موجه فقط لأهل الكتاب وليس للمسلمين أصلاً: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى

تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾. إلى هنا والخطاب موجه من الله تعالى وعلى لسان الرسول الأمين يبلغه لأهل الكتاب.

بعدها وفي تتمة الآية يخاطب رب العالمين الرسول الكريم ويخبره عن حدث مستقبلي تنبؤاً بما سيفعله فريق من أهل الكتاب ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين﴾ ٦٨ ـ المائدة.

وحتى لا نسيء الظن بكل أهل الكتاب، فبعد تلك الآية يحدثنا سبحانه مباشرة عن فريق آخر مؤمن يعملون الصالحات وهم لا يشبهون الفريق الأول:

﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٦٩ ـ المائدة.

قد يستغرب السامع الذي يجهل الحقيقة أن يسمع هذا الكلام وأقول لكل المستغربين:

ـ أليس القرآن الكريم هو الكتاب الذي أنزل من السماء وحياً وعلى رسولنا الكريم؟

ـ هل في القرآن الكريم تحريم في المآكل فوق الذي نجده في آخر ما نزل من الآيات على رسولنا الأمين: ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم﴾ ٣ ـ المائدة.

إذن من أين أتانا تحريم كل ذو ناب أو مخلب؟. ومن أين أتانا تحريم لحم الخيول والحمير والبغال؟. وهل في القرآن الكريم أمر من الله لختان الذكور؟. ومن أين أتتنا سنة الختان إذاً؟. وهل في القرآن ذكر لعذاب القبر؟. ومن أين أتانا عذاب القبر؟. وهل في القرآن ذكر لحواء؟. ومن أين أتانا اسم حواء؟. وهل في القرآن ذكر لرجم الزاني والزانية؟. ومن أين أتانا هذا الشرع إذاً؟ وهل في القرآن اسم هاجر وإنها كانت جارية لسارة؟. ومن أين أتانا هذا النبأ وتلك الأسماء؟. وهل في القرآن نبأ بأن إبراهيم كذب على فرعون وقال له عن زوجته سارة بأنها أخته فطرده فرعون بعدان عرف الحقيقة؟.

وهكذا نستطيع أن نضع آلاف من المعتقدات الإسلامية التي نجدها في كتب أهل

الكتاب المحرفة. كما نجدها في الأحاديث النبوية المنسوبة لرسولنا الأمين ظلماً ومنها الحديث المتواتر الذي نجده في أغلب الصحاح عن عبد الله الذي لا كنية له في الحديث رقم ٧٤٠٧ من صحيح البخاري:

قال: ذكر الدجال عند النبي ، فقال: (إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور وأشار بيده إلى عينه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأن عينه عنَبَة طافية).

فهل في القرآن خلاف أو خوف أو خشية من اختلاط الأمر على المسلمين بين الله تعالى الذي علامته أنه ليس بأعور والمسيح الدجال الذي يتصف بأنه أعور العين اليمنى ومكتوب على جبينه أنه كافر! حتى نميزه ونعلم أنه ليس الله؟.

يؤسفني أن أقول للمسلم الذي يجهل الحقيقة أن ما وصله عن آبائه الأولين من دين لا يمت إلى الإسلام إلا بالاسم فقط أما في الحقيقة فهو كل شيء إلا الإسلام المذكور في رسالة الرحمن.

إن الذين طبقوا رسالة الله مع الأسف انتهوا بعد نهاية الخلفاء الراشدين، أما في عصور السلاطين فإننا كنا نطبق ديناً آخر سميته في كتابي الثاني (دين السلطان) تمييزاً عن دين الرحمن الذي هو الدين الحقيقي لله تعالى.

وبما أن جوهر الدين هو شرعه فإني سوف أتحدث عن شرع القرآن، في هذا البحث عن شرع الإسلام ومن القرآن الكريم وحده.

من الجدير بالذكر أن تبديل الدين والشرع لم يفاجىء الله تعالى. بدليل أنه سبحانه أخبرنا عن الذين طلبوا تبديله من ملأ قريش ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ١٥ - يونس.

لذلك فإن الفئة التي طلبت تبديل شرع الله قامت بتبديله بعد الخلفاء الراشدين بمساعدة فريق من رجال الدين الذين مالت نفوسهم للدنيا وملاذها: ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ ٥٩ - البقرة. وهذا حصل في كل الرسالات السابقة للإسلام. وفعل مثله المسلمون بحجة أن الله تعالى أنزل من السماء وحيين: وحي كتابي هو القرآن ووحي شفهي هو ما يسمى بالحديث النبوي الشريف وفيه ما يشاء كل المبدلين.

لنستمع إلى الإمام ابن قيم الجوزية تلميذ ابن تيمية وهو يقر لنا ذلك في كتاب الروح الصفحة (١٣١) طبع دار الكتاب العربي - بيروت ١٩٩٤ - (فهو أن الله سبحانه

وتعالى أنزل على رسوله وحيين وأوجب على عباده الإيمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة) وقال تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ ١١٣ ـ النساء.

ويضيفُ الكاتب أن الحكمة هي السنة (النبوية الشريفة) باتفاق السلف وما أخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والإيمان به كما أخبر به الرب تعالى على لسان رسوله، هذا أصل متفق عليه بين أهل الإسلام لا ينكره إلا من ليس منهم).

والله تعالى نبه رسولنا والمسلمين أن لا يقعوا فيما وقع فيه الأولون في آيات متتابعة من سورة المائدة وأن لا يترك شرع القرآن المختلف عن شرع أهل الكتاب: ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون * افحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ ٤٧ ـ ٥٠ ـ المائدة.

هذه الآيات تبين بصراحة ووضوح بلا حاجة لشرح أو لتأويل أن شرع الإسلام ومنهاجه يختلف من الأساس عن شرع أهل الكتاب الحدي. بينما الفقه الإسلامي الحالي هو فقه مترجم بشكل شبه حرفي عن فقه أهل الكتاب الموجود في التلمود، ومن لم يدرس التلمود لا يمكنه أن يتعرف على تلك الحقيقة حتى من رجال ديننا الآبائيين الذين يقولون غالباً ما لا يعلمون وما لا يحيطون به علماً.

وكما ذكرت سابقاً فإن مصطلح الحديث والأحاديث النبوية كان معروفاً عند أهل الكتاب قبلنا نسبة إلى أحاديث موسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام.. وهذا هو سبب تحديهم بقوله تعالى: ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ ٣٤ ـ الطور.

لكن الذي يعود للقرآن ويبحث عن شرع الإسلام عليه أولاً أن يؤمن أن أحسن الحديث هو حديث الله الموجود فقط في القرآن العظيم الذي يهدي دائماً للأقوم وللأحسن:

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ٩ ـ الإسراء.

فهمنا حتى الآن: أن الشرع الإسلامي لا يقوم وليس له علاقة بالأسس المستنبطة من كتب أهل الكتاب: الكتاب ـ الأحاديث النبوية ـ الإجماع ـ القياس ـ الاجتهاد. فعلى ماذا إذاً يقوم شرع الإسلام في القرآن؟.

إن المسلمين يتجاهلون أولاً أتى ليكون ديناً وشرعاً لكل الأقوام وكل الأمم على اختلاف أعرافها وتقاليدها وهو بالتالي لا يطالبهم بترك أعرافهم وتقاليدهم بل يقبل بها جميعاً وكذلك يقبل بكل المنكر الذي أجمع عليه القوم فاستنكروه. وشرط الله الوحيد في ذلك أن لا يدخلوا في حدود الله. وحدود الله بحسب القرآن هي ما حرم الله، وما لم يرد فيه نص للتحريم فهو في حكم المباح، وللناس أن يتعارفوا عليه أو يستنكروه.

مثلاً قد نجد أقواماً كثيرة تستنكر أكل لحم الكلاب وهذا من حقهم بحسب شرع الله. كما قد نجد أقواماً أخرى تعتبرها من المتعارف عليه ولا تستنكره وهذا أيضاً من حقهم بحسب شرع الإسلام. ولكن ليس من حق أحد أن يأكل لحم الخنزير لأن ذلك محرم بحسب شرع الله وأكله يعني الدخول في حدود الله تعالى.

مثال آخر تعارف الناس قديماً على عرف العبودية فكانوا يملكون عبيداً من ذكور وإناث وعرفوا بذلك ملك اليمين وقبلها الله تعالى لعلمه أن التطور الإنساني سوف يقضي لوحده على ذلك العرف مع الزمن. مع العلم أن الإسلام في جوهره لا يقبل بمبدأ العبودية طالما أن الله تعالى الذي كرم آدم واسجد له ملائكته فكيف لبني آدم أن يرتد ويعود لاستعباد أشقائه بعد ذلك؟

مثال آخر: كذلك تعارف الناس على تعدد الزوجات بلا حدود، فكان سبحانه حدد لهذا العرف حدوداً، إلى أن ضيقه في الإسلام وحصره بحالة واحدة وهي حالة وجود أيتام وأرامل نتيجة الحروب التي تذهب عادة بالرجال. أما ماعدا ذلك فالله تعالى يعلم أن المجتمعات سوف تتعارف على إلغاء ذلك العرف مع الزمن. ولو كان الله تعالى يريد للرجال أن يتزوجوا أربع نساء لخلق عندها سبحانه عدد الإناث في الأرض أربعة أضعاف الرجال، وكل الإحصاءات تدل على أن العدد متقارب، ولولا الحروب بحسب قوانين الاحتمالات التي سنها الله في الكون لعاد العدد متساوياً.

إن المسلمين يتجاهلون أن الله تعالى قد قبل بمبدأ انتماء الإنسان إلى أسر وعشائر وقبائل وشعوب، ولم يطلب الإسلام من أي شعب إذا دخل إلى الإسلام أن يتنكر لقومه أو للغته وأرضه. ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل

لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير﴾ ١٣ ـ الحجرات.

لم يقيد الله تعالى حرية الإنسان بأعراف وقوانين منزلة من السماء، بل ترك الإنسان لحريته منبهاً إياه خلال الرسالات إلى حدود الله، لأنه بتجاوزها سوف يظلم نفسه من غير علم، وحماية له ورحمة بعث الله سبحانه الأنبياء والرسل من أجل تعليمه ووضعه على سبيل الحق الذي هو العلم الحقيقي تاركاً سبل الظن التي كلها ضالة.

والإسلام منذ البداية، بحسب القرآن، كرسالة عالمية للناس كافة، صمم ليكون قادراً على احتواء الناس جميعاً من دون استثناء لأحد، مع اختلاف أعراقهم وألوانهم وقومياتهم ولغاتهم، على مبدأ عام واحد هو مبدأ القبول بالأعراف والقوانين المحلية، لكل فئة من الناس ضمن دولة الإسلام الكبرى، وقبل أيضاً بما استنكرته كل فئة على حدة شريطة أن لا يكون فيها تجاوز لحدود الله المبينة في القرآن رسالة الإسلام ودستوره الدائم لكل زمان ومكان.

ليس لنا في إسلام القرآن مجال للاختلاف في وجهات النظر بين مذاهب وآراء، لأن رأي الله تعالى قاطع فيها وبيِّن وعلينا أن نحكم فيها عقولنا بلا تحيز لما تهوى به أنفسنا أو لما تقتضيه مصالح البعض منا.

إن شرائع الأرض وقوانين الأمم يقبلها سبحانه كشرائع إسلامية شريطة أن لا تتعارض مع حدود الله المبينة في كتابه العظيم، ولا تدخل في بنود ما حرم في الصراط المستقيم ذو العشر وصايا التي تنقلب إلى عشر كبائر إذا عكسناها. وهي كبائر بينها سبحانه في ثلاث آيات حيث قال فيها:

﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * وأنَّ هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ١٥١ ـ ١٥٣ ـ الأنعام.

وكما نلاحظ لقد وردت هذه البنود العشرة كوصايا بدليل قوله أولاً: ﴿ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون﴾ ثم قوله تعالى مرة ثانية في نهايتها ﴿ذلك وصاكم به لعلكم

تتقون﴾ فكانت الوصايا الخمس الأولى:

١ ـ عدم الإشراك بالله.

٢ ـ بر الوالدين.

٣ ـ الامتناع عن الوأد والإجهاض خوف الفقر.

٤ ـ الابتعاد عن الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

٥ ـ استنكار قتل النفس إلا بالحق بعد محاكمة عادلة.

من باب العقل فقال سبحانه في نهايتها:

﴿لعلكم تعقلون﴾

بينما كانت الوصايا الخمس اللاحقة:

٦ ـ استنكار أكل مال اليتيم.

٧ ـ الابتعاد عن الغش بالميازين والمكاييل.

٨ ـ الامتناع عن الكذب ومحاولة قول الصدق ولو كان فيه ضرر ظاهري.

٩ ـ الالتزام بالعهود والعقود والمواثيق.

١٠ ـ الالتزام بسبيل الله وشرعه الحنيف المبين في القرآن وترك باقي السبل التي اعتبرها سبحانه ضالة بالإجماع.

ثم قال سبحانه في نهايتها:

﴿لعلكم تتقون﴾ لأنها تأتي فوق العقل من باب التقوى لعلم الله أن العقل قد يحكم للإنسان من باب مصلحته الذاتية بغض النظر عن حرامه وحلاله، فتأتي التقوى ليجعل الإنسان يحكم لجانب الحق بغض النظر عن المصلحة الخاصة.

وإذا عكسنا الوصايا السابقة نجدها قد تحولت إلى عشر كبائر وهي التي قال عنها سبحانه: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾ ٣١ ـ النساء. إن القتل بلا حق كبيرة من كبائر الله ولكن الفتنة أكبر من القتل عند الله في الإسلام ﴿والفتنة أكبر من القتل﴾ ٢١٧ ـ البقرة.

لذلك فإن الذي حدث بعد وفاة الرسول الكريم وفي أول عهد الخليفة أبو بكر الصديق رضي الله عنه أن كانت فتنة في الإسلام ومحاولة لتقسيم المسلمين إلى فئتين:

فئة تقبل بالزكاة وفئة ترفضها ولم تكن ارتداداً عن الإسلام إلى الجاهلية. كما يظن أغلبية المسلمين. وكذلك ما فعله معاوية بن أبي سفيان في حربه لعلي بن أبي طالب الخليفة الراشدي الرابع كان فتنة في الإسلام، فكانت نتيجتها تقسيم الإسلام إلى ثلاث فرق وهي السنة والشيعة والخوارج.

فكانت أول وأكبر فتنة في الإسلام حرفت المسلمين من بعد الراشدين ولم يستقم الإسلام بعدها إلى هذا اليوم، وانتهى بعده عهد الحكم بما أنزل الله وحل مكانه نسخ القرآن بأحاديث ظنية وضعت في عهود السلاطين وادعى لها مشايخ بأنها وحي آخر نزل من السماء وإن لم يكتبه كتبة الوحي، وجعلوا لتلك النصوص قيمة فوق قيمة القرآن إلى درجة أنهم قبلوا بنسخ آيات قرآنية بنصوص ظنية بادعاء أنها متواترة، بعد أن خلقوا في الإسلام علماً جديداً سموه علم الحديث، بغض النظر عن استنكار الله لحديث بعد حديثه في القرآن العظيم:

﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

وبغض النظر عن إشارة الله تعالى إلى تجار الحديث الذين باعوا واشتروا به:

﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضل عن سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين﴾.

أما إذا سمع آيات الله في القرآن فماذا يفعل: ﴿وإذ تتلى عليه آياتنا ولى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشره بعذاب أليم﴾ ٧ ـ لقمان.

والآن ننتقل إلى موضوع آخر له علاقة مباشرة بالشرع وهو ما تعارف عليه المسلمون اليوم ويقولون عنه: حاكمية الله.

من أين أتت هذه العبارة؟ وما مقدار مصداقيتها استناداً لآيات الله في القرآن.

إن كلمة الحاكمية أو عبارة الحاكمية لله المستخدمة من فرق المسلمين أتت من مجموعة آيات في سورة المائدة هي:

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ٤٤ ـ المائدة.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ٤٥ ـ المائدة.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ ٤٦ ـ المائدة.

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم

بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم إنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ ٤٨ ـ ٤٩ ـ المائدة.

هذه الآيات تبين للناس سواء كانوا من أهل الكتاب أو من المسلمين أن الحكم والشرع يكون بموجب ما أنزل الله لهم كأهل كتاب أو لنا كمسلمين قبلنا بالقرآن رسالة وآمنا به كله وبلا استثناء لآية واحدة.

ولكن هذه الحاكمية لا تعني أن الله تعالى سوف يسكن في الأرض ليحكم بين الناس، بل الناس هم الذين سيحكمون بموجب ما أنزل الله تعالى من وحي وبموجب فهمهم الإنساني للنصوص وبموجب استنباطهم من القرآن للأحكام.

فالحاكمية تبقى دائماً للإنسان من خلال فهمه وتفاعله مع نصوص الرحمن وإلا لما قال سبحانه للملائكة منذ البداية ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ٣٠ ـ البقرة.

أو قوله تعالى لملك نبي ﴿يا داوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نسوا يوم الحساب﴾ ٢٦ ـ ص.

خلق الله تعالى الإنسان ليجعله خليفته في الأرض يتصرف بحرية مستخدماً ما منحه الله من عقل وما علمه سبحانه من علم وما جعل له من مشيئة وإرادة فاعلة، وجعله مسؤولاً عما يفعل يتحمل نتائج أخطائه في الدنيا قبل الآخرة. فالإنسان إما أن يتبع نصائح الرحمن فيحكم بالحق والعدل أو أن يتبع هواه فيضل عن سبيل الله ظالماً نفسه مع العباد. وهكذا فالحاكمية تبقى في الأرض تابعة بشكل دائم لإرادة الإنسان وحريته للاختيار وبناء على تلك الإرادة والحرية الفاعلة أوجد سبحانه مبدأ المسؤولية لجميع الأعمال صغيرها وكبيرها التي تقع ضمن قائمة الاختيار للإنسان، حيث جعل سبحانه مبدأ المسؤولية للثواب والعقاب له طرفان: ثواب أو عقاب في الدنيا مع ثواب أو عقاب في الآخرة.

أما تقولنا في الأحاديث المنسوبة ظلماً لله ورسوله مثل الحديث الذي نجده في

الصحاح ومنها الأحاديث ذات الأرقام ٣٤٠٩ - ٤٧٣٦ - ٤٧٣٨ - ٦٦١٤ - ٧٥١٥ من صحيح البخاري عن: قول آدم الذي نظنه من حديث ظني في كتب الصحاح: حيث يعاتب موسى عليه الصلاة والسلام آدم ويقول له: لقد أخرجتنا يا آدم بخطيئتك من الجنة فيرد عليه آدم بحسب منطق الحديث ويقول: أتلومني على خطأ كتبه الله علي قبل أن أخلق بأربعين سنة؟

فيقول أبو هريرة في نهاية الحديث: فحج آدم موسى على لسان الرسول افتراء بعكس ما بلغ الرسول الأمين في قرآن كريم ووحي قويم لذلك كل الذين ينادون بالحاكمية لله في الإسلام إذا حدث واستلموا مقاليد الأمور وحكموا بين الناس فسوف يحكمون بحسب فهمهم الخاطىء للشرع، وبحسب فهمهم الخاطىء للحاكمية فيكون حكمهم أظلم من غيرهم، لأنهم لا يستندون في حكمهم إلى نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة بل يستندون إلى نصوص كلها ظنية ودلالاتها أيضاً ظنية. مبدلين حكم الله وشرعه إلى أحكام وشرائع من صنع الحاكم الدنيوي الذي لم يعجبه القرآن بداية وقال للرسول الأمين علناً: ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ١٥ - يونس.

وهكذا إذا فهمنا آية الاستخلاف المبنية على حرية الإنسان في الأرض، نفهم أن الحاكمية في الأرض للإنسان وعلى مسؤوليته، شريطة أن يستند في حكمه على ما أنزل الله ويلتزم بحدود الله المبينة في القرآن إذا شاء أن يحكم بالحق والعدل بلا ظلم أو طغيان على أحد من خلق الله، وهذا تماماً ما فعله عمر بن الخطاب في أول حكم إسلامي حقيقي، وفعله عمر بن عبد العزيز الأموي.

بعد فهمنا لموضوع الحاكمية ننتقل إلى أسلوب القرآن الخاص في شرع الحدود وطريقة تطبيقه على الأحكام القضائية للجرائم والجنايات أو الجنح وهو ما يمكن تسميته بالشرع القضائي.

القرآن كتاب عالمي يضع النماذج الصحيحة للأحكام ولا يتدخل في التفصيلات إلا للأمور الهامة جداً، مثل موضوع التوبة التي تهم كل إنسان أو موضوع الطلاق في الإسلام الذي يهم أيضاً كل فرد في المجتمع الإسلامي ذكراً كان أو أنثى، أو موضوع الميراث والوصية وغيرها.

بالنسبة لكل الأحكام التي تتعلق بالقضاء الإسلامي لها دائماً حكمين أو حدين حد

أعلى لا يجوز تجاوزه علواً وحد أدنى لا يجوز تجاوزه دنواً. والحدود التي ذكرت في القرآن بحد أعلى دون ذكر الحد الأدنى معناها أن الحد الأدنى لها يساوي الصفر الذي هو العفو والسماح.

وسوف أبين ذلك كله بالأمثلة إن شاء الله.

أولاً بالنسبة للجنايات والجرائم بشكل عام يضرب لنا سبحانه مثلاً واحداً ليكون نموذجاً لنا في فهمنا لجميع أحكامنا الجنائية والجرمية وهذا ما ورد في قوله تعالى في سورة المائدة:

﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ ٣٣ ـ المائدة.

هذه الآية تشرح أكبر جناية في الأرض وهي معاداة الله ورسوله ومحاربتهما مع السعي إفساداً في الأرض فوق ذلك كله:

يضع لها سبحانه حداً أعلى للعقوبة وهي: القتل المجرد.

ويبين سبحانه الحد الأدنى للعقوبة بالنفي من الأرض.

واكتفى سبحانه بذكر عقوبتين بين هذين الحدين وهما الصلب (للتعذيب لمدة محدودة شريطة أن لا تصل إلى حد القتل) وقطع الأيدي والأرجل من خلاف أي القدم اليمنى مع اليد اليسرى أو العكس.

والحاكم الإسلامي حُرٌّ في أن يختار من العقوبات ما يشاء ضمن الحدين مثل السجن مع الأشغال الشاقة مثلاً. أو غير ذلك من الأحكام. هذا النموذج الفريد هو الوحيد الذي على كل قضاة المسلمين الإقتداء به من اجل وضع أحكام في القضاء الإسلامي على مختلف الجنايات والجرائم والجنح المختلفة في كل أم الأرض التي تقبل بالإسلام ديناً وشرعاً. ثم نجد بعد ذلك سبحانه قد ذكر الحد الأعلى لعقوبة السرقة في سورة المائدة أيضاً ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾ ٣٨ ـ المائدة.

ولا يقال في اللغة العربية عن سارق أو سارقة: (السارق أو السارقة) معرفة إلا إذا أصبحت السرقة مهنة يعيش عليها الإنسان، فالحد الأعلى لمثل هذا الإنسان هو قطع اليد ولكن السرقة الأولى لإنسان تبين أن دافعها كان الحاجة مثل الجوع فلا يمكن أن يكون

حكم الإسلام بقطع اليد، لأن السبب والدافع للسرقة كان فوق طاقة الإنسان (الجوع) ويجب على القاضي المسلم معالجة الأسباب مثل تأمين عمل شريف لمثل هذا الإنسان مع تأمين مبالغ من بيت مال المسلمين تصرف لأمثاله حتى يجدوا عملاً وحتى لا يضطر أمثاله للسرقة في المستقبل.

أما إن فهمنا أن كل من يسرق يجب أن تقطع يده عندها نكون قد فهمنا أن الإسلام يدعوا إلى مجتمع بيد واحدة لكل فرد مسلم وهذا أسوأ ما يمكن أن نفهمه عن الإسلام وشرعه الحنيف العادل. وكذلك حكم الزاني والزانية ﴿الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾ ٢ ـ النور.

نقول عن هذه الآية ما قلناه عن الآية السابقة، فإن مجرد وقوع الإنسان في فعل الزنى كخطيئة أولى لا تستوجب تعريفه بالزاني، فالزاني هو الذي أصبحت مهنته الزنى وكذلك الزانية. وعلى المجتمع الإسلامي معالجة الموضوع حتى لا يضطر الشباب والشابات للزنى، وذلك بالتشجيع على الزواج المبكر أولاً، وتسهيل إجراءات الزوج من مهور ومستلزمات مع توفير العمل للجنسين، حتى لا يضطروا إلى هذا الفعل المنكر في جميع المجتمعات الإنسانية. لكن إخفاق المجتمع عن إيجاد حلول لا نحمّله للشباب المسلم. أما سبب سبق السارق عن السارقة في الآية الأولى هو كون الرجال بشكل عام عند الضيق والحاجة المادية يستسهلون السرقة أكثر من النساء فعدد السارقين يفوق كثيراً عدد السارقات المحترفات وكذلك العكس صحيح في حال الزنى لذلك وجدنا الزانية قبل الزاني، لأن المرأة المحتاجة تستسهل الزنى كوسيلة للحصول على المال فنجد عدد الزانيات أكبر بكثير كمحترفات عن الذين يحترفون الزنى من الرجال.

والذي يحترف الزنى في المجتمع سواء كان رجلاً أو كانت امرأة يتجنبهما الناس في علاقاتهم الاجتماعية وهذا ما أراد به سبحانه عندما قال:

﴿الزاني لا ينكح إلا زانية﴾ ٣ ـ النور.

﴿الزانية لا ينكحها إلا زان﴾ ٣ ـ النور.

على اعتبار أن الذي يمتهن الزنى لا يمكن أن يناسبه أحد من المجتمع الإسلامي وكذلك الزانية المحترفة.

أما أن نفهم الزاني والزانية هما كل ذكر وأنثى أغواهما الشيطان مرة وأوقعهما في

الخطيئة ثم ثابا إلى رشدهما وتابا إلى الله يكون فهمنا للموضوع كله خاطئاً من الأساس.

وقد سألني كثير من الشبان الذين أخطأوا: هل كتب الله عليهم مهما اختاروا ثم تزوجوا فإن اختيارهم بإذن الله لن يقع إلا على الزانيات؟ هذا أيضاً فهم وهمي للآية لم يقصده الرحمن.

كما أن المجتمع هو الذي يكون غالباً المسؤول عن انتشار الزنى نتيجة الظلم والاستبداد وانعدام العدالة في كل شيء مع انتشار الفقر والبطالة والجوع والفاقة مع الجهل، فلا يكون من طاقة الشباب الزواج الشرعي خاصة للطبقات الفقيرة منهم، فيكون الزنى تحصيل حاصل لأوضاع المجتمع الذي بدت عليه علائم كل الأمراض الاجتماعية وغدت بادية للعيان. ولعلم الله تعالى أن الزنى مرتبط بغريزة لا يمكن إلغاؤها بأمر من السلطان ولا بموعظة من شيخ فهو متوقع ولكن لا يستحسن شيوعه ولا دخوله في أعراف الناس المقبولة، بل يجب أن يبقى ضمن دائرة المنكر فاشترط عليه أربع شهادات علماً أن القاتل يمكن محاكمته والحكم عليه بالقتل بوجود شاهدي عيان بينما جعل سبحانه من حكمته للزنى وجوب وجود أربعة شهود على أن يكونوا شهود عيان وهذا شبه مستحيل لموضوع لا يتم إلا سراً بين اثنين عادة. وحتى يصعب سبحانه الشهادة في موضوع الزنى بالذات جعل شهادة شاهد أو شاهدين أو ثلاثة لموضوع الزنا بالذات إذا لم يتوفر لهم شاهد رابع فعندها على القاضي الإسلامي أن يحكم بجلد الشهود ثمانين جلدة لكل منهم لعدم اكتمال نصاب الشهادة، وهذا وحده يجعل الشاهد نفسه يفكر ألف مرة قبل أن يدلي بشهادته في موضوع الزنى بالذات حتى ولو كان متأكداً من صدق شهادته ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة﴾ ٤ ـ النور.

بينما إذا شهد رجل أنه رأى رجلاً أو امرأة تسرق ولم يجد شاهداً آخر يؤيد شهادته فإن القاضي لا يجلد الشاهد الذي أمامه لأن شهادة الرجل بالسرقة إذا لم تكتمل لا تؤدي إلى ضرر دائم لسمعة الرجل أو المرأة المشهود ضدهما إذا لم تثبت التهمة.

هذه الأمور الدقيقة إذا لم نتفهمها بعمق بل أخذناها بالسطحية التي يتعامل بها رجال الدين اليوم نجد أن الأمور تزداد سوءاً كما هو الواقع الحالي. بينما رجال الدين يقفون على الحياد وكأن ما يجري في المجتمع الإسلامي لا يهمهم ولا يعنيهم في شيء.

بعدها أنتقل إلى موضوع الطلاق لأنه من أهم الأمور في المجتمع الإسلامي وعلى فهمه تعتمد سلامة المجتمع كله.

الطلاق في القرآن يختلف اختلافاً كلياً عن الطلاق الإسلامي المتعارف عليه بين الناس من المسلمين. فكل إجراءات الطلاق تعدت حدود الله المبينة في كتابه المبين. وكل الفهم الإسلامي للطلاق خاطىء من الأساس لأنه لا يعتمد على الفهم القرآني، وقد شرحت موضوع الطلاق في كتابين سابقين لأهميته ولابد أن أذكر به أيضاً في هذا الكتاب باختصار.

الطلاق في القرآن مرتان لا ثالث لهما تماماً مثل موضوع التوبة: ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾ ٢٢٩ ـ البقرة.

الطلاق للمرة الأولى في الإسلام يحصل عندما يقول الرجل لزوجته أنت طالق مع نية الطلاق سواء قالها ثلاثاً أو عشرات المرات فهي طلقة واحدة تبدأ المرأة بعدها العدة لمدة ثلاثة شهور في بيت زوجها ولا يجوز لها أن تغادر بيت الزوجية إلى بيت أهلها أبداً، والسبب يشرحه سبحانه بقوله ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ ١ ـ الطلاق.

أي احتمال رجوع الرجل عن قراره خلال تلك الفترة ما دامت مطلقته موجودة معه في بيته ولم تغادره إلى بيت أهلها، وكما لم يتدخل بينهما أحد. علماً أن الطلاق في أغلب أحواله يكون نتيجة انفعال وغضب، أو تدخل من الأهل لأحد الزوجين.

ويؤكد سبحانه على منع إخراج المطلقة من بيت الزوجية بقوله:

﴿لا تخرجوهن من بيوتهن ولا يخرجن إلا أن يأتين بفاحشة مبينة وتلك حدود الله ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه ولا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ ١ ـ الطلاق.

الآن أمام الرجل حلان بعد طلاقه الأول هذا:

إما أن يعيد المرأة إلى عصمته بمصالحته معها بالمعروف أي كما هو عرف الناس في بلده. ويكون قد طلق لمرة واحدة. أو أن ينتظر حتى تنتهي زوجته من عدتها ثلاثة أشهر، فإن تبين حملها عليها أن تنتظر حتى تضع حملها ولو بعد تسعة أشهر ثم بعد ذلك تخرج إلى بيت أهلها بعد شهادة شاهدين على طلاقها مع إعطائها كامل حقوقها: ﴿فإن بلغن أجلهن فأمسكوهن بمعروف أو فارقوهن بمعروف وأشهدوا ذوي عدل منكم

وأقيموا الشهادة لله ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر ومن يتق الله يجعل له مخرجاً * ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾ ٢ - ٣ - الطلاق.

ولا يجوز في إسلام الله الذي في القرآن وبحسب حدود الله أن يعيد الرجل مطلقته التي غادرت بيت الزوجية بعد قضاء عدتها إلا بعد زواج جديد من رجل جديد، إذا طلقها زوجها بشكل طبيعي بعد زواج طبيعي. ﴿فإن طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجاً غيره﴾ ٢٣٠ - البقرة.

أما حقوق المرأة المطلقة فقد بينها الله في آيات بينات في سورة الطلاق.

﴿اسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم ولا تضاروهن لتضيقوا عليهن وإن كن أولات حمل فانفقوا عليهن حتى يضعن حملهن فإن أرضعن لكم فآتوهن أجورهن وأئتمروا بينكم بمعروف وإن تعاسرتم فسترضع له أخرى لينفق ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسرا﴾ ٦ - ٧ - الطلاق.

أما ما نفعله اليوم نحن كمسلمين هو أننا نطلق أزواجنا ونخرجهن من بيوتهن وكأنهن قد أتين بفاحشة مبينة، ونعتبر الطلاق ثلاث مرات، وبعد الثالثة لا يحق لنا إعادتها ثم نقول إننا نطبق في شرعنا القرآن. بينما الحقيقة أن شرع الله في القرآن غريب عن شرعنا المطبق في كل شيء. مثلاً: إذا تركنا موضوع الطلاق وانتقلنا إلى موضوع الإرث في الإسلام نجد أنفسنا في واد والقرآن ونصوصه البينات المبينات المفصلات لشرع الله في واد آخر.

مثلاً في كل أحكام الإرث نجد الوصية أساساً في الميراث، بينما سلطان المسلمين بمساعدة علماء الحديث ورواته الذين استحدثوا من بعد الرسول وخلفائه الراشدين في الإسلام قد ألغوا مفعول الوصية بكلمة واحدة، لا يعلم إلا الله مصدرها، وهو إجماع مشايخ السلطان على عبارة (لا وصية لوارث). هذه العبارة قد ألغت حق الملكية للإنسان.

بينما الأساس في الإسلام أن المالك له حق التصرف بماله في حياته، وهو المورث لمالِهِ كما يشاء وله الحق في أن يوصي وفي أن يحرم من يشاء حتى من الورثة بدليلِ قوله تعالى ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين * فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله

سميع عليم * فمن خاف من موص جنفاً أو إثماً فأصلح بينهم فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم﴾ ۱۸۰ - ۱۸۲ - البقرة.

والآيات أوضح من أن تشرح والآية الأخيرة تقول بأن أحداً رجلاً كان أو امرأة إبناً كان أو أخاً خاف أن يحرمه أبوه أو أخوه من إرثه في وصيته، من حقه أن يلجأ إلى رجل حكيم ليشفع له عند أبيه أو أخيه ويصلح ما كان بينهما من أسباب داعية لحرمانه من الإرث، وهذا دليل من الله أن الوصية فوق كل شيء في الميراث. بعكس ما نطبق اليوم في البلاد الإسلامية على أنه شرع الله. والأعجب من ذلك كله قضية حصة المحروم التي وضعها حاقد في الإسلام حتى يجعل الأخوة في الأسرة الواحدة مع أبنائهم أعداء وحصة المحروم باختصار هي:

أن الرجل إذا كان عنده ثلاثة أولاد مثلاً وكلهم متزوجون وعندهم أولاد ذكور وإناث، ثم صدف أن مات أحد أبناء الرجل خلال حياته وقبل أن يوزع ماله على أبنائه. هذا الشرع يجعل أبناء الابن المتوفى قبل وفاة أبيه محرومين من إرث أبيهم، وبالتالي لا يأخذون من مال جدهم شيء. لماذا؟ حتى يصبح هؤلاء أعداء دائمين لأولاد عمومتهم وإلى يوم القيامة. نتشدق ونقول الشرع الإسلامي العادل. أين العدل في كل روايات الظنون التي جعلناها شرعاً بعد أن تركنا آيات الله البينات تتلى في مناسبات الأموات ولا يلتفت إليها أحد؟

كل آيات القرآن تجعل الوصية قبل بنود إجراءات توزيع الميراث وسابقة لها وكل آيات الميراث تقريباً تؤكد في عبارة (من بعد وصية أو دين) لأن الوصية والدين واجبان على موزع الإرث أن ينفذهما قبل بدء عملية التوزيع بحسب ما ورد في آيات القرآن ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين فإن كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وإن كانت واحدة لها النصف ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك إن كان له ولد فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث فإن كان له أخوة فلأمه السدس من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً * ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة. وله أخ

أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم * تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخل جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم * ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾ ١١ - ١٤ - النساء.

وإذا دققنا في نهاية الآية نقرأ ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده﴾ ولم يقل سبحانه (ويتعدّ حدودهما) أي حدود الله ورسوله لعلم الله أن حدود الله هي المبينة في القرآن وحده وليس للرسول الكريم حدود خاصة به حتى نتبعها في الشرع الإسلامي. ولكن ماذا تقول لمشايخ آبائيين يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم دون أن يسألوا أنفسهم: ماذا إن كان أباؤهم لا يفقهون شيئاً ولا يهتدون؟

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ ١٧٠ - البقرة.

لذلك لا يجوز فهم القرآن إلا كدستور منظم لحياة الناس في الأرض مع قبوله لأعراف الناس كلها كما قلنا شريطة أن لا تتعدى تلك الأعراف حدود الله وتدخل ضمن حدود حرامه وما منعه سبحانه وأمر باجتنابه.

الإنسان بحسب القرآن هو خليفة الله في الأرض وله كل الحرية والمشيئة والإرادة بالحركة والتغيير لما يشاء بإذن الله، وضمن مجال حريته هو الذي يحرك التاريخ الإنساني وهو وحده المغير لذلك التاريخ نحو الأحسن بعلمه وحركته وعمله أو نحو الأسوأ بجهله وكسله وتركه للعمل الصالح.

ومسؤولية الإنسان أصلاً ناتجة عن حريته وعمله وإلا لما كان الإنسان مسؤولاً عن أعماله وحسابه عليها يعتبر ظلماً من الله يوم القيامة إذا فهمناها أنها كانت مكتوبة عليه من قبل أن يولد ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ - الرعد.

والعكس صحيح ﴿ذلك بأن الله لم يك مغيراً نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ٥٣ - الأنفال.

ولو فهمنا هذه الآية لعلمنا لماذا أزال الله تعالى كل نعمه عنا وأصبحنا في مجال نقمة الله مع ضخامة عددنا وازدياد أموالنا ومع ذلك نعاني جميعاً عذاب الذل والهوان أين ما كنا كمسلمين.

﴿إن الذين يحادون الله ورسوله أولئك في الأذلين﴾ ٢٠ ـ المجادلة.

كثير من جهلة المسلمين يظنون من تكرار الله ورسوله أو طاعة الله ورسوله في القرآن أن الرسول شريك لله في الأمر وله حديث خاص مع حديث الله وسنة خاصة مع سنة الله وكلام خاص مع كلام الله وأوامر خاصة مع أوامر الله، ولو كان الأمر كذلك لقال الله تعالى أطيعوا الله وأطيعوا محمد، ولكن الله تعالى كان دقيقاً عندما قال ﴿وأطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون﴾ ١٣٢ ـ آل عمران.

والرسول لا يكون رسولاً إلا بما حُمِّل من رسالة طلب منه تبليغها بلا شرح ولا بيان لأن شرح الكتاب وتفصيله وبيانه على الله وليس على رسوله الأمي أبداً وإلا لما قال سبحانه في القرآن ﴿فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾ ١٩ ـ القيامة.

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ٢٤ ـ محمد.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

من حقائق القرآن إمكانية استنباط شكل ونظام الحكم الأنسب في ضوء القرآن

لقد افترضت سلفاً أن القارىء الكريم باحث عن الحقيقة وها أنا استخرج وأستنبط آيات الله البينات التي تبين شكل ونظام الحكم الأنسب للإنسان في الأرض.

لقد برهنت أن من يبحث عن رأي الله، عليه أن يبحث فيما قاله الله في نصوص قطعية الثبوت، ببراهين من الله تحيط شرعه الحنيف الذي في القرآن، ببيان عربي ليس فوقه بيان. إذ لا يعقل أبداً أن يكون مخلوق ما أقدر على بيان كلام الله، من الله نفسه، وهو وحده الذي وصف ذاته بأنه على كل شيء قدير فلا يعجزه شيء أبداً، بل هو يعجز الآخرين ويتحداهم جميعاً على أن يأتوا بحديث مثل أحاديث الله في القرآن العظيم ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ ٣٤ ـ الطور. بل استنكر سبحانه على المؤمن أن يؤمن بحديث بعد حديث الله في كتابه المبين ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

أما من يبحث عن رأي السلطان وأهوائه ورغباته فعليه أن يبحث في كتب الحديث المنسوبة ظلماً لرسولنا الأمين الذي لم يخن إنساناً في الأرض حتى يخون الله بتبديل كلماته ونوره وحقه المبين إلى ظلم وظلام وباطل، في أحاديث رفعها رجال دين السلطان إلى مستوى القداسة ليجعلوا منها ديناً للناس بدل دين الحق الذي أنزله الله رحمةً للعالمين. وهنا كانت خسارة المسلمين. والقارىء الفطن يكتشف وحده أن القرآن يمثل بمجمله مصلحة الإنسان التي تقع عادة مع مصلحة الأكثرية الساحقة من الأمة. وهذه هي سنة رسالات الله كلها.

بينما الحديث المفترى يمثل مصلحة الأقلية الغنية المتنفذة (السلطان وأعوانه) أما الأحاديث الجميلة التي عشقها سذج المسلمين والتي يجدها القارىء موزعة ضمن ذلك الركام الهائل ما هي إلا مثل ماء السكر الذي يمزج فيه السم لالتقاط أغبياء الذباب حتى يلاقوا مصرعهم فيه.

إن تعاليم الإسلام الحقيقية لم تطبق في الأرض إلا لفترة قصيرة جداً، وقد طبقها الخلفاء الراشدون الأربعة، ويضيف العقلاء من المسلمين الذين أدركوا انحراف المسلمين

بعد الفتنة الكبرى، الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز كخامس خليفة ويعتبرونه من الراشدين، باعتباره سلك مسلك الأولين وحده وشذ عن مسلك السلاطين. هذا وقد تسلسلت مع القارىء الكريم في كتبي مع التسلسل التاريخي فبينت له في الكتاب الأول (النظرية) هذا الواقع بين الحديث والقرآن بشكل نظري محاولاً أن أبين موقف الرسول الأمين وصحابته الكرام من الحديث واستنكارهم له منذ البداية (من كتب عني غير القرآن فليمحه) (أكتاب مع كتاب الله، والله ما تفرقت الأمم.. إلى آخر تلك الأحاديث) ثم في الكتاب الثاني (البرهان) برهنت للقارىء أن كثيراً من أحاديث البخاري ومسلم تناقض القرآن مناقضة صريحة، وكما تتناقض مع بعضها البعض لأنها من صنع الإنسان الخطاء، وهذا التناقض هو الاختلاف الكبير الذي أشار إليه الله في القرآن لتمييز افتراء الإنسان عن كلام الله المنزل: ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

وفي الكتاب الثالث (المدخل إلى الحقيقة) بينت ما هو الإسلام وما هو الإيمان وما هي العبادات مبتدئاً بعبادة تلاوة القرآن التي كانت أول عبادة في الإسلام، وما هو الشرع الإسلامي الحدودي وبماذا يختلف الشرع الحدودي عن الشرع الحدي، وبرهنت أن الشرع الإسلامي المطبق حالياً على مذاهب السنة الأربعة بعيد عن شرع الله العادل الوارد في القرآن ببيان عربي ليس فوقه بيان، مبيناً حقوق الإنسان وحقوق المرأة في إسلام الله، وأحكام الميراث والوصية، وأحكام الطلاق والحج والتقويم الإسلامي وبيان الحج الأكبر والأشهر الحرم الأربعة، التي حرم فيها الله صيد البر والقتال رحمة بمخلوقاته وعباده معاً في فصل الربيع.

وها نحن في هذا الكتاب الرابع (الحقيقة) نتبين رأي الله في أمور الإنسان، باعتباره الخالق العليم الحكيم الخبير الذي خلق الإنسان في أحسن تقويم، ومنحه من ذاته في نفخة الروح العقل والفكر، ثم منحه بعدها حرية الاختيار، ثم جعله خليفة الله في الأرض يتعلم ويتدرب ويبتكر ويفكر ليعمرها ويحكمها بعد أن يصبح راشداً بحسب رسالات رب العالمين، بالعدل والإحسان وحسب دستور الله وصراطه المستقيم ورأيه القويم، باعتباره خالق الإنسان والعالم وحده. والذي يملك حق النصح والإرشاد والتوصية والموعظة. فيوصي الإنسان بالعلم وأن يسير بنوره مهتدياً بعقله ومنطقه القويم، عندها يكون الإنسان على هدى الله ونوره وعلى منهج الرحمن بينما إذا ترك الإنسان العلم واتبع الأهواء والعواطف جهلت نفسه، وضلت

وأصبحت على منهج الشيطان وإن كان يظن بالعكس أنه على منهج الحق والرحمن.

إذا لم يتوصل القارىء إلى أن ما طبقه الخلفاء الراشدين كان هو الحق وهو رأي الله في الإسلام الصحيح، وظن أن الحق فيما طبقه السلاطين الذين فضلوا أن يتمرغوا في متع الدنيا ظهراً لبطن، وظن أن ما ورثه عن آبائه من أحاديث قالوا له أنها قدسية ظلماً وافتراء، عندها يكون قد ضل سبيل الهدى كائناً من كان.

لقد بنى القرآن الإسلام على قاعدة تفضيل واحدة وهي التقوى ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ١٣ ـ الحجرات.

وألغى الإسلام في عرفه مبدأ التمييز والتفضيل على أساس العشيرة والقبيلة والدم واللون والعرق دون أن يلغي مبدأ وجود العشائر والقبائل والقوميات والشعوب والأمم في الإسلام، بينما نجد أن سلاطين بني أمية وبني العباس من بعدهم قد أعادوا العقلية القبيلة الجاهلية جاعلين القرشي لمجرد كونه من قريش له الفضل على الناس أجمعين، وله الحق في قيادة العالم حتى وإن لم يبق منهم في الأرض إثنان وهذا مرفوض تماماً في القرآن والشرع الإسلامي.

لم يعد المسلمون الحاليون يميزون تلك المغالطات والتناقضات بين روح الحديث وروح القرآن، فأصبحوا يصدقون أحاديث كثيرة جداً لمجرد سماعهم أن الذي قالها هو رسول الله، فصدقوا ما سمعوا دون أن يشكوا أو يتساءلوا ما هي مصلحة الكاتب أو المروج أو الراوي أو المحدث لتلك الأحاديث.

إن رسولنا محمد عليه الصلاة والسلام هو الذي بلغ آيات القرآن كلها فكيف بعد هذا يمكنه أن يأتي بحديث ينقض ما بلغه من وحي الله الكريم في كتاب عظيم، ليقول كما يروي لنا البخاري في كتاب الأحكام وفي باب الأمراء من قريش من صحيحه المشهور في الحديث رقم ٧١٣٩ عن معاوية بن أبي سفيان أنه قال: سمعت رسول الله، يقول «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كَبَّهُ الله على وجهه ما أقاموا الدين».

وفي الحديث رقم (٧١٤٠) عن ابن عمر قال قال رسول الله، «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي منهما إثنان» إن مصلحة الحاكم الأموي أو العباسي في مثل هذه الأحاديث التي رواها رجال دينه في المساجد واضحة لا تحتاج إلى جدال أو نقاش أو برهان.

ومن ابتغى الحق وجده في كتاب الله بيّناً، ومبدأ تفضيل الله كان على التقوى والإحسان والإصلاح في الأرض، وليس على مبادىء الدم والقبيلة والقومية أو العرقية. ولكن دون أن نفهم أن القرآن يعادي أو يلغي مبدأ وجود القوميات داخل منظومة الحكم الإسلامي.

لذلك إذا أحببنا أن نعرف رأي الله في أنسب نظام للحكم يناسب المسلم والمسلمين والعالم كله، علينا أن نفتح كتاباً واحداً بعد إغلاق باقي الكتب. علينا البحث في آيات القرآن العظيم الذي لا كتاب في الأرض أعظم منه ولا ما يدانيه. وكل كتب الإنسان الأخرى لن نجد فيها إلا الخلاف والاختلاف.

فما هو رأي القرآن في نظام الحكم الأمثل للإنسان في دولة عالمية واحدة؟

يقول سبحانه وتعالى بشكل عام ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ ٣٨ ـ سورة الشورى. وهذه قاعدة عامة في كل أشكال المجتمع الإسلامي، ابتداء من الأسرة التي هي اللبنة الأساسية في بناء المجتمع الإسلامي حتى القمة تسلسلاً بكل مؤسساتها.

إن أقرب كلمة اصطلاحية لمعنى كلمة الشورى بحسب المفاهيم الإنسانية اليوم هي كلمة الديموقراطية، التي أتت من الثقافة اليونانية بمعنى حكم الشعب برأي الشعب، باعتبار أن كلا المصطلحين (الشورى أو الديموقراطية) يرفضان فرض الرأي والاستبداد به من أحد على أحد.

وهكذا يتولد عندنا مفهوم جديد هو حق تقرير المصير، وهذا يعطي للمجموعة الحق في اختيار نوع الحكم وشكله وطبيعته ودستوره وقوانينه، وليس لفرد أو عائلة أو أقلية الحق في فرض أي شيء عليهم بغض النظر عن كونه الأحسن أو الأسوأ. والحق الذي يدافع عنه القرآن دائماً هو حق الأكثرية الساحقة من كل أمة فيما تختار. وطالما عرفنا رأي الله في شكل الحكم، فلابد أن نتدرج مع القرآن لنعلم من الله أموراً أخرى عن هذا الشكل من أشكال الحكم الذي يقرره سبحانه كأفضل نظام للإنسان في الأرض. فكيف يمكن عملياً الوصول إلى رأي الأكثرية وكيف يمكن معرفة آرائهم للأخذ بها؟.

إن الله تعالى يستخدم كلمة بَيْع ومن مشتقاتها تَبايَعْتُم ـ يبايعُون ـ يُبايعُونَك ـ يبايعنَكَ ـ فبايعْهُنَّ ـ ببَيْعِكم ـ فماذا تعني هذه الكلمات في القرآن؟.

نحن نعلم أن قريش من الأساس تجار مهنتهم كانت البيع والشراء، لذلك استخدم سبحانه كثير من التعبيرات التي يفهمها التجار في القرآن لتقريب المعنى، وآيات القرآن

زاخرة وتشهد على ذلك، لكن من المهم أن نعلم أن عملية البيع بحد ذاتها هي عملية اتفاق وعقد للنية على تنفيذ صفقة بحيث يتبادل فيها طرفان هما البائع والشاري شيئين كل طرف له مصلحة فيه.

والله تعالى شبه الحاكم سواء كان شخصاً أو حزباً واعتبره طرفاً في عقد البيع هذا، كما اعتبر سبحانه الناس من رجال ونساء طرفاً آخر في هذا العقد الذي فيه طالب ومطلوب. إن هذا الكلام يذكرني بأيام شبابي عندما كان أستاذ علم الاجتماع يذكر لنا المفكر الفرنسي (جان جاك روسو) باعتباره أول من وضع اصطلاح (العقد الاجتماعي) من المفكرين الذين ظهروا في أوربا بعد الثورة الفرنسية المشهورة، مبيناً أن المجتمع قد أجرى عقداً (صفقة) مع الحاكم على تبادل منافع كل طرف بحاجة إليها، ففي العقد مكتسبات وتنازلات تمت للمصلحة العامة المشتركة. وهكذا نجد أن رأي الله في القرآن، وفكرة عقد البيعة سابقة في الإسلام على رأي روسو كما تلاحظون بأنفسكم.

والآن لنشرح ما هي هذه البيعة الإسلامية وكيف يمكن تطبيقها في الواقع السياسي؟

المبدأ الأول في المبايعة وفي قبول الحاكم السياسي في الإسلام القرآني نجده في قوله تعالى ﴿إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم فمن نكث فإنما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾ ١٠ ـ الفتح.

إن المبدأ الأول نجده في كون البيعة التي يمارسها المسلم العادي من أمة المسلمين للحاكم الذي اختاره مبدئياً مفكروا الأمة وعقلاؤها مؤكدين على أنه الأتقى والأقوم والأصلح طالبين من الأمة مبايعته والتعهد بتقديم الولاء له ومؤازرته إذا لزم الأمر.

هذه البيعة في حقيقتها تكون بيعةُ لله باعتبار أن الحاكم ملتزم وعاقد للنية على الحكم بين الناس بما أنزل الله فعلاً في القرآن العظيم، وتطبيق ما في كتاب الله دستوراً ومنهجاً ومرجعاً في كل قراراته وأحكامه وبصورة مستمرة، حتى لايتجاوز حدود الله. وهذا الالتزام هو وحده الذي يبقي البيعة سارية المفعول، وهذا ما كان الأولون من الراشدين يعنونه عندما يقولون للناس في خطبهم العامة ويستهلون بقولهم (أطيعوني ما أطعت الله فيكم. إن أحسنت فأعينوني وإن أسأت فقوّموني)، فإذا خرج الحاكم عن منهج الله الذي في القرآن سقطت البيعة، ومن حق المسلمين سحب بيعتهم عنه وعندها تسقط عنه كل صلاحياته السابقة ويعود رجلاً عادياً من مسلمي الأمة لا يأبه إليه أحد وليس معه أحد.

إذاً الحاكم والمحكوم طرفا هذه البيعة ملزمان بكتاب الله، وليس لهما الحرية في تجاوز هذا الدستور المبيِّن لحدود الله، طالما كلاهما قد اختار الإسلام منذ البداية تطوعاً وعن حرية، وقبل به كمنهج للدنيا والآخرة على حد سواء.

هذا هو الإطار العام للبيعة وهذا هو روح الانتخاب والاختيار في إسلام القرآن.

المبدأ الثاني في المبايعة هو أن يد الله فوق أيدي المتبايعين وهذا يرمز إلى معنيين:

- المعنى الأول: أن الله تعالى وقوته مع المتبايعين، وهو سبحانه سوف يقف إلى جانبهما مؤيداً طالما بقيا أوفياء لما عاهدا الله عليه في بيعتهما التي كان لها شروط والتزامات للطرفين.

- المعنى الثاني: أن الله تعالى وكتابه فوق كل الأنظمة والقوانين والمراسيم التي يمكن للحاكم أن يصدرها، ليمارس عملية الحكم التي تحتاج إلى تنظيم ومؤسسات تتابع تنفيذ وتطبيق ذلك النظام بأكمله على أحسن وجه، دون أن تتعارض مع روح آيات القرآن الأساسية كدستور ثابت في هذا العقد، دون أن تتجاوز حدوده المبينة.

فإن أخلف الحاكم وحزبه ونكث بعهده فقد نكث على نفسه، لأن الله يرفض حكمه وينقض عقده، لأنه خالف ما شارط عليه ومن حق الأمة عزله، وإن لجأ الحاكم للقوة من حق الأمة كلها أن ترفع السيف في وجهه لأنه لا يجوز الحكم بالقوة تسلطاً في الإسلام القرآني.

وإن أخلف فرد أو فريق من الأمة الإسلامية على ما بايع كما حصل في عهد أبي بكر الصديق الخليفة الراشدي الأول بظهور فريق من المسلمين رفضوا دفع الزكاة ولم يحاربهم الصديق كما تقول كتب السلاطين لأنهم ارتدوا عن الإسلام لأن الله في القرآن لا يطلب محاربة المرتدين عن الدين فهم أحرار وحسابهم على الله: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم﴾ ٥٤ ـ المائدة.

لكن الله تعالى يطالب الحاكم بمحاربة أهل الفتنة في الإسلام، وقد كان ذلك الفريق أصحاب فتنة يريدون تفريق المسلمين بعد أن جمعهم الله تعالى على كلمة القرآن، التي لا تقبل الخلاف ولا الاختلاف، فليس في القرآن رأيين وليس في الإسلام نصف إسلام فيقبل بشيء ويرفض شيئاً آخر فالإسلام والحق لا يتجزآن في دين الله ﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله﴾ ١٩٣ ـ البقرة.

لذلك قاتلهم الصديق حتى أعادهم بالسيف إلى الحق الذي حاولوا طمسه وإخفاءه، وكذلك قاتلهم علي بن أبي طالب الخليفة الرابع أيضاً، ولكن الذين مالت نفوسهم للدنيا ولأهوائها كانوا هذه المرة هم الأكثرية الساحقة فغَلَبُوا، وانقسم دين الله على أيديهم ليصبح دينين، لم يكن لا الرسول ولا علي على أحدهما بل كانا مسلمين على ملة إبراهيم الحنيف مثل كل الرسل والأنبياء والصالحين من السابقين.

وهكذا ندرك أنه إذا نكث فرد أو فريق من الأمة على ما بايعوا الحاكم عليه فقد نكثوا وأخلفوا على أنفسهم، وهم وحدهم الذين سيتحملون نتيجة رفضهم ونكثهم وللحاكم الحق بإصلاح الاعوجاج باللين والحكمة إن أمكن، وله الحق في استخدام القوة إن شاء لإعادة الناس إلى نصاب الحق والدين وإلى ماتم الاتفاق عليه منذ بداية البيعة بين الطرفين. والبيعة قَسَمٌ وتعهّد من الطرفين. وقد علمنا أن من شروط المبايَع له أن يلتزم بدين الله المبين في القرآن العظيم، وأن يحكم بما أنزل الله فيه، لأن القاعدة التي لا يجوز تجاوزها ولا تجاهلها في الإسلام هي تجاهل الآيات التي شرحتها في بحث سابق في هذا الكتاب تحت عنوان: ما هو شرع الله الحقيقي المذكور في القرآن العظيم.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ٤٤ ـ المائدة.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ٤٥ ـ المائدة.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ ٤٧ ـ المائدة.

﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق﴾ ٤٨ ـ المائدة.

والآن نريد معرفة ما هي الشروط التي على مثلها تتم المبايعة للمسلم العادي أو للمسلمة العادية بعد أن علمنا شروط المبايعة للحاكم؟. ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهنَّ واستغفر لهنَّ الله إن الله غفور رحيم﴾ ١٢ ـ الممتحنة.

هذه الآية البينة في كتاب الله العظيم تبين أموراً كثيرة نسيها المسلمون، أولاً تبين أن من حق النساء المسلمات حق المبايعة والانتخاب للحاكم الإسلامي. ثم تبين الآية على أي شروط بايعن الحاكم الذي هو الرسول الكريم في هذا المثال من القرآن ويمكن أن يكون رجلاً من الأتقياء في عصرنا هذا. حيث يتعهد الحاكم الإسلامي أمام الناس علناً بتطبيق أمر الله وشرعه وهديه وسننه وأحكامه ونواهيه المبينة جميعاً في كتاب القرآن

العظيم، الذي كتبه كتبة الوحي ساعة نزوله حرفاً بحرف كما حفظه حفظة القرآن من المؤمنين والمؤمنات، بحيث أصبح كتاباً سماوياً لا خلاف عليه بحرف ولا اختلاف فيه. والكل يعلم معاني الآيات البينات التي نزلت بلغتهم ولهجتهم فلا يحتاجون إلى قواميس لغوية ليدركوا معاني الكلمات، وفي عصرنا لابأس من استخدام القواميس. وبما أننا علمنا على ماذا بايع الحاكم الإسلامي شعبه منذ أن قدمه حزبه أو مفكرو الأمة على أنه الأتقى والأصلح ليكون حاكماً للمسلمين وليرعى مصالحهم، علينا أن نعلم على ماذا بايع المؤمنون والمؤمنات.

لقد بايع المؤمن على أن حياته وماله جعلهما في سبيل الله ومن أجل إعلاء كلمته وتثبيت دعائم صراطه المستقيم لينتشر دين السلم والسلام في العالمين. فمن البدهي أن يكون أول المنفذين لوصايا الله في الصراط المستقيم، بأن لا يشرك ولا يسرق ولا يزنِ ولا يكذب ولا يقتل إلا بالحق ولا يخون ولا يغش ولا يرتشِ ولا يأكل الربا أو مال اليتيم ولا يشرب الخمر أو يتعاطى المخدرات ويتعهد بأن يحسن لوالديه ويكون باراً بهما. ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيَقتِلونَ ويُقتَلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾ ١١١ ـ التوبة.

والمؤمنات تعهدن كما قرأنا في الآية (١٢) الممتحنة على ماذا بايعن وتعهدن؟ فقد أقسمن أن لا يشركن بالله وأن لا يسرقن ولا يزنين ولا يجهضن أنفسهن ولا يفعلن بأيديهن بهتاناً يغضب الله، وكذلك لا يذهبن بأرجلهن إلى مكان يعلمن أن فيه معصية لله.

وبما أن لكل قوم في الأرض في كل زمان أعراف تتكون من عادات وتقاليد يقبل بها الإسلام، إذا كانت لا تتعارض مع حدود الله ولا تدخل في نطاق ما حرم سبحانه على المؤمنين، يعاهد المؤمنون والمؤمنات عند بيعتهم حاكمهم أن لا يعصوه في معروف أي في المتعارف عليه بين القوم. باختصار لقد قبل المؤمنون كما قبلت المؤمنات التقيد ببنود الصراط المستقيم العشرة وتعهدوا كما تعهدن بتنفيذها كاملاً.

من فكرة فهم هذا العقد بين الفريقين الحاكم والمحكوم أتت الكلمة التي أصبح الخلفاء الراشدون يرددونها أمام الناس في خطبهم العامة والتي ذكرتها سابقاً ﴿اطيعوني ما أطعت الله فيكم﴾ بمعنى أن طاعة الناس للحاكم مرتبطة مباشرة بالتزام الحاكم

بدستور الإسلام الذي هو القرآن العظيم وتطبيقه بالحكم دائماً وفقاً لما أنزل الله، وإذا تحرينا الصدق لعلمنا أن الله تعالى لم ينزل على المسلمين إلا كتاب القرآن العظيم، الكتاب الذي لا يوازيه كتاب في العالم أجمعين.

﴿فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى﴾ ٢٦ - ص.

﴿فاحكم بما أنزل الله﴾ ٤٨ - المائدة.

﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ٤٤ - المائدة.

وهكذا إذا تتبعنا القرآن وجدنا أن الحكم في الإسلام أساسه وشرعه وحكمه مرتبط بما أنزل الله تعالى من وحي صادق قطعي الثبوت قطعي الدلالة ليس فيه ظنٌّ ولا وهمٌ ولا قال عن قيل ولا اختلاف ولا تناقض فيه أبداً ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق﴾ ٦ - الجاثية.

إن المسلم الذي يفهم أن القرآن وحده هو وحي الله الذي عليه برهان من الله ورفعه إلى مستوى النص القطعي فعلاً وليس ظناً، وإنما أساسه ما قاله الله في كتابه العظيم القرآن الكريم وحده، دون أن نشرك كتاباً أو سنَّةً أو حديثاً أو هديًا معه أبداً. ﴿وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون * أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ ٤٩ - ٥٠ - المائدة.

لكن المشكلة الأبدية مع الإنسان الذي يتكون مجتمعه من فئتين فئة غنية متنفذة ومسيطرة تسعى للدنيا وأهوائها وشهواتها، وفئة وسط مع أكثرية فقيرة تكون عادة أقرب للتوحيد والسير بموجب هدي الله بلا إشراك، لكن الفئة المترفة تعود في كل مرة من بعد الرسل لتشرك بالله ليس لمجرد الإشراك بل لأن الإشراك يسمح بأن تكون الحاكمية لغير الله، وذلك باستبدال نص الرسالة مع القبول بنصوص بديلة ترفع إلى مستوى الوحي والقداسة، والحاكم الإسلامي يكون له مصلحة مباشرة في الإشراك بالله إن كان يسعى للدنيا وشهواتها لذلك يرفض الحكم بما أنزل الله كما يرفض أصلاً أن تكون الحاكمية لله وحده، وهذا هو سبب الخلاف السياسي الأساسي بين أتباع الرسول المشركين من ملأ قريش وسادتها الذين أعلنوا ورفضوا صراحة ما بينه الله في القرآن منذ البداية: ﴿وإذ تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ١٥ - يونس. فماذا كان جواب الرسول على ذلك الطلب المباشر؟

﴿قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم﴾ ١٥ ـ يونس.

بل أكد الرسول الكريم أن القرآن كتاب لله وحده لا فضل للرسول فيه وليس له فيه بيان ولا تبيين بل بيانه على الله وحده أيضاً ﴿قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾ ١٦ ـ يونس ﴿إن علينا جمعه وقرآنه.... ثم إن علينا بيانه﴾ ١٩ ـ القيامة.

وهكذا فإن رجال دين السنة اليوم يتبعون ما خططه السلاطين وما بدلوه في الإسلام الذي أصبح شكله الحالي صورة مصغرة عن دين أهل الكتاب، لأن أغلب الأحاديث نقلت بشكل حرفي من التوراة والإنجيل بعد أن تناسى الجميع كتاب الإسلام الأساسي وهو القرآن، وأصبح لا يمسه إلا المطهرون. ورجال الدين يدون للعامة ما يشاؤون بعد تحريفه وبعد تبديل الكلم عن مواضعه بتبديل التشكيل أو بإخفاء بعض كلماته كما يروي لنا البخاري رحمه الله. حيث نجد في كتاب تفسير القرآن في صحيح البخاري تحت باب تفسير سورة المائدة مايلي: قال سفيان: ما في القرآن آية أشد علي من (لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم).

إن المسلمين الذي عاشوا في عصر سفيان لم يكن معهم ولا في بيوتهم نصوص كاملة للقرآن الكريم، وبالتالي ما يقوله رجل الدين المعترف به من السلطان على منبر المسلمين علناً مثل جزء الآية السابقة يدخل في روعه وفي فهمه واعتقاده أن المسلم الصحيح عليه الأخذ بالتوراة والإنجيل وما أنزل إليه من ربه كشرع سماوي دون أن يقول أمثال سفيان الحق الذي في كتاب الله علناً للمسلمين.

فلماذا أخفى سفيان أول الآية التي تقول (قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا... إلخ الآية). والجواب واضح لأن سفيان لا يريد من المسلمين أن يعلموا أن هذه الآية موجهة فقط لأهل الكتاب وحدهم ولاعلاقة للمسلمين بها لأن ما معه من أحاديث اعتبرت قدسية وفُرضت تحت اسم كتاب الحكمة هي افتراء على الله ورسوله معاً، ومصدرها من كتب أهل الكتاب المحرفة.

والله في القرآن العظيم يقول بصراحة تامة فاصلاً شرع أهل الكتاب عن شرع الإسلام ﴿لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا﴾ ٤٨ ـ المائدة. ﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ ٤٧ ـ المائدة.

وهكذا فإن الموضوع أصبح واضحاً لم يكن الإشراك الذي حصل بعد كل رسالة من الرسالات حصلت بالصدفة أو عن طريق الخطأ، بل كان ولا يزال يحصل لأن وراءه فريق من أهل الدنيا الذين يسعون لتحقيق أهوائهم وشهواتهم، وهؤلاء لهم مصلحة مباشرة بتبديل نصوص الله بنصوص أخرى يشركون فيها كأسس ومبادىء في الدستور الإسلامي القرآني.

كان رجال دين السلاطين منذ البداية يعلمون أنها نصوص وضعية غير منزلة من الله، ولكن الحاكم السياسي الذي بيده المال والقوة والسيف والنفوذ عندما يأمر لايجد رجل الدين بداً من الإذعان والقبول بما يشاء، حتى لا يخسر عمله أو مركزه وربما حياته وحريته وماله، لأنه إن رفض فهو إما أن يقتل أو يسجن أو يصبح منسياً. لا يسمعه أحد ولا يأخذ عنه أحد كما شرح الإمام مسلم في مقدمته ذلك كله بالتفصيل.

وهذا ما بينه الله في النص القرآني عندما قال ﴿ذلكم بأنه إذا دعي الله وحده كفرتم وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلي الكبير﴾ ١٢ ـ غافر.

لقد ركزت على حاكمية الله، لأن المسلمين الحاليين يخلطون الحق بالباطل ويعتبرون الحق فيما افتراه رجال دين السلاطين من أحاديث رفضها الرسول منذ البداية عندما قال: كما ترويه كل الصحاح عن أبي سعيد الخدري: (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه). أو قوله عن أبي هريرة الذي قال «رآنا رسول الله نكتب أحاديثاً فقال: أكتاب مع كتاب لله؟ والله ما تفرقت الأمم التي قبلكم إلا بما اكتتبوا مع كتاب الله. امحوا ما كتبتم».

هذان الحديثان يعتبران أمران مباشران من رسول الله للمسلمين إلى يوم القيامة، عليهم الالتزام بطاعتهما إن كانوا يخشون الله الذي قال في كتابه العظيم (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول) أكثر من مرة.

﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون﴾ ٢٢ ـ السجدة. ألم يستنكر سبحانه أي حديث بعد حديث الله في الإسلام قائلاً: ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

لا يعيب القرآن العظيم استخدام الله فيه كلمات أعجمية مثل الاستبرق والسندس والفردوس، فلن يعيبنا نحن المسلمين أن نستخدم كلمة أعجمية تعارف عليها الناس مثل الديموقراطية، للتعبير عن الحكم العادل الذي يتيح لمواطنينا التمتع بحقوق الإنسان

وحرياته المتعارف عليها في الأمم المتحضرة، التي تستخدم العلم والعقل في شؤون حكم المواطنين.

والديموقراطية كلمة للتعبير عن مصلحة الأكثرية العامة من الأمة، وهي المصلحة التي أكدها سبحانه وتعالى في الرسالات السماوية ثم حورتها بعد فترة من موت رسولهم، فئة من أغنياء الأمة ومتنفذيها يدعوهم الله في القرآن بالملأ ليقلبوا الأوضاع من جديد، ويشرعون باسم الرسول ما يشاؤون مخالفين شرع الله المنزل لأنهم يجدونه غير متناسب مع مصالحهم، ولأنهم يريدون التسلط والاستبداد وحجب الحريات عن الناس وأكل حقوقهم، واغتصاب ثروات البلاد دون أي خجل أو خوف. وهناك فئة من مفكري الأمة وعلمائها استأجرهم السلطان ليقنعوا الأمة بأن، ما يفعله السلطان من ظلم هو أمر طبيعي وأن هذا من حقه طالما جعله الله سلطاناً، فهذا قدره وذلك هو قدر الناس الذي يجب عليهم أن يصبروا عليه إلى يوم القيامة.

يروي البخاري رحمه الله أحاديث كثيرة عن حق السلطان الذي أيده رجال دينه بالإجماع طالبين من الناس في المساجد الصبر ثم الصبر ثم الصبر إلى ما لانهاية.

ففي الحديث رقم (٧٠٥٢) من صحيح البخاري عن زيد بن وهب قال سمعت عبد الله قال: قال لنا رسول الله «إنكم سترون بعدي أَثْرَةً وأموراً تنكرونها قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟ قال: «أَدُّوا إليهم حقَّهُم وسلُوا الله حقَّكم».

لقد حدث هذا في زمن السلاطين، أما في فترة الخلافة الراشدة القصيرة فكان الخلفاء يحكمون بما أنزل الله، وبقي الأمر شورى بينهم كما أمر الله، وفي زمنهم كان عدد المؤمنين والمؤمنات قليلاً، وكان بالإمكان الاجتماع بهم جميعاً في مجلس واحد إذا شاء أحدهم ذلك. لهذا نجد أن أسلوب البيعة كان لا يزال يتم بأسلوب شفوي، وكان هو الأنسب بحسب ظروف الناس علماً أن أغلبهم كان أمياً. لكن مع تطور الناس والمجتمعات لا بد أن تتم البيعة على شكل استفتاء عام أو انتخاب بين مرشحين للحكم، فينتخب المؤمن من يعتقد أنه الأجدر والأحسن لتولي تلك المهمة الصعبة إذا كانوا فعلاً سوف يطبقون شروط العقد بحسب ما أمر الله تعالى في القرآن العظيم.

ولم يفرض سبحانه علينا شكلاً محدداً للحكم بل ترك سبحانه الموضوع لأعراف الناس وعاداتهم، واشترط أن يكون الحكم شورى وبالتشاور وليس بالتسلط والاستبداد بالرأي ﴿وشاروهم في الأمر﴾ ١٥٩ ـ آل عمران.

ولكن هل يدعو سبحانه أمةً محددة أو عرق معين أو فئة بعينها لحكم الناس؟ ألم يأت الرسول منذ البداية ومعه رسالة عالمية؟ ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ ٢٨ ـ سبأ. فالدعوة للإسلام كانت وما تزال عامة وللناس كافة ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ ٢٠٨ ـ البقرة.

وحتى يرى كل الناس فضل دين الإسلام إذا طبق كما يجب ونُفِّذَ ما في القرآن من قبل المسلمين، فقد جعل سبحانه الدعوة إلى الحج لكل الناس وليس للمسلمين أو للمؤمنين وحدهم.. أما ما ورد في سورة التوبة من آيات خاصة لعهد الرسول ومن أجل فرض الإسلام السياسي في الجزيرة العربية فلم يعد لها اليوم من دور وقد استثناها سبحانه كما رأينا، إذ لم يضع أمامها البسملة حتى ننتبه لخصوصيتها فلا نعممها لكل زمان ومكان.

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق﴾ ٢٧ ـ الحج. ﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا﴾ ٩٧ ـ آل عمران. لذلك نعلم من القرآن وحده أن الله لم يوجه الحج للمسلمين أو للمؤمنين وحدهم.

وهكذا نعلم منذ البداية أن دولة الإسلام تستوجب وجود قوميات متعددة تحت لواء حكم الإسلام، فهل استنكر سبحانه وجود القوميات وطلب صهرها في دولة الإسلام؟ ﴿وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ ١٣ ـ الحجرات.

إذاً سبحانه يعترف بوجود القوميات والشعوب ولا يريد إنكارها، علماً أن كلمة أمة في القرآن تأتي كصفة للمجتمع كله مع الاتجاه الديني للجميع، كأن نقول الأمة المسيحية أو الأمة اليهودية أو الأمة الإسلامية وهكذا، وأحياناً يطلق سبحانه وتعالى كلمة أمة على مجموعة منسجمة على دين واحد مثل مجموعة الرسل والأنبياء الذين انحدروا من ذرية من كانوا مع نوح وذرية إبراهيم وذرية إسحاق ويعقوب وذرية إسماعيل ويقول عنهم ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ ١٤١ ـ البقرة.

فما هو شكل الحكم وشكل الشرع المطلوب تطبيقه على دولة أمة السلم والسلام العالمية، ذات القوميات والشعوب المختلفة تحت لواء القرآن؟. بحسب المفاهيم السياسية والمصطلحات الدارجة نجد أن نظام الاتحاد الفدرالي المبني على النظام الجمهوري الرئاسي هو أنسب الأنظمة المتعارف عليها بين الأمم في الأرض اليوم.

وهذا الاتحاد هو الذي يتم بين وحدات سياسية مستقلة ذاتياً تدعى ولايات بحيث يكون لكل شعب أو قومية وجود ذاتي معترف به، ولهم في ولايتهم الحق بالتعبير والكلام والكتابة والتدريس بلغتهم القومية الخاصة مع اعتبار اللغة العربية لغةً رسمية للاتحاد ويجب أن تدرس للجميع، حتى يكونوا قادرين على فهم القرآن مباشرة من دون الحاجة إلى قراءة التراجم التي تفقد النص الإلهي روحه وروعته وإعجازاته المتعددة. وكما أن لكل ولاية ضمن الاتحاد الحق بتطبيق الأعراف والتقاليد والقوانين التي تراها مناسبة شريطة أن لا تتعارض مع حدود الله وحلاله وحرامه وبنود الصراط المستقيم مع التقيد بالأحكام التي أنزلها الله فعلاً في القرآن العظيم.

والمبدأ العام في الاتحاد كله هـو: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ٢٥٦- البقرة.

﴿من شاء فليؤمن ومن شاء فيكفر﴾ ٢٩ - الكهف.

وحساب الجميع في النهاية سواء آمنوا أم كفروا أم كانوا مؤمنين فارتدوا، فهم أحرار وحسابهم على الله تعالى وليس على الناس. لذلك لا يجوز داخل الدولة الاتحادية الإكراه على شيء له علاقة بالدين مثل الصلاة - الصيام - الحج فكلها تطوعية، وعدم القيام بها لا يضر بمصلحة الآخرين. أما الزكاة والصدقات فلا يجوز التوقف عن دفعهما لأن ذلك من حق للدولة وحق للفقراء يجب أن يجبى من الأغنياء والمستحقين ولكن من غير تعسف واستبداد في جمعه. وحتى تتوفر المراقبة الشعبية للأمة على السلطة التنفيذية في رئاسة الاتحاد وحتى تصدر المراسيم والقوانين بحيث لا تتعارض مع الدستور الذي هو القرآن العظيم، لابد من وجود مجلس للأمة باسم مجلس الشورى، ولابد أن يكون منتخباً من الأكفاء، للقيام بمثل هذا الدور من كل الولايات أو الجمهوريات. كما يجب أن يكون لكل ولاية داخل الاتحاد مجلس شورى خاص بها بحيث يكون منتخباً أيضاً من محافظات ومدن وقرى الولاية.

ويسمح الاتحاد بتعددية الأحزاب على أساس التنافس الحر للأحسن والأفضل وليس على أساس التنافر، فليس من حزب يمكن قبوله إلا إذا اعتبر القرآن دستوراً له، وليس من حزب يمكن قبوله إلا إذا أقر بأن يحكم بما أنزل الله دون تعارض مع آيات القرآن المبينة دائماً لحدود الله الثابتة.

أما في حال وجود أقليات من أديان أخرى وهذا شيء طبيعي، فلكل تلك الأقليات حقها في أن تعبد من تشاء وأن تقيم طقوسها كما تشاء دون تعارض مع الحريات العامة. ولكن علينا أن نعلم أن نظام دفع الجزية قد توقف مع توقف العمل بسورة التوبة باعتبار الجزية لم تذكر إلا فيها، ولكن من حق الدولة أن تأخذ منهم بعض المال مقابل ما يدفعه المسلمون من زكاة من أجل الخدمات التي تؤمن للجميع كخدمات اجتماعية وهذا ما تبينه الآية التالية ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾ ١٩٩ - الأعراف. وتعني (خذ العفو) أخذ ما يسهل قصده وتناوله من أموالهم دون إحراج أو إجحاف. ليكون بديلاً عن الزكاة التي يدفعها المسلمون وهذا لا يكون إلا على الأغنياء كما تعني (وأمر بالعرف) الأمر بالمتعارف عليه بين أتباع الديانات المختلفة.

كما أن لهذه الأقليات التي تسمى في الإسلام (أهل الذمة) الحق بأن يكون لهم محاكمهم الخاصة ومعابدهم والحق بممارسة شعائرهم وأعرافهم في المواضيع الاجتماعية من زواج وطلاق وغيرها من الأمور دينية كانت أو تقاليد وأعراف،

﴿وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه﴾ ٤٧ - المائدة.

﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ ٦٨ - المائدة.

وحتى لا ندخل في عداوات دينية مع أهل الكتاب الذين يعيشون في دولة المسلمين أو خارجها يقول تعالى ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾ ٤٦ - العنكبوت.

وطعام أهل الكتاب محلل على المسلمين إلا ما كان محرماً أصلاً مثل لحم الخنزير ﴿وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم﴾ ٥ - المائدة. وكذلك يحق للمسلم أن يتزوج من المحصنات من أهل الكتاب إذا شاء ﴿والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ ٥ - المائدة.

أما حرية الكلام والرأي فهي مصونة ومن حق كل إنسان أن يقول رأيه بلا قمع ولا إكراه شريطة أن لا يكون تهجماً أو تجريحاً من أجل خلق فتنة دينية

﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾ ٦٨ - الأنعام. وإذا سمعت ما تكره من قوم كنت في مجلسهم فاترك مجلسهم ولا تجالسهم مرة أخرى ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾ ٦٨ - الأنعام.

وإذا رأينا غيرنا يدعوا مع الله إلهاً آخر فكفره وإشراكه ليس من شأننا وحسابه على الله ﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه﴾ ١١٧ - المؤمنون.

فوظيفة المؤمن الجهاد الدائم بماله وبنفسه جهاداً ليس فيه عنف ولا قتال بل بالحكمة والموعظة الحسنة فيذكر الناس بالحسنى ﴿فذكر إنما أنت مذكر * لست عليه بمسيطر * إلا من تولى وكفر * فيعذبه الله العذاب الأكبر * إن إلينا إيابهم * ثم إن علينا حسابهم﴾ ٢٦ - الغاشية.

وحتى الذين يرتدون عن دينهم من بعد إيمان فحسابهم على الله وليس على الناس في الدولة الإسلامية ﴿من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ ٥٤ - المائدة. ﴿ومن يرتد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فأولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة﴾ ٢١٧ - البقرة.

لا يجوز في الدولة الإسلامية الاعتداء على الجوار، ولا استخدام العنف معهم.

إلا إذا سبقوا وكانوا هم المعتدين البادئين باستخدام العنف ﴿ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ٨٧ - المائدة. ﴿ولا تطع كل حلاف مهين * هماز مشاء بنميم * مناع للخير معتد أثيم﴾ ١٢ - القلم.

ولا يجوز للمسلم أن يقاتل غدراً واعتداءاً ﴿وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين﴾ ١٩٠ - البقرة.

والله لا يحب من يهجم على قوم حتى وإن كانوا أعداء وهم غافلون ﴿لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون﴾ ١٣١ - الأنعام.

إن الله لا يحب من يقتل غدراً لأن الغدر ظلم، والظلم ليس من الله ولا من الإسلام. باختصار إذا لم نفهم الإسلام كله أساساً من القرآن مباشرة لن نفهم مقاصد الرحمن، وسوف نكون من الضالين الظالمين. علماً لو أننا تدارسنا بعض ما معنا اليوم من

دين ورثناه عن الآباء سنةً وتقليداً وعرفاً وقارناه بآيات القرآن لاكتشفنا تناقض أكثرها مع آيات الله تناقضاً مباشراً.

وخير ما أختم به هذا الموضوع هو قوله تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ٩ ـ الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

قدرة القرآن
على إزالة التناقض في الفكر عند المسلمين

سوف أعمد إلى شرح مبادىء القرآن في بناء الشرع ليكون شرعاً عالمياً، على اعتبار أن القرآن رسالة عالمية موجهة للناس كافة وليس لأمة من الأمم ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ ٢٨ ـ سبأ.

إن الإسلام دعوة لكل المؤمنين بالله من مختلف الأديان أن يدخلوا إلى دين السلم والسلام كافة ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ ٢٠٨ ـ البقرة.

والذي يدخل إلى دين الإسلام عليه أن يحكم بما أنزل الله، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهو من الكافرين والظالمين والفاسقين، كما يشهد بذلك سبحانه في سورة المائدة في ثلاثة آيات متتاليات ﴿من لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ٤٤ ـ المائدة ٤٥ ـ المائدة ـ ٤٧ ـ المائدة. وشريعة الإسلام قائمة على القرآن فقط وهو الدستور الدائم المنظم لشرع الله ليطبق على المؤمنين به في الأرض على مبدأ الحدود، ومعنى هذا أن الإسلام القرآني يقبل بكل أعراف الأمم في كل شيء شريطة أن لا تتجاوز حدود الله ولا تتخطاها.

أحب أن أشرح هذا بمثال لأقرب المعنى لذهن القارىء أكثر، مثلاً لا يسمح شرعُ الله للمرأة أن يكون لها أكثر من زوج في وقت واحد، بينما سمح للرجل أن يكون له أكثر من زوجة، وذلك ضمن شروط سوف أشرحها مستقبلاً ولا بأس من تعدادها الآن مثل مرض الزوجة مرضاً يقعدها عن القيام بواجباتها وتحتاج فيها لمن يقوم بخدمتها، أو تبين عقرها طبياً أو تأكد وجود مرض يعرض حياتها للخطر إذا حملت، وقبلت أن يتزوج زوجها عليها من أجل الذرية ولم تطلب الطلاق من زوجها.

وبحسب هذا الشرع إذا ذهب مسلم ليبشر إلى الإسلام في قبيلة أو أمة عندها عرف تعدد الأزواج بالنسبة للنساء، فعلى المبشر أن يوضح أن الإسلام يرفض هذا العرف لأنه قد تجاوز حدود الله فعليهم أن يتركوه إذا اختاروا الإسلام.

ومثال آخر أوضح الإسلام في آية بينة من هن النساء المحرمات على الرجل ولا يجوز أن يتزوجهن والمذكورات في الآية ٢٣ من سورة النساء. وفي شمال القفقاس قبائل من

أعرافها أنها تعتبر أبناء العم وبنات العم وأبناء الخال وبنات الخال وأبناء العمات وبنات العمات أبناء الخالات وبنات الخالات من مرتبة الأخوة، فتعارفوا أن لا يزوجوا أو يتزوجوا من هذه المرتبة من القرابة، وهؤلاء لم يدخلوا في حدود الله بل بالعكس ابتعدوا عنها أكثر لذلك من حقهم أن يلتزموا بذلك العرف إذا شاءوا.

بالنسبة لمحرمات المأكولات نحن نعلم أن الله لم يحرم من اللحوم إلا لحوم الميتة على أنواعها ولحم الخنزير واللحوم التي ذبحت لغير اسم الله، فإذا ذهبنا إلى قبيلة تأكل لحوم الذئاب أو الكلاب أو الدببة أو الطيور الجارحة أو كل ذو ناب أو مخلب فبحسب شرع الإسلام لا نستطيع أن نمنعهم أو أن نحرم عليهم ما حلل الله، بدليل أن آخر آية نزلت في الإسلام وضحت الحلال والحرام في المأكولات ﴿حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلك فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشونِ اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم * يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علَّمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب * اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان﴾ ٣ - ٥ - المائدة.

صحيح أن الله تعالى لم يحرم إلا القليل جداً، والله تعالى قد بين للإنسان أنه قد أحل له الطيبات، معنى ذلك أن ما قد حرمه ليس من الطيبات بدليل قوله عن لحم الخنزير مثلاً: أنه رِجْس والرجاسة بمعنى القذارة - إذاً فهو ليس من الطيبات وقد يكون فيه ضرر للإنسان ولا يعرفه اليوم، ﴿إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس﴾ ١٤٥ - الأنعام، لهذا لا يجوز لنا إن كنا مؤمنين بالله وبكتابه أن نقول في الإسلام حرم الله أو حلل الله لأي شيء لم يرد تحريمه من الله في كتابه المبين، الذي لم يترك صغيرة ولا كبيرة تهم المسلمين إلا وذكرها.. وإن حاولنا أن نؤمن ببعض المصادر الأخرى فوق القرآن، علينا أن ندرك أننا قد أشركنا بالله وقبلنا بشرع آخر ليس عليه سلطان من الله. أي ليس معنا برهان أنه من الله فعلاً كما معنا على آيات القرآن.

والله تعالى قد سمى ما أهلَّ لغير الله به من المذبوحات من الأضاحي أنها فسق، وليس في الإسلام الحقيقي ما هو محرم على الإنسان أكله إلا ما نجده في الآية التالية ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم طعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيم﴾ ١٤٥ ـ الأنعام.

لكن لله شروط على تلك المأكولات حتى تكون من الطيبات مثلاً: لا يجوز ذبح الحيوانات المريضة وأكلها، لأن لحوم الحيوانات المريضة لن تكون من الطيبات، وكذلك في الصيد فقد بين الله تعالى الأشهر الحرم الأربعة في سورة التوبة، وهي الأشهر التي تأتي بعد أشهر الحج المعلومات: والأشهر الحرم تبدأ بشهر محرم ثم شهر صفر ثم شهر ربيع أول وشهر ربيع ثاني، وهذه الأشهر الأربعة تصادف عادة في السنة الموسمية في فصل الربيع فصل الولادات للحيوانات البرية، وسبب التحريم واضح وهو من أجل حماية تلك الحيوانات من الانقراض. بينما حلل الله صيد البحر لأن حيوانات البحر لا تخضع في توالدها لموسم معين من مواسم السنة وفصولها الأربعة ﴿أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون﴾ ٣٦ ـ المائدة.

وظن المسلمون أن ما دمتم حرماً تتبع الحج وإحرام الحاج، علماً أن الحاج في موسم الحج ليس له مجال للصيد حتى لو شاء، إذ ليس في مكة أو ما حولها مكان لأي حيوان بري أو بحري في موسم الحج، لأن المكان محشر للناس في ذلك الوقت. لكن (ما دمتم حرماً) تشير إلى الأشهر الحرم الأربعة التي أعلنها الله للناس في شهر ذي الحجة قائلاً: بأن الأشهر الأربعة التالية لشهر ذي الحجة هي الأشهر الحرم في سورة التوبة بعد أن يقول الله تعالى الآية التالية ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾ ٣ ـ التوبة.

علماً أن هذا الأذان والإعلان قد حصل من قبل أبي بكر الصديق في الحج ومعه علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، بينما الرسول الكريم كان في المدينة في السنة التاسعة للهجرة بحسب تاريخ السيرة النبوية، فما هي الأشهر التالية لشهر ذي الحجة الذي أعلن فيه هذا الإعلان للناس وهو يعطيهم مهلة هدنة تنتهي بأربعة أشهر ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾ ٥ ـ التوبة.

ليس لعاقل أن يعترض على برهان الله هذا ليقول أن الأشهر الحرم هي الأشهر السابقة لذلك الأذان، إذ لا يقبل العقل أن يعطي للناس هدنة قد مضت وانقضت، وبحسب ما تعارف عليه المسلمون اليوم على الأشهر الحرم فهي رجب ثم نترك فاصلاً شعبان ورمضان وشوال ثم نحرم ذو القعدة وذو الحجة ثم شهر محرم من السنة الجديدة أي أن الأشهر الحرم قد وقعت في ثلاثة مواقع مختلفة، بينما الله تعالى يقول معلناً للناس هدنة تبدأ بعد شهر ذي الحجة الذي به تنتهي أشهر الحج الثلاثة المعلومات ﴿الحج أشهر معلومات﴾ ١٩٧ - البقرة.

وبعدها تبدأ الأشهر الحرم بشهر محرم معلناً تحريمها من الله بحسب اسمها، فالعلم كله أصلاً من الله العلي العظيم الذي علّم الإنسان ما لم يعلم. أما بالنسبة للشهر الحرام فالمقصود به هو الشهر النسيء الذي يدخل على آخر الأشهر الحرم ليصبح شهراً حراماً معها، وهذا يصدف مرتين فقط كل ١٩ عاماً. ولا علاقة لهذا الشهر بالحج الذي يكون تحريمه للمكان دون الزمان لأنه لا ينطبق إلا على الحجاج من المسلمين ﴿جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس﴾ ٩٧ - المائدة.

وهذا البيت محرم في كل الأزمنة، والتحريم هنا لمنطقة محددة، أما خارج تلك المنطقة ينتهي التحريم والإحرام. وكما لا يوجد شهر خاص لتحريم الكعبة حتى نسميه الشهر الحرام. أما ما تعارف عليه المسلمون نتيجة للظروف السياسية والأمنية والاقتصادية في البلاد الإسلامية وجعل الحج يقتصر على حجة واحدة للعالم الإسلامي كله، فليس له علاقة بالقرآن ولا بما قاله تعالى عن الحج في الإسلام. إذ نجد بحسب القرآن أن الحج موسم كامل يدوم ثلاثة أشهر، وسبب قوله تعالى بأنها معلومات لأنها تأتي عادة محصورة بين شهر الصيام في رمضان وبين الأشهر الحرم الأربعة التي تكون في بداية السنة الجديدة من العام الإسلامي، وضيق المسلمون على أنفسهم في الحج نتيجة جهلهم.

لو فرضنا مثلاً: أن الأشهر الحرم لا تقع إلا في الكعبة فكيف نفسر تحليل الله لصيد البحر وتحريمه لصيد البر، وهل هناك بحر في مكة حتى يصطاد فيها من أحرم إذا شاء؟ إن تحليل الصيد وتحريمه ليس له علاقة بالحج من قريب أو بعيد إلا إن اتبعنا الظن والظن لا يغني من الحق شيئاً.

والآن بإمكاننا أن نتساءل هل في إسلام القرآن قواعد اسمها الكتاب والسنة

والإجماع والقياس والاجتهاد لتشريع الأحكام؟ أولاً ليس في كتاب الله أحكام ثابتة، وذلك لسبب بسيط وهو أن الأحكام لا يمكن تثبيتها في مجتمعات الأرض المتغيرة مع الزمن في كل شيء. وهذه قاعدة أساسية للوجود كله، وصفة لازمة لكل الأشياء الفانية، إذ كلها تتغير، والذي لا يتغير ولا يتبدل هو الله الواحد الصمد. إذاً القاعدة الأولى في إسلام القرآن أن كل الأحكام قابلة للتغير، والذي يقول في الإسلام (أقيموا الحد على فلان) لأنه زنى أو سرق لا يعلم أن شرع الإسلام مبني على الحدود وليس شرعاً حدياً مثل شرع أهل الكتاب حيث العين بالعين والسن بالسن، وهذا هو الشرع الذي يقيم الحد وليس شرع الإسلام الحنيف. وشرع الحدود معناه وجود حد أعلى للعقوبة مع وجود حد أدنى، وللقاضي المسلم أن يختار ما يشاء منها بحسب ظروف الجريمة أو الجناية أو الجنحة، علماً أن الله تعالى قد بين لنا ذلك كله في مثال واحد حتى نبني عليه نظام القضاء كله. فضرب لنا سبحانه مثلاً بجريمة كبرى موصوفة ثم وضع لها أحكاماً مختلفة مبيناً الحد الأعلى للعقوبة ومبيناً أيضاً الحد الأدنى لها، وللقاضي المسلم أن يختار بحسب الظروف المحيطة بالجريمة ما يشاء من الأحكام، دون أن يتجاوز حدود الله، أي لا يتجاوز الحد الأعلى أو الحد الأدنى الذي بينه الله تعالى في الحكم وتلك الآية هي ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ ٣٣ ـ المائدة.

ثم بين سبحانه قاعدة هامة في القضاء الإسلامي وهي توبة المجرم عن جريمته وعودته إلى الطريق السليم السوي قبل قبل القبض عليه من السلطات، فهذا يُعفى من العقوبة في دين الرحمة. لذلك يبين سبحانه تلك الحالة في الآية التالية مباشرة للآية السابقة ﴿إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ ٣٤ ـ المائدة. لكنه إذا كان قاتلاً لا نستطيع أن نعفيه من الحد الأدنى للعقوبة وهي النفي.

كما أنه إذا وجدنا في القرآن الحد الأعلى لعقوبة ما دون أن يذكر سبحانه الحد الأدنى لها فهذا يعني في نظام الحدود أن الحد الأدنى قد يصل إلى حد العفوعنه.

ففي السرقة مثلاً حيث الحد الأعلى فيها قطع اليد والحد الأدنى العفو، لأن السارق قد يكون ارتكب عمل السرقة عن حاجة لا ترد مثل جوعه أو جوع أولاده، ومعالجة

الموضوع لا تكون بقطع أيدي المحتاجين بل بإيجاد أعمال شريفة لهم يستطيعون بها أن يسدوا حاجاتهم، فلا يحتاجون بعدها لمد أيديهم إلى أموال غيرهم.

إن قواعد الفقه السابقة من كتاب وسنة وإجماع وقياس واجتهاد هي من وضع البشر لأن القرآن لم يشر إليها ولا يوجد فيه أصلاً كلمة سُنَّة ولا كلمة إجماع أو قياس أو اجتهاد وكل ما نجده في القرآن هو ضرورة استنباط الأحكام من خلال فهم القرآن ﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ ٨٣ ـ النساء.

وخلال دراستي للديانة اليهودية وخاصة في كتاب التلمود اكتشفت أن هذه الأسس الخمسة هي من الفقه اليهودي حيث يعتبر الكتاب هو التوراة والحديث (السنة عند المسلمين) هي للأحاديث المسجلة لرجال الدين في التلمود لشرح الفقه اليهودي. وكان الإجماع إجماع علماء اليهود في التلمود على موضوع فقهي كما كان القياس الحالة المعروضة على الفقيه على حالات مشابهة في التلمود.

والاجتهاد: هو إصدار حكم جديد لحالة جديدة لم يسبق لها ورود في التلمود بحسب علم الفقيه (القاضي) وهذه الأمور الخمسة أدخلت إلى الديانة الإسلامية في العصر العباسي وعن طريق أصحاب المذاهب الأربعة عند السنة. نقلاً عن كتب أهل الكتاب حيث أصبح أكثر علماء المسلمين من اليهود الذين أعلنوا إسلامهم فكانوا يؤمنون بها ولا يفرقونها عن القرآن أصلاً، وقد بيّنت ذلك في كتاب «دين السلطان».

إن الله تعالى لم يترك في القرآن أي شيء للصدفة أو للظن والتخمين بل وضح كل أمر بآيات بينات فالمسلم الذي يتساءل مثلاً ما هي آيات الكتاب يجد الجواب من الله في آيات بينات تشير إلى تلك الآيات بصراحة ووضوح أين يضع سبحانه تصنيف تلك الآيات تحت اسم محدد بتقسيمها إلى نوعين من الآيات منذ البداية فيقول عنها مثلاً ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما﴾ ١١٣ ـ النساء.

والكتاب هو الذي يحوي غيب الله من معجزاته العلمية والتاريخية (القصص) ويصفه سبحانه عادة بالمبين فيقول ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ ٢ ـ الشعراء. بينما قسم الحكمة هو الذي يحوي على آيات الحكمة (الأحكام) فيقول عنها سبحانه ﴿ذلك مما أوحى إليك ربك من الحكمة﴾ ٣٩ ـ الإسراء. وسمى سبحانه آيات الحكمة بالكتاب الحكيم ﴿تلك آيات الكتاب الحكيم﴾ ٢ ـ لقمان.

ولكن ماذا عن قول الله عن بعض الآيات أنها محكمات؟ ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب﴾ ٧ ـ آل عمران.

والآيات المحكمات هي الآيات الخاصة بعصر الرسول الكريم والتي انتهى مفعولها بعد موت الرسول وأصبحت آيات منسية وليست منسوخة، ومنها سورة التوبة، ولكن وجودها ضروري من أجل فهمها والاقتداء بها من قبل المسلمين، أما المتشابهات فهي كل باقي آيات الأحكام العامة في القرآن بعد استثناء الآيات المحكمات التي بينتها في هذا الكتاب. لذلك فوظيفة الكتاب الأول تصديق ما بين يديه من كتاب ثانٍ لا برهان فيه لأنه لا يحوي إلا الدين والأحكام والمعاملات، وهذا يتضمن المحكم والمتشابه معاً.

﴿نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه﴾ ٣ ـ آل عمران.

﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب﴾ ٤٨ ـ المائدة.

بعد أن علمنا قسمي القرآن من الكتاب والحكمة نعود إلى آيات الشرع والأحكام الواردة في الكتاب الحكيم: وسأتطرق إلى موضوع واحد: هو موضوع الوصية في القرآن. لأبين أن ما ورد في كتاب الله عن الوصية يتناقض مع ما يطبقه معظم المسلمين منها على أنه شرع إلهي سماوي لأبين للمسلم المثقف تناقضه مع ما لدى المسلمين اليوم من كتب الشرع والفقه الإسلامي ومع كتاب الله القرآن، ولا علاقة له بالرحمن الرحيم ولا بدينه القويم. دون الحاجة للدخول في تفاصيل الشرع الإسلامي كله، لأن دراسة نموذج واحد مما مع المسلمين من شرع يكفي لأخذ فكرة عامة عما معهم من شرع متكامل.

إن حق الإنسان في التصرف بما يملك من مال الله في الأرض بحرية كاملة من أهم حقوق الإنسان المنصوص عنها في القرآن دستور المسلمين الدائم في الأرض. واسم صاحب الملك هو المالك الذي يصله حق الملكية من الله تعالى المالك الأساسي لكل شيء ﴿قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء﴾ ٢٦ ـ آل عمران. وإذا فقد الإنسان حرياته وحقوقه بتحوله إلى عبد مملوك لآخر بحسب الأعراف القديمة التي كانت سائدة وانتهت بانتهاء العبودية، كان لا يقدر على شيء وليس له الحق بالتصرف بأي شيء ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء﴾ ٧٥ ـ النحل. بينما تتمة الآية تبين أن الذي له حق التصرف فيما يملك هو الشخص المالك خلال حياته من الذين رزقهم الله من رزقه. ونتابع الآية السابقة فنجد ﴿ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً﴾ ٧٥ ـ النحل.

وفي نهاية الآية يجري الله سبحانه وتعالى مقارنة حتى نستشعر وجود حق الملكية مع حرية التصرف فيها، ثم زوال ذلك الحق مع زوال حرية التصرف. نتابع الآية السابقة حتى نهايتها ﴿هل يستويان الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ٧٥ ـ النحل. ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ ٧١ ـ يس. ﴿قل اللهم مالك الملك توتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير﴾ ٢٦ ـ آل عمران. لذلك من حق المالك أن يتصرف فيما يملك قبل أن يموت فمن حقه أن يهب ما يشاء أو يوصي من ماله بما يشاء لمن يشاء.

والوصية واجبة على الإنسان في الإسلام قبل أن يموت، ولا بأس أن تكون الوصية مكتوبة وموثقة ويجب تنفيذها، وكأنَّ الذي وصَّى بها حيٌّ يرزق ما يزال يتصرف بما يملك ﴿كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إن ترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين بالمعروف حقاً على المتقين﴾ ١٨٠ ـ البقرة. ثم يتابع سبحانه في الآية التالية مانعاً تبديل الوصية ومحملاً مسؤولية تبديلها للذين ساهموا في تبديلها ﴿فمن بدله بعد ما سمعه فإنما إثمه على الذين يبدلونه إن الله سميع عليم﴾ ١٨١ ـ البقرة.

أما إذا خاف أحد من الورثة الشرعيين أن يحرمه الموصي من حقه في الإرث وهذا من حقه، فلا بأس أن يستشفع لنفسه أحد من أصحاب الموصي أو أقربائه من الذين لهم دالة عليهم فيكلمه ليصلح ما كان بين الموصي والوارث من خلاف، ولكن إن أصر الموصي على حرمان الوريث من كل أو من جزء فهذا من حقه وهو مسؤول عن ذلك أمام ربه وليس لأحد أن يبدل رغبته هذه.

أما القاعدة الفقهية التي خرج بها الفقهاء المسلمون عندما قالوا: لا وصية لوارث.

إذا سألهم الله يوم القيامة أو سألهم أحد من الورثة في الحياة الدنيا أين برهانكم إن كنتم صادقين، فليس معهم من برهان إلا إذا كانت من كتب الظنون التي ليس فيها إلا قال عن قيل وكلها ظنون في ظنون، وقد أعطى سبحانه رأيه في الظن والظنون سلفاً وقالها بصراحة لا لبس فيها ﴿وما لهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ٢٨ ـ النجم.

والله تعالى يقول للمؤمن بعدها أعرض عن الذين أعرضوا عن القرآن ولم يعد كلام الله يعجبهم بعد أن اختاروا الحياة الدنيا وأحبوا من الأحكام ما تميل إليه نفوسهم المريضة ﴿فأعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا * ذلك مبلغهم من العلم إن

ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى﴾ ٢٩ - ٣٠ - النجم.

لذلك من حق الزوج قبل وفاته أن يوصي بما يشاء لزوجته ومن حقه إن كان يقيم في قصر مع زوجته أن يوصي بالقصر لزوجته إن شاء، وكذلك من حقه أن يوصي أن لا يكون لأحد الحق بإخراجها منه سواء كانوا من أولاده أم أولادهما معاً إذا وصى أن تعيش فيه حياتها ثم يورث بعد وفاتها.

وكما أننا إذا تفقدنا كل آيات القرآن فسوف نجد أن الله تعالى يعتبر الوصية مثل الدَّين يجب تنفيذها قبل المباشرة أصلاً بتوزيع الحصص للميراث بدليل كل آيات الإرث التي في سور البقرة والنساء والمائدة. إذ نجد في الآية رقم ١١ من سورة النساء بعد أن يذكر سبحانه حصص الأبناء والبنات والأبوين والأخوة والأخوات، بعدها ينهيها سبحانه مستدركاً أن ذلك كله ينفذ بعد تنفيذ الوصية ودفع الدين إن وجد ﴿من بعد وصية يوصي بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعاً فريضة من الله إن الله كان عليماً حكيماً﴾ ١١ - النساء.

ثم تأتي الآية التي بعدها على نفس المنوال لتقرر أهمية الوصية في دين الله ﴿ولكم نصف ما ترك أزواجكم إن لم يكن لهن ولد فإن كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين، ولهن الربع مما تركتم إن لم يكن لكم ولد فإن كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين، وإن كان رجل يورث كلالةً أو امرأةٌ وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس، فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين غير مضار وصية من الله والله عليم حليم * تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾ ١٢ - ١٣ - النساء.

ونجد في سورة المائدة قوله تعالى تأكيداً على ما رأينا إلى الآن فالقرآن لا تناقض فيه أبداً ﴿يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية إثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم إن أنتم ضربتم في الأرض فأصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمناً ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذاً لمن الآثمين * فإن عثر على أنهما استحقا إثماً فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأولين فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنا إذاً لمن الظالمين * ذلك أدنى أن يأتوا بالشهادة على

وجهها أو يخافوا أن ترد أيمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾ ١٠٦ - ١٠٨ - المائدة.

أين نحن اليوم من تنفيذ الوصايا، وأين نحن من شرع الله الحكيم الرحيم الذي لم يترك ثغرة يدخل منها الشيطان ليفرق به الإخوة والأخوات ويجعلهم أعداء إلى يوم القيامة.

إن أعجب ما في شرع المسلمين اليوم هو شريعة الابن المحروم أو شريعة الابنة المحرومة. وملخص هذا الشرع أنه إذا توفي لسبب ما ابن من أبناء أحدهم قبل وفاة أبيه، وقبل أن يوزع الأب ما يملك على أبنائه وورثته، اعتبر ذلك الابن أو الابنة محروماً أو محرومة من حقوق الميراث، لأنه توفي على حياة أبيه أو توفيت على حياة أبيها. بحجة أن الميت مات حقه. إن هذا صحيح ولا مجال للخلاف عليه إذا حدثت الوفاة للابن أو للابنة وهما صغيران، ولكن إذا حصلت وهما كبيران وبعد زواجهما وبعد أن رزقهم الله ببنين وبنات أصبحوا أيتاماً بعد وفاة أبيهم أو أمهم، فالأمر يختلف.

إن منطق الإسلام في القرآن مبني على العدل والرحمة، فمن العدل والرحمة أن يكون للذي مات وترك من بعده ذرية ضعافاً أبناءً وبناتاً وزوجة لها حقوق أن لا يحرموا من حقوقهم، وبالتالي إن يبقى للابن الذي مات أو للابنة التي ماتت وتركت بعدها ذرية من أبناء وبنات وزوج أن يكون لهم حق أبيهم الأساسي إن كان ابناً، أو حق أمهم الأساسي إن كانت ابنة.

ما معنى قول الله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيم حميد) ٤٢ ـ فصلت.

إن الله تعالى صاغ كتابه بأسلوب إعجازي لا يقدر عليه الإنس والجان، بحيث إذا حاول شيطان من الإنس تبديل حرف مكان حرف أو بدَّل تشكيل بعض الكلمات ليبدل المعنى، فإن الله يكشف هذا التحريف للباحث عن الحقيقة من خلال الآيات الأخرى، في القرآن خاصة إذا كان الباحث يلم بالأحداث التاريخية بشكل علمي يتفق مع الواقع التاريخي، وقد قال سبحانه في وصف هذا الإعجاز وتلك الخصوصية الموجودة في كتابه المبين قائلاً ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد﴾ ٤٢ ـ فصلت.

ولشرح هذا الموضوع سوف أتعرض لثلاث أمثلة مختلفة في تبديل التشكيل في القرآن الكريم سواء كانت سهواً أو مقصودة:

المثال الأول ﴿غُلِبت الرومُ * في أدنى الأرض وهم من بعد غَلبهم سيَغْلِبُون * في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويؤمئذ يفرح المؤمنون * بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم﴾ ٢ ـ ٥ ـ الروم.

هذه الآيات تتحدث عن ثلاثة أحداث تاريخية في ثلاثة أزمنة مختلفة شرحتها في بحث كامل فما سبق ويمكن العودة إليها.

إذا تأملنا المثال الثاني: موضوع اتخاذ الخليل تشرح موقف الإنسان الذي اتخذ شيطاناً من الإنس خليلاً فأضله عن كتاب الله إلى كتب أخرى، فيندم على ما فعل يوم القيامة يوم لا ينفع الندم ﴿ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً * يا ويلتي ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً * لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للإنسان خذولاً﴾ ٢٧ ـ ٢٩ ـ الفرقان.

وأمام هذا الإنسان خياران: إما أن يتخذَ اللهَ خليلاً له فيحبه أكثر من أمه وأبيه ويسمع كلامه الذي في القرآن ويطبقه فتربح تجارته ويعيش في الدارين سعيداً، أو أنه يتخذ الشيطان خليلاً فتخسر تجارته ويعيش في الدارين معذباً يظلم نفسه قبل أن يظلمه أحد في العالمين.

كما يصف سبحانه جال الأخلاء يوم القيامة قائلاً ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ ٦٨\٧ - الزخرف.

العادة في اتخاذ الخليل أن يتخذ الأدنى الأعلى منه خليلاً لذلك قال تعالى لرسوله الكريم ﴿وإذا لاتخذوك خليلا﴾ ٧٣ - الإسراء.

ونجد في القرآن الآية التي تقول ﴿واتخذ الله إبراهيم خليلا﴾ وهو موضوع مثالنا الثاني بالذات:

في كل الآيات رأينا أن الإنسان هو المخلوق الضعيف والفقير المحتاج لكل شيء فيبحث عن الخليل والأخلاء ليتخذهم إخواناً في الخير إن كان من المؤمنين أو الأخلاء لفعل الشر إن كان من الكافرين أو المشركين. لكن الله الغني لا يحتاج بذاته إلى خل أو خليل.

وإذا كان الإنسان عالي المقام مثل رسول من رسل الله فإنه يتخذُ اللهَ خليلاً بدلاً من الناس.

لننتقل الآن إلى كلمة اتخذ لنرى موقف الله من الاتخاذ فنجد أنَّ الرحمن ينكر عن ذاته الاتخاذ كله قائلاً أولاً بإنكار اتخاذ الولد ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السموات وما في الأرض﴾ ٦٨ - يونس.

وأنكر بعد ذلك سبحانه الصاحبة وهي الخليلة والرفيقة أو الزوجة

﴿وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً﴾ ٣ - الجن. ويستنكر سبحانه أن يتخذ لنفسه البنات كما كانوا يصفون له الملائكة. ﴿أم اتخذ مما يخلق بنات واصفاكم بالبنين﴾ ١٦ - الزخرف.

وفي هذه الآية بالذات عندما يستنكر يقول في استنكاره كيف يتخذ الله ممن يخلق، فالخالق غير المخلوق، ولا يمكن للمخلوق أن يعلو أبداً ليتعدى مرحلة العبودية لخالقه. لذلك يؤكد الله على هذه الحقيقة عندما يقول ﴿إن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً * إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً﴾ ٩٣ - مريم.

يشرح الله في هذه الآيات فيقول أنه لا ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً، لأن كل خلقه يوم القيامة سوف يأتونه يوم الحساب عبيداً فكيف يتخذ منهم ولداً أو صاحباً أو خليلاً؟.

هذا الاستنكار ينطبق على كل أنواع الاتخاذ فنقول ما ينبغي للرحمن أن يتخذ خليلاً. لأن كل عباده ورسله سيأتونه عبيداً يوم القيامة لذلك يبين سبحانه هذه الحقيقة عن المسيح نفسه ويقول ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله﴾ ١٧٢ ـ النساء. وهذا ينطبق على كل رسل الله عندما نقول ﴿لن يستنكف إبراهيم أن يكون عبداً لله﴾ وهكذا نكتشف من القرآن نفسه أنه لا ينبغي لله أن يتخذ خليلاً، ولكن لا مانع من أن يتخذَ إبراهيمُ ربَّهُ خليلاً، فنعود نحن المسلمين اليوم من الذين فهموا القرآن ونعيد تشكيل أواخر الكلمات في الآية ونقول ﴿واتَّخَذَ اللهَ إبراهيمُ خليلا﴾ حتى يستقيم المعنى.

ونعيد إلى إيماننا التوحيدي من جديد أن الله تعالى غني عن العالمين، ولم يتخذ من عبيده أحداً ليرفعه فوق مستوى المخلوق للخالق، أو العابد للمعبود أو العبد للمالك الحقيقي.

أو أننا لا نفهم معنى الآيات ونحن نردد ﴿قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد﴾ لأننا إن فهمنا الآية الأخيرة لما قلنا أن الله اتخذ أحداً، لأنه ليس لله من مخلوقاته كلها أحدٌ له الكفاءة أن يكون مع الله على مستوى واحد بل يكون دائماً من مستوى العابد للمعبود، أو من مستوى العبد للمالك الحقيقي. أو من مستوى المخلوق للخالق.

ننتقل بعدها للمثال الثالث في هذا الموضوع وهي الآية السابعة والثلاثين من سورة التوبة التي لها خصوصية كاملة شرحتها في هذا الكتاب ﴿إنما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاماً ويحرمونه عاماً ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين﴾ ٣٧ ـ التوبة.

والخطأ في التشكيل وقع في كلمتين بينما التشكيل الصحيح للآية يجب أن يكون ﴿إنما النسيءُ زيادةٌ في الكفر يُضِلُّ به الذين كفروا﴾ أي تصبح كلمة زيادةٌ (زيادةٌ في الكفر) لتكون جملة معترضة (اعتراضية) وكلمة يُضَلُّ المبنية للمجهول تعود لتصبح يُضِّل ويعود فاعلها هم الذين كفروا. فإبليس الذي كفر يضِلُّ الناسَ عن علمٍ ولا يُضَلُّ من أحد.

إن تحريف هذه الآية كان سبباً في ضياع تقويم المسلمين لأكثر من ألف وثلاثمائة عام، وقد شرحت ذلك كله في كتاب كامل اسمه: ما هو النسيء صدر قبل هذا

الكتاب. فلا داعي لإعادة شرح الشهر النسيء هنا، ولكن لا بأس من ذكر الأمور التي خسرها المسلمون نتيجة استغنائهم عن ذلك الشهر جهلاً من غير علم.

فخسرت أولاً مكة معرضها التجاري الدائم الذي كان يتم في موسم الحج من كل عام، وهي مع استخدام الشهر النسيء تصادف عادة في فصل الشتاء، وهذا هو أفضل موسم الحج بالنسبة لمكة ومناخها أولاً، وبالنسبة لأي معرض تجاري ثانياً، لأن التجارة لها علاقة مباشرة بالمواسم الزراعية والمنتوجات الحيوانية التي تكون جاهزة للعرض في ذلك الموسم في أسواق موسمية مثل عكاظ وسوقي مجنَّة وذو المجاز. وخسرت قريش مركزها بين القبائل في التجارة التي كانت لها رحلتي الشتاء والصيف الموسميتين وتأتي بما تجلبه معها إلى سوقها الشتوي الدائم.

وخسر كل الناس الاستفادة من التقويم الإسلامي الذي أصبح يدور مثل الضائع على مواسم السنة الأربعة، فلا يستطيع أن يحدد ربيعاً ولا خريفاً ولا شتاء ولا صيفاً ولا موسماً، فلم يعد الفلاح يعلم متى يزرع ولا متى يحصد إن زرع، ومتى حرَّم الله عليه أن يصيد من صيد البر حتى لا تتعرض تلك الحيوانات لخطر الانقراض، كمالا يعلم متى تلد حيواناته. علماً أن كل هذا كان معروفاً في الجاهلية الأولى ونسيها الناس بعد أن أدخلهم الحاسدون الحاقدون إلى الجاهلية العظمى بعد الخلافة الراشدة مباشرة.

والكفر ليس في النسيء كما هو مشروح في الآية وإنما الكفر في تحليل الأشهر الحرم عاماً وتحريمها عاماً، والأشهر الحرم كما شرحت في التقويم تأتي في فصل الربيع عادة، فصل توالد الحيوانات البرية رحمة من الرحمن الرحيم. بمخلوقاته الأخرى وحماية لها من الإنسان الذي يتحول بسرعة إلى مخلوق ظالم. فالأشهر الحرم محرمة في كل الأعوام، وكما هي مشروحة في سورة التوبة هي الأشهر الأربعة التي تأتي مباشرة بعد أشهر الحج التي تنتهي بشهر ذي الحجة، فتكون هي الأشهر الأربعة من بداية السنة الجديدة التي تبدأ بمحرم معلنة تحريمها، وهي تقابل عادة في التقويم الإسلامي الذي يستخدم النسيء في شهر شباط من التقويم الشمسي، ثم صفر ويقابل شهر آذار، ومعنى صفر أن الاعتدال الربيعي يحصل فيه ويصبح الفرق بين طول الليل والنهار صفراً، ومنه أخذ الاسم أصلاً.

ثم أن شهر ربيع أول وربيع ثاني هما للدلالة على أشهر الربيع من كل موسم. وهما يقابلان شهري نيسان وأيار من التقويم الشمسي عادة في كل عام. وهكذا بدون إعادة

تشكيل تلك الآية لا يمكن للمسلمين أن يفهموا أن النسيء ليس زيادة في الكفر بل أن إلغاءه هو الكفر الحقيقي والظلم للذات.

تتهم كتب التاريخ الرسول بهذا العمل، مثلاً نجد أن الكاتب الأمريكي ويل ديورانت في قصة الحضارة يقول: في الجزء الثاني من المجلد الرابع ـ عصر الإيمان في الصفحة (٤٢) ما يلي واصفاً الرسول ودوره: (وكانت أعمال الحكومة تشغل وقته كله، فقد كان يعنى أشد العناية بكل صغيرة وكبيرة في شؤون التشريع والقضاء، والتنظيم المدني، والديني والحربي. وحتى التقويم نفسه قد عنا بتنظيمه لأتباعه. فقد كان العرب يقسمون السنة كما يقسمها اليهود إلى اثني عشر شهراً قمرياً، وكانوا يضيفون إليها شهراً كل ثلاث سنوات لكي تتفق مع السنة الشمسية، فأمر النبي أن تكون السنة الإسلامية إثني عشر شهراً على الدوام كل منها ثلاثون يوماً أو تسعة وعشرون يوماً على التوالي، وكانت نتيجة هذا أن أصبحت السنة الإسلامية تتقدم سنة كاملة عن التقويم الجرجوري كل إثنتين وثلاثين سنة. ولم يكن النبي مشرعاً علمياً، فلم يضع لأمته كتاباً في القانون أو موجزاً فيه ولم يسر في تشريعه على نظام مقرر، بل كان يصدر الأوامر حسبما تمليه الظروف. فإذا أدى هذا إلى شيء من التناقض أزاله بوحي جديد ينسخ القديم ويجعله كأنه لم يكن) انتهى النص. ولو فعل الرسول الكريم تلك الخطيئة العظيمة لصححها له الوحي الذي لم يسكت عن أخطاء بسيطة للرسول قبل ذلك، مثل عبوسه في وجه الأعمى بن أم مكتوم مثلاً. لذلك على شباب المسلمين العودة إلى كتاب الله لفهمه بشكل مباشر والتفاعل معه بشكل مباشر، فليس من كتاب أعظم منه لإنهاض الأمم ورفعها من الحضيض إلى القمم وإخراجها من الظلمات إلى النور.

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ٢٥٧ ـ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

التوحد والتفرق

سبق وتكلمت عن المغناطيس بأنه قوة خفية تظهر في ذرات المادة نتيجة الانتظام والتوافق في الحركة باتجاه واحد معاً، وتزول تلك القوة بعودة الذرات بالتدريج إلى الحركة العشوائية، تاركة النظام والاتجاه الواحد بحيث يصبح لكل ذرة اتجاهها الخاص عندما تزول عنها جميعاً القوة المغناطيسية الموحدة. والدين هو مغناطيس القلوب يجمع الناس على الخير والتعاون والإحسان على منهج الإيمان والرحمن. كما يمكن أن يتحول إلى قوة سلبية إذا غير القطبية على منهج الإشراك بالله.

وكل الذين يدرسون الأديان يجدون في أصول الرسالات الأساسية مبادىء التوحيد أرسلها رب العباد لمصلحة الأكثرية من كل أمة.

وبما أن القرآن الكريم هو الكتاب الذي بقي صحيحاً صحة مطلقة ولم يتعرض لأي تحريف من شياطين الجن والإنس في الأرض، فهو الكتاب الذي لا يزال يحتوي على الحقيقة كاملة لمن يبحث عنها اليوم.

ويقول هذا الكتاب لكل من يبحث عن الحقيقة أن من يحب القوة والاتحاد وعدم التفرق عليه أن يتمسك بمبادئ هذا الكتاب العظيم. ويطبقها بحذافيرها، على اعتبار أن هذا الكتاب عند التطبيق والسير بموجبه يصبح مثل الحبل الذي يجمع من آمن به وتمسك بمبادئه ليشده باتجاه واحد دون أن يخشى التفرق بين الذين آمنوا بنفس المبادىء. ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ ١٠٣ ـ آل عمران.

وإذا أخذنا الدين الإسلامي من الجانب القرآني منه يصبح هو الوحيد القادر على توحيد الأمة الإسلامية من جديد، وتقبل به كل الفرق دون اختلاف بينها على الكتاب نفسه. ولكن هذه الحقيقة تقع أمامها حقيقة أخرى يجب أن لا يتجاهلها أي عاقل، وهي مصلحة الملأ من كل أمة أو قوم من الذين يرون مصلحتهم الدنيوية تقوم على تفريق الناس وتحريف الكتب السماوية للوصول بعد استخدامها لمبدئهم الذهبي «فرّق تسد».

إن مصلحة هذه الفئة من كل الشعوب تتفق مع مصلحة عباقرة الشياطين ومؤسسي نواديها وأحزابها في العالم، فتبيع تلك الفئات نفسها لحزب الشيطان من أجل تحقيق مصالحها الدنيوية من خلال ذلك.

ويعلم الشيطان أن أفضل وسيلة للسلطان الذي اختار أن يكون حكمه استبدادياً هو تفريق الناس على مبدأ الشيطان الأول: فرّق تسد. وكل علماء الشياطين في العالم يعلمون أن القرآن هو سر قوة الإسلام ووحدته وقد اعترفوا وأقروا به قائلين خذوا القرآن من أيدي المسلمين عندها فقط تستطيعون السيطرة عليهم، ولن تغلبوهم ماتمسكوا بذلك الكتاب (أقصد التمسك بتطبيق ما ورد فيه من أحكام وشرع وصراط مستقيم وشورى وحقوق للإنسان وجهاد وقتال في سبيل الله لدفع الظلم والعدوان) لقد كان هدف حكام المسلمين وسلاطينهم بالتحالف مع شياطين الإنس في الأرض الذي لم يتوقف منذ ألف وأربعمائة عام هو نسخ القرآن أو إزاحته من أيدي الناس، ليسلموهم باليد الأخرى مكتتبات لروايات سموها الأحاديث النبوية الشريفة أحياناً، وأحياناً السنة النبوية المشرفة، مع علمهم أن الله تعالى ورسوله بريئان منها تماماً. وكما يفعل من يريد القتل بالسم فيعمد إلى كثير من الأحاديث الجميلة التي كلها حِكَمْ لا يستطيع أن يرفضها أي عقل ولا أي منطق، لكن المقصود منها كان فقط تمرير أحاديث أساسية لقلب مفهوم الإسلام كله فكرياً.

فمثلاً إن أول مبدأ من مبادىء القرآن كان هو الاعتراف بحقوق الإنسان ومنها حقه في كل الحريات مثل حرية الإنسان في اختيار دينه ﴿لا إكراه في الدين﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ٩٩ ـ يونس.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

فخدمهم علماء السوء من محبي الجاه والسياسة من رجال الدين، وافتروا باسم الرسول الكريم أقوالاً تناقض الوحي الذي بلغه بأمانة ظلماً لأنفسهم وللناس وللرسول الكريم فقالوا بأن الله تعالى هو الذي يقرر سلفاً لكل إنسان عقيدته وإيمانه وماله وعمله ومصيره، في حديث نسبوه لعبد الله، الذي لا نسب له في صحيح البخاري ومسلم، وقالوا بأن الله تعالى يكتب لكل إنسان عندما يبلغ عمره أربعين يوماً وهو جنين في بطن أمه لم يتخلق بعد: رزقه وأجله وعمله ومصيره شقي في الجحيم أم سعيد في النعيم الحديث (٢٦٤٣) من صحيح الإمام مسلم.

كما ألغى السلطان حقوق الإنسان كلها أيضاً بحديث واحد «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته». الحديث رقم ١٨٢٩ من صحيح مسلم وبموجب هذا الحديث صار مبدأ الاستبداد هو المبدأ الثابت في الإسلام، ابتداء من الأسرة إلى أعلى

درجة في مؤسسات المجتمع منتهية بالسلطان وأصبح النموذج الإسلامي واحداً: راعي ومعه العصا ورعية من قطيع لا رأي لهم ولا حول ولا قوة. والقطيع يؤمن بأن هذا الوضع طبيعي ومكتوب ومقدَّر من الله تعالى سلفاً. بينما مبدأ القرآن قرر في سورة الشورى، أن يكون مصير الإنسان مقرراً على مبدأ الشورى والتشاور والديموقراطية الحقيقية قبل أن يطبق أي إنسان هذا المبدأ في الأرض بعد.

والحديث الثالث الذي أساء للقرآن كان بإضافة مبدأ الإيمان بقضاء الله وقدره على مبادىء الإيمان التي وردت في القرآن الكريم بدون هذا المبدأ أصلاً ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ ٢٨٥ ـ البقرة.

شرح دين الإسلام في الآية التي بعدها على أساس أنه دين سهل الفهم سهل التطبيق غير معقد ولا يحتاج إلى أحبار ولا رهبان، بل يحتاج إلى قلب صاف ونية صادقة والعمل بما يفهمه الإنسان من القرآن مباشرة، خاصةً من القسم المدني من السور، لأنها هي التي تحوي الأحكام والحلال والحرام والعبادات والأوامر والنواهي مع حدود الله. بينما أهمية القسم المكي تأتي من زاوية بحث براهين الله للإنسان حتى يؤمن أن هذا الكتاب فعلاً هو من عند الله وليس من تأليف أحد غيره سبحانه ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

وسهولة هذا الدين تأتي من عدم تكليف الله تعالى للإنسان ما لا يطيق من العبادات أو من التكاليف مشروحة في الآية التالية من القرآن العظيم: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين﴾ ٢٨٦ ـ البقرة.

والآن ننتقل إلى تساؤل كبير هو:

كيف يكون القرآن عامل توحيد وكيف يكون الحديث عامل تفريق؟

أولاً: لا تناقض في آيات القرآن ولا اختلاف فيها، والله تعالى لا ينسى ما قاله في أول الكتاب ليأتي بعد ذلك ليقول غيره في آخر الكتاب. والقرآن هو كتاب الفرقان، أي هو الكتاب الذي يفرق بين الحق والباطل، بين الخير والشر وبين النور والظلام. بين الإيمان والكفر وبين الهدي والضلال.

أما الحديث فقد وضع من قبل الإنسان، وفي أحيان كثيرة ليخدم أهداف السلطان فيلبي رغباته، لذلك سَمّيتُ الأحاديث في كتبي جعبة الحاوي حيث يخرج منها ما يشاء وكيف يشاء وفي الوقت الذي يشاء.

فكيف يرضي الحديث كل الأذواق لذوي الأهواء؟

إذا بحثنا عن الكبائر في الحديث لوجدنا روايةً تقول بأنها ثلاث وروايةً تقول بل إنها أربع. وروايةً تقول بل إنها سبع، ثم روايةً تقول بل هي تسع، وروايةً تقول هي سبع عشرة وروايةً تقول بل هي سبعون كبيرة، إلى رواية أخيرة تقول بل هي سبعماية كبيرة.

إذاً في الحديث، هناك مجال للتحرك بحسب مشيئة الإنسان في موضوع واحد. من ثلاثة إلى سبعمائة. وكتاب ديني لا ثبات له مثل هذه الكتب لا يمكن أن يجمع الناس على رأي واحد، ولذلك تفرق المسلمون اليوم بعد أن تفرقت آراؤهم واختلفت أحكامهم، وأصبح كل فريق يكذب بل يكفر الفريق الآخر. علماً أنهم لا يعلمون أن سبب تفرقهم هو ما صدقوه من كتب الحديث. وكل ما يفعله المسلمون إلى اليوم هو إنشاء فرق جديدة للإصلاح دون أن يعلموا أن كل ما فعلوه في النتيجة كان زيادة في تفرق المسلمين وإضافة فرقة جديدة هي الفرقة التي أضافوها على مجموع الفرق السابقة.

بينما إذا عدنا لحديث الله تعالى الذي بلغه الرسول الأمين بصدق مطلق في رسالة الله للعالمين الذي هو القرآن العظيم، لوجدنا أن الكبائر عشر.

الوصايا العشر	ما تقابل تلك الوصايا من الكبائر العشر
١ ـ ألا تشركوا به شيئاً	١ ـ الإشراك بالله
٢ ـ وبالوالدين إحساناً	٢ ـ عقوق الوالدين.
٣ ـ ولا تقتلوا أولادكم من إملاق	٣ ـ الإجهاض للاجنة خوف الفقر
٤ ـ ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن	٤ ـ الزنا واللواطة أو القرب من الزوجة من الدبر لواطةً.
٥ ـ ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق	٥ ـ قتل النفس عمداً من غير حق
٦ ـ ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن	٦ ـ أكل أموال اليتامى
٧ ـ وأوفوا الكيل والميزان بالقسط	٧ ـ الغش بالمكاييل والموازين والمقاييس
٨ ـ وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى	٨ ـ الكذب على جميع أشكاله ولو كان لمصلحة ذوي القربى وحمايتهم
٩ ـ وبعهد الله أوفوا ذلك وصاكم به لعلكم تذكرون	٩ ـ الخيانة للعهود والمواثيق
١٠ ـ وإن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله إلى قوله تعالى:... ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ١٥١ ـ ١٥٣ ـ الأنعام.	١٠ ـ ترك كتاب الله الذي فيه صراط الله المستقيم إلى كتب أخرى مثل الأحاديث مثلاً وإنشاء فرق جديدة في الإسلام.

وبما أن المسلمين لا يطبقون فعلاً إلا الحديث فإنهم لا يمكن أن يتفقوا كما رأيتم في مثال الوصايا والكبائر على رأي واحد. ولو أدركوا هذه الحقيقة ثم استطاعوا التدقيق في كتب الحديث التي عشقوها، لما وقعوا في التفرقة.

كل ما أريد قوله للمسلم في هذا الموضوع أن سبب التفرق في العالم الإسلامي ليس

لأسباب خارجية من استعمار وصهيونية من الأمور التي تعودنا أن نعلق عليها أسباب فشلنا دائماً. بل السبب داخلي ولابد من تغييره بأيدينا وبأنفسنا.

إن الإيمان بالحديث هو إيمان بالتفرق، لأنه عن طريق الحديث لا يمكن أن تجمع في الأرض إثنين على رأي واحد. ويكفي للمسلم أن يدرك تلك الحقيقة، حتى يدرك استحالة اتفاق المسلمين أو اتحادهم على أمر حتى في الأسرة الواحدة طالما بقي الحديث مصدراً من مصادر العقيدة الإسلامية مقبولاً بدون تمحيص، ويحل أحياناً محل القرآن الكريم بينما الشيء الوحيد الذي يمكن أن يعيد توحيد كلمة المسلمين هو غض النظر عن الحديث تماماً كما فعل أبو بكر الصديق عندما نفذ أمر رسوله مباشرة، فأحرق ما كتب من أحاديث عن الرسول وكانت خمسمائة حديث، بعد أن سمع بأمر الرسول الواجب إطاعته من كل المسلمين إذا تجنبوا الهوى واتبعوا الفعل.

عن أبي سعيد الخدري عن أمر رسول الله، قال (لا تكتبوا عني من كتب عني غير القرآن فليمحه). وحديث أبي بكر رواه الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت جمع أبي الحديث عن رسول الله، وكان خمسمائة حديث فبات يتقلب كثيراً. فلما أصبح قال: أي بنية. هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها. (تذكرة الحفاظ ص ٥).

وهكذا إن قلنا اليوم بأننا نحب أحاديث الرسول الكريم أكثر من أبي بكر الصديق لن نكون من الصادقين. ولابد مما ليس منه بد، وليس علينا إلا الامتثال لأمر رسول الله تعالى وتطبيق ما أمر، ولو كان ذلك سوف يغضب كل سلاطين الأرض اليوم مع كل رجال دينهم. ولكن غضب كل هؤلاء علينا أهون من غضب الله الذي صار يحاصرنا لعدم الامتثال لأوامره سبحانه ولا لأوامر رسوله الأمين، التي لا يمكن أن تناقض ما بلغ من وحي حقيقي.

وبعد ذلك لابد لنا من العودة إلى وحي الله تعالى وحده، الذي هو القرآن. ولكن كيف وعلى أي أساس وبأي أسلوب وتحت أية شروط؟. لأننا إن عدنا لكتاب الله تعالى مع الأخذ بالاعتبار أنه ليس في القرآن، الكريم نسخ أبداً، لأن النسخ يقتضي حذف النص المنسوخ وهذا حصل مرة واحدة في تاريخ الإسلام كله في قصة الغرانيق وانتهى أمرها إلى يوم الدين، وقد شرحته سابقاً.

بقي علينا أن نفهم الإنساء وهذه حصلت فقط للآيات المحكمات التي كانت خاصة

بعصر الرسول ولحالات خاصة مثل الآية التي أعطت للمؤلفة قلوبهم حصة في الصدقات وفي أموال المسلمين في أول الإسلام، ثم عاد سبحانه فأنسى حصة المؤلفة قلوبهم في الآية التي تقول ﴿كي لا يكون دولة بين الأغنياء منكم﴾ ٧ ـ الحشر.

ثم بعدها لدينا موضوع الخمرة في أول الإسلام ثم البت في أمرها في آخر النزول، ولدينا موضوع القتال الخاص الذي سمح به سبحانه لأسباب سياسية بحتة من أجل فرض السلطة السياسية الإسلامية على كل زعماء الجزيرة العربية بالقوة قبل التحرك للحشر (الحشر) لحرب الروم والفرس وكسر شوكتهم ومعارضتهم. وآية القتال تلك لم يسمح بها سبحانه إلا لنفس الرسول من دون المسلمين أقصد أمر التكليف لأنه شاء أن ينتهي من تلك الحرب بانتهاء حكم الرسول وقبل وفاته مباشرة.

والآية هي التي تقول ﴿فقاتل في سبيل الله لا تكلَّف إلا نفسك وحرض المؤمنين عسى أن يكف بأس الذين كفروا والله أشد بأساً وأشد تنكيلا﴾ ٨٤ ـ النساء.

والآية التي أمرت بانساء كل آيات القتال من هذا النوع في الإسلام هي الآية التالية ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

بعد تعرضنا للنسخ والإنساء باختصار شديد وفهمنا مبادئها وعلمنا أن القرآن الكريم كتاب من صنع الله معجز جعله بقدرة منه معجزاً في سهولة الحفظ، ومعجزاً في سهولة الفهم خاصة ما يتعلق بقسم الرسالة منه الذي يحوي الشرع والدين كله وهي الآيات والسور المدنية.

أما القرآن المكي الذي يحوي على غيب الله من علوم وقصص فهذا كتاب للبرهان على صدق كتاب الله وليس من قدرة مخلوقات الله تأليف مثله، وما فهم من هذا القسم نقبل به من غير تفسير أو تأويل، وما لم يفهم منه نتركه لأنه ليس لنا ولم يأت وقت فهمه بعد، لأن كتاب القرآن كتاب حي يتجدد مع كل جيل وليس مثل باقي كتب الناس في الأرض التي تموت بعد فترة طويلة أو قصيرة من موت مؤلفها.

بعد فهمنا لهذه الحقائق عن كتاب الله علينا أن نعلم بعدها أنه كتاب عالمي، أنزل ليكون للناس كافة، والله تعالى خلق جميع الناس على درجات في كل شيء، ومن تلك الدرجات القدرة على الفهم والاستيعاب والمقدرة العقلية فهي غير متساوية في خلقه، لذلك جعل رب العالمين كتابه الكريم ممكن الفهم من كل إنسان على قدر ما وهبه الرحمن من عقل ومن قدرات.

وإذا كان المسلم من قومية أخرى عندها يجب أن يقرأ القرآن من ترجمة صادقة تشهد بصحتها لجان مختصة ومسؤولة وبعدها فكل إنسان حر فيما يدركه من رب العالمين، فهو وحده القادر على أن يلقي في قلبه المعاني الرحمانية بحسب إيمانه واستيعابه، ومن الخطأ أن نظن بوجوب وجود مشايخ للتفسير والشرح والتأويل، فليس من شيخ أقدر على سبك الآيات التالية بشكل أوضح مما وضحها الله أصلاً عندما قال سبحانه

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾ ٦ ـ المائدة.

﴿يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون﴾ ٩ ـ الجمعة.

﴿وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها وتركوك قائماً قل ما عند الله خير من اللهو ومن التجارة والله خير الرازقين﴾ ١١ ـ الجمعة.

ولا بأس أن يتفقه بعض الناس في الدين شريطة أن لا تصبح وظيفةً يمكن أن يستغلها صاحب السلطة لمصلحته في الإفتاء وفي توجيه الناس كما يشاء.

إن آيات الله، خاصة المكي منها تقتضي الحذر من شرحها ومن تفسيرها بشكل عام في المساجد، لأن المستمعين للخطبة على درجات. في تلك الأحوال يجب تجنب الآيات المكية والتصدي فقط لآيات الدين التي فيها الشرع والأحكام والصراط المستقيم والكبائر والمعاصي والمتجنبات والحدود والحلال والحرام وكل ما يهم المسلمين معرفته. هذه هي الأمور التي يجب التعرض لها في المواعظ، مع إعطاء أهمية لأخلاق الإسلام في الدعوة للصدق والكرم والعفة والشجاعة والرأفة والمحبة والتعاون والمغفرة والتسامح، وإلى آخر تلك الصفات، والتنبيه على تجنب صفات أخرى مثل الحقد والحسد والبغضاء والكبر والإسراف والتبذير والرياء والنفاق والغرور إلى آخر تلك الصفات المنبوذة.

عندها فقط يكون الناس على السبيل الصحيح يقتربون من الرحمن ومن دينه ومن نعمته ومجال رضى الله سبحانه وتعالى:

﴿أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ١٠٩ ـ التوبة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين

هل في إسلام القرآن ناسخ ومنسوخ؟

إذا عدنا إلى كتاب الله وحده لنبحث عن الحقيقة لوجدنا أن كلمة نسخ ومشتقاتها وردت في أربع آيات فقط في القرآن الكريم ﴿ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها﴾ ١٠٦ ـ البقرة.

﴿فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته﴾ ٥٢ ـ الحج.

﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعلمون﴾ ٢٩ ـ الجاثية.

﴿وفي نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون﴾ ١٥٤ ـ الأعراف.

وكما تلاحظون فإن الآية الثالثة والرابعة ليس لها علاقة بموضوعنا الذي هو موضوع النسخ الذي أتى بمعنى الإلغاء للنص.

وإذا عدنا إلى تاريخ السيرة النبوية لوجدنا تفسيراً للآيات القرآنية التالية التي وردت في سورة الحج ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم * ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم وإن الظالمين لفي شقاق بعيد * وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وإن ا لله لهاد الذين آمنوا إلى صراط مستقيم * ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تأتيهم الساعة بغتةً أو يأتيهم عذاب يوم عقيم * الملك يومئذ لله يحكم بينهم فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ ٥٢ ـ ٥٦ ـ الحج.

خمس آيات بينات تشرح للناس كافة أن كل رسل الله من البشر العاديين، والله تعالى شاء أن لا يكون لهم قدرات خاصة خارقة مميزة عن البشر مثل العصمة مثلاً، بحيث يكون الرسول معصوماً بذاته عن الخطأ أو له القدرة الذاتية على معرفة الغيب والمستقبل، أو له القدرة على الرؤية لأبعد مما يستطيع رؤيته البشر من أمثالهم.

يريد الله تعالى من كل المؤمنين بالله أن لا يصدقوا شياطين الإنس من رجال دين الطواغيت، الذين حاولوا دائماً، من بعد وفاة رسل الله تأليههم، لوراثة تلك الألوهية وتجييريها لسلطانهم.

إن الذي فعله العلمانيون في عصر النهضة الأوربية كان فقط هو فصل السلطة

الدينية عن السلطة السياسية في الدولة مع بقاء السلطتين فعالتين ويعملان معاً جنباً إلى جنب لمصلحة السلطة السياسية.

إن الذي سهل ذلك على الغربيين هو معرفة المفكرين الذين أسسوا الدستور والنظام الديمقراطي الغربي القائم اليوم على أساس أن الناس بطبيعتهم يتشكلون من نوعين مختلفين في العقلية نجدهما عادة في كل الأمم:

نوع آبائي يتبع ما وجد عليه آباءه من معتقدات دون أن يشك أو يتساءل عن صحة تلك المعتقدات ويؤمن بالثقة بكل ما سمعوه من عقائد، دون التفكير في عرضها على ساحة عقلهم ومنطقهم. وهؤلاء ما يزالون يشكلون الغالبية العظمى في معتنقي الأديان المنتشرة في الأرض حتى هذه اللحظة.

ومن الجدير بالعلم أن غالبية رجال الدين يكونون عادة من هذه الفئة، علماً بأن اليهود الماسون يطلقون على هذه الفئة اسم العميان لأنهم فعلاً لا يعرفون الحقيقة ولا يستطيعون رؤيتها.

نوع عقلاني لا يؤمن بأي شيء قبل أن يتأكد، الشك عنده هو مفتاح اليقين، وهؤلاء لا يصدقون كل ما يسمعون ولا كل ما يشاهدون بل يبحثون عن الدليل والبرهان أولاً. مع العلم أن هؤلاء أقلية في كل الأمم ومنهم المفكرون والسياسيون. يجب أن لا نفهم مما تقدم أن السياسي الغربي أو السياسة الغربية قد استغنت عن الكنيسة وخدماتها، بل يجب أن نعلم أن الكنيسة ما زالت تقدم خدمات جليلة لأنظمة السياسة الغربية التي ترحب بوجود النشاط الكنسي.

علماً بأن الذي يؤكد على وجود هذا الترحيب هو كون الأنظمة الحالية تشجع الكنائس مادياً وإعلامياً وتعفيها من كل أنواع الرسوم والضرائب وتسمح لها القيام بكل نشاطاتها بحرية كاملة، مع تسهيل جمع التبرعات وإعفاء حتى المتبرعين من الضرائب للتشجيع على التبرع، وتعترف بكل حقوقها وامتيازاتها الأخرى التي تتمتع بها، فيعيش رجال دينهم في ترف مع التحلي بالجواهر والمعادن الثمينة مع وجود الفقر والمعاناة الشعبية لدى شعوبهم بشكل ظاهر.

إن السياسيين الغربيين لا يفعلون كل ذلك لمجرد التعاطف الديني والولاء العقائدي، بل لما يلمسونه من مصالح وخدمات حقيقية تقدمها الكنائس للنظام كله، وهذه حقيقة واقعة وملموسة من الجميع.

فالأديان القائمة اليوم بلا استثناء، قد تحولت بتأييد نفس الأنظمة وتشجيعها إلى مؤسسات لتدجين الشعوب، وتهدئة النفوس والموعظة بالصبر على الشدائد والمظالم، حتى يستطيع الشعب تحمل جرعات الظلم المستمرة التي يعاني منها أغلب شعوب العالم نتيجة جشع الأغنياء وميلهم للترف والبذخ والإسراف على حساب فقراء الأمة.

قد تكون المعاناة الشعبية في الدول الغنية أقل، ولكن المعاناة ما تزال شديدة الوطأة على الناس في الدول الفقيرة. علماً أن المسلمين يعانون أضعاف معاناة المسيحيين، وذلك لانتشار الحكومات الاستبدادية في كل الأنظمة الإسلامية، وعدم اعترافهم بالديموقراطية حتى الآن. لكن إسلام القرآن يعارض كل الأنظمة القائمة في الأرض خاصة للمسلمين. لأن مفهوم القرآن للسياسة والعدالة الاجتماعية يقوم على مفاهيم شاملة ومتكاملة ولا يمكن التفكير حتى نظرياً بفصل الشريعة (السياسة) عن الدين، لأن الدين الإسلامي حسب المفهوم القرآني هو دين عالمي قائم على مبدأين كبيرين:

١ ـ مبدأ السلم والسلام العالمي.

٢ ـ مبدأ العدل والعدالة العالمية.

وسبب ارتباط المبدأين هو أن أحدهما لا يمكن تحقيقه إلا مع تحيق المبدأ الثاني.

وهذان المبدآن لا يمكن فصلهما أيضاً.

لذلك يركز القرآن على فكرة إنهاء الظلم في العالم، الظلم بجميع أشكاله، فبدون إلغاء الظلم لا يمكن تحقيق أي شيء جميل في الأرض.

وبحسب مفهوم الإسلام القرآني لا يجوز تطبيق السياسة والحكم بحسب منطق الإنسان وحده، لأن ذلك سوف يتحول إلى حكم ظالم لا يقبله الله ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ٤٥ ـ المائدة.

ولكن ليس معنى هذا أن القرآن يحوي كل شيء يحتاجه الحاكم أو السياسي المسلم، بل بالعكس يترك الله تعالى المجال واسعاً للناس إذ يسمح لهم بتطبيق كل أعرافهم وتقاليدهم وعاداتهم، شريطة أن لا تتعارض مع حدود الله المبينة في القرآن. وعلى هذا الأساس يمكن اعتبار القرآن دستوراً منظماً للحكم الإسلامي، فالإسلام لا يسمح بتجاوز الحدود تجاوز ظلم كما أن الإسلام لا يسمح بالظلم لأي سبب من الأسباب.

إن القرآن بحسب مفهوم الإسلام القرآني لا يحتاج إلى بيان أو تفسير إضافي من

أحد، لأنّ موضوع بيان آيات الله تركها لنفسه لا شريك له فيها: ﴿إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾ ١٧ - ١٩ - القيامة. والإنسان بحسب رأي الله في القرآن، غير قادر لوحده على معرفة الأصلح والأنسب له ولأولاده، لكن الذي خلقه وسواه وعدله وهداه هو وحده القادر والعالم لما يصلح له في الدنيا والآخرة، فكما أننا لا نستطيع تخيل مغناطيس بقطب واحد كذلك في الإسلام، لا يمكننا تخيل فصل السياسة عن الدين حتى وإن ادعى السياسيون ذلك تمويهاً وتكذيباً وإضلالاً للأغلبية الساذجة. صحيح ليس في الإسلام رجال دين ولكن يجب أن يكون فيه رجال فكر وسياسة متديّنون يؤمنون بالله وبالقرآن.

وكما يعلم السياسيون والمفكرون الحقيقة التي لا يعلمها أغلبية الناس في العالم اليوم، وهي أن الدين والسياسة وجهان لعملة واحدة، ولا يمكن فصلهما عن بعضهما أصلاً.

لكن الحقيقة التي لا يعلمها أغلب المفكرون والسياسيون فهي: حقيقة وجود وجهين لا يجتمعان لكل ديانة حقيقية في العالم.

إن هذين الوجهين غير متشابهين بل هما متناقضان ولا يلتقيان على أي شيء أصلاً.

وجه يمثل دين الله المنزل بالوحي السماوي ضمن الرسالة الحقيقية التي بلغها رسول القوم لقومه بدايةً. وهذا الدين كان هو الدين الحقيقي الذي كان يحوي مصلحة الأكثرية، وكذلك في دين القرآن الذي وجهه سبحانه للناس كافة ليكون دين السلم والسّلام للعالمين وبلغها رسولنا الكريم محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام.

تجد في رسالات الله دائماً مصلحة عامة للناس هي المصلحة المقدمة على كل المصالح الأخرى، وهي وحدها التي تحافظ على حقوق الإنسان وحرياته معاً، وفيها تجد أسمى مبادىء العدالة الاجتماعية المبنية على ديموقراطية حقيقية من تصور الله تعالى وتخطيطه ومفهومه للعدالة في الأرض دون ارتكاب للمظالم التي تكون نتيجة أخطاء إنسانية.

لكن تلك الرسالات الصحيحة والسماوية سرعان ما بدلت بالتدريج بعد موت الرسول وأصحابه المباشرين عن طريق فريق من العلماء والمفكرين المأجورين، الذين تجدهم في كل الأمم والقوميات وهم يشكلون فريقاً في الملأ: الأغنياء وأصحاب النفوذ في الأمة ومترفوها والذين بيدهم عادة كل شيء، والقصص القرآني يشرح هذا الموضوع بالتفصيل.

يعود فريق الملأ هذا ليقلب الدين وليبدل المبادىء والأسس لتعود وتصب في مصلحة الأقلية الغنية المتنفذة في الأمة والظالمة عادة للأغلبية الفقيرة فيها. وهكذا يتحول الدين من جديد إلى الوجه المزيف، لكنه مع الأسف هو الوجه الدائم الباقي من كل الأديان في الأرض بلا استثناء.

كثير من سذج المسلمين يستثنون الدين الإسلامي الذي يروي قرآنه هذه الحقيقة في كل القصص المذكورة في كتاب الله العظيم بتشجيع من شياطين الإنس المستفيدين في الحياة الدنيا من قلب هذه الحقيقة.

لكننا إذا توخينا قول الحقيقة فلا بد من الاعتراف بأننا نحن المسلمين بالذات وضعنا أسوأ بكثير من وضع باقي الأديان، وواقعنا الحالي يشهد على هذه الحقيقة التي لا تسر إلا الأعداء مما نعانيه من عذاب الضعف والتفرق والمذلة والهوان.

ومن أحد مبادىء الأديان المزيفة خداع الناس مع تجنب قول الحق والحقيقة لهم. وتاريخ الأديان في الأرض يشهد على ذلك. فكل دين وجد في الأرض، ابتداء من كونفوشيوس في الصين ومروراً ببوذا وزرادشت ومانو (ماني) في الهند وإيران وانتهاء باليهودية والمسيحية والإسلام في منطقة الشرق الأوسط كلها في الأصل واحدة. وكلها تقول بأن الله تعالى واحد خلق الناس جميعاً وكلهم عباده بالخلق. وبما أن الله تعالى لا يتصل بالناس مباشرة في الأرض فإن أمور الحل والربط والشرع الذي فيه الأمر والنهي والمسموح والممنوع، مع كل المصالح الأساسية تنتهي في النتيجة بعد وفاة الرسل وانتهاء حكم الأوائل من الذين فضلوا الآخرة على الدنيا، ليعود الذين اختاروا الدنيا من الملأ بتبديل الحكم من حكم كان لله وبأمره إلى حكم باسم الله ولكن افتراء وتحريفاً وتبديلاً لشرع الله ورسالته الأصلية إلى شرع آخر من صنع الإنسان ظلماً واستبداداً واستعلاء في الأرض، ليقول الحاكم في نتيجتها للناس أنا ربكم الأعلى، كما قالها فرعون وقيصر وكسرى وسلطان المسلمين.

لكن كل أولئك المستبدين يعلمون أنهم بدون مساعدة رجال الدين كانوا لا يقدرون على ذلك وبفضل رجال الدين وسعيهم الدؤوب وتفانيهم للحاكم الدنيوي يحولون الشعب عادة إلى ملكيين أكثر من الملك مقابل المال وهذه هي وظيفة الكهنة والكهنوت منذ بدء التاريخ.

هكذا فإن أخطر أنواع الظلم في الأرض يبدأ مع بدء الحاكم باستغلال رجال دينه

لمصلحته الخاصة مع مصلحة الأقلية التي تحيط به عادة، متنكراً في واقع الأمر للمصلحة العامة التي من حصة أكثرية الأمة. وهذا ما نقصده عندما نقول: إن السياسة تستغل الدين لظلم الناس واستعبادهم في الأنظمة الاستبدادية، بينما نجد أن رغبة الله الحقيقية في الأرض هي ظهور الإنسان الواعي والعارف لحقوقه الإلهية الممنوحة له من ربه الذي خلقه مع كثرة التجارب وتطور الزمن.

ومن تلك الحقوق: حقه في الحياة وحقه في الملكية. وحقه في العمل وحقه في الحكم وحقه في تقرير المصير وحقه في المساواة أمام القانون وحقه في الحريات العامة مثل حرية التعبير عن الرأي بكل الوسائل وحرية التنقل والسفر وباقي الحريات.

والدين عندما يكون سماوياً لا تحريف فيه لا يمكن أن يكون فيه تصادم أو اختلاف أو تناقض، لأن الله تعالى الذي خلق كل شيء وخلق هذا الكون من حولنا وخلق الأرض وسخر لنا فيها نعماً كثيرة نراها جميعاً في تناغم وانسجام لا تصادم فيها أبداً.

كذلك دين الله مثل باقي نظامه وخلقه هو كله في تناغم وانسجام وييسير دائماً إلى التيسير وليس إلى التعسير ﴿يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر﴾ ١٨٥ ـ البقرة.

هذا إذا فهمنا الدين من القرآن مباشرة. وسبب تحديدي للقرآن بالذات لأنه الرسالة الوحيدة الباقية في الأرض بين أيدي الناس من دون تبديل أو تحريف، وهكذا فالذي يدرس تاريخ الأديان يستنتج أن كل الأديان كانت واحدة ومن مصدر واحد ومن إله واحد، ويدعو إلى حقائق واحدة وحقوق موحدة، وعلى هذا الأساس لا فرق بين البوذي والمسيحي والمسلم أمام الله إذا آمنوا وأصلحوا واهتدوا بنوره المبين. لكن هذه الأديان كما قلنا مع الزمن تعود لتنقلب رأساً على عقب إلى أديان أرضية تدعي أنها سماوية وتسعى عادة لمصلحة الأقلية من المتنفذين مع الحاكم البوذي أو المسيحي أو السني أو الشيعي. علماً أن كل الحكام والسلاطين على دين واحد هو دين المصلحة الدنيوية وتحقيق أهواء وشهوات الأقلية المتنفذة في الأمة مع ظلم الأكثرية الساحقة.

كثيرون هم الناس الذين لم يستطيعوا فهم مشيئة وإرادة الله في الأرض لأنهم عندما يرون المظالم والمذابح الكبرى يرتكبها بعض الظلمة في الأرض، يشكون في عدالة السماء ويقولون لماذا لا يتدخل الله لمنع ما يحصل من ظلم إذا كان موجوداً؟.

لكنهم لو فهموا مشيئة الله الأولى في القرآن، حيث جعل الله سبحانه وتعالى

الإنسان مخلوقاً حراً، استخلفه في الأرض بعد أن منحه العقل ليميز به بين الحق والباطل ويختار بإرادة حرة، وتركه سبحانه لوحده يتصارع مع واقعه، حتى يتعلم من تجاربه مع مواعظ الله التي استمرت تنزل إلي الأرض على شكل رسالات لم تنقطع، ولم يستثن سبحانه قوماً لم يرسل لهم رسولاً ليعظهم ولينبههم إلى أخطائهم وكفرهم وإشراكهم. لكن الله تعالى تعهد منذ البداية أن لا يتدخل من أجل ظلم الحاكم للعباد لأن تدخله لو حصل معناه أن الله قد عاد عن وعده وحجب الحرية وأصبحت محدودة، وهذا ما لم يفعله الله ولن يفعله في المستقبل، ومن أجل هذا أيضاً قال لنا سبحانه بصراحة حتى لا نتوقع التغيير من السماء بل من حركتنا ومن إرادتنا ومن حريتنا ومن أنفسنا أولاً: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

لكن قوانين الله وسننه الفعالة هي التي سوف يواجهها الظالمون للناس ولأنفسهم، والمبدلون لشرائع الله وأحكامه من الكافرين والمشركين، الذين يسبحون مع عكس تيار الحياة، فيتأخرون ويأتي الذين تقدموا وسبحوا مع التيار ليرثوا أرضهم وينتهي دورهم كما يحدثنا الله في قصص الأولين.

بعد أن فهمنا كل هذا لم يعد غريباً علينا أن نكتشف ونعلم علم اليقين، بأن الذين زرعوا الخلافات والاختلافات في الأمة وأوجدوا الطوائف والملل والنحل على مبدأ فرق تسد ليسودوا الأمة، لم يكونوا يعلمون بأنهم قد زرعوا الحنظل لأبنائهم وأحفادهم من بعدهم، بظلمهم واستبدادهم ليحولوها إلى أمة على منحدر التأخر والانحطاط بدلاً عن التقدم الذي لا يمكن أن يأتي إلا تحت ظروف توفر الحرية ومنح الحقوق مع تأمين العدالة للناس، التي كانت تتحقق مع تطبيق رسالة الله والحكم بما أنزل الله، بينما قلبهم للأمور واعتبارهم بأن القرآن هو الذي يقف في وجه رغباتهم وتمنعهم من تحقيق عاجل المتعة التي يسعون إليها، فوقفوا في وجه كل من حاول أن يعارضهم فيها واستخدموا رجال الدين من أجل تحريف وتبديل شرع الله الحنيف إلى شرع خاص بهم بعد أن نسبوه كذباً وافتراءاً لله ولرسوله تحقيقاً لأهدافهم التي كانت أغلبية الأمة وما تزال تجهلها بعد أن عشقوا افتراءاتهم وهجروا كتاب الله العظيم وجعلوه كتاباً لا يتلى إلا في مناسبات الموت والجنازات. وحصل مثل ذلك في كل الأديان بغض النظر عن اسم الدين، حيث حرفت شرائع السماء وكتب الأنبياء، ورسالاتهم وما فيها من سنن وقوانين وحقوق، بشكل تسلب في النتيجة العامة حقوق الناس، وتجعلهم عبيداً للسلطان كائناً من كان، على مبدأ الراعي والرعية الذي كان سائداً في اليهودية والمسيحية قبلنا، ثم نقله بعض

علماء السوء خدمة لسلاطين المسلمين الذين شاؤوا تحويل المسلمين إلى قطيع كبير، يسوقهم رعاة غلاظ كما يشاؤون ظلماً وتسلطاً وخوفاً بينما إذا سئل رجال الدين من قبل المسلمين عن هذا الظلم قالوا (كما في الحديث رقم ٧٠٥٢ من صحيح البخاري): قال لنا رسول الله، «إنكم سترون بعدي أثرةً وأموراً تنكرونها» قالوا: فما تأمرنا يا رسول الله؟: «قال: أدو إليهم حقهم وسلوا الله حقكم» وماذا يريد السلاطين أكثر من هذا؟ فهو على حسب علمنا لا يطالب إلا بالدنيا ومعها أموال الدنيا وشهواتها.

أو كما في الحديث رقم ٧٠٣٥ من صحيح البخاري، عن ابن عباس عن النبي، أنه قال: «من كره من أميره شيئاً فليصبر، فإنه من خرج عن السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» أي مات على الإشراك بالله، والعياذ بالله، وقد حرمت عليه الجنة ومأواه جهنم وبئس المصير.

حتى نستوعب كيف حصل ذلك كله علينا أولاً أن نستوعب إرادة الله الأولى في الأرض عندما حول آدم المصطفى من مستوى البشر بنفخة الروح، وخلقه بذلك خلقاً آخر ليصبح بعدها إنساناً عاقلاً مفكراً ذو إرادة حرة، ينطق ويتعلم ويناقش ويختار ويرفض، يبني ويصلح وبإمكانه أن يهدم ويفسد. تركه الله تعالى حراً كما قلنا يفعل ما يشاء خيراً أو شراً عدلاً أو ظلماً دون تدخل منه سبحانه لأن في التدخل حجب للحرية التي جعلت للإنسان مشيئة خاصة به شاء سبحانه أن لا يلغيها لكن لعلمه أن الإنسان وحده غير قادر على ايجاد السبيل السوي، ولا الصراط المستقيم، تابع سبحانه على إرسال الرسل على الدوام يوحي إليهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويعظهم أن يهتدوا بالصراط المستقيم وهي عشر وصايا إن التزموا بها اهتدوا وإن تركوها ظلموا أنفسهم وسخّرتهم الشياطين وسخِرَت بهم: ﴿قل تعالوا أتلُ ما حرم ربكم عليكم (ألا تشركوا به شيئاً) (وبالوالدين إحساناً) (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم) (ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن) (ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق) ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون * (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده) (وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها) (وإذا حكمتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى) (وبعهد الله أوفوا) ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون * (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله) ذلك وصاكم به لعلكم تتقون﴾ ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣ ـ الأنعام.

ومع أن كل أديان الأرض الحالية بدأت بتبديل رسالات الله وتحريف كلماته من البداية فإن هذا التبديل والتحريف ينسى مع الزمن ويترسخ في نفوس الأجيال الجديدة أن الحاكم الظالم قدر من الله يجب تحمله، ظناً أن الله تعالى يختبر بظلمه تحملنا وباستبداده صبرنا، ويتحول الناس بالتدريج إلى قطيع ما زوخي يلتذ بالظلم والاضطهاد، وإن لم يجد من يجلده تراه يتطوع وحده ليجلد نفسه، ظناً أن الله تعالى يلتذ بسماع أنينه ورؤية دمه وهو يسيل من تحت جلده. وهكذا يتحول قسم كبير من الأمة إلى مدافعين عن حقوق السلاطين متناسين كل حقوقهم المنهوبة، ظناً أنهم يدافعون عن حقوق الله وأنهم يطبقون شرائع الله، ولا يعلمون أن ما يطبقونه ما هي إلا شرائع شيطان ظالم رجيم.

هذا هو الإشراك وهؤلاء هم المشركون في كل دين، وهذا هو السبب الذي من أجله قال الله تعالى على لسان لقمان يعظ ابنه: ﴿وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يابني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ ١٣ ـ لقمان.

وكما ترون فإن هذا أشد أنواع الظلم للذات، لأن الإنسان يمتنع عن استخدام عقله الذي معه ولم يفارقه منذ ولادته، ومن أجل هذا الظلم الذاتي يقول تعالى أنه لن يغفر للمشرك إشراكه هذا أبداً، علماً أن الله تعالى لم يتوعد الكافر بمثله ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾ ٤٨ ـ النساء.

إن البوذي البسيط لم يعلم عندما أَلَّه رسوله بوذا أنه فعل ذلك من أجل تأليه حاكمه الحالي في الأرض حتى يسومه سوء العذاب كما يشاء ويرغب باسم بوذا. وكذلك لم يعلم المسيحي البسيط أن الإمبراطور قسطنطين عندما أمر أساقفته عام ٣٢٥ بالاجماع له على تأليه المسيح، أن الإمبراطور لم يفعل ذلك حباً بالمسيح عليه الصلاة والسلام، ولكن حباً في أن يكون الإله المعبود باسم المسيح ليظلم كما يشاء، كذلك لم يفهم المسلم عندما رأى سلطانه يرفع محمداً فوق مستوى البشر وأصبحوا ينشدون له في المساجد التي جهد كل السلاطين على إكثارها في أرجاء المدن والقرى:

(محمدٌ بَشَرٌ وليس كالبَشَرِ بل هو ياقوتةٌ والناس كالحَجَرِ)

ثم جعلوه عليه الصلاة والسلام معصوماً عن الخطأ وهم يعلمون أنه بشر خطاء. ثم جعلوه صاحب معجزات لا تعد ولا تحصى، رغم علمهم أن الله تعالى لم ينزل في الإسلام معجزة سوى القرآن.

وجعلوه حبيباً لله وخليلاً له وشفيعاً له، ثم جعلوا له هدياً خاصاً سموه هدي محمد، وسنة خاصة سموها سنة محمد، وحديثاً خاصاً فوق حديث الله رغم معرفتهم استنكار الله ورسوله لكل ذلك. هم فعلوا ذلك ليس حباً بالله تعالى ولا برسوله الكريم، وإنما حتى يتقولوا على الرسول وعلى الله ما عجزوا عن التقول على الله في كتابه العظيم، الذي استحال عليهم تبديل حرف فيه فهجروه إلى غيره. هذه كلها من كيد الشيطان إذا غفل المؤمنون.

ومن الجدير بنا أن نعلم أن سبب اهتمام السلاطين ببناء المساجد لم يكن حباً بالله بل لجعله مسرحاً دائماً لكهنته وسعياً لتبديل شرع الله وكتابه بشرع آخر مدعى باسم سنة الرسول وهديه، مستندين إلى آيات قرآنية بعد تحريف المعنى وتأويلها إضلالاً للناس لمصلحة الطاغوت.

لكن المسلم مع الأسف لم يفهم لماذا ركز سبحانه تركيزاً شديداً على تحريم الشرك والإشراك بالله، وقد أساء فهمه الأولون حيث ظنوا أن ذلك كان بسبب غيرة الله الشديدة، وظنوا أن الله تعالى لا يحب أن يرى عبداً من عباده يعبد إلهاً آخر غيره لأنه إله غيور. «لا تسجد لهن ولا تعبدهن. لأني أنا الرب إلهك إله غيور أفتقد آثام الآباء في البنين حتى الجيل الثالث والرابع من مبغضي» العهد القديم ـ سفر الخروج ـ الإصحاح العشرون الفقرة الخامسة.

ونقل سوء الفهم هذا من أهل الكتاب إلى الإسلام باسم الرسول الكريم الذي لم يبلغ في رسالة الله التي أنزلها عليه سبحانه كاملة أي كلمة تشير إلى غيرة الله، بل إن القرآن لم يستخدم كلمة الغيرة أو أحد مشتقاتها أصلاً في لغة القرآن، فكيف إذاً نقبل بما افتراه الناس في الحديث كما نجده في صحيح الإمام مسلم في الحديث رقم ٢٧٦٢ عن أسماء بنت أبي بكر أنها سمعت رسول الله، يقول: «ليس شيء أغير من الله عز وجل».

ولم يفهم المسلم أبداً أن مصلحته في الأرض لا يمكن أن تتحقق أبداً إلا بتوحيد الله والحكم بما أنزل الله، حمايةً لحقوقه من الملأ ومن السلاطين، وأن هذا وحده هو الذي يوحد صفوف المسلمين. وكما لم يفهم أن الله غني عن العالمين وبالتالي فهو غني عن عباده جميعاً، ولن يستفيد الله تعالى بإيمان الناس إن آمنوا جميعاً وكما لن يتضرر بالمقابل إن كفر الناس جميعاً أو أشركوا وعبدوا غيره، إنما الخاسر الوحيد بالكفر

والإشراك هو الإنسان نفسه الذي يظلم نفسه أشد الظلم، بأن يتبع عباد الله وما افتروه ظناً أنه وحي من الله تاركاً الوحي الذي عليه برهان ليصبح يقيناً مهجوراً يتلى على الأموات في القبور.

والرابح الوحيد بالإيمان بالله وحده مع الحكم بما أنزل الله والتقيد بشرعه الحكيم أيضاً هو الإنسان، الذي يتحصن بالقرآن المبين فلا يستطيع أحد أن يسلبه حقه الواضح في آيات الله البينات المبينات المفصلات أحسن التفصيل.

إن القرآن كتاب حيّ لإله حيّ قيوم أوجده سبحانه ليتلى من المؤمنين من أجل فهمه وتدبر معانيه وتطبيقها في حياة المسلم، وليس من أجل التنغم بألحانه والتعجب بعظيم بيانه. القرآن بحاجة إلى مؤمنين يسيرون على هديه وأن يقرأه كل مؤمن به اليوم وفي كل اليوم، وكأنه يتنزل عليه الآن من السماء وليس كما شاء مشايخ السلطان أن يجعلوه موقوفاً على أسباب للنزول في حوادث وأمور حدثت في الجزيرة العربية أيام الرسول، حتى ينهوا مفعول كتاب الله المستمر في الأرض إلى يوم القيامة. إن الذي يقرأ الآية التالية وكأنها تتنزل عليه الآن ونحن في وضعنا الإسلامي والعربي الذي لا نحسد عليه من الضعف والهوان، ماذا نفهم من قول الله إن كنا مؤمنين ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم﴾ ٥٤ ـ المائدة.

إن الله تعالى ليس عنده تفريق عنصري ليفضل قرشياً على أعجمي بل أنزل سبحانه كتابه العظيم ليستفيد منه أصحاب الألباب من الذين يفقهون ويعلمون ويعقلون ويتفكرون من المؤمنين الذين يوحدون الله ولا يشركون به أحداً ويسيرون على هدي القرآن ويحكمون به، عندها فقط سوف يكون لهم جنتان جنة في الأرض وجنة يكافؤون بها في السماء جزاءاً وفاقاً.

﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ ٤٦ ـ الرحمن.

لكن مأساة الإنسان هذه لن تنتهي لوحدها بدليل قول الله تعالى لنا علناً: ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

فالله تعالى ينتظر الخطوة الأولى منا وطالما نحن لم نبدأ بتغيير ما بأنفسنا من جهل ووهم وظن وباطل، إلى علم وواقع ومعرفة وحق، فإن الله تعالى لن يغير ما بأحوالنا أبداً

ولسوف يصيبنا كما أصاب الذين سبقونا ويأخذ منا أرضنا ويورثها قوماً آخرين.

هل تظنون أن ما حدث للهنود الحمر في أمريكا قد حدث رغماً عن الله أم بإرادته؟

إن كل قوم يتوقفون عن التطور والسير مع التاريخ يستبدلهم الله، ويورث أرضهم لغيرهم، هذه هي سنة الله التي لن نجد لها في الأرض تبديلاً ولا تحويلاً ﴿كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ ٢٥ - ٢٩ - الدخان.

كلمة أخيرة أحب أن أضيفها:

إن كل من يقرأ كتابي هذا ويعلم في قرارة نفسه أنني أقول الحق والحقيقة ويسكت مع أنه قد سمع صرختي الصادقة في كلماتي ولا يبلغ الحق لجاره بلسانه أو إلى أهل بلدته إن كان كاتباً أو خطيباً.

أقول إن مثل هذا القارئ هو شيطان أخرس لايريد أن يعم الخير أهله وجيرانه، وهو إنسان بخيل، لأنه قد بخل حتى بالكلام فلم يقبل أن يساهم في تغيير المنكر حتى بلسانه أو بقلمه، عالماً أنه لايمكن التغيير المنتظر ولا التقدم الذي يبحث عنه الإنسان إلا عندما يكتشف غالبية الناس بواسطة مفكري الأمة وعلمائها الحقيقيين الذين يؤمنون بالله العلي العظيم وبقرآنه المبين، والبدء في تطبيقه شرعاً في الحياة الفردية والأسرية والاجتماعية والسياسية، مع استمتاع كل فرد من الأمة بكل حقوقه المسلوبة الآن واستعادة كل حرياته التي ينكرها أغلب سلاطين المسلمين. والإنسان الذي لا يعرف حقه غير جدير أيضاً باسترداده. ﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه. إن أريد الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله. عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ٨٨ - هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الحرية أساس كل عقيدة دينية صحيحة

نجد في الأحاديث الدارجة حديثاً أورده ابن ماجة يقول (تفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال ما أنا عليه وأصحابي). والغريب أن كل فرق السنة المختلفة تظن أنها هي الفرقة الناجية التي تعمل وتقتدي بما كان عليه رسول الله الأمين وأصحابه أجمعين.

يجب أن نبرهن بالعقل أن هذا الحديث يناقض كل ما أتى به القرآن الكريم من آيات تقرر الحرية والمشيئة للإنسان وتدعوه للإيمان بلا إكراه حتى من ربه الذي لو شاء لخلقه مؤمناً كما خلق الملائكة أجمعين. ثم يعظ الله تعالى مخلوقاته العاقلة المتمتعة بنعمة الرحمن بالفكر الحر والإرادة الحرة لاختيار ما تشاء بعقلها، الذي لديه القدرة للتمييز بين الحق والباطل فيقول لهم سبحانه إن سر التخلص من الإشراك هو بالتخلص من شرع الطاغوت الذي يروجه كل الطواغيت في الأرض، وهم يخفون دائماً عن الناس شرع الله الحقيقي ومبدأه الأساسي الذي يقول فيه: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ٢٥٦ - البقرة.

لكن الله تعالى بين سلفاً أن الجنّة في الدنيا والآخرة هي للمؤمنين والمتقين وأن الجحيم يكون كذلك في الدنيا والآخرة للكافرين والمشركين، لكن الله سبحانه خيّر بعد ذلك الإنسان العاقل بينهما ولم يفرض عليه أحدهما فرضاً وإجباراً أو إكراهاً بالقوة ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ - الكهف.

والمؤمن لن يحسن لله بإيمانه كما أن الكافر لن يضر الله بكفره، وإنما نفعُ الإيمان يعود على الإنسان وضرر الكفر أيضاً يقاسيه الكافر. والنفع يكون للمؤمن في الدنيا والآخرة كذلك الضرر للكافر يعانيه الكافر في الدنيا والآخرة.

والذي يحب أن تكسب تجارته عليه الإيمان بالله العلي العظيم مع هجر الطاغوت والكفر بما عنده من شرائع بديله مثل التلمود والتوراة المحرفة عند أهل الكتاب مع إخفائهم للتوراة الحقيقية. أو مثل المسلمين الذين يبشرون بكتب الطاغوت التي لا تحوي إلا أحاديث تتناقض مع أحسن الحديث الذي في كتاب الله دون قول الحق للمسلمين، وذلك أن الله سبحانه يستنكر على المؤمنين أي حديث بعد حديث الله المنزل على

رسوله الكريم وسجل حرفاً بحرف في القرآن الكريم ﴿تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ - الجاثية.

بعدها يهدد سبحانه أتباع الطواغيت من رجال الدين الذين يروجون لشرائع الطاغوت كذباً على رسول الله الأمين، وهم يقولون قال فلان عن فلان أن رسول الله تعالى قد قال: ثم يأتون بما يشاؤون مما ينسخون به شرع الله الحكيم، حتى يحللوا ما حرم الله ويحرموا ما حلل الله ظلماً للناس ولأنفسهم، فتتابع الآيات بعد تلك الآية لتقول ﴿ويل لكل أفاك أثيم * يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبراً كأن لم يسمعها فبشّرهُ * بعذاب أليم﴾ ٧ - ٨ - الجاثية.

لذلك يقول سبحانه للمؤمن ماذا يفعل حتى ينجو بنفسه من الجحيم؟ إنه سبحانه يقررها مباشرة في تتمة جزء الآية التي استشهدنا بها أولاً أي ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ ٢٥٦ - البقرة.

والناس في الدنيا فريقان، فريق يطيع الله ويؤمن به ويعتقد أن الرزق منه وأن الخير والشر كله لا يأتيه إلا بإذنه سبحانه وفريق يطيع شرع الطاغوت الذي يروج له أيضاً بأنه وحي آخر من الله أتى به الرسول، وإن لم يكتبه كتبة الوحي ولكننا نحن كنا حريصين أكثر من الله ورسوله فكتبناها لكم وحفظناها من الضياع، وبدونها أصلاً لا يمكنكم أن تفهموا القرآن ولا أن تعرفوا عدد ركعات الصلاة ولا ما تدفعون من زكاة. ففات هذا الكلام الشيطاني على البسطاء وتركوا كنوز الله في القرآن ولحقوهم إلى كتاب ليس فيها إلا الضلال المبين، مع حرمانهم من حقوقهم المشروعة، وإعطاء الحق للطاغوت بأن يظلمهم ويعذبهم كيف يشاء، دون أن يكون للإنسان الحق حتى في الشكوى لله، طالبين منه الصبر على ظلم السلاطين إلى يوم الدين، وإلا مات موتةَ الجاهلية ودخل الجحيم ليكون من المعذبين، عذابٌ في الدنيا مع جحيم في أُقبية وسراديب الطاغوت، وعذاب في الآخرة مع جحيمها المستعر. هذا هو ما يعدون به من يطالب بحقوقه المشروعة في القرآن العظيم، لذلك نجد الرحمن بعد تلك الآية ينبه المؤمنين والناس أجمعين إلى تلك الحقيقة حين يقول:

﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ٢٥٧ - البقرة.

رجال دين الطواغيت يخشون على أتباعهم أن يكتشفوا معنى الطاغوت فينتبهوا إلى الظلم الذي يلحقه السلاطين بهم، فيقولون تحريفاً لمعنى الطاغوت الذي مصدره في العربية من طغى بمعنى سيطر واستبد وظلم، فيقولون إن الطاغوت هو الشيطان والشيطان هو إبليس الجني اللعين الذي لا يراه من أحد في العالمين إلا أولياؤه وأتباعه من الظالمين.

إن الله تعالى يسمي الأسماء بمسمياتها فيقول عن الشيطان شيطاناً وعن الطاغية المستبد على عباد الرحمن طاغوتاً.

ومن لا يصدق عليه أن يتابع قراءة الآيات التي أستشهد بها من سورة البقرة، ليقرأ بعد الآية السابقة عن القصة بين إبراهيم وأحد الطواغيت الذي ردّ على ما قاله إبراهيم عليه الصلاة والسلام: إن ربي يحيي ويميت. فقال الطاغوت وأنا أحيي وأميت فقال له كيف؟

فأمر الطاغوت فأتي برجلين ومعهما سيافه وقال له اقطع رأسيهما، فقطع السياف رأس الأول، وقبل أن يقطع رأس الثاني قال له اترك الثاني وأطلقه ففعل السياف ما أمره الملك الطاغوت الذي قال لإبراهيم (هل رأيت؟ فأنا قد أمتُّ الأول بأمري وأحييت الثاني أيضاً بأمري) لنستمع إلى القصة في القرآن الكريم مباشرة بعد الآية السابقة؟ ﴿ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت قال إبراهيم فإن الله يأتي بالشمس من الشرق فأت بها من المغرب فبهت الذي كفر والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ٢٥٨ ـ البقرة.

فهل كان هذا الملك الذي قرأنا قصته الآن شيطاناً من الجن أم كان طاغوتاً من الإنس أفلا نعقل ما نسمع؟.

الآن وبعد هذه المقدمة لنعد إلى نص الحديث الذي يقرر للرسول الكريم أنه يعرف الغيب وماذا سوف يحصل في المستقبل للإمة الإسلامية وإلى كم فرقة سوف تفترق.

ألم نقرأ في القرآن أن الله تعالى أمر رسوله الأمين أن يقول للناس الحقيقة ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي، قل هي يستوي الأعمى والبصير أفلا تبصرون﴾ ٥٠ ـ الأنعام.

ولما كانت شهادات الله تأتي في القرآن زوجية غالباً، حتى يكون لله تعالى في هذا الموضوع شهادتين، لنقرأ الشهادة الثانية حيث يأمره ربه أن يقول ﴿قل لا أملك لنفسي

نَفعاً ولا ضَراً إلا ما شَاء الله ولو كنت أعلم الغيبَ لاستكثرتُ من الخير وما مسَّني السوء إن أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوم يؤمنون﴾ ١٨٨ ـ الأعراف.

لذلك فالذين يؤمنون بأحاديث ضالة غير أحاديث الله السابقة هم من الضالين بدليل قوله تعالى استنكاراً ﴿فبأي حديث بعده يؤمنون * من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون﴾ ١٨٦ ـ الأعراف.

والعمه في لغة القرآن غير العمى الذي للبصر. العمه هو تخبط الضال عن السبيل فلا يعلم أي سبيل يسلك مع أنه يبصر ويرى أمامه كل السبل لكنه لا يعلم أيها هو الذي سوف يوصله إلى بر الأمان إذ لم يعد بين يديه بوصلة تعطيه الاتجاه الصحيح. لذلك نجده متردداً أيمشي حسب القرآن ومشايخ السلطان يقولون له لا تلمسه ولا تقرأه وإن قرأته لا تحاول أن تفهمه، لأنك إن أخطأت في مقاصد الرحمن فإنه سوف يحرقك بنار جهنم، ولكننا نحن سوف نعطيك أحاديث أخرى ووحياً سماوياً آخر اقرأه واتبعه فهو الذي سوف يشرح لك القرآن ولن يحرقك أحد وهو معك.

إن صدَّقَ ما سمع منهم فقد ضل ضلالاً لا رجعة بعده، وإن تركهم وهرب إلى الله وتمسك بكتابه نجا وفهم القرآن وحده، لأنه سبحانه القادر على كل شيء، أرسل كتابه الذي يحوي الأحكام والدين كله وسماه سبحانه بالحكمة وهو مفهوم، وهذه إحدى إعجازات القرآن الكبيرة الدائمة يستطيع أن يلمسها كل إنسان في الكون إذا شاء وكانت نيته صافية لله الذي خلقه فسواه فعدله.

وعلى فرض أن الحديث السابق صحيح. فمن هي الفرقة التي بقيت على ما كان عليه الرسول وصحبه إلى هذا اليوم؟.

نحن نعلم أن حرب الفتنة الكبرى قد قصمت ظهر الإسلام وفرقته بداية ثلاث فرق:

ـ الفرقة الكبرى كانت من نصيب المنتصر الذي مالت نفسه للدنيا وأحب أن يتمرغ فيها كما يقول ابن كثير الدمشقي في تاريخه في البداية والنهاية في المجلد الرابع الجزء السابع الصفحة ١٣٨ ـ طبع دار الريان للتراث ١٩٨٨ ـ القاهرة.

وقال معاوية (أما أبو بكر فلم يرد الدنيا ولم ترده، وأما عمر فأرادته فلم يردها، وأما نحن فقد تمرغنا فيها ظهراً وبطناً).

وسُمِّيت الجماعة التي مالت نفسها للدنيا وتبعت معاوية ابن أبي سفيان فرقة السنة.

وسُميت الجماعة التي بقيت مع علي بن أبي طالب ولم تتركه في محنته بالشيعة.

وسميت الجماعة التي انشقت على علي وخرجت من الصفوف بعد خدعة معاوية وعمرو بن العاص في قصة التحكيم التي سبقتها رفع المصاحف بالخوارج، فأصبح المسلمون بعدها كما رأيتم ثلاث فرق أساسية فمن أي فرقة منهم كان الرسول يا ترى؟.

هل كان الرسول من أنصار معاوية؟

أم هل كان الرسول الكريم من أنصار علي بن أبي طالب؟

أم هل انشق الرسول على علي وأصبح من الخوارج؟.

لم يكن الرسول الكريم إلا مع الحق ومع أنصار الحق ومع الله وما أنزل الله من وحي قطعي الثبوت لا ظن فيه، ولكن أين بقي ذلك الحق اليوم؟

لقد بقي في القرآن المهجور من الجميع، بعد أن ضيع الطواغيت الحق بوحي آخر افتروه.

أما الحديث والمحدثين وعلم الحديث كل ذلك كان من البدع والمستحدثات في الإسلام وكانت بدعة هدفها إضلال الناس عن الحق الذي في كتاب الله المبين، فكيف يمكن للرسول الكريم أن يكون من فرقة المحدِّثين، وهو عليه الصلاة والسلام لم يدَّع يوماً أن له حديثاً أوْ لَهُ سنةً أو لَهُ هدياً خاصاً إلا ما ادعاه أصحاب الطاغوت فيما بعد، حتى يفرقوا به المسلمين كما يشتهون إلى ثلاث وسبعين فرقة بل قد فاقوا ذلك كثيراً، حتى وصل الأمر إلى أن يتفرق كل مسلم عن ذاته فرقتين.

ولقد برّأ الله تعالى رسوله من الذين سعوا للفتنة وإلى تفريق دينهم قائلاً: ﴿إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء، إنما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون﴾ ١٥٩ـ الأنعام.

وكما نصحنا وأوصانا سبحانه أن لا نكون مثل المشركين من الذين سبقونا من أهل الكتاب وفرقوا دينهم شيعاً وأحزاباً مختلفين ﴿ولا تكونوا من المشركين * من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً كل حزب بما لديهم فرحون﴾ ٣٢ ـ الروم.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

كيف يمكن للمفكر الإسلامي توجيه شباب المسلمين وتشجيعهم على قول الحق ورفض الظلم والاستبداد

يكتشف دارس القرآن العظيم كتاب الله المبين بالتدريج أن أتباع الأديان في الأرض جميعاً ينقسمون تحت لواءَيْ فئتين من رجال الدين:

١ ـ فئة قليلة من رجال الدين من الذين يعلمون لكنهم يحرفون مقابل ما يدفع إليهم من أموال سخية من فئة دائمة لها مصلحة دنيوية قوية لتبديل دين الله، وشرعه في كل رسالة من رسالات الله في الأرض، علماً أن الله تعالى ليس له إلا دين واحد. هذه الفئة عرفناها من القرآن الذي أطلق عليهم اسم الملأ وهم الأغنياء المتنفذون من كل أمة، وهي الفئة التي تولت مهمة إضلال الناس عن الحق والعلم والنور من بداية التاريخ الإنساني باستئجار تلك الفئة من رجال الدين.

٢ ـ فئة كبيرة من رجال الدين الجهلة يتبعون الفئة الأولى جهلاً وسذاجة وضلالاً يتبعهم من هم أضل منهم سبيلاً من عامة الناس عادةً.

٣ ـ هناك دائماً فئة صغيرة من المتنورين يقولون الحق ويتبعون العلم ويستخدمون العقل والمنطق، ويؤمنون بالله ويعلمون أن العلم حق ونور، وأن الظن وهم وضلال وهؤلاء لا يتبعهم إلا القلة المتعلمة والمتنورة والعامة لا تستسيغ منطقهم. لكن هؤلاء لايمكن أن نقول عنهم أنهم رجال دين لأن رجل الدين هو الذي يمتهن ويحترف الدين ويعيش به والذي يقول الحق لن يدفع له أحد لأن الأغنياء لايدفعون عادة إلا لمن يخدمون مصالحهم.

هؤلاء مع قلتهم هم الوحيدون القادرون على إخراج الآخرين من ظلام الكهف لأنهم الوحيدون الذين يعلمون أهمية العلم الحقيقي وضرورته، ليكون حكماً مع عقل الإنسان ومنطقه وهؤلاء أيضاً هم وحدهم القادرون على الإيمان بالله مع توحيده بلا إشراك، لأن عقلهم المسلح بالشك يكشف أمامهم ألاعيب الشيطان فلا يُخدعون بسهولة، لأن العلم يوحد الرؤية والوهم باطل يشتت الرؤية ويخلق الخلاف والاختلاف وأمامهم عقبة تعليم العامة وهذا من أصعب المهام.

في بداية القرن العشرين وقبل الحربين العالميتين ظهرت في بلادنا حركات فكرية

وتحررية يقودها شباب متحمس، عيبهم أنهم كانوا مقلدين ولا يعلمون بقيمة ما في بلادهم من قيم حقيقية لدين حقيقي ما زال محفوظاً في كتاب عظيم، لأنهم بعد أن درسوا في جامعات الغرب مع ملاحظة القفزات العلمية التي حققتها أوروبا العلمانية من تحرير الإنسان من استبداد وتسلط الملوك والكنيسة، مع الاعتراف بحقوق الإنسان الذي ترافق مع ظهور الأنظمة الديموقراطية لأول مرة في تاريخ الإنسانية كلها، بهرهتهم وعادوا يحاولون تطبيق ما رأوا بأعينهم. وفاتهم فهم واستيعاب القاعدة الأوروبية التي منها انطلق المفكرون الأوروبيون، فكان عليهم أولاً أن يبحثوا عن القاعدة الشرقية ليعلموا كيف يمكنهم الانطلاق من واقع الأمة الإسلامية للشعوب الشرقية.

صحيح أن العلم قاعدة والعلماء الحقيقيون رفعهم الله درجات، ﴿يرفع الله الذين آمنوا والذين أوتوا العلم درجات﴾ ١١ ـ المجادلة.

لكن التقدميين العرب والمسلمين عندما فكروا بالإصلاح تمسكوا بشعار القومية وأهملوا الإيمان والدين، معتبرين أن العلم هو الأساس ففشلوا. ولو أنهم أدركوا أن القرآن وحده كان قادراً على توحيدهم سياسياً وعلمياً لأخذوا به لكنهم كانوا وما يزالون يجهلون كتاب الله ولا يعلمون من حقائقه وأسراره شيئاً.

إن كل الأفكار القرآنية تتضمن حقوق الإنسان وتحرير العبيد والإقرار بحريات الإنسان وحقوقه، مع جعل الله تعالى مشيئة خاصة للإنسان ولإرادته وجعله حراً في اختياره معتمداً على عقله وعلمه وتجاربه، التي بها يعرف أين تقع مصلحته الحقيقية.

كما جعل الله نظام الحكم في دينه قائماً على مبادىء الحق والشورى التي تشابه الديمقراطية للابتعاد عن الظلم، حتى يكون الحكم في نتيجته العامة لمصلحة الأكثرية الساحقة من الأمة.

لذلك كان بإمكان المفكرين السعي للإصلاح منطلقين من كتاب الله الحقيقي الذي أُنزل فعلاً من السماء من رب العالمين، ليكون فيه الشفاء للأمة فيسعون إلى ايجاد المؤمنين بالقرآن المتفهمين لآيات الرحمن، ليصبحوا من الراسخين في العلم. باعتبار أن القرآن يحوي أسس العلوم وليس فيه وَهْمٌ أبداً فهو يدعو الإنسان دائماً إلى التفكر والتعقل والتعلم ويبعده عن الأوهام والظنون. والعلماء الحقيقيون هم الذين يخشون ربهم لأن العلم سبيل الله إلى الحق والحقائق.

﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ إن الله عزيز غفور﴾ ٢٨ ـ فاطر.

وليس من عالم يسمع بالحق في أي مكان ويرفضه بل يؤيده ويؤمن به ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ ٥٤ ـ الحج.

﴿ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون﴾ ٤٢ ـ البقرة.

﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ ٢٥ ـ النور.

﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ ٦٢ ـ الحج.

والذي يتبع الباطل إنما يتبع الشيطان ﴿ذلك بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل﴾ ٣ ـ محمد.

والعلم هو الحق الذي في كتاب الله ﴿ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك هو الحق ويهدي إلى صراط العزيز الحميد﴾ ٦ ـ سبأ.

لذلك فالشباب التقدمي كان الأجدر به أن ينطلق من قاعدة إسلامية صحيحة، وطالما القرآن عربي فهو وحده كان سيضمن الوحدة العربية مع توحد المسلمين، لكن ذلك يحتاج من المفكرين أن يتفهموا الموقف الفكري الإسلامي ليعرفوا كيف يميزون الصحيح من الخطأ في ركام التراث الذي بين أيديهم الآن.

وأنا لا أشكك هنا في صدق وإيمان التقدميين القدماء، لكنهم لم يتوقعوا أبداً (أقصد المؤسسين للحركات التقدمية العربية) أن تكون إسرائيل هي الصخرة التي ستتحطم عليها آمالهم وطموحاتهم في حروب متتابعة اصطنعها الغرب، وهو متأكد من موقف الزعامات التي كانت خلف قواتهم، وبالتالي كان متأكداً من النصر في تلك الحروب على دول المنطقة العربية. لقد كان السبب الأساسي لتلك الهزائم كما أراها اليوم بوضوح تام هو عدم إيمان الزعامات العربية بحقوق العرب في فلسطين، وعدم اتحاد مواقفهم مع وجود اختلافات فعلية في مصالحهم الاقتصادية والسياسية على مستوى الدويلات. ولو أن إسرائيل والغرب جابهوا اتحاداً إسلامياً حقيقياً لاختلف الموقف تماماً وكان الغرب يعلم هذه الحقيقة تماماً لذلك فهو الذي خطط ورسم للمنطقة من بداية القرن خاصة بعد سقوط الخلافة العثمانية كل أهدافها واستراتيجياتها، ومنها إبعاد المسلمين عن القرآن.

هكذا نستطيع أن نعلم حقيقة واقعنا الحالي وأسباب تأخرنا بأنها لم تكن نتيجة ظلم الناس لنا من استعمار أو صهيونية فقط ولا من ظلم الله تعالى، بل كان ظلماً شديداً من أنفسنا لأنفسنا وأبنائنا وأحفادنا من بعدنا ﴿وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ ١١٨ ـ النحل.

وإذا راقبنا أحوالنا نكتشف أن كل يوم يأتي علينا هو أسوأ من اليوم الذي ودعناه، وهذا مستمر من أول يوم انحدر فيه المسلمون وإلى اليوم بلا توقف. لأننا نقول بلساننا ما ليس في قلوبنا، وعكس ما تفعل أيادينا لنزداد في كل يوم ضعفاً وتفرقاً، دون شذوذ لهذه القاعدة المستمرة مع استمرار وجودنا.

ننادي بالحرية والديموقراطية ولا نرى إلا استبداداً وتسلطاً. ونقول بلساننا أننا مسلمون ونعبد الله تعالى وحده ولا نشرك به أحداً، وواقع حالنا يشير إلى أننا نعبد الطاغوت، نقول عن الأوروبيين والغربيين أنهم كفار وملحدين غضب الله عليهم بينما نراهم بالمقارنة مع أوضاعنا وأحوالنا نحن المسلمين أنهم يزدادون اتحاداً وتوحداً، وهذه نعمة، ويزدادون غنىً وهذه نعمة، ويزدادون قوة وهذه نعمة، ويزدادون صحةً وهذه نعمة، ويزدادون صدقاً لبعضهم وهذه نعمة، ويزدادون تعاطفاً مع شعوبهم وهذه نعمة، ويزدادون ديمقراطية وهذه نعمة، ويزداد شعور المواطن بقيمته وكرامته الشخصية وهذه نعمة، كما يزدادون في كل يوم علماً واكتشافاً واختراعاً وهذه كلها من نعم الله عليهم.

وماذا عندنا من كل نعم الله هذه نحن الذين نتفاخر على الناس أننا مسلمون؟ الحقيقة أننا نزداد كل يوم تفرقاً عن اليوم الذي قبله، وكل يوم تطالعنا الأخبار بأن فلاناً قد أنشأ فرقةً جديدة وحزباً جديداً في الإسلام، وهذه نقمة التفرق.

كما نزداد كل يوم اقتتالاً لبعضنا في بلاد العالم كله وهذه نقمة الاختلاف. وصار الكذب خصلةً من خصالنا الدائمة وهذه نقمة، ويزداد عدد فقرائنا الذين قد تخطوا خط مستوى الفقر نزولاً وهذه نقمة، وكل يوم نزداد ضعفاً إلى ضعفنا وهذه نقمة، وحكامنا يزدادون تسلطاً واستبداداً وهذه نقمة، ويزداد شعور المواطن المسلم في بلده بتفاهة قيمته ودوره كمواطن وهذه نقمة، ونزداد كل يوم وهماً وظناً وهذه نقمة وهكذا إلى مالا نهاية. فأين نعم الله التي أنكرتها إن كان هناك نِعَم؟.

أنا لم أقل منذ البداية أن الغربيين قد أصبحوا من المؤمنين المتقين ومن عباد الله الصالحين، ولكني أجري مقارنة بيننا وبينهم، هم يؤمنون بالعلم والحق والعدل والنور، وهذه من صفات الله. ونحن نؤمن بالجهل والظن والظلم والظلام ونشرك بالله الوهم والباطل وكلها من صفات الشيطان، فمن منا أقرب لله والحق وأبعد عن الباطل والشيطان؟. نحن ننادي بالوحدة الإسلامية والمؤتمر الإسلامي منذ بداية القرن الحالي وها نحن الآن في نهايته. ماذا حققنا في الوحدة الإسلامية؟ ازددنا تفرقاً وضعفاً. نادينا

بالوحدة العربية والقومية العربية والجامعة العربية. ماذا حققنا على كل تلك المستويات؟ لا شيء. بل آمنا بعدم جدوى هذه الشعارات وسكتنا. بينما نجد في المقابل أوروبا التي تتشكل من فسيفساء من القوميات على وشك الاتحاد مع تحقيق الوحدة الاقتصادية فعلاً، وليس على مستوى الشعارات والأغاني وحدها.

وألمانيا التي قسمها العالم قسراً فرضت احترامها بعد الحرب من جديد على الناس وأعادت وحدتها، وهدمت جدار برلين. وبلادنا التي كانت موحدة في بداية القرن أتى رجلان من أوروبا أحدهما إنكليزي والآخر فرنسي (سايكس وبيكو) وقسما البلاد العربية الإسلامية بالقلم والمسطرة ووزعوها كما نوزع اليوم قطعة من الحلوى، وما خطوه بالقلم الرصاص على خريطتيهما صار عندنا منزلاً من السماء لا يجوز تغييره، وكل يوم نبني جداراً جديداً ليفصلنا. مع الأسف لم يبق عندنا إلا أوهامنا العزيزة علينا علماً أن الأوهام لن تتحول بفعل السحر إلى حقائق. إذاً لابد من بداية أولاً بتفهم أوضاعنا وأحوالنا ثم لنقدر موقفنا بعد الاعتراف بإشراكنا وأخطائنا إن كنا نريد أن ندخل إلى عالم الألف الثالث للميلاد بعقلية علمية جديدة قادرة على العمل واللحاق بركب الحضارة الإنسانية. لننهض من نومنا ونخرج من كهفنا ولنبني بأيدينا مستقبلنا ومستقبل أولادنا وأحفادنا وإلا سوف نزول بالتدريج من الأرض والتاريخ كما توعد الله بقوله الكريم ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء﴾ ٥٤ ـ المائدة.

وكما قال تعالى ﴿لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

إذاً من واجب المفكر الإسلامي إظهار العيوب مع إظهار الطريق المطلوب تنفيذه من الجميع. أما الدعوة العامة للبكاء فلا تجدي نفعاً، فأشعار المراثي لن تعيد لنا الماضي الذي زال، نحن أبناء هذا اليوم ويجب أن نستخدم الوسائل العصرية، ولا نعيش بعقلية السيف والترس، والناس على وشك أن ينسوا الأسلحة التقليدية من دبابات وطائرات ومدافع ورشاشات.

لذلك على كل مفكر أن يستنهض الشباب المثقف القادر على الكتابة والقادر على الخطابة، أن ينهض بعد أن يعيد النظر في كل أفكاره السابقة ويبدلها بالجهد والمتابعة والصبر بأفكار صحيحة وثابتة تستند إلى علم صحيح لتصبح مسلمات بدل مسلماته البالية التي لم تنفع إلا للوهم والظن وكله باطل. ومن واجب المفكر الإسلامي إقناع

الشباب المثقف الذي ما يزال يحمل بذور الماضي والأفكار الوراثية ما زالت في رأسه تصدر الأحكام لقراراته، دون أن يشعر بها ولا بوجودها. على الكاتب أن يركز على أهمية إزالتها بتكرار ذكرها في صفحات كتبه لتكون بمثابة تنبيهات خفيفة تتكرر بإيقاع معين أثناء قراءاته للكتاب الذي بدأ يشعر أنه يقول شيئاً مختلفاً عما تعود سماعه سابقاً، والتفكير بوجوب تغيير أفكاره ومسلماته من ذاكرته الخلفية عن طريق تقوية القناعة والإيمان عند الشباب واستبدالها بغيرها من الصحيح سواء كان عن طريق العلم أو عن طريق القرآن أم العلوم كلها. وبدون هذه العملية لا يمكن أن يتحقق للشباب المثقف من المسلمين حتى لغير الملتزمين بالدين أن يتوفر عندهم وضوح الرؤية، لأن تلك العوالق الوراثية من البيت والمجتمع مما ورثه عن آبائه الأولين مازالت باقية داخل تكوينه الوراثي للأفكار وما زالت تشكل غشاوة مانعة لوضوح الرؤية عنده، وهذا من أصعب الأمور إزالتها على الإنسان وحده من غير مساعدة خارجية. لأن الإنسان نادراً ما يعلم بوجودها وحده لولا تنبيه القرآن بها. ﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ ٧ ـ البقرة.

وهكذا إذا تحققت الصحوة ستكون صحوة في النور ولن تكون في ظلام الكهف، حيث لا يستطيع الإنسان أن يرى إلا أوهاماً وخيالات كلها تؤدي إلى ضلالات جديدة، ليس فيها هدي ولا اهتداء ولا هداية لأحد.

إنني أوجّه كتابي وندائي للشباب الذي كفر بما مع آبائه من دين السلطان وآمن بالعلم. هذا الشباب إذا توفر له من يوجهه ويدله على دين الله الحقيقي، ويدله على كتاب القرآن وأهميته وآمن به وسار على هديه، يستطيع أن يحقق ما عجز آباؤه عن تحقيقه كما نصحنا بذلك الذي خلقنا والذي يعلم مصلحتنا أكثر مما نعلمه نحن بكثير. علماً أن القرآن الكريم يهدي دائماً للأحسن وللأقوم شريطة أن يحاول الذي يتلو القرآن تطبيق ما فهمه أثناء تلاوته ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ٩ ـ الإسراء.

علماً أن الله تعالى يذكرنا أن الهداية تحتاج إلى توجه الإنسان للحق بإرادته ومشيئته أولاً، وإذا لم يتحرك الإنسان تلك الحركة الأولى طالباً الهداية من ربه فإن ربه لن يتقدم إليه ليهديه والمفكر ليس له علاقة بهذا الهدي الذي هو بين العبد وربه مباشرة، من دون وسيط.

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء (الهداية)﴾ ٥٦ ـ القصص.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

القرآن أقدر كتاب على توحيد صفوف المؤمنين به

من أهم أسرار القرآن التي لم يلتفت إليها أصحابها قدرته الذاتية على التوحيد. فالقرآن كتاب سماوي فريد بني على وحدة الكلمة ووحدة الرأي مع الخلو من التناقض والاختلاف، حيث تجد دائماً الحلال بيّن والحرام بيّن وليس بينهما أمور مشتبهات كما يظن أتباع الكتب الأخرى المبنية على الخلاف والاختلاف والتناقض والتنافر.

إن الإسلام المبني على قواعد وأسس القرآن يصبح ذو قدرة على التوحيد والانسجام لخلوه من الخلاف والاختلاف والتنافر، بينما الإسلام المبني على قواعد وأسس الحديث يزول عنها تلك القدرة وتصبح صفة التنافر والتنابذ صفة لكل الأفراد نتيجة الخلاف والاختلاف في الآراء وفي حالة المجتمع نقول لقد فرط عقد المجتمع بالتفرقة وزالت عنه قوته وهيبته.

والكتب التي عشقها المسلمون عوضاً عن كتاب الله العظيم تحوي ثمانين نوعاً من أنواع الاختلاف، فتصوروا بوصلة تعطي ثمانين اتجاهاً مختلفاً ثم نعود لنقول وكلها صحيحة. فأين الصحيح في هذا الكلام الذي لا صحة فيه؟. بينما القرآن لا يعطي إلا رأياً واحداً واتجاهاً واحداً ويقول لك إن اتجاه الشمال من هنا. فأين يمكن للإنسان المسلم أن يجد الصحيح، أفلا نعقل هذا يا أيها المسلمون؟.

إن الله تعالى يخاطبنا بشكل مباشر في كتابه الحي المتجدد في كل عصر ومصر ونحن نظن أن خطاب الله تعالى ما يزال موجهاً فقط إلى مشركي مكة الذين انتهوا وماتوا وشبعوا موتاً من مئات السنين.

إن القرآن ليس مثل الكتب التي نؤلفها نحن البشر المحدودين بالزمان والمكان. إن صاحب القرآن إله حيٌّ قيوم دائم البقاء وهو فوق ذلك عالم خبير وهو على كل شيء قدير، رحمن رحيم لا ينام ولا يسهى ولا ينسى يخاطب بكتابه الحي كل الناس الأحياء ويترك الأموات في القبور ينتظرون مصيرهم. القرآن لا يخاطب الذين ماتو بل يخاطب الأحياء منهم وهو سيخاطب أبناءنا وأحفادنا في المستقبل وهكذا إلى يوم الدين.. فلماذا إذاً نهمل كتاب الله العظيم الذي لا يقدر بثمن ونستبدله بكتبٍ كلها أوهام وظنون. كلها قال عن قيل ونحن لا نعلم من هو راويها الأول حتى نعلم من هو راويها الأخير.

إن الله ينبهنا اليوم وفي كل يوم، ويسألنا كيف تستبدلون الغالي بالرخيص، وتستبدلون الثمين بما لا ثمن له. كيف تستبدلون كلام الله وآياته البينات بظنون وأوهام لاحق فيها ولا بيان عن علم حقيقي. ﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ ٦١ ـ البقرة. كما قال سبحانه ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ ١٠٨ ـ البقرة. وقال تعالى ﴿ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب﴾ ٢ ـ النساء.

والقاعدة أن الذي يبدل يجب أن يبدل دائماً للأحسن وليس للأسوأ. فليس من عاقل من يبدل جوهرة حقيقية ثمينة بزجاج ملون لا قيمة له.

ولايوجد عاقلٌ يمكن أن يبدل كلام الله الحقيقي بروايات أبي هريرة.

هذان لا يتساويان أفلا تعقلون ﴿بئس للظالمين بدلاً﴾ ٥٠ ـ الكهف.

ولكن الذين لا يرجون لقاء الله ولا يؤمنون بالآخرة لم يحبوا القرآن منذ البداية وقالوا ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ١٥ ـ يونس.

وهؤلاء هم في النهاية من بدلوا القرآن بالحديث الذي عشقه المسلمون فتدهورت أحوالهم كما ترون، وأصبحوا مليار مسلم لا حول لهم ولا قوة لديهم أجمعين إلا في صراعاتهم الداخلية: ﴿بأسهم بينهم شديد تحسبهم جميعاً وقلوبهم شتى ذلك بأنهم قوم لا يعقلون﴾ ١٤ ـ الحشر.

هذه الآية دائمة وتنطبق على كل الذين لا يعقلون في الأرض من شعوبها وقومياتها فهم لا يكونون أشداء أقوياء إلا على أنفسهم.

تحسبهم كثيرون فتخشى بأسهم ولكن قلوبهم مختلفة، فلا يناصرون ولا يتناصرون بل يقفون موقف المتفرج الشامت وهو يرى جاره يهان ويستذل.

ولو كان يعقل لقال في نفسه إن ما يحصل الآن لجاري لسوف يحصل معي غداً فلأنصرنّه اليوم حتى ينصرني غداً، ولكنه مع الأسف لا يدرك تلك الحقيقة لأن عقله قد تعطل وفرط عقده وزال أثره بأحاديث أبي هريرة ﴿لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعينٌ لا يبصرون بها ولم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ ١٧٩ ـ الأعراف.

والذي يبدل كتابَ الله بغيره يتحول إلى منافق يقول ولا يَصْدُق يعِدُ ولا يفي بما وعد ﴿لئن أُخرجتم لنخرجنَّ معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن

قوتلتم لننصرنكم والله يشهد أنهم لكاذبون﴾ ١١ ـ الحشر.

والدليل قوله تعالى عنهم ﴿لئن أخرجوا لا يخرجون معهم لئن قوتلوا لاينصرونهم ولئن نصروهم ليولنَّ الأدبار ثم لا ينصرون﴾ ١٢ ـ الحشر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

التأثير الكبير للقرآن على عقلية المؤمنين به

إن المؤمن المواظب على تلاوة آيات الله البينات المبينات والمفصلات بإذن الله أحسن التفصيل، مع محاولة فهمها مباشرة بدون اللجوء إلى التفاسير قديمها أو حديثها لفهم مقاصد القرآن، مع التوقف عن البحث عن أسباب للنزول لآيات الله الدائمة، التي يجب على كل مؤمن أن يقرأها وكأنها تتنزل عليه من السماء، إلا آيات سورة التوبة الخاصة أو الآيات التي وجهها سبحانه مباشرة للرسول الأمين بعد نداء مباشر كقوله تعالى: يا أيها النبي أو يا أيها الرسول. أو الآيات التي يكون فيها اسم الرسول موصولاً مع اسم الله للتعبير عن أنه سبحانه يخاطب بها عصر الرسول بالذات مع أصحابه، مثل قوله مثلاً في سورة التوبة ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين﴾(*) ١ ـ التوبة.

هنا كما هو ظاهر من الآية من السورة الخاصة في القرآن (سورة التوبة)، نلاحظ في الآية السابقة أنها تخاطب المؤمنين في عصر الرسول في شأن بعض المشركين الذين كان لهم عهد مع الرسول الكريم باسم الله، وهذه السورة لا علاقة لها بباقي المشركين في الأرض.

بينما هناك آيات كثيرة في القرآن لايذكر فيها سبحانه اسم الرسول لعلمه سبحانه أن الرسول بشر سوف يموت ويبقى الإسلام والمؤمنون، عندها سوف تعود الأمور لله وحده، ومن أجل هذا نبهنا سبحانه إلى ذلك في قوله تعالى ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ٨٧ ـ الحجر.

وبعد أن علمنا سابقاً ما هي السبع المثاني وما هي سور القرآن المكية السبع المقصود بها، نعود إلى أحد تلك السور لنعلم ما هو نموذج النداء الجديد بعد وفاة الرسول الكريم فنجد ﴿وما اختلفتم فيه من شيء فحكمه إلى الله﴾ ١٠ ـ الشورى.

ولم يعد اسم الرسول الكريم موصولاً مع اسم الله تعالى في تلك السور، لنعلم نحن المسلمين أن مرحلة جديدة قد بدأت في الإسلام بعد وفاة الرسول بعودة كل الأمور لله في القرآن الكريم. لكن هذا لا يلغي أوامر الرسول المباشرة للمسلمين، لذلك فالآيات

(*) راجع بحث (ما هي الآيات التي تتبع سورة التوبة في القرآن).

التي فيها طاعة الرسول تبقى سارية المفعول شريطة أن نفهمها بأنها تتبع لآيات الله البينات في القرآن، ويجب أن تتطابق مع الوحي الثابت ذو النصوص القطعية الثبوت، والتي ليس فيها نصوص ظنية مثل كل الأحاديث الأخرى، فوق حديث الله المستنكر لأي حديث بعده في القرآن العظيم. علناً في القرآن العظيم ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته تؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

وأوامر الرسول التي تبقى سارية المفعول مثل الأوامر المباشرة التي وصلتنا باسم الرسول مع تطابقها مع آيات الله البينات لتتماشى مع آيات الطاعة كقوله عليه الصلاة والسلام مثل (صلوا كما رأيتموني أصلي) وهذا يشمل كل موضوع الصلاة التي يجب أن يسبقها وضوء، وصلنا كله بالتواتر العملي التطبيقي، لأن الذين رأوا الرسول كيف يصلي لم ينقطعوا بالتواتر إلى هذا اليوم، لأن الإسلام لم ينقطع تاريخياً مثلاً وأتى وقت ليس فيه مسلمون.

كذلك مثل أمره عليه الصلاة والسلام (لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه) وهذا أمر قائم دائم في الإسلام إلى يوم القيامة، لا يجوز تجاوزه لأي سبب أو بأية حجة. وعلى هذا الأساس فكل حديث مكتوب عن الرسول اليوم بين أيدي المسلمين هو عصيان مباشر لأمر الرسول الثابت المذكور سابقاً.

وهكذا فكل الأوامر المباشرة التي تتطابق مع روح القرآن واجبة الطاعة إلى يوم القيامة، ويجب أن تكتب ويعرفها كل المسلمين شريطة أن لا تتناقض مع آيات الله وأوامره البينات في القرآن العظيم. وأن لا يكون في تلك الأوامر تناقض واختلاف فيما بينها.

الآن بعد توحيد كتاب الإسلام ومرجعه الأساسي للجميع، فلماذا يؤثر هذا الموضوع على عقلية المسلمين:

١ ـ لأن القرآن كتاب لا خلاف ولا اختلاف فيه ولا تناقض بين أحكامه ولا تعارض، بينما كل الكتب الأخرى الإنسانية هي التي تأخذ تلك الصفات بدليل قوله تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

وبالتالي فإن القرآن يعمل على توحيد كلمة المسلمين وصفوفهم فلا مجال للخلاف أو الاختلاف بين المسلمين المؤمنين الصالحين المتقين، وعندها ينتبه كل هؤلاء إلى أي مخالف يظهر في الأفق وينظرون إليه نظرة الشك والريبة، ويمكن بعد طرح أفكاره علناً،

أن يعلم الجميع إن كان صاحب فتنة ودسيسة أو كان منافقاً يريد تفريق صفوف المسلمين حسداً أو حقداً والله أعلم ما بنفسه. لكن إن كان ما يعلنه يتناقض مع دستور المسلمين فمعناه حتماً أن مقاصده لم تكن نبيلة ولا شريفةً وعندها يجب إيقافه عند حده بعد فضح نواياه بدون الحاجة للعنف إن لم يحاول هو ذلك أولاً.

٢ ـ القرآن يوحد مفهوم الحكم سواء كان الحكم للأحكام القضائية أو كان المفهوم لشكل الحكم ونظامه داخل الأمة الإسلامية من الناحية السياسية. وطالما تعرضت سابقاً لشرح النظرة الإسلامية للحكم ومنع فصل الدين عن السياسة لأنهما لا ينفصلان أصلاً. أعود هنا لأشرح بعض مبادىء القضاء الإسلامي المبنية على عدالة فهم النصوص وتطبيقها بحسب قناعة القاضي، شريطة أن تكون المستلزمات كلها متوفرة أمامه بحسب المفهوم الإسلامي للعدالة.

ففي الإسلام مثلاً لايجوز محاكمة أي إنسان أو أية جهة غيابياً، فالحضور والدفاع ضروريان مثلاً في قصة يوسف عليه السلام، عندنا قضية يشهد فيها عشرة إخوة متآمرين ومعهم دليل إثبات وهو قميص يوسف، الذي لوث بدم كاذب، واتهم فيه الذئب على أنه فاعل القتل، فلم يقتنع يعقوب لغياب المتهم مع غياب الضحية المزعومة، والنتيجة كانت في نهاية القصة المعروفة ظهور براءة الذئب الذي أصبح مضرباً للمثل لأنه حوكم غيابياً وحكم عليه مع غياب الضحية أيضاً.

والمبدأ الثاني الموحد للقضاء الإسلامي هو: عدم تصديق كل شاهد يدلي بشهادته حتى وإن أقسم بل يبقى الشك قائماً حتى يظهر الدليل القاطع الذي لايمكن رده.

لذلك نجد سبحانه يقول ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾ ٦ ـ الحجرات.

المبدأ الثالث هو معرفة سيرة الشاهد وتاريخه وهل هو أهل للشهادة والثقة أم لا.

والحكم بما أنزل الله واجب في الإسلام سواء في السياسة أم في القضاء وهذا يوحد أمور المسلمين ولا يفرقها ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ٤٤ ـ المائدة.

لكن ليس معنى التوحيد أن الأحكام ثابتة حدية لا تتغير، مثل مفهوم الديانات السابقة التي نزلت سابقاً، في ظروف لم يكن الإنسان قد تطور كفاية، كما يقول سبحانه مبيناً تلك الحقيقة التاريخية متكلماً عن أهل الكتاب ﴿وكتبنا عليهم فيها أن

النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن﴾ ٤٥ ـ المائدة.

بينما الشرع الإسلامي جعله الله حنيفاً يتغير مع الزمن ولكن ضمن حدود لا يجوز تجاوزها، وللقاضي الإسلامي دائماً حرية الحركة ضمن الحدود الواضحة في الإسلام، وقد شرحت ذلك كله في مكانه، من هذا الكتاب ولا داعي لإعادته هنا. يكفي أن أضرب عليه مثلاً واحداً في جريمة موصوفة جعل الله تعالى لها حدين حد أعلى للعقوبة مع حد أدنى، ثم ضرب لنا مثلاً بحكمين يقعان ضمن هذين الحدين كمثال، حتى يعلم القاضي الإسلامي كيف يتصرف ضمن الحدّين إذا شاء أن يقضي ومعه القرآن العظيم، الذي يبين ذلك المثال في قوله تعالى ﴿إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم * إلا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾ ٣٣ ـ ٣٤ ـ المائدة.

إن من يفهم أبعاد الآيتين السابقتين مع فهم واستيعاب القرآن بشكل عام يستطيع بسهولة استيعاب نظام القضاء الإسلامي المبني على القرآن وحده، حيث لا أحكام ثابتة في الإسلام، لذلك فالمفهوم القرآني يتناقض مع نظام القضاء المنسوب للإسلام ظلماً والذي تطور عند المسلمين في عصور السلاطين مع غياب الحكم بما أنزل الله، فصار القضاء الإسلامي يحتكم إلى فقه تلمودي سلطاني لا علاقة له بالقرآن ولا بمفهومه التوحيدي، فانقسم حتى عند السنة إلى أربعة مذاهب مختلفة وكلها تعتمد أموراً لا وجود لها في القرآن أصلاً مثل الكتاب والسنة والقياس والإجماع والاجتهاد، وكلها من الأصول التلمودية.

علماً أن الجميع قد أُفهم منذ البداية على وجوب الأخذ بكتب أهل الكتاب في الإسلام، فطبقوا الشرع الحدي الذي كان لاريب شرعاً خاصاً بأهل الكتاب وحدهم دون الدخول إلى الشرع الحدودي الذي يصلح للناس حتى يوم القيامة، دون ظلم لأحد، لكنهم لم يقبلوا به لأنهم شاؤوا أن يظلموا الناس بأمر من سلاطينهم. وربما لم يسه ولم ينس أن ينبهنا أن شرعنا الإسلامي في القرآن هو غير شرع أهل الكتاب وهذا واضح وضوح الشمس لكل باحث في كتاب الله حيث يبين سبحانه لأهل الكتاب ماذا عليهم أن يطبقوا من دين وشرع سماوي قائلاً ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ ٦٨ ـ المائدة.

ويقول لنا بعد ذلك في مكان آخر من نفس السورة ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدةً ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون * وأن احكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك فإن تولوا فاعلم أنما يريد الله أن يصيبهم ببعض ذنوبهم وإن كثيراً من الناس لفاسقون﴾ ٤٩ ـ المائدة.

وبما أن كل الأديان كما بينت سابقاً قد بدّلت من دين الله إلى أديان السلاطين فكلها قد عادت لدين الجهل والجاهلية من بعد علم بما أنزل الله، فيبين ذلك سبحانه في قوله: ﴿أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون﴾ ٥٠ ـ المائدة.

وهذا الحكم يشمل الحكمين السياسي والقضائي معاً. لأنهما يبدلان بحسب رغبة الملأ الذي لا يحب أصلاً السير وفق ما أنزل الله الذي يتعارض مع مصالحه ورغباته وأهوائه وشهواته الدنيوية.

إذا أحببنا قراءة الآية الكريمة التالية ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد.

بلغة العصر المبسطة نقول: لقد عاهد الله سبحانه وتعالى نفسه أن لا يتدخل بقوانينه التي لا تبديل لها ولا تحويل في شؤون قوم ولا بأحوالهم، فيبدلها لهم سواء ساءت فيحسنها أو تحسنت وكثرت النِّعم فيسحبها منهم، إلا إذا قام القوم بتبديل عقليتهم وأسلوب تفكيرهم. علماً أن النعم ترافق التفكير والعقلية العلمية، والنقم ترافق التفكير والعقلية الظنية والوهمية وهي العقلية الباطلة والجاهلة.

لما كان القرآن العظيم هو كتاب لاريب فيه ويحوي الحق ولا خلاف ولا اختلاف فيه، فهو وحده الذي يقود إلى العقلية العلمية التي من ثمارها نعم الله كلها.

والكتاب الوحيد الذي يمكن اعتباره هدىً للمؤمنين المتقين هو القرآن العظيم ﴿ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين﴾ ٢ ـ البقرة. أما الذين هجروا القرآن ليتبعوا كتب الحديث مثلهم مثل من استبدل الغالي بالرخيص كما يبينه سبحانه في كتابه المبين ﴿أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين * مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات لا

يبصرون * صم بكم عمي فهم لا يرجعون﴾ ١٦ - ١٨ - البقرة.

هذه الآيات تحكي قصة المسلمين حيث أضاء الله بنوره خلال حياة الرسول الأمين وخلال خلفائه الراشدين، ولكن الناس الذين مالت نفوسهم للدنيا عندما بدلوا ما بأنفسهم وهجروا القرآن الذي طالبوا بتبديله بدايةً تبدلت أحوالهم وأصبحت الأمة تقاسي من الظلم والاستبداد بعد أن كانوا ينعمون بالعدل والمساواة أيام الراشدين.

﴿إنما أمرت أن أعبد رب هذه البلدة الذي حرمها وله كل شيء وأمرت أن أكون من المسلمين * وأن أتلو القرآن فمن اهتدى فإنما يهتدي لنفسه ومن ضل إنما أنا من المنذرين * وقل الحمد لله سيريكم آياته فتعرفونها وما ربك بغافل عما تعملون﴾ ٩١ - ٩٣ - النمل.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

التقدم والتأخر في المجتمعات الإنسانية

نجد في كل مجتمع إنساني عادة نموذجين مميزين من الاتجاهات الفكرية والسياسية:

النموذج أو الفئة الأولى هم من تعارف الناس أن يدعوهم بالمحافظين أو الرجعيين أو الآبائيين السلفيين أو اليمينيين.

والنموذج أو الفئة الثانية هم من تعارف الناس أن يدعوهم بالراديكاليين أو التقدميين أو الثوريين أو اليساريين.

تدعوا الفئة الأولى عادة إلى احترام وإجلال الآباء والمحافظة قدر الإمكان على العادات والتقاليد والأعراف من كل نوع، سواء كانت اجتماعية أو دينية أو سياسية، وتكره أكثر ما تكره التغيير أو التطور أو التجديد أو الثورة على الآباء.

أما الفئة الثانية فتدعو إلى الثورة على التقاليد والسعي الدائم للتجديد والتطور مع الزمن، والسير مع حركة التاريخ، وتسعى لوضع سنن وتقاليد جديدة بدلاً عن القديمة، تتماشى مع عقلية العصر وتتواكب معه بشكل دائم.

إن كل فئة من هاتين الفئتين الكبيرتين نجدها تنقسم في ذاتها إلى فئتين فرعيتين وهما: يمينيون متطرفون ويمينيون معتدلون في الحالة الأولى، ويساريون متطرفون أو يساريون معتدلون في الحالة الثانية.

يسعى اليمينيون المتطرفون عادة إلى إعادة عجلة التاريخ للخلف والعودة إلى عهود مضت وانقضت، لكن هؤلاء يريدون العودة إلى ذلك النعيم الذي يعيش حياً في ذاكرتهم ومخيلتهم ولا يعلمون أن ذلك مستحيل، وهم كاليساريين المتطرفين ثوريون يريدون تبديل الأوضاع بسرعة فيلجأون إلى أساليب العنف والقتل والإرهاب لفرض آرائهم على الناس بالقوة والسيف.

بينما نجد المعتدلين سواء كانوا من اليمين أو من اليسار أميل إلى أساليب النقاش بالعقل، فهم لا يحبون تأكيد أفكارهم بالقتل والإرهاب. كل تلك النماذج نصادفها عند كل شعوب العالم على اختلاف عروقهم، وأجناسهم وقومياتهم وأديانهم.

ولكن في هذا الكتاب الذي اخترت أن يكون اسمه الحقيقة، ثم اعترفت للقارىء أن الحقيقة بالنسبة للإنسان وعقله وتفكيره المحدود، تبقى محدودة ونسبية، لذلك لا يمكن

الأخذ بالآراء الفردية أو الجماعية للإنسان بصورة عامة على أنها حقائق علمية. فاتفقنا أن نلجأ إلى كتاب عليه براهين علمية يقبل بها الجميع، أنه مصدر سماوي وفوق طاقة الإنسان في الفكر والتأليف، ونحتكم لذلك الكتاب الذي لا ريب أنه من رب العالمين، لنأخذ رأيه في موضوعنا المطروح لنصل به إلى الحقيقة. علماً أنه سبحانه قد أخبرنا سلفاً بأنه لم يترك صغيرة ولا كبيرة تهم الإنسان في الأرض وفي حياته إلا وبحثها في ذلك الكتاب المبين بذاته ﴿وما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ ٣٨ ـ الأنعام.

﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم﴾ ٥٢ ـ الأعراف.

وقال سبحانه عن كتاب موسى عليه الصلاة والسلام ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء﴾ ١٥٤ ـ الأنعام.

كما قال سبحانه عن كتاب موسى وهارون عليهما الصلاة والسلام مع كل ذلك أنه كتاب مستبين بغيره وليس مبيناً بذاته كالقرآن العظيم ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ ١١٧ ـ الصافات. ثم عاد ليؤكد على الكتاب الذي أنزل على نبيه الأخير محمد عليه الصلاة والسلام ﴿وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً﴾ ١١٤ ـ الأنعام.

فماذا نجد في ذلك الكتاب المفصل الذي بقي في الأرض بين أيدي الناس إلى هذا اليوم من غير تبديل أو تحريف؟ يشهد على سلامته قانون رياضي جعله سبحانه سراً لم يظهره للناس إلا في وقت معلوم، وهو وقت العلم والكمبيوتر في أواخر القرن العشرين وأوائل القرن الحادي والعشرين.

هل في هذا الكتاب رأي السماء في موقف الناس، وهل الله مع التقدميين الساعين للتغيير والتبديل مع تغير الظروف؟. أم أنه مع المحافظين من المؤيدين للآباء والأجداد من السلف الذين نظن أنهم كانوا من الصالحين؟.

سوف أعدد كل آيات الآباء في القرآن الكريم خاصة ما يهمنا في بحثنا هذا:

﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾ ١٧٠ ـ البقرة.

ونجد آية مشابهة لها في سورة المائدة تقول ﴿وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون﴾ ١٠٤ ـ المائدة.

والناس يفعلون إلى هذا اليوم الفواحش إذا اعتادوا أن يروا آباءهم يفعلونها،

فنجد اليوم كثيراً من الناس لا ينفرون من الشذوذ الجنسي مثلاً لأنهم رأوا آباءهم لا ينفرون من ذلك الشذوذ أمام الله أو أمام أنفسهم ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل إن الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون﴾ ٢٨ ـ الأعراف.

والذين يسيرون على سنة الآباء الأولين يهمهم أن لا يأتيهم أحد ليحرفهم عن سننهم المحبوبة لأنفسهم وتهواها غرائزهم ﴿قالوا أجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا﴾ ٧٨ ـ يونس.

وإذا قال لهم أحد لا تعبدوا إلا الله وحده ولا تدعو من دونه أحداً ولا تطلبوا الشفاعة من سواه أبداً. ماذا قال الآبائيون له ﴿قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين﴾ ٥٣ ـ الأنبياء.

والله تعالى يقول لكل الذين يدعون إلهاً غير الله مثل بوذا أو المسيح أو يدعون أحداً للشفاعة مثل محمد أو علي، أو من يظنونهم من الأتقياء والأولياء والصالحين ﴿إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم إن كنتم صادقين﴾ ١٩٤ ـ الأعراف.

والآن إذا سألنا المسيحي المؤمن خاصة إذا كان من الآبائيين فإنه سوف يؤكد على تأليه المسيح لأنه يعتبر أن هذا الموضوع متفق عليه بالإجماع، فأصبح موضوعاً لا نقاش ولا جدال حوله، ولكننا إذا سألنا كتاب الله عن الحقيقة سوف نجد شهادتين من الله على أن ذلك كفر صريح ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ ١٧ ـ المائدة.

والشهادة الثانية نجدها تقول أيضاً ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح بن مريم﴾ ٧٢ ـ المائدة.

وماذا عن الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة، أو قالوا إن الله مكون من أقانيم ثلاثة وهي الآب والإبن وروح القدس ﴿لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة﴾ ٧٣ ـ المائدة.

وماذا عن الذين قالوا إن المسيح ابن الله ﴿وقالت النصارى المسيح ابن الله﴾ ٣٠ ـ التوبة.

لكن الله ينكر أن يتخذ من عبيده أصحاباً أو صاحبات سواء كانوا أولاد أو بنات لأنه غني عن العالمين ﴿قالوا اتخذ الله ولداً سبحانه هو الغني له ما في السماوات وما في الأرض﴾ ٦٨ ـ يونس.

﴿وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً﴾ ٣ ـ الجن.

كل هذه الأمور لا يتعصب لها إلا الآبائيون من النصارى من الذين تعودوا على مثل هذه الاعتقادات وهم يسمعونها منذ نعومة أظافرهم. ويجدها اليهود أو المسلمون من البديهيات التي لانقاش حول خطئها بحسب معتقداتهم، ولكن الموضوع يختلف تماماً عندما ندخل في معتقداتهم الخاصة بهم والتي فيها أيضاً معتقدات شبيهة بمعتقدات النصارى التي ذكرتها سابقاً، مثلاً يقول تعالى الذي يعلم كل شيء:

﴿وقالت اليهود عزيز ابن الله﴾ ٣٠ ـ التوبة. وهذا كفر صريح أيضاً يرفضه الرحمن ولا يقبله وإن قبل به اليهود.

ولكن ماذا عن المسلمين الذين قالوا إن محمداً شفيع الله. وقالوا بأن محمداً حبيبُ الله. وقالوا بأن إبراهيم خليلُ الله.

علماً أن الله تعالى أنكر كل ذلك علناً ﴿وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾. والذين فهموا هذه الحقيقة قالوا ﴿قالوا سبحانك ما كان ينبغي أن نتخذ من دونك من أولياء﴾ ١٨ ـ الفرقان.

ولو أن المسلمين لم ينسوا الذكر الذي هو القرآن لتذكروا آيات الله المانعة للشفاعة أو المانعة من اتخاذ الله من عبيده أصحاباً وأولاداً: ﴿وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إداً * تكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هداً * أن دعوا للرحمن ولداً * وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً﴾ ٨٨ ـ ٩٢ ـ مريم.

والسر في هذا الرفض نجده جواباً على تلك الآيات في قوله تعالى ﴿إن كل من في السموات والأرض إلا أتى الرحمن عبداً﴾ ٩٣ ـ مريم.

هذا هو شكل علاقة مخلوقات الله بالله تعالى الذي بنى علاقته على الرحمة المبنية على مبادىء العبودية والاستعلاء والتجبر من الله لعباده، حتى يحميهم بكل ذلك من عبودية العباد واستعلاء العباد وتجبر العباد على العباد.

فمن صفات الله وأسمائه الحسنى مثلاً ﴿الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يشركون﴾ ٢٣ ـ الحشر.

والله يحمي عباده من تجبر رسله على الناس بقوله ﴿وما أنت عليهم بجبار﴾ ٤٥ ـ ق.

لكن الناس من الذين يظلمون أنفسهم ويتبعون الجبابرة في الأرض ماذا حصل لهم ﴿وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا أمر كل جبار عنيد * واتبعوا في

هذه الدنيا لعنةً ويوم القيامة ألا إن عاداً كفروا ربهم ألا بعداً لعاد قوم هود﴾ ٦٠ ـ هود.

إن قراءة هذه الآية بتمعن كاف مع التفكير في أحوال المسلمين اليوم نجد لها دلالات من غضب الله علينا، لها مبرراتها من أخطاء الآباء والأبناء مع هجر كتاب الله واتباع الهوى وكلها تؤدي إلى نتائج مماثلة للنتائج التي حصل عليها قوم هود..

فهل نحن اليوم على سبيل الله الذي هو سبيل الحق والعلم والعلوم أم نحن على سبيل الآباء من الذين اتبعوا الأهواء والظنون؟

إننا في الحقيقة أبعد الناس اليوم عن العلم والصناعة والتكنولوجيا، وأقرب الناس للذين قال عنهم سبحانه ﴿إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ٢٣ ـ النجم.

نعم إننا نتبع ظنون الروايات مما تهوى أنفسنا مما ورثناه عن آبائنا الأولين، وتركنا كتاب الهدى الذي جاء من ربنا وعليه برهان أنه من الله ﴿ومالهم به من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ٢٨ ـ النجم.

هذه هي الحقيقة المرة، الحقيقة التي لا يُقرُّ بها أكثريتنا الساحقة مع الأسف من الذين اتبعوا الآباء ومن الذين قالوا ﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون * وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون * قال أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ ٢٢ ـ ٢٤ ـ الزخرف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

تصور الله سبحانه وتعالى في الإسلام مع تصور عظمة كتابه بالاستناد إلى آياته في القرآن

إن عامة المسلمين والغالبية العظمى من رجال الدين يتصورون الله سبحانه وتعالى كما قرؤوا في كتب الحديث التي لقنت إليهم منذ نعومة أظافرهم بأنها نصوص قطعية الدلالة، إذا كانت من كتب الصحاح أو من المتواتر في الحديث، علماً بأن هذه الفرضية تناقض العقل ويرفضها المنطق السليم. فليس في الإسلام، إذا توخينا الحقيقة، نص قطعي الثبوت قطعي الدلالة إلا القرآن العظيم وآياته البينات المبينات المفصلات أحسن التفصيل.

أما الحديث ففي أحسن أحواله هو رواية قال عن قيل من ست أو سبع رواة مهما قلنا عن صدقهم لا نستطيع أن ننفي عنهم السهو والنسيان. وبالتالي ليس في الحديث كله نص لا يدخل في صحته احتمال الخطأ وهذا يدخل نسبة من الظن في كل حديث يروى مهما كان حبنا للأحاديث عظيماً.. ورأي الله في الظن واضح في كتابه المبين لا يمكن النقاش فيه فعلامة الظن عند الله وفي تقديره تساوي الصفر. ﴿وإن الظن لا يغني من الحق شيئاً﴾ ٢٨ ـ النجم.

وبالتالي فإن كل الحديث مع الاحترام لعلمائه والمتخصصين فيه لا يغني من الحق شيئاً، وهذا هو رأي الله الذي في القرآن وليس رأياً شخصياً من عندي لا سمح الله. والنقطة الثانية التي ما زالت تلتبس على المسلمين هي قول الله في شروط إيمان العبد المسلم وتسليمه لربه عندما يقول ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾ ١٣٦ ـ البقرة.

صحيح أننا نؤمن بأن الله تعالى قد أوحى لكل أولئك الرسل والأنبياء وأنزل إليهم كتباً، لكننا لا نؤمن بتلك الكتب إلا بمقدار ما أخبرنا به الله في القرآن باعتباره الكتاب الوحيد الذي حُفِظَ من التحريف، وشهادة عدم تحريفه جعلها الله تعالى برهاناً رياضياً إحصائياً لا يمكن الخلاف عليه، بينما كتب الأقدمين حُرفت وبُدلت بشهادة القرآن وبشهادة أصحاب تلك الكتب. فالأناجيل كلها لم تكتب في عصر عيسى عليه الصلاة

والسلام، كما أن التوراة لم تكتب في عصر أنبياء بني إسرائيل وكتاب موسى عليه الصلاة والسلام مازال اليهود أنفسهم مختلفون فيه، فريق يقول هو سفر الشريعة وفريق يقول بل ضاع كتاب موسى أثناء السبي البابلي.

كثير من المسلمين نتيجة جهل رجال الدين يعتقدون بعد قراءتهم لآية البقرة السابقة أنهم ملزمون بتطبيق كتب أهل الكتاب وشريعتهم، علماً لو أنهم اعتمدوا على القرآن الكريم في فهم الدين لعلموا أن للمسلمين شرعاً مستقلاً ولأهل الكتاب شرعاً آخر مختلفاً تماماً ﴿وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجاً ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعاً فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون﴾ ٤٨ ـ المائدة.

ثم يؤكد سبحانه على رسوله أن يتبع ما أنزل الله عليه من شرع ولا يتبع شرع أهل الكتاب ﴿ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾ ١٨ ـ الجاثية.

إن أغلب علماء المسلمين لم يفهموا استقلالية الإسلام بكتابه وبشرعه وبأحكامه، خاصة بعد دخول كثير من أهل الكتاب في العصر العباسي (من اليهود خاصة) إلى دين الإسلام، فطبق المسلمون اعتباراً من ذلك العصر كثيراً من المعتقدات التي أدخلوها على أنها من القرآن ومن الإسلام. ولكنهم لم يقولوا أبداً أنها من كتبهم المحرفة بل نسبوها للرسول الكريم عن طريق سلسلة من الرجال ثم عادوا ونسبوها إلى بعض صحابة الرسول الكريم. والدليل على افترائها واضح وضوح الشمس لكل عاقل لم يتخل عن منطقه السليم فالرسول محمد عليه الصلاة والسلام كان أمياً ولم يعلمه الله التوراة والإنجيل وما أنزل على بني إسرائيل من قبل، بل أخبرنا سبحانه أنه علمها فقط لعيسى عليه الصلاة والسلام وحده، لأنه أتى ليصحح لأهل الكتاب دينهم. لأن شرع أهل الكتاب لا يكتمل إلا بوجود كل الكتب معاً لذلك يبين سبحانه هذه الحقيقة في سورة المائدة قائلاً: ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ ٦٨ ـ المائدة.

ذلك لأن كل كتاب أنزل على نبي أو رسول يعتبر كتاباً مستبيناً بغيره من الكتب السابقة، ولا يصبح مبيناً إلا باجتماعهما معاً لذلك يقول تعالى لموسى وهارون عن

الكتاب الذي أنزل إليها من الله ﴿ولقد مننا على موسى وهارون * ونجيناهما وقومهما من الكرب العظيم * ونصرناهم فكانوا هم الغالبين * وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ ١١٧ - الصافات.

بينما يقول سبحانه عن القرآن أنه مبين بذاته ولا يستبين بغيره من الكتب ﴿إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ ٦٩ - يس.

فالله تعالى دقيق جداً عند التعبير في آياته البينات يحتاج فيها قارىء القرآن أن يكون شديد الملاحظة للفروق الصغيرة التي وراءها دائماً قاصد خبير وعليم. لذلك فكل ما نقرأه اليوم في كتب قصص الأنبياء المنقولة بالحرف عن كتب أهل الكتاب، ونقصها على أبنائنا وبناتنا هي مع الأسف ليست من الإسلام وليست من القرآن، ولا يحق للمسلم أن يضيف حرفاً واحداً على ما معه في كتاب الله من الكتب التي ثبت تحريفها لأهل الكتاب بل عليه أن يبين هو وغيره لهم حقيقة تحريف كتبهم.

لذلك فالحديث الذي نقرأه تحت الرقم (٢٨٤١) من صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة ناسياً أن ينسب القول لرسولنا الكريم مباشرة ربما لأنه نقلها مباشرة من التوراة «خلق الله عز وجل آدم على صورته طوله ستون ذراعاً» هذا الحديث يؤكد أن آدم يشبه الله وعلى صورته فمن أين مصدر أبي هريرة لهذا الحديث؟.

نجد في العهد القديم سفر التكوين الإصحاح الأول في الفقرتين (٢٦ - ٢٧) ما يلي:

(وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا)

(فخلق الله الإنسان على صورته * على صورة الله خلقه)

بينما إذا بحثنا في القرآن الكريم لا يمكن أن نجد مثل هذا الكلام ﴿فاطر السموات والأرض جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً يذرؤكم فيه ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ ١١ - الشورى.

لذلك لا يمكننا في تصورنا لله تعالى إلا الاعتماد على آيات القرآن الكريم، ومن خلال أسماء الله وصفاته الحسنى المذكورة فقط في كتاب الله، مع إلغاء الصفات الأخرى التي أضيفت إلى أسمائه الحسنى والتي بينتها في بحث أسماء الله الحسنى في هذا الكتاب.

كثير من الفلاسفة والمفكرين المسلمين القدماء استطاعوا تصور الله تعالى تصورات لا تناقض كتاب الله، ربما لأنهم استبعدوا كل الأحاديث واعتمدوا على القرآن الذي لا

خلاف عليه ولا اختلاف ولا تناقض في آياته ومن أشهر الفلاسفة المسلمين الذين لم يتعدوا كثيراً عن الحقيقة ابن رشد، ومن أشهر رجال الدين المفكرين الإمام أبو حامد الغزالي. فالله تعالى قديم لا قديم غيره، لا قبله ولا معه من أحد.

الزمان مخلوق أوجده الله بالحركة فصار المخلوق يتحدد بصفتين متلازمتين وهما المكان والزمان والله تعالى منزه عن التحديد بالزمان ولا يخضع له، بينما كل مخلوقات الله تعالى تخضع للزمن وتفنى به. لكن الله تعالى لا يفنيه زمان ولا يخضعه مكان.

والإنسان مخلوق مميز فيه شيء من ذات الله وهي تلك النفخة الأولى التي يسميها القرآن نفساً، وتسميه كتب أهل الكتاب بالروح، هذه النفس هي وحدها التي لا تفنى ولها الخلود مع فرصة العودة إلى الله إما سعيدة راضية أو مغضوبة بائسة ملعونة كنفس إبليس الذي كفر تكبراً واستعلاء أو نفس أبي لهب الذي كفر وتجبر عندما أتاه الحق لينقذه مع أمثاله.

وليس من حيز في الوجود يسمى مكاناً ولا من حيز زمني لا تواجد لله تعالى فيه، لذلك فالله سبحانه وتعالى يغطي الزمان والمكان مع أنه منزه عنهما ولا تأثير لهما عليه، بل هو سبحانه المتصرف بهما كما يشاء.

مثلاً الملائكة من مخلوقات الله وبالتالي يخضعون لقانون الزمان مع المكان فلهم سرعات محدودة في الانتقال من مكان إلى مكان آخر يبينه سبحانه في القرآن قائلاً ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ ٤ ـ المعارج.

ثم يبين سبحانه نسبية الزمان بقوله تعالى في وصف تلك الفترة خمسين ألف سنة ﴿إنهم يرونه بعيداً * ونراه قريباً﴾ ٦ ـ ٧ ـ المعارج.

والسر في اختلاف الرؤية أن المخلوق خاضع للزمن فيراه بعيداً، بينما الله سبحانه وتعالى الذي لا يخضع للزمن فيراه آنياً ولحظياً، فليس في مقدورنا أن نقول مثلاً عُمر الله كذا وكذا مليار سنة فلا عمر لله وهو غير خاضع للزمان كما قلنا منذ البداية.

ومن هذا الفهم نستطيع أن نستنتج أن تصور العدم بمعنى المكان الخالي من أي شيء هو تصور خاطىء من الأساس، فالفراغ المطلق لا وجود له لأن الله سبحانه متواجد أساساً في ذلك الفراغ الذي تخيلناه كله. وكل مخلوقات الله متواجدة مع الله في حيز مشترك، ومن هنا تأتي إحاطة الله تعالى بكل مخلوقاته وتواجده الدائم معها جميعاً، والآيات التي تشرح ذلك كثيرة:

﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾ ٢٤ ـ فصلت.

﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ ١٢٦ ـ النساء.

والإحاطة ليست مجرد إحاطة خارجية بل إحاطة شاملة لكل شيء حتى لكل ما يتبادر إلى ذهن الإنسان وما يفكر فيه سراً:

﴿والله يعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ ١٩ ـ النحل.

الله تعالى يحيط بكل شيء علماً:

﴿وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ ١٢ ـ الطلاق.

يحيط الله تعالى بالمخلوق الإنساني كفرد لوحده إحاطة كاملة من يوم خلقه من الطين إلى يوم مروره بكل مراحل الخلق التي شرحها الله في القرآن، إلى يوم اصطفاء آدم من البشر وإلى نفخ الروح فيه التي حولته إلى إنسان حر مفكر له مشيئة ويختار لنفسه ما يشاء إلى يوم وجوده نطفةً في ظهر آدم، وشهادته بالفطرة على وجود الله، إلى يوم ولادته من أبوين من نسل آدم، إلى وفاته وعودة نفسه لله وحسابه. كل تلك المراحل التي مر فيها كل الأفراد من الإنس، كان الله تعالى مع كل فرد منهم لوحده محيطاً به وبأحواله وبأعماله وأفعاله جميعاً:

﴿إن ربي بما تعملون محيط﴾ ٩٢ ـ هود.

لذلك فتصور المسلمين حسب رواية أبي هريرة بأن الله تعالى سوف يحاسبهم يوم القيامة في يوم طويل طوله خمسون ألف سنة، وسوف يقفون بالدور وبالأرتال، مثل تصوراتهم الحالية لمحاكم السلاطين في الأرض وكل ينتظر دوره للدخول إلى قاعة المحكمة، حيث الله تعالى يجلس في الصدارة ويتصور المؤمن المسيح إلى يمينه إن كان مسيحياً، أو يتصور موسى عن يمينه إن كان يهودياً، أو يتصور محمداً عن يمينه إن كان مسلماً سنياً، أو يتصور علياً عن يمينه إن كان مسلماً شيعياً، ومن حوله ملائكته المقربين والأنبياء والرسل والصالحين، وعندما ينتهي سبحانه من محاكمة زيد يخرج ليدخل عُبَيد وهكذا بالترتيب في رتل مقداره خمسون ألف سنة، وقد غرق من كان في ذلك الحشد خارج القاعة في رشوحاتهم ونجاساتهم التي وصلت إلى آذانهم. هذه التصورات البدائية لا وجود لها في كتاب الله الحكيم.

بل كل ما نجده أن الله سريع الحساب لأنه سيحاسب كل خلقه في لحظة واحدة.

ولأنه ببساطة يحيط بكل فرد منهم منذ البداية وإلى النهاية.

لذلك فالمخلوق الإنساني ليس له إلا تواجد فردي أمام الله يوم القيامة:

﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ ٩٥ ـ مريم.

وكيف يكون مع الإنسان شفيع إذا كان سيحاسب وحده وليس معه أحد إلا شاهديه اللذين لازماه وهما يسجلان بالصوت والصورة ذو الأبعاد الثلاثة كل شيء حتى يأتياه يوم القيامة بما فعل حاضراً وكأنه يقوم به الآن بلحمه ودمه وشحمه.

﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً لا يظلم ربك أحداً﴾ ٤٩ ـ الكهف.

﴿إنا كنا نستنتسخ ما كنتم تعملون﴾ ٢٩ ـ الجاثية.

لذلك سوف يقول يوم القيامة للمسيحي الذي كان يدعو المسيح أن يشفع له ويخلصه من نار الله الموقدة، وكذلك يقول للمسلم يوم القيامة الذي كان يؤمن بشفاعة محمد أو علي أو آل البيت أو الأولياء والصالحين، أو من كان يؤمن بشفاعة الملائكة من أهل الجاهلية، يقول للجميع سبحانه ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون﴾ ٩٤ ـ الأنعام.

إن هذه الحقيقة الثابتة في القرآن المبين بأن الشفاعة لله يوم القيامة لا يشاركه فيها أحد، لكن الله تعالى وعد المؤمنين الحقيقيين بأنه سوف يتم دينه ولو كره المشركون على أنواعهم في الأرض ذلك أن المعادلة بسيطة فعلى العبد أن يدعو الخالق المالك لكل شيء وهو الله الحي القيوم الذي بيده كل شيء وبأمره يتم الاستجابة لكل دعاء.

أما العبد الذي يدعو عبداً آخر خلقه الله تعالى وهو لم يخلق أحداً فماذا ينتظر من جواب ﴿والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون﴾ ٢٠ ـ النحل.

وفوق ذلك كله هم أموات والميت ليس لديه إمكانية الإحساس والسمع والرؤية والاستجابة بل أصبح غافلاً عن كل شيء كالشجر والحجر لا يشعرون: ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون * فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين﴾ ٢٨ ـ ٢٩ ـ يونس.

إن القرآن كتاب مبني على مبدأ البرهان، أي يجب أن يقرأه الإنسان ويرى إعجازاته حتى يؤمن يقيناً باستحالة وضع كتاب مثله إلا من الله العلي القدير.

فكل شيء في كتاب الله واقع تحت العدّ والإحصاء:

﴿كل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ ١٢ ـ يس.

﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ ٥٠ ـ الكهف.

والقرآن يشبه كل خلق الله من مخلوقاته الأخرى، فقانون الخلق عند الله قائم على مبدأ الزوجية ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ ٤٩ ـ الذاريات.

والإنسان من ذكر أو إنثى خاضع لمبدأ الزوجية ﴿وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى﴾ ٤٥ ـ النجم.

والقرآن زوجين زوج: في السماء وفي لوح الله المحفوظ بلغة الله وزوج في الأرض جعله الله باللغة العربية.

وزوجية القرآن تأتي من تكوينه أساساً من كتابين وهما الكتاب والحكمة، وقد شرحت سابقاً أن الكتاب يحوي القرآن المكي كله وهو الذي فيه البرهان والإعجاز، وهو الذي فيه علوم الله وأنبائه وغيبه وقصصه التاريخي المعجز لكل المؤرخين، وهذا الكتاب المكي يحمل بين يديه اللتين يرمز إليهما سبحانه بسورتي الفاتحة والناس المكيتين: ﴿ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه﴾ ١١١ ـ يوسف. هاتان السورتان هما يدا الكتاب وكل سورة فيها سبع آيات ترمز لعناصر اليد السبعة: الكف + الساعد + العضد يحملان (القرآن المدني) الذي يحوي الشرع والحلال والحرام والعبادات والمناسك والأوامر والدين، وليس في ذلك الكتاب براهين علمية ورياضية. لذلك اعتبر سبحانه أن الكتاب الأول هو الذي يبرهن ويصدق للكتاب الثاني أنه من الله. وحتى لا يترك سبحانه أي مجال للشك فقد جعل مبدأ الخلق كله مبنياً على عدد اختاره وحده فأصبح وكأنه توقيع الله وهو العدد تسعة عشر، حيث نجد سبحانه يلتزم بهذا العدد وكأنه يقول لكل الذين يظنون أن الخلق قد تم بالصدفة العمياء، هل يمكن لأحد منكم أن يمد يده إلى وعاء فيه حبوب أو أشياء متماثلة وفي كل مرة يستخرج من ذلك الوعاء قبضة منها، ثم تكون بالصدفة متساوية العدد أو من مضاريب رقم أصم لا يقبل القسمة إلا على نفسه مثل الرقم تسعة عشر؟. وهل حدث بالصدفة مثلاً أن يكون عدد عظام الإنسان ٢٠٩ عظمات.

٢٠٩ ÷ ١٩ = ١١ بدون باقي

وأن يكون اقتران الشمس بالقمر يتم كل تسعة عشر عاماً بأجزاء الثانية بالصدفة، أو أن يكون مذنب هالي يأتي إلى فضاء الأرض كل ٧٦ عاماً مرة بالصدفة ٧٦ ÷ ١٩ = ٤ بدون باقي

وان سور القرآن ١١٤ ÷ ١٩ = ٦ بدون باقي بالصدفة.

وأن عدد أحرف بسم الله الرحمن الرحيم ١٩ حرفاً بالصدفة.

وأن عدد كلمات الله في القرآن كله تساوي ٢٦٩٨ ÷ ١٩ = ١٤٢ بدون باقي.

وأن عدد كلمات الرحمن في القرآن كله تساوي ٥٧ ÷ ١٩ = ٣ بدون باقي.

وأن عدد كلمات الرحيم في القرآن كله تساوي ١١٤ ÷ ١٩ = ٦ بدون باقي.

أن مجموع ذلك يساوي ٢٨٨٨ ÷ ١٩ = ١٥٢ بدون باقي.

وأن الرقم ١٥٢ يقبل القسمة مرة أخرى على ١٩

١٥٢ ÷ ١٩ = ٨ بدون باقي

وأن الرقم ٨ مكون من ٢ × ٢ × ٢

وكأنه يقول وخلقنا من كل شيء زوجين الزوج الأول للعناصر والزوج الثاني للحياة النباتية والزوج الثالث للحياة العضوية من أحياء مائية وبرية.

وأين الصدفة في فواتح السور.

ا ل م - حم - عس ق - طه. يس - ن - ق.... إلخ تلك الفواتح وكلها تخضع لنفس القانون وتقبل القسمة على تسعة عشر بدون باقي.

وأين الصدفة أن نجد عدد كلمات شهر في كل القرآن ١٢ مرة ترمز لعدد شهور السنة.

وعدد كلمات يوم في كل القرآن ٣٦٥ مرة لترمز لعدد أيام السنة الشمسية.

وأين الصدفة في أن نجد عدد كلمات الدنيا (١١٤) مرة وعدد كلمات الآخرة (١١٤) مرة بدون زيادة ولانقصان.

وهكذا يعجز الإنسان عن تكرار الأمثلة ولا يعجز الله في كتابه المعجز المبني على الأرقام بأسلوب يعجز عنه الإنس والجان، حتى لو استخدموا الآلات الحاسبة الإلكترونية

في تنظيم كتاب كل أحرفه و كلماته وآياته تخضع لنظام دقيق، يمكن للإنسان أن يتأكد منه بالاستعانة بالحاسبات الإلكترونية الحديثة، وبدونها لا يستطيع الوصول إلى شيء.

لأن الإنسان يخطيء ويصيب ويسهى وينسى فتأتي نتائج إحصائه مختلفة ليكون هذا دليلاً على عجز محمد ومعاصريه عن افتراء كتاب مثل القرآن حتى ولو شاؤوا أن يفعلوا ذلك. علماً أن الإعجاز العددي في القرآن هو أحد الإعجازات العلمية الكثيرة التي يمكن أن يصادفها الباحث عن أسرار القرآن ﴿قل الله يهدي للحق أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يهدى فما لكم كيف تحكمون * وما يتبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون﴾.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

أسماء الله الحسنى في القرآن

بحسب نصوص آيات القرآن العظيم وبدليل آيات الله فيها وحدها. إن معنى اسم الله أو أسماء الله تعني صفاته الحسنى. إن اسم الله مشتق من صفة الألوهية، ويترجم إلى God واسم الرب مشتق من صفة الربوبية ويترجم إلى Lord واسم الرحمن مشتق من صفة الرحمة ويترجم إلى Most Merciful لكن ليس لله تعالى اسم منادى خاص به مثل أسماء الناس والمخلوقات الأخرى مثل جبريل وميكال أو غيرهما. فالله لا مثيل ولا شبيه له حتى يحتاج إلى اسم بل إلى صفات لمعرفته، لذلك يقول سبحانه في كتابه المبين لكل شيء يهم المسلم معرفته ﴿قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن أياً ما تدعوا فله الأسماء الحسنى﴾ ١١٠ ـ الإسراء.

وأصل كلمة الله أتت من كلمة إله بعد تعريفه ليصبح الإله. وعند الدعاء نستخدم الاسم أي الصفة المناسبة للدعاء فلا نقول مثلاً: يا قهار ارحمني، ولا نقول: يا جبار أنجدني، أو يا متكبر أغثني بل نقول يا رحمن ارحمني، أو يا غفار اغفر لي، أو تب علي يا تواب يا رحيم وهكذا فالصفة أو الاسم المشتق من السمة يجب أن تترافق مع الصفة الملازمة لها قدر الإمكان، بينما نستخدم سمة القهار مع العصاة وسمة المتكبر مع النفوس المريضة والمتعجرفة تكبراً في الأرض وهكذا.

وحتى كلمة اسم في القرآن لا تأتي إلا بمعنى السمة أي الصفة، فالله تعالى لا يقول في القرآن عن ابن مريم اسمه عيسى لأن عيسى هو اسم المنادى لكن لما كان المسيح صفة من صفات عيسى يقول سبحانه ﴿إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح﴾ ٤٥ ـ آل عمران.

ولا يقول الله تعالى في خمس وعشرين آية ذكر فيها لفظ عيسى في القرآن اسمه عيسى أبداً.

وكلمة المسيح عند قدماء اليهود كانت تعني عملية التبريك التي كانت تقام للملك ضمن احتفال ديني رسمي، حيث كان يمسح رأس الملك الجديد الذي يتولى الحكم بعد أبيه أو أخيه، فيقوم أكبر رجال الدين مقاماً بمسح رأسه بالزيت (الدهن) المقدس الموجود على المذبح اليهودي (المحرقة) لأنهم كانوا يحرقون ضحاياهم أو قسماً منها ظناً أن الله

تعالى يحب رائحة الشواء، وقسم أخر منهم كان يظن أن الله تعالي يحب الدماء فيتركونها في المذبح المقدس ويرد عليهم سبحانه في القرآن المبين قائلاً ﴿لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم﴾ ٣٧ ـ الحج.

وماذا نجد صفة (سمة) لرسولنا محمد في القرآن؟ يقول تعالى على لسان عيسى بن مريم ﴿ومبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد﴾ ٦ ـ الصف.

بينما عندما يذكر الله تعالى اسم المنادى محمد لا يسبقه بلفظ اسم، لأن اسم في القرآن تأتي بمعنى السمة أي الصفة، وهذا يمكن ترجمته.

لذلك عندما ترجمت الأناجيل إلى اليونانية ترجموا صفة أحمد إلى اللفظ اليوناني (الفارقليط) وهذا يعني من يستحق الحمد أو هو المحمود على أفعاله، لكن المترجمين الذين عادوا وترجموا الأناجيل من اليونانية إلى العربية لجهلهم باللغة العبرية أو اللغة الآرامية لم يترجموا إلا من اليونانية، وحرفوا كلمة الفارقليط بعد الترجمة إلى كلمة المُعَزّيْ العربية التي لا تشير من قريب أو بعيد إلى معاني الحمد، والله تعالى أعلم لماذا أحبوا أن يبعدوا ذلك المعنى عن أذهان المؤمنين قالوا: «سوف يأتي من بعدي رسول اسمه المعزي سوف ينطق كلمة الله بلسانه ولكن ما سوف يقوله ليس بكلامه ولكنه كلام الله يضعه في فمه».

لذلك فإن أسماء الله الحسنى في القرآن العظيم ما هي إلا صفات لله وليست أسماء علم ندعوه بها بحسب المواقف الموجبة لها من الظروف المختلفة على الإنسان:

﴿ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها﴾ ١٨٠ ـ الأعراف. والله جل جلاله يقول عن نفسه في وصف ذاته ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم لا تأخذه سنةٌ ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء وسع كرسيه السموات والأرض ولا يؤوده حفظهما وهو العليُّ العظيم﴾ ٢٢٥ ـ البقرة.

بعد أن فهمنا معنى الاسم والسمة وتمييزها عن اسم النداء ننتقل إلى سمات الله الأخرى وصفاته الحسنى في القرآن، مبتدئين بفاتحة الكتاب وأول آية في القرآن العظيم:

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ ١ ـ الفاتحة.

وصفات الله الزوجية مثل: الرحمن الرحيم ـ التواب الرحيم. الرؤوف الرحيم لا يمكن وصلها بشكل اعتباطي فنقول مثلاً القهار الرحيم أو الجبار الرحمن لأن الله جعل

وصلها بشكل توقيفي كما وردت في الوحي المنزل فقط لا نستطيع تبديلها ولا تحريفها أبداً.

فالله سبحانه مثلاً لم يجعل صفة الرحمن مع أي صفة أخرى من صفات الله في القرآن، إلا مع صفة الرحيم، لذلك فإما أن نجد صفة الرحمن مفردة أو موصولة بالرحيم دون غيرها.

بينما نجد صفة العزيز تأخذ صفات كثيرة مثل: العزيز الحكيم ـ العزيز الرحيم ـ العزيز العليم وهكذا نجد للعزيز تسع صفات مختلفة مثل تلك الصفات الثلاثة التي ذكرناها الآن.

كل الكلمات في القرآن تقع تحت إحصاء عددي مقصود لا عفوية فيه، مثلاً لفظ الجلالة (الله) جعلها سبحانه بحيث تنسجم دائماً مع الإعجاز العددي للرقم تسعة عشر التي يلتزم بها الرحمن في كتابه، ليبين أن لا شيء عند الله تعالى يأتي بالصدفة بل بشكل مطلوب ومقصود ويقع تحت حصر وعد من عاقل عليم يحيط بكل شيء علماً.

وكذلك كلمة (الله) وردت في القرآن (٢٦٩٨) مرة وهذا يساوي تماماً ١٤٢ × ١٩ = ٢٦٩٨.

أما الصفات الزوجية مثل (الرحمن الرحيم)، (رؤوف رحيم)، (التواب الرحيم)، إلى آخر تلك الصفات فقد وردت في كل القرآن (٣٦١) مرة وهذا يساوي ١٩ × ١٩ = ٣٦١ مرة.

وإذا أجرينا إحصاء لصفات الله الزوجية في القرآن نجدها كما يلي:

صفات الله الحسنى بشكل زوجي	الآية الشاهدة	رقم الآية والسورة	عدد مكررات الصفة
١ ـ الرحمن الرحيم	(بسم الله الرحمن الرحيم)	١ ـ الفاتحة	٦
٢ ـ الرحيم الغفور	(وهو الرحيم الغفور)	٢ ـ سبأ	١

٣ ـ الرحيم الودود	(إن ربي رحيم ودود)	٩ ـ هود	١
٤ ـ رؤوف رحيم	(إن الله بالناس لرؤوف رحيم)	١٤٣ ـ البقرة	٩
٥ ـ البر الرحيم	(إنه البر الرحيم)	٢٨ ـ الطور	١
٦ ـ التواب الرحيم	(هو التواب الرحيم)	١١٨ ـ التوبة	٩
٧ ـ التواب الحكيم	(وأن الله تواب حكيم)	١٠ ـ النور	١
٨ ـ حكيم خبير	(عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير)	١٨ ـ الأنعام	٤
٩ ـ حكيم عليم	(إن ربك حكيم عليم)	٨٣ ـ الأنعام	٧
١٠ ـ حكيم حميد	(تنزيل من حكيم حميد)	٤٢ ـ فصلت	١
١١ ـ حليم غفور	(إنه كان حليماً غفوراً)	٤٤ ـ الإسراء	٢
١٢ ـ حميد مجيد	(إنه حميد مجيد)	٧٣ ـ هود	١
١٣ ـ الحي القيوم	(الله لا إله إلا هو الحي القيوم)	٢ ـ آل عمران	٣
١٤ ـ الحق المبين	(ويعلمون أن الله هو الحق المبين)	٢٥ ـ النور	٢
١٥ ـ الخلاق العليم	(إن ربك هو الخلاق العليم)	٨٦ ـ الحجر	٢
١٦ ـ السميع العليم	(وهو السميع العليم)	١٣٧ ـ البقرة	٣٢
١٧ ـ السميع البصير	(إنه هو السميع البصير)	١ ـ الإسراء	١١
١٨ ـ السميع القريب	(إنه سميع قريب)	٥٠ ـ سبأ	١
١٩ ـ شاكر عليم	(فإن الله شاكر عليم)	١٥٨ ـ البقرة	٢٣

٢٠ ـ شكور حليم	(والله شكور حليم)	١٧ ـ التغابن	١
٢١ ـ العزيز الحكيم	(إن الله عزيز حكيم)	٢٢٠ ـ البقرة	٤٧
٢٢ ـ العزيز الرحيم	(إن ربك لهو العزيز الرحيم)	٦٨ ـ الشعراء	١٣
٢٣ ـ العزيز العليم	(ذلك تقدير العزيز العليم)	٩٦ ـ الأنعام	٦
٢٤ ـ العزيز الحميد	(ويهدي إلى صراط العزيز الحميد)	٦ ـ سبأ	٣
٢٥ ـ العزيز الغفور	(وهو العزيز الغفور)	٢ ـ الملك	٣
٢٦ ـ العزيز الغفار	(العزيز الغفار)	٦٦ ـ ص	٣
٢٧ ـ العزيز الوهاب	(خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب)	٣٥ ـ ص	١
٢٨ ـ العزيز المقتدر	(فأخذناهم أخذ عزيز مقتدر)	٤٢ ـ القمر	١
٢٩ ـ العليم الحليم	(وصية من الله والله عليم حليم)	١٢ ـ النساء	٣
٣٠ ـ العليم الحكيم	(والله عليم حكيم)	٢٦ ـ النساء	٢٩
٣١ ـ العليم الخبير	(إن الله عليم خبير)	٣٤ ـ لقمان	٤
٣٢ ـ العليم القدير	(إنه عليم قدير)	٥٠ ـ الشورى	٤
٣٣ ـ عفو غفور	(إن الله لعفو غفور)	٦٠ ـ الحج	٤
٣٤ ـ علي حكيم	(إنه علي حكيم)	٥١ ـ الشورى	٢
٣٥ ـ علي عظيم	(وهو العلي العظيم)	٢٥٥ ـ البقرة	٢
٣٦ ـ علي كبير	(وأن الله هو العلي الكبير)	٦٢ ـ الحج	٥

٣٧ ـ غفور رحيم	(إن الله غفور رحيم)	١٩٩ ـ البقرة	٧٢
٣٨ ـ غفور حليم	(إن الله غفور حليم)	١٥٥ ـ آل عمران	٤
٣٩ ـ غفور شكور	(إنه غفور شكور)	٣٠ ـ فاطر	٣
٤٠ ـ غفور ودود	(وهو الغفور الودود)	١٤ ـ البروج	١
٤١ ـ غني حميد	(ومن كفر فإن الله غني حميد)	١٢ ـ لقمان	١٠
٤٢ ـ غني حليم	(والله غني حليم)	٢٦٣ ـ البقرة	١
٤٣ ـ غني كريم	(ومن كفر فإني غني كريم)	٤٠ ـ النمل	١
٤٤ ـ خبير بصير	(إنه بعباده خبير بصير)	٢٧ ـ الشورى	٥
٤٥ ـ الفتاح العليم	(وهو الفتاح العليم)	٢٦ ـ سبأ	١
٤٦ ـ القوي العزيز	(إن الله لقوي عزيز)	٤٠ ـ الحج	٧
٤٧ ـ ربٍ رحيم	(سلام قولاً من رب رحيم)	٥٨ ـ يس	١
٤٨ ـ الكبير المتعال	(الكبير المتعال)	٩ ـ الرعد	١
٤٩ ـ اللطيف الخبير	(إن الله لطيف خبير)	٦٣ ـ الحج	٥
٥٠ ـ الملك الحق	(فتعالى الله الملك الحق)	١١٤ ـ طه	٢
٥١ ـ الملك القدوس	(الملك القدوس)	١ ـ الجمعة	٢
٥٢ ـ واسع عليم	(الله واسع عليم)	٢٦١ ـ البقرة	٧
٥٣ ـ واسع حكيم	(وكان الله واسعاً حكيماً)	١٣٠ ـ النساء	١

٥٤ ـ الواحد القهار	(الله الواحد القهار)	٣٩ ـ يوسف	٦
٥٥ ـ الولي الحميد	(وينشر رحمته وهو الولي الحميد)	٢٨ ـ الشورى	١
٥٦ ـ عفو قدير	(فإن الله كان عفواً قديراً)	١٤٩ ـ النساء	١
٥٧ ـ الله رب العرش	(فسبحان الله رب العرش)	٢٢ ـ الأنبياء	٢

المجموع العام + + + = ٣٦١

وهكذا نجد أن مجموع أسماء الله في القرآن (٥٦) اسماً زوجياً مضافاً إليها (الله رب العرش) فيكون المجموع (٥٧) صفة زوجية.

وقد وجدنا أن مكررات اسم الرحمن لوحدها في القرآن كله تساوي أيضاً ٥٧ مرة. وهذا إذا قسم على الرقم ١٩ يكون الناتج ٣ بدون باقي.

كما وجدنا اسم الرحيم وحده يساوي ١١٤ مرة ÷ ١٩ = ٦ بدون باقي.

وكما قلنا فإن مجموع مكررات أسماء الله الحسنى التي أتت على شكل زوجي بحسب الجدول السابق وجدناها تساوي ٣٦١ مرة الذي يساوي:

١٩ × ١٩ = ٣٦١

فهل كل هذه الأمور قد حصلت بالصدفة أم أن وراءها إحصاء كما يقول تعالى ﴿لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾ ٤٩ ـ الكهف. أو قوله تعالى ﴿وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾ ١٢ ـ يس. أو قوله سبحانه ﴿وكل شيء أحصيناه كتاباً﴾ ٢٩ ـ النبأ.

إذا التفتنا إلى آية واحدة في القرآن وهي الآية الأولى ﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾ لنعلم مدى تشابك الإعجاز العددي نجد أولاً أن عدد أحرف هذه الآية ١٩ حرفاً، كما هي مكتوبة في القرآن.

وعدد كلمات الله في القرآن = ١٩ × ١٤٢ = ٢٦٩٨

وعدد كلمات الرحمن = ١٩ × ٣ = ٥٧

وعدد كلمات الرحيم = ١٩ × ٦ = ١١٤

وعدد كلمات الرب ومشتقاتها = ٩٦٩ × ١٩ = ٥١

والآن إذا عدنا لنحصي أسماء الله الحسنى في اللائحة السابقة وبغض النظر عن الزوجية نجدها تساوي أيضاً سبعة وخمسون اسماً.

وهي كما يلي:

١ ـ الرحمن
٢ ـ الرحيم
٣ ـ الرؤوف
٤ ـ الغفور
٥ ـ الودود
٦ ـ البر
٧ ـ التواب
٨ ـ الحكيم
٩ ـ الخبير
١٠ ـ الحميد
١١ ـ العليم
١٢ ـ الحليم
١٣ ـ المجيد
١٤ ـ الحي
١٥ ـ القيوم
١٦ ـ الحق
١٧ ـ المبين
١٨ ـ الخلاق
١٩ ـ السميع
٢٠ ـ البصير
٢١ ـ القريب
٢٢ ـ الشاكر
٢٣ ـ الشكور
٢٤ ـ العزيز
٢٥ ـ الغفار
٢٦ ـ الوهاب
٢٧ ـ المقتدر
٢٨ ـ القدير
٢٩ ـ العفُوُّ
٣٠ ـ العليُّ

٣١ ـ العظيم — ٣٨ ـ اللطيف
٣٢ ـ الكبير — ٣٩ ـ الملك
٣٣ ـ الغني — ٤٠ ـ القدوس
٣٤ ـ الكريم — ٤١ ـ الواسع
٣٥ ـ الفتاح — ٤٢ ـ الواحد
٣٦ ـ القوي — ٤٣ ـ القهار
٣٧ ـ المتعال — ٤٤ ـ الولي

وهكذا نجد مجموع أسماء الله الحسنى بشكل إفرادي ومن غير تكرار تساوي فقط ٤٤ اسماً وذلك من خلال الصفات الثنائية مثل: (الرحمن الرحيم).

والآن إذا بحثنا في آيات القرآن الكريم عن صفات الله التي أتت بشكل إفرادي دون أن تكون على الشكل الثنائي السابق نجد الصفات التالية:

٤٥ ـ السلام — ٥٢ ـ المصور
٤٦ ـ المؤمن — ٥٣ ـ الرزاق
٤٧ ـ المهيمن — ٥٤ ـ الأوَّلُ
٤٨ ـ الجبار — ٥٥ ـ الآخِرُ
٤٩ ـ المتكبر — ٥٦ ـ الظاهر
٥٠ ـ الخالق — ٥٧ ـ الباطن
٥١ ـ البارىء

وهكذا نجد أن مجموع أسماء الله الحسنى بشكل إفرادي مع إزالة المكرر منها أيضاً يطابق الرقم الأول الذي حصلنا عليه وهو الرقم (٥٧) ولم يزد عليه.

والآن لابد من الاعتراف للقارىء الكريم بأني درست وبحثت في كل آيات القرآن العظيم، من أجل إتمام العملية الإحصائية فوجدت بعض الآيات مثلاً تقول:

﴿وكفى بالله شهيداً﴾ ٧٩ ـ النساء.

أو ﴿وكفى بالله وكيلاً﴾ ٨١ ـ النساء.

أو ﴿كفى بالله حسيباً﴾ ٦ ـ النساء.

أو ﴿كفى بالله نصيراً﴾ ٤٥ ـ النساء.

أو ﴿كفى بالله هادياً ونصيراً﴾ ٣١ ـ الفرقان

لم أدرجها في صفات الله، لأنها لم تأت على شكل أسماء لله تعالى كما تلاحظون.

وكما نجد آيات أخرى مثل قوله تعالى:

﴿إن الله كان على كل شيء حسيباً﴾ ٨٦ ـ النساء.

﴿وكان الله بكل شيء محيطاً﴾ ١٢٦ ـ النساء.

﴿وكان الله على كل شيء مقيتاً﴾ ٨٥ ـ النساء.

﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ ٥٧ ـ هود.

أيضاً لم أدرجها في صفات الله لأنها لم تأت على شكل أسماء الله الأخرى التي وضعتها سابقاً في الجدول.

كما نجد في القرآن الكريم عبارات مثل ما يلي:

١ ـ ذو الفضل ﴿الله ذو الفضل العظيم﴾ ١٠٥ ـ البقرة

٢ ـ ذو انتقام ﴿والله عزيز ذو انتقام﴾ ٩٥ ـ المائدة.

٣ ـ ذو الرحمة ﴿وربك الغني ذو الرحمة﴾ ١٣٣ ـ الأنعام.

٤ ـ ذو العرش ﴿رفيع الدرجات ذو العرش﴾ ١٥ ـ غافر

٥ ـ ذو مغفرة ﴿إن ربك لذو مغفرة﴾ ٤٣ ـ فصلت

٦ ـ ذو عقاب ﴿وذو عقاب أليم﴾ ٤٣ ـ فصلت

٧ ـ ذو القوة ﴿إنه الرزاق ذو القوة المتين﴾ ٥٨ ـ الذاريات

٨ ـ ذو الجلال والإكرام ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ٢٧ ـ الرحمن.

كما نجد في القرآن صفات مركبة ليست من أسماء الله الحسنى في سورة واحدة وهي سورة آل عمران وهذه الصفات هي:

١ ـ شديد العقاب ﴿والله شديد العقاب﴾ ١١ ـ آل عمران

٢ ـ رؤوف بالعباد ﴿والله رؤوف بالعباد﴾ ٣٠ ـ آل عمران.

٣ ـ خير الماكرين ﴿والله خير الماكرين﴾ ٥٤ ـ آل عمران

٤ ـ ولي المؤمنين ﴿والله ولي المؤمنين﴾ ٦٨ ـ آل عمران

٥ ـ عليم بالمتقين ﴿والله عليم بالمتقين)٨ ١١٥ ـ آل عمران

٦ ـ عليم بذات الصدور ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ ١٥٤ ـ آل عمران

٧ ـ يحيي ويميت ﴿والله يحيي ويميت﴾ ١٥٦ ـ آل عمران

٨ ـ نعم الوكيل ﴿وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل﴾ ١٧٣ ـ آل عمران

كما نجد في آيات أخرى من القرآن أوصافاً وصفات أخرى مثل:

١ ـ أرحم الراحمين ﴿فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين﴾ ٦٤ ـ يوسف

٢ ـ وسع كل شيء علماً ﴿لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً﴾ ٩٨ ـ طه

٣ ـ ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً ﴿ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً﴾ ٧ ـ غافر

٤ ـ واسع المغفرة ﴿إن ربك واسع المغفرة﴾ ٣٢ ـ النجم

٥ ـ أحسن الخالقين ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾ ١٤ ـ المؤمنون

٦ ـ رب العرش الكريم ﴿لا إله إلا هو رب العرش الكريم﴾ ١١٦ ـ المؤمنون

٧ ـ الله نور السموات والأرض ﴿الله نور السموات والأرض﴾ ٣٥ ـ النور

٨ ـ سريع الحساب ﴿والله سريع الحساب﴾ ٣٩ ـ النور

٩ ـ رب العرش العظيم ﴿الله لا إله هو رب العرش العظيم﴾ ٢٦ ـ النمل

١٠ ـ رب العالمين ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ ٢ ـ الفاتحة

١١ ـ رب غفور ﴿بلدة طيبة ورب غفور﴾ ١٥ ـ سبأ

١٢ ـ رب رحيم ﴿سلام قولاً من رب رحيم﴾ ٥٨ ـ يس

١٣ ـ رب السموات والأرض ﴿رب السموات والأرض وما بينهما﴾ ٥ ـ الصافات

١٤ ـ رب المشارق ﴿ورب المشارق﴾ ١٠٥ ـ الصافات

١٥ ـ رب العزة ﴿رب العزة عما يصفون﴾ ١٨٠ ـ الصافات

١٦ ـ رب الأرض ﴿ورب الأرض رب العالمين﴾ ٣٦ ـ الجاثية

١٧ ـ رب الشعرى ﴿وأنه هو رب الشعرى﴾ ٤٩ ـ النجم

١٨ ـ رب المشرقين ﴿رب المشرقين﴾ ١٧ ـ الرحمن

١٩ ـ رب المغربين ﴿ورب المغربين﴾ ١٧ ـ الرحمن

إن كل ما تقدم إلى الآن ما هو إلا صفات لله من بينها صفات الله الحسنى التي يميزها الباحث في القرآن بسهولة فلا تختلط عليه الأمور كما يحصل في الأحاديث التي تنسب لله أسماء لم يذكرها القرآن أصلاً، مثل الأسماء التي نجدها ضمن لائحة التسع والتسعين أسماً التي تعارف عليها المسلمون وكأنها نزلت من السماء:

القابض ـ الباسط ـ الخافض ـ الرافع ـ المعز ـ المذل ـ الصبور ـ العدل ـ الجليل ـ الباعث ـ المحصي ـ المبدىء ـ المعيد ـ الواجد ـ الماجد ـ المقدر ـ المقدم ـ المؤخر ـ المنتقم ـ المقسط ـ المغني ـ المانع ـ الضار ـ النافع ـ الوارث ـ الباقي ـ الرشيد.

فلا يعني أن نجد في كتاب الله تعبيراً يقول ﴿لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام﴾ ٤ ـ آل عمران. فنقول وحدنا استنتاجاً، الله المنتقم، ونجعل ذلك اسماً من أسماء الله الحسنى.

كما أننا إذا بحثنا عن دين الله ودين كل رسل الله جميعاً في القرآن، نجد أن ـ الإسلام هو الاسم الجامع لكل أنبياء الأرض السابقين:

﴿ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً ولكن كان حنيفاً مسلماً﴾ ٦٧ ـ آل عمران.

﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابني إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء إذ حضر يعقوب الموت إذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسماعيل وإسحق إلاهاً واحداً ونحن له مسلمون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون﴾ ١٣٤ ـ البقرة.

وهكذا فالإسلام هو الدين الواحد الجامع لكل أديان الأرض من البداية ولكن الناس هم الذين بدلوا وحرفوا الحق إلى الباطل ليحققوا به ما تهوى أنفسهم من الأهواء والشهوات التي حرمت عليهم منذ البداية في الدين.

كذلك فإن الاسم الجامع لله وهو الإسم الخاص به في كل الأديان نجده في قوله تعالى ﴿هو الله الذي لا إله إلا هو﴾.

إن كلمة الله كما قلنا سابقاً قد أتت من تعريف كلمة إله من الألوهية وبما أنها صفة يمكن ترجمتها إلى اللغات الأخرى فنقول بدلاً عن الله بالعربية (The God) بالإنكليزية.

وكلمة الرب صفة لله من الربوبية ويمكن ترجمتها إلى الإنكليزية باستبدالها بكلمة (The Lord).

وخير ما أختتم به هذا البحث هو الآية القرآنية التي تقول:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ٩ ـ الصف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ملخص وتعليق على البحث في اسماء الله الحسنى:

اعترف بصراحة أنني عندما بدأت هذا البحث كنت أظن مثل باقي المسلمين أني سوف أجد تسعة وتسعين اسماً من أسماء الله الحسنى، لأني لم أكن أتصور أن علماء المسلمين خلال أربعة عشر قرناً، لم يحاول أحدهم أن يدرس كتاب الله (القرآن العظيم) بشكل جدي، ليرى ماذا فيه فعلاً وماذا قال سبحانه وتعالى للإنسان في هذه الرسالة السماوية التي لم يعد بين أيدي الناس في الأرض رسالة مثلها لم تلوثها يد التحريف والتبديل الآثمة.

ولكن بعد أن عدت وقرأت الآية التالية على لسان رسولنا الكريم ﴿يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾ ٣٠ ـ الفرقان.

زال استغرابي وزال معه استنكاري وتعجبي من جهل الأولين.

فأحببت أن أبدأ بهذه الدراسة وأنا في مستهل أبحاث هذا الكتاب الذي سميته الحقيقة، كاشفاً عن بعض أسرار القرآن من القرآن ليكون بمثابة برهان إضافي للقارىء الكريم على أن التراث الإسلامي الذي بين أيدينا، خاصة فيما يختص بالدين والعقيدة

الإسلامية والشرع والأحكام الإسلامية، هو تراث مغلوط لسببين: أولهما مقصود وثانيهما كان نتيجة فترات الجهل التي مر بها الإسلام، خاصة بعد زوال الخلافة العباسية في بغداد وبعد ظهور الخلافة العثمانية في استانبول، من قوم يجهلون العربية ويجهلون القرآن. فأصبح هذا التراث بحاجة إلى مفكرين متفرغين للبحث عن الأخطاء ومقارنتها مع النص الحقيقي الذي ما يزال يحوي الحق كله بلا تفريط، لإظهار الحقائق النورانية من جديد في دراسة مبنية على أسس العلم وقواعد العقل والمنطق، مع الابتعاد عن كل ظن واحتمال حتى نبتعد بقدر الإمكان عن الوهم والباطل الذي يكثر عندما نكثر من الحب (الذي هو عاطفة وما العاطفة إلا من الأهواء) لنصوص أكل الدهر عليها وشرب لاحق فيها غالباً. علماً أننا إن اعتمدنا على مركز أهوائنا ضللنا السبيل وإن اعتمدنا على العقل والمنطق السليم الذي يقبل بالعلم والأساليب العلمية اهتدينا إلى الحق الذي نبحث عنه جميعاً.

لا يمكن أن نجد هدى الله ويقينه ونوره إلا في كتاب حقيقي لله أنزله من السماء وحياً إلى رسول مثل القرآن الذي عليه براهين عديدة أنه من الرحمن بلَّغَهُ رسولنا الأمين بأمانة مطلقة ﴿الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل فما له من هاد﴾ ٢٣ ـ الزمر.

وعلى ذكر أسماء الله الحسنى الموجودة بين أيدي المسلمين اليوم نجد اثنتين وأربعين صفة جديدة أضيفت لأسماء الله كما يلي:

مثلاً نجد الآية الكريمة تقول ﴿والله يقبض ويبسط وإليه ترجعون﴾ تلاحظون في الآية فعلين هما فعل: قبض وفعل: بسط، فمن الفعل الأول نستطيع استخراج اسم الفاعل فنحصل على: قابض ومن الفعل الثاني نحصل على باسط وبتعريفهما نقول القابض والباسط، ونكون بهذا قد استحدثنا اسمين لله تعالى، ولو حاولنا أن نفعل ذلك بكل الأفعال التي وردت في القرآن لحصلنا على آلاف الأسماء وليس فقط على تسع وتسعين صفة فقط. فمن آية واحدة مثلاً ﴿إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون﴾ نستطيع ايجاد أربعة أسماء حيث نستخرج من قضى: القاضي

ومن أمر: الآمر

ومن يقول: القائل

ومن يكون: الكائن

وإذا مر فعل مثل نهى نقول: الناهي وهكذا إلى ما لانهاية.

لكن الله تعالى هو وحده الذي وصف نفسه واختار لنفسه صفة (الرحمن الرحيم) فأنا لا أستطيع أن أغير مكان الكلمتين لأقول مثلاً (الرحيم الرحمن) ولا أن أضيف صفة حقيقية لله مكان صفة أخرى وأقول مثلاً (الرحمن العزيز) أو (الرحمن العليم) لأن الله تعالى لم يوردها في كتابه المبين على تلك الأشكال فأنا كباحث علي الالتزام بما ورد فعلاً، دون أن أزيد كما تشاء مخيلتي في موضوع إلهي لاحق لأحد أن يتزيد فيه ولا أن ينقص منه شيئاً.

وطالما نتحدث عن أسماء الله الحسنى التي في كتاب الله، من الجدير بالذكر أن يعلم المسلم ماذا في صحيح البخاري عن هذا الموضوع موصولاً لرسول الله الكريم أنه قد قاله وبالتالي يجب على المسلمين تصديقه:

- الحديث رقم ٧٣٩٢ من صحيح البخاري تحت باب اسمه (باب إن لله مائة اسم إلا واحداً) عن أبي هريرة أن رسول الله، قال «إن لله تسعة وتسعين اسماً مائةً إلا واحداً من أحصاها دخل الجنة» كيف أصدق هذا الحديث وأنا لم أجد في كتاب الله الذي بلغه نفس الرسول كاملاً لا نقص فيه إلا سبعاً وخمسين اسماً، فهل أصدق أن رسولنا الأمين قد افترى على الله اثنين وأربعين اسماً لم يبلغها الرسول للناس؟ وكيف يدخل الجنة ولم يؤمن بالله واليوم الآخر ولم يعمل صالحاً وهذه كلها من شروط دخول الإنسان لجنّة الرضوان عند الله تعالى في القرآن.

كما أحب أن أذكر حقيقة أخرى قبل الدخول في أبحاث الكتاب:

لقد بدأت حياتي العملية كما ذكرت سابقاً جندياً كانت دراساتي كلها عن الجيوش والقتال هجوماً ودفاعاً، بدأتها في الكلية الحربية في القاهرة أيام الوحدة ١٩٥٨ فحصلت على بكالوريوس العلوم العسكرية، ثم اتبعت دورات تعليمية متعددة معروفة للعسكريين، كانت آخرها في كلية الأركان في دمشق عام ١٩٧٢، ولم يخطر في ذهني يوماً أنني سوف أتحول إلى باحث ديني أدرس تاريخ الأديان واللاهوت، وأدرس التوراة والإنجيل والتلمود، مع دراستي لكتب الحديث ومقارنة كل ذلك بالقرآن الذي اكتشفت مع الأيام أنه فعلاً (القرآن العظيم) ولا يعرف عظمة ذلك الكتاب إلا من درسه فعلاً. وليس من قرأه أو تلاه ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ ٨٧ - الحجر.

هناك نقطة أحب الإشارة إليها وهي أنني خلال دراستي للعلوم العسكرية تلقيت دورة خاصة في الشيفرة وهي فن ترميز الرسائل السرية ثم حلّها، حتى إن وقعت في أيدي الأعداء لا يستطيعون معرفة المقصود الفعلي منها، ولها أساليب متعددة لا مجال لشرحها هنا.

ولكن الذي أريد الإشارة إليه هو أن المسلمين قد تعاملوا مع القرآن الكريم. وكأنه رسالة مشفرة أرسلها سبحانه للرسول الأمين من أجل فك رموزها ثم تبيانها لعلماء الدين الذين قالوا إنهم ورثة الأنبياء. فافترضوا سلفاً وجود شرح خاص بدأ بأحاديث خاصة قالها الرسول الأمين من أجل فك رموز القرآن (فك الشيفرة) وبيان المقصود من كتاب الله تعالى.

كما استخدم علماء المسلمين على مر العصور كتب التفسير من أجل نفس الموضوع، فكانوا يتعاملون مع القرآن العظيم على أنه نص مشفر، ولابد من فك الشيفرة (الرموز) عن طريق متخصصين درسوا القرآن على أيدي متخصصين في ذلك الفن من التأويل مع حفظ الأحاديث الشارحة للمعاني. من هنا لم أعد استغرب أن الذين درسوا علوم الدين في مدارس متخصصة كلها تتبع نفس الأسلوب وتدرس القرآن على أنه نص مرمز لابد من فك رموزه عن طريق المفسرين وعن طريق الأحاديث المنسوبة للرسول عليه الصلاة والسلام، اعتبروا هذا الموضوع من المسلمات في الإسلام وساعد على هذا، أن القرآن في تكوينه يتألف من كتابين أحدهما الكتاب (القرآن) المكي وهي مجموعة السور والآيات التي نزلت في مكة من مرحلة الرسالة والثاني هو الحكمة (القرآن) المدني وهي أيضاً تتكون من مجموعة السور والآيات التي نزلت بعد هجرة الرسول الكريم إلى المدينة المنورة.

والله تعالى يقول عنهما (الكتاب والحكمة) باعتبار أن الكتاب يحوي كل غيب الله وأنبائه العلمية والتاريخية (القصص القرآني) علماً أن أغلب ما في هذا القسم غير مفهوم ولا يمكن فهمه إلا من قبل العلماء المتخصصين في علوم الدنيا، لأنه يتحدث عن علوم كان يجهلها أغلب المسلمين.

أما القسم الثاني فهو الذي يحوي الأحكام والدين الإسلامي والعبادات والشرع والأوامر والنواهي مع حدود الله وحرامه وحلاله، هذه الآيات كانت وما تزال مفهومة من جميع الذين يعرفون العربية بنسب تتفاوت مع تفاوت عقول الناس وعلمهم

وثقافتهم ومدى استيعابهم للأمور.

لكن الناس بشكل عام عندما يتلون القرآن وهم لا يميزون بين المكي والمدني من الآيات، يفاجأون بآيات كثيرة لا يقدرون على فهمها من النصوص المكية.

إن هذه الحقيقة مع ترديد رجال الدين أن القرآن لا يمكن فهمه إلا عن طريق رجال الدين المتخصصين، تجعل أغلب المسلمين يصدقون بكلا الادعائين ويسلمون بهما دون نقاش أو جدال.

علماً أن السبب الحقيقي الذي ساعدني على فهم آيات الله في القرآن فهماً حقيقياً لا وهم فيه ولا ظن، هو أنني لم أبدأ دراستي الدينية في مدارس متخصصة أو على يد متخصصين في الدين درسوا في تلك المعاهد، فتحررت من كل كتب التراث التي تعمل عمل كتب الشيفرة التي يستخدمها رجال الدين لتأويل كلام الله المباشر بآخر غيره، فعلمت بعدها أن تلك الكتب هي السبب الحقيقي الذي يعمل عمل الغشاوة المانعة والحاجبة لنور الله في الآيات المعجزة.

مثلاً في البداية عندما كنت أقرأ آية مثل قوله تعالى:

﴿ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة﴾ ٧ ـ البقرة.

كنت أظن أن الله تعالى ساحر خبير يمنع الناس متى يشاء أن يمنعهم من فهم وسماع ورؤية الحقيقة مع أنها واضحة للذين لم يقعوا تحت سحر الله هذا لسبب من الأسباب مثل الكفر أو الإشراك بالله.

لكن بعد دراستي للقرآن اكتشفت أن السحر وهم وباطل وهو من أفعال الشيطان، بينما أفعال الله تعالى كلها حقيقية لا وهم فيها. مثلاً: عندما ذهب موسى عليه الصلاة والسلام بأمر ربه إلى فرعون ومعه معجزتان، لما رآهما فرعون ظن أن موسى ساحر وما رآه كان سحراً فجمع له أمهر السحرة في مصر ليغلبوه، لنستمع إلى القصة بألفاظ القرآن الكريم لحوار فرعون وموسى:

﴿قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين * فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين * ونزع يده فإذا هي بيضاء للناظرين * قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر عليم * يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون * قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدائن حاشرين * يأتوك بكل ساحر عليم * وجاء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجراً إن كنا نحن الغالبين * قال نعم وإنكم لمن المقربين * قالوا يا موسى إما أن تلقي وإما أن

نكون نحن الملقين * قال القوا فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم * وأوحينا إلى موسى أن ألقِ عصاك فإذا هي تلقَفُ ما يأفكون * فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون * فغُلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين * والقي السحرة ساجدين * قالوا آمنا برب العالمين * رب موسى وهارون﴾ ١٠٦ - ١٢٢ - الأعراف.

وإلى نهاية القصة، وكيف هدد فرعون سحرته بالقتل إن لم يتراجعوا عن قرارهم بالإيمان بالله، فرفضوا جميعاً لثبات قلوبهم على الإيمان بالحق الذي رأوه.

قلائل هم الذين يفهمون هذه القصة على حقيقتها وذلك بإدراك أن فرعون وملئه ظنوا أن الموضوع كله سحر مع فارق أن الذي قدمه موسى كان سحراً أقوى من سحْرِ سَحَرة فرعون، ولم يعرف الحقيقة إلا علماء السحر أنفسهم، لأنهم وحدهم الذين يعلمون بأن ما يقدمونه وَهْمٌ يتراءى لأعين الناس حقيقة، والسحرة لا تخدع أعينهم، لذلك عندما رأوا عصا موسى وقد تحولت إلى ثعبان حقيقي سجدوا لله وآمنوا به فوراً.

وهذا ما قصده الرحمن عندما قال: ﴿فإذا هي ثعبان مبين﴾ فأتى ثعبان مبين بمعنى ثعبان حقيقي لا وهم ولا سحر للعيون.

كذلك نجد في قصة أخرى في القرآن في سورة يونس عن نفس الواقعة يقول تعالى ﴿فلما جاء السحرة قال لهم موسى ألقوا ما أنتم ملقون * فلما ألقوا قال موسى ما جئتم به السحر إن الله سيبطله إن الله لا يصلح عمل المفسدين * ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ ٨٠ - ٨٢ - يونس.

والدليل أن موسى سحرت عينه ورأى حبال السحرة ثعابين حقيقية في قوله تعالى ﴿قال بل ألقوا فإذا حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى * فأوجس في نفسه خيفة موسى * قلنا لا تخف إنك أنت الأعلى * وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا إنما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى * فألقي السحرة سُجَّداً قالوا آمنا برب هارون وموسى﴾ ٦٦ - ٧٠ - طه.

وهكذا يتبين لنا من دراسة هذه النصوص المختلفة في مواقعها في القرآن الكريم وكل نص يبين ما لم يبينه النص الآخر، فنعلم أن ما قدمه موسى بإذن الله وقدرته لم يكن سحراً بل حقيقة، آمن نتيجتها كل السحرة دون أن يبالوا بتهديد فرعون، وهذا هو الفرق بين الإيمان الفطري أو الإيمان بالتسليم عن الإيمان من قبل العالم بإعجاز الله الذي في القرآن، عندها يسجد فوراً ولا يتراجع عن إيمانه مهما حصل مع الأيام.

ومسلم اليوم الذي فهم هذه الحقيقة عليه أن يبشر لدين الله الذي هو دين العالمين، وكما أنه دين السّلم والسلام ونور الله المبين الموجود فقط في كتاب عظيم واحد، علماً أن لا كتاب في الأرض منح تلك الصفة سابقاً ولا لاحقاً إلا للقرآن المبين، الذي قال عنه الله بأنه القرآن العظيم.

وأفضل ما أختم به هذا الموضوع هو قول الله في الآية الكريمة:

﴿قال يا قوم أرأيتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

المسلمون وتوحيد الله

﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكّرون﴾ ٢٣ ـ الجاثية.

هذه الآية القرآنية تشرح حالة المسلمين من الذين آمنوا إما عن طريق الحب لله أو للرسول تسليماً وثقةً من غير شك، ولا سؤال عن دليل أو برهان، بعد أن شاء الله تعالى أن يكون الإيمان به يبدأ بالعقل والفكر الذي يميز الإنسان عن باقي مخلوقاته الأخرى في الأرض. والله سبحانه يحب عباده الذين يبحثون عن الدليل والبرهان قبل الإيمان بأي فكرة ما، لأن هذا الأسلوب من التفكير يجنبهم ويحميهم من الوقوع ضحايا للشياطين من النصابين والمحتالين في العالم كله. إن مجرد القسم بالإيمان وشهادة بعض الشهود على أمر ما لا يعتبر دليلاً قاطعاً على شيء إذا لم يقم الدليل العقلي عليها أولاً، ومن السذاجة أن يصدق الإنسان أن غيره أدرى بمصلحته وأحرص عليها منه شخصياً، لا عيب في أن يستشير ولكن عند القرار يجب أن يُعوِّد نفسه أن يتخذه بنفسه دائماً، يجب أن يجري لكل موضوع محاكمةً عقلية يصدر فيها عقله الحكم سلباً أو إيجاباً فيتبع عقله دون أن يخشى الأخطاء وهي طبيعية ولا يتعلم الإنسان إلا منها، والدّين عقيدة متكاملة فالإيمان بالأوهام سوف يؤثر على كل حياته لهذا يجب أن لا يتسرع ويسلّم بها عن ثقة بدون شكوك تطرح تساؤلات كثيرة تحتاج إلى أجوبة مقنعة لتغطية تلك الشكوك والتساؤلات، ومن حق كل إنسان أن يطرحها حتى يؤمن. أما أن يقول لنا أحدٌ: (آمِن ولا تسأل) فهو شيطان لأن الله تعالى يقول العكس، اطلب البرهان أولاً قبل أن تؤمن، وقد كان من أكبر المؤمنين في الأرض إبراهيم عليه السلام الذي اهتدى إلى ربه بعقله قبل أن يختاره الله نبياً وبعدها أي بعد النبوة طلب دليلاً من ربه حتى يطمئن قلبه للإيمان فقال له ربه كما في الآية الكريمة:

﴿... قال أو لم تُؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي...﴾ ٢٦٠ ـ البقرة.

والقلب في آيات القرآن أتى بمعنى العقل لأن الإنسان الذي يطمئن عقله من بعد الأدلة والبراهين يقوى إيمانه، فلا يستطيع بعدها أن يزحزحه عنه كل شياطين الأرض مجتمعين، لأنه كان حريصاً واستند إلى ثلاث حكام لاشك في حكمهم وهم العلم

والعقل والبرهان، والله تعالى قال يصف كتابه المكي الذي نزلت آياته في مكة بأنه البرهان وقال عن كتابه المدني نوراً مبيناً ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ ١٧٤ - النساء.

وهذا الكتاب أنزل أولاً حتى يبرهن به سبحانه من خلال إعجازاته أنه من الله ويعجز عنه الإنس والجن مجتمعين، والله تعالى أتى بالبرهان قبل أن يأتي بالرسالة والدين، لذلك حذرنا سبحانه من قبول الدعوة لدين آخر مع دين الله بدون أن يكون عليه برهان، كما فعل سبحانه في كتابه الذي جعله كتابين: الأول وظيفته البرهان والكتاب الثاني هذا لا يحوي على براهين لكنه يحوي الدين والشرع والأحكام.

﴿ومن يدع مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون﴾ ١١٧ - المؤمنون.

وكل سلاطين الأرض بلا استثناء اخترعوا أدياناً بلا براهين عليها وأدعوها كذباً وتحريفاً لرسل الله وانبيائه، لعلمهم محبة الناس لهم مستغلين تلك المحبة لصالحهم ولعلمهم بعدم وجود براهين لديهم على ما ألفوا من دين قالوا كذباً أن الدين كله عاطفة، والله تعالى كله حب، متجاهلين الحق والعلم ومستبعدين عقول العباد. وروج لدينهم شياطين حقيقيون بعد أن لبسوا لباس التقوى ليظهروا أمام الناس من الأتقياء الصالحين، فتبعهم الناس عن جهل وعن غفلة ثم ورثوا هذا الدين لأبنائهم الذين قالوا مثل الذين من قبلهم ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مهتدون﴾ ٢٢ - الزخرف. أو قالوا: ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمةٍ وإنا على آثارهم مقتدون﴾ ٢٣ - الزخرف. وهؤلاء الذين آمنوا بعد استبعاد عقولهم ومن دون أن يقولوا ﴿قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين﴾ ١١١ - البقرة.

عادوا بعد إيمانهم بدين السلطان المزيف الذي سماه سلطان المسيحية بدين المسيح وسلطان المسلمين سماه دين محمد علماً أن المسيح ومحمد عليهما الصلاة والسلام بريئان مما افتروا باسمهيما من دين أعادوا به الناس عبيداً للسلطان باسم الله والمرسلين ظلماً لأنفسهم لأنهم لم يطلبوا البرهان فأذاقهم سلطانهم المعبود الذي حولوه إلى حاكم مطلق في الأرض يفرض رأيه على الناس تسلطاً باسم الدين كل ألوان وأشكال الذل والظلم والاستبداد في الدنيا وقد صبر الناس على كل تلك البلاوي دون أن يعلموا أنهم هم الذين يعذبون أنفسهم أصلاً لأنهم سهلوا على الشيطان الذي لبس لهم لباس الدين

والتقوى واستغفلهم بدين مزيف قبلوه بلا طلب لبرهان أو دليل عن طريق الحب لأن الشيطان قال لهم لا تسألوا ولا تناقشوا فالذي كان يدعوا إلى دين الطاغوت الذي يقلب الحقائق ليتجبر في الأرض باسم الرسول ويسفك الدماء باسم الرسول ويجعل أفعاله سنناً للرسول، وكل أديان الطواغيت سواء، إذ أننا نجد نفس هذه الأحاديث نقلها رجال دين طاغوت المسلمين مع بعض التعديل عليها في صحيح البخاري وتحت باب (حب الرسول، من الإيمان) نجد الحديث رقم ١٥ عن انس قال: قال النبي،: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين» وهذا الحديث كما ترون هو نقل كامل من الإنجيل المحرف وليس في القرآن مثل هذا الكلام أبداً. (من أحب أباه أو أمه أكثر مني فلا يستحقني، ومن أحب ابنه أو ابنته أكثر مني فلا يستحقني) متى الاصحاح العاشر الفقرة ٣٧ .

فمصلحة السلطان نجدها دائماً وراء كل ما نراه من أديان مطبقة في الأرض باسم الله تعالى ورسله المكرمين، والشيطان لم يتغير فهو موجود عند كل السلاطين بلا أي فروق، لذلك فالغشاوة التي تمنع إدراك الحقائق أو رؤيتها تأتي من الإيمان بأحاديث كاذبة تمنع المؤمن بها من رؤية حقيقة المسيح أو حقيقة محمد عليهما الصلاة والسلام أو معرفة الله معرفة حقيقية، مثلاً المؤمن قبل اشراكه كان يؤمن بكتاب حقيقي واحد فيه صفات الله الحقيقية، والكتاب أتى به الرسول الأمين وبلغه بأمانة مطلقة وهو يحوي كل البراهين الدامغة أنه من الله، بدليل أن الناس جميعاً يعجزون عن تأليف كتاب شبيه به وفيه حقائق علمية ليست من معلومات الناس.

إن الذي يؤمن عن طريق الهوى (الحب) ويجعل سبيله الأوهام لا يريده الله تعالى، لأنه سرعان ما يعود إلى الإشراك بالله مع أول شيطان يصادفه في الطريق والله تعالى لم يخف عنا تلك الحقيقة بل قال علناً:

﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

وهؤلاء أكثرهم لا يسمعون ولا يعقلون لأنهم قد استغنوا عن عقولهم فلا يستخدمونه:

﴿أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون﴾ ٤٤ ـ الفرقان.

وهؤلاء يتبعون الظنون ولا يتبعون العلوم:

﴿وما يتبع أكثرهم إلا ظناً﴾ ٣٦ ـ يونس.

والله تعالى قال لنا في كتابه أنه الحق وأن سبيله هو العلم فمن آمن بالحق والحقائق آمن بالله ومن جعل سبيله العلم أصبح على سبيل الله، وهذان لا يتحققان إلا بالعقل والفكر الذي لا يقبل عن البراهين والأدلة العلمية بديلاً، بينما الذي يؤمن بالحب والظن آمن بإله وهمي لا وجود له وهو على سبيل الأوهام وأصبح يعبد إلهاً مزيفاً حتى ولو قال عنه أنه الله وشهد بالشهادتين، الشهادات باللسان لا تغير الحقائق تماماً كما أن الشهادات العلمية لا تصنع عالماً، المهم ماذا في فكره، هل فعلاً كل ما عنده علوم وقوانين علمية وعلاقات رياضية يمكن البرهان عليها، أم أن كل ما عنده ظنون في ظنون وينهي حديثه إن كان متواضعاً بكلمة والله أعلم، شهادة منه أنه يقول بما لا يعلم وبراهينه هي الثقة برواة الرواية، مع إهمال اختلاف متن النصوص، وأدلته حلف الأيمان أو يقول لك (أنا قلبي دليلي) ويقول عن شخص مثلاً أنا أعلم أنه صادق، أو يقول: إن المنافق والكاذب تظهر على وجهه علامات الكذب والنفاق، ليس في العلم مثل هذا الكلام الذي لا وزن له بل العلم يقول أن الممثل يستطيع أن يدعي حتى الملامح، وإبليس ما كان إبليساً إذا كان سيأتي إلى الناس وقد كتب على جبينه أنه كافر كما نجد في أحاديث عجيبة تروى عن الرسول الكريم، والأعجب أن الذين يروونها لا يعرفون معنى ما يقولون مثل الحديث التالي في صحيح الإمام مسلم، وهو واحد من عشرات الأحاديث المشابهة له والحديث يأتي في تسلسله بعد الحديث ٢٩٣٢ المسلسل ٩٩ باب ذكر الدجال وصفته وما معه، عن خمس رواة موصولة بابن عمر أن رسول الله، ذكر الدجال بين ظهراني الناس فقال: «إن الله تعالى ليس بأعور إلا أن المسيح الدجال أعور العين اليمنى كأنه عينه عنبةً طافيةً».. وفي الحديث رقم ٢٩٣٣ إضافة للحديث: «ومكتوب بين عينيه كَ فَ رَ». إن هذا الحديث أصله من الإنجيل المحرفة والمقصود به هو التالي «فإن قال لكم أحد عندئذ، ها إن المسيح هنا أو هناك فلا تصدقوا فسوف يبرز أكثر من مسيح دجال ونبي دجال» إنجيل متى الإصحاح ٢٤ ـ الفقرة ٢٤.

ولكن الأمور لم تبق في دين المسيحية على ما كتبه متى أو غيره من صحابته بل حرف الحديث السابق بما يلائم الإضافات الجديدة فصار كما يلي «إن قال لكم أحد عندئذ ها إن الله هنا أو هناك فلا تصدقوا فسوف يبرز أكثر من مدع بأنه الله (المسيح) فالله (المسيح) ليس بأعور كما تعلمون إنما المسيح الدجال الذي يدعي أنه الله (المسيح) هو أعور العين اليمنى ومكتوب على جبينه أنه كافر (كَ فَ رَ»). وفي بعض الأناجيل نجد أن على جبينه الرقم (٦٦٦) وهو رمز الشيطان عندهم. هذا الحديث ليس له علاقة

بالإسلام ولا بعقائد المسلمين، ولو كان المسلمون يتقون الله ويخشون يوم لقائه لتركوا هذا البهتان وعادوا إلى كتاب الله الصحيح الذي هجروه.

والله تعالى لا يريد من المؤمنين أن يحرفهم شيطان عن دينهم وعن عبادة ربهم الحقيقي بل يريد المؤمنين الذين آمنوا به عن علم مع طلب للأدلة وللبراهين واطمأنت قلوبهم لله وعرفوا الشيطان وأساليبه، وهم يعلمون أن الله تعالى يفتنهم عن دينهم في كل عام مرة أو مرتين ليتأكد من صدق إيمانهم وعن عدم غفلتهم ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ ١٢٦ - التوبة.

ويوم القيامة سوف يقفون وهم يتلاومون والمستضعفون في الأرض من الذين أشركوا مع أبالسة السلاطين من رجال دينهم سوف يقولون ﴿وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعاً فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شيء فقالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص﴾ ٢١ - إبراهيم.

وكان طلب إبليس قد شرحه الله تعالى في الآيات التالية ﴿قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال فالحق والحق أقول * لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين﴾ ٧٩ - ٨٥ - ص.

وحتى نفهم الآية التي بدأنا بها موضوع بحثنا لابد أن نضرب عليها الأمثلة لإظهار رؤية المؤمن الحقيقية حين يعتمد في إيمانه على العلم والقرآن والبرهان والدليل. ومقارنته مع المؤمن المعتمد في إيمانه على عاطفة الحب والظن والأوهام المستندة على الأحاديث في شرح الدين، وقلنا أن الله تعالى قد اشترط أن يكون إيمان العبد مستنداً على صخرة العلم في الأرض المتماشية مع معجزة الله العلمية وهو حبل الله المتين للعالمين (كتاب القرآن) فرعه في الأرض وأصله محفوظ في السماء، لينبت به سبحانه شجرة الإيمان الطيبة، ليكون أصلها في الأرض ليعود فرعها إلى السماء بعكس شجرة الشيطان الخبيثة التي سوف يجتثها الله سبحانه من الأرض قبل يوم القيامة كما وعد سبحانه بإظهار دينه للعالمين.

والمؤمن لا يشرك بالله وبكتابه كتاباً أو سنة أو حديثاً أو شفاعةً وهذا هو المقصود بوصية الله أن لا تشرك بالله شيئاً.

إن دين السلطان مبني من أساسه على الخطأ لأنه دين مزيف لصاحب السلطة

مصلحة خاصة في تحريفه وجعل شرعه يتماشى مع أهوائه وشهواته لتطويع شرع الله لمصلحته افتراء وظلماً للناس، وهذا هو الذي يهمه من الدين كله. وهذا الموضوع حصل في كل أديان الأرض والذي يقرأ القصص القرآني يجد أن ذلك قد تكرر في كل الرسالات بدون أي استثناء لدين أو لرسول. فلماذا إذاً نكابر ونظن أننا لوحدنا الحالة الشاذة الوحيدة مع أن الدليل موجود في نصوص ما نحمله من دين وما فيه من تناقض صريح مع نصوص الله الصحيحة التي لا تقبل الغلط ولا الاختلاف ولا التناقض.

- دين القرآن يأمر بالعدل والمساواة بين الناس أمام شرع الله وقانونه المتماشي مع أعراف الناس وقوانينهم الاجتماعية دون تجاوز حدود الله.
- دين الحديث يقسم الناس إلى فئتين فئة الرعاة وبيدهم كل شيء وفئة الرعية وليس لهم أي حقوق أبداً إلا الطاعة العمياء حتى من غير تظلم.
- دين القرآن يعتبر القرآن دستوراً وقاعدة لكل المسلمين وهو المرجع أساسي ولا مرجع غيره لمعرفة حدود الله في الإسلام.
- دين الحديث يعتبر الحديث هو الأساس لفهم القرآن وتأويله وشرحه بما يناسب صاحب السلطة والدليل مناقضته الصريحة لأحكام الله وشرعه وعقائده وحدوده مع ادعاء رجال دين السلطة بعدم تناقضه مع كتاب الله.
- دين القرآن جعل الناس في العالم أحراراً من عبودية الناس لأنهم جميعاً عباد الرحمن، والإنسان لا يستطيع أن يكون عبداً مخلصاً لسيدين.
- دين الحديث (الطاغوت) جعل الناس جميعاً عبيداً للسلطان ووضع أحاديث مفتراة تناقض كل ما أتى به الرسول من رسالة صادقة من رب العالمين.
- دين القرآن جعل مشيئة الإنسان كاملة في اختيار الكفر أو الإيمان ـ الشيطان أو الرحمن بإذن مسبق منه تعالى حتى يحمله المسؤولية كاملة نتيجة اختياره.
- دين الحديث يعتبر أن الإنسان لا حرية له ولا حقوق وكل شيء مكتوب له سلفاً ومقدر عليه واستعباد السلاطين له وظلمهم إياه مقدر ومكتوب ومن الناحية الدينية هو غير مسؤول عن أعماله وأفعاله لأنه مسلوب الحرية أساساً. فهم خاطىء ومقصود لعبودية الله من أجل تحقيق مصلحة صاحب السلطة للتسلط على العباد من غير وجه حق.

- دين القرآن يرى نفس الرجل مساوية لنفس المرأة بدون أي فرق بين النفسين.
- دين الحديث يرى أن المرأة مجرد أداة للمتعة أو وسيلة لإنجاب الأولاد والدين من أساسه هو دين للرجل القوي الغني (صاحب السلطة) أما المرأة فهي من وجهة نظر هذا الدين تساوي قيمة الحمار والكلب (استشهدت بأحاديث يعتبرها المسلمون صحيحة عن هذا الموضوع في كتاب دين السلطان).
- دين القرآن يرى أن العمل هو العمل الذي يقوم به الإنسان في الأرض ويؤجر عليه خدمة للناس ويشترط أن يكون صالحاً مفيداً.
- دين الحديث يعتبر الصلاة عمل والصوم عمل والحج عمل والإيمان المجرد عمل وحك الأذن عمل ولا يميز العمل عن الحركات والأفكار وهذا مقصود لطمس قيمة العمل والإنتاج في أمة كاملة حرفها حاسدوها.
- دين القرآن يعتبر الجهد الإنساني الذي يقدمه الإنسان لإعلاء كلمة الله ودينه ويساهم فيه بنفسه فقط أو بنفسه وماله معاً أو بماله فقط هو الجهاد. والجهاد في الإسلام بهذا المعنى هو الدعوة لله وللحق والقيام بتبليغ كتاب الله ورسالته بشرى للعالمين أو إنذاراً للناس بالحكمة والموعظة الحسنة.
- دين الحديث يعتبر الجهاد هو القتال في سبيل الله من أجل نشر الإسلام بالسيف دون أن يستطيع الذي يؤمن بالحديث أن يميز أن الإسلام أصلاً هو رسالة حب وسلم وسلام وتخليص للإنسان من جميع أشكال عبودية العباد والوصول به إلى وحدة الإنسانية التي يحكمها العلماء المتقين الخاشعين ويتوقف فيها القتال وسفك الدماء لأول مرة في تاريخ الإنسان.
- دين القرآن يستند إلى كتاب مُبينٍ واضح بذاته وفيه آيات بينات ومُبينات ومُفصلات وفيها فَصَّلَ الله كل شيء تفصيلاً ولم يفرّط سبحانه عن ذكر أي موضوع هام لأنه سبحانه لا ينسى ولا يسهى مثل مخلوقاته والكتاب ليس فيه تناقض أبداً.
- دين الحديث يعتبر الأساس في فهم القرآن هو الحديث فهو الذي يؤوِّل وهو الذي يُفسِّر وهو الذي يُفصِّل وهو الذي يشرح وهو الذي ينسخ من القرآن ما لا يعجبه.
- دين القرآن لا يقول إلا بسنة الله.

- دين الحديث لا يقول إلا بسنة محمد (والغاية هي حرف الناس عن الحقيقة).
- دين القرآن لا يعترف إلا بحديث الله ويستنكر كل الأحاديث الأخرى.
- دين الحديث لا يعترف إلا بحديث محمد.
- دين القرآن لا يعترف إلا بهدي الله وحده.
- دين الحديث لا يعترف إلا بهدي محمد.
- دين القرآن لا يعترف إلا بشفاعة الله وحده.
- دين الحديث لا يعترف إلا بشفاعة محمد.

وهكذا إذا تابع المسلم وهو يقارن دين الله مع ما رواه المحدثون لوجد في النهاية أنهما دينان متناقضان تناقضاً كاملاً لا يجتمعان إلا بالاسم والادعاء، أحدهما بزعامة الله تعالى ورسوله الكريم وهو ما نجده في كتاب القرآن إلى اليوم وهو دين الله الصحيح الذي عليه البراهين والذي بلغه الرسول الأمين بأمانة مطلقة، والثاني دين ألفه فقهاء السلاطين في فترة غفلة المسلمين في العصور السلطانية الأموية منها والعباسية والعثمانية وهو دين مزيف مناقض للدين الحقيقي، والله ورسوله بريئان منها تماماً وظيفتها أن تكون بمثابة غشاوة تمنع الإنسان الذي يؤمن بها مهما كان مثقفاً أو متعلماً من رؤية الحقائق الدينية الموجودة في القرآن الكريم الذي فيه دين الله الصحيح القائم على العلم والقوانين الرياضية وصراطه المستقيم، وقد قال الله تعالى مذكراً المسلمين ومخاطباً رسولها الأمين ومذكراً المسلمين بعدم وجود هدي لمحمد ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ - البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

هل يقر القرآن بالعبودية؟
ما هو موقف القرآن الكريم من العبودية لغير الله في الأرض؟

إن القرآن نزل من السماء في أوائل القرن السابع الميلادي وكانت العبودية من أعراف الناس منتشرة في كل بقاع الأرض معروفة من جميع الأمم على اختلاف قومياتهم ولغاتهم وقاراتهم. وبما أن الكتاب حفظ بإذن الله تعالى ومشيئته إلى اليوم بدون تحريف والله تعالى بموجب آيات القرآن يسعى إلى تأسيس أمة إنسانية إسلامية واحدة في الأرض مع إنهاء عهود الظلم وسفك الدماء بدليل قوله تعالى على لسان الملائكة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ ٣٠ ـ البقرة. فماذا كان جواب رب العالمين لهم ﴿قال إني أعلم ما لا تعلمون﴾ ٣٠ ـ البقرة.

إن وجود هذه الآية مع ما يستنتجه القارىء الملاحظ لآيات الله تعالى في القرآن من خلال القصص القرآني وكيف بدأ سبحانه التاريخ البشري على الأرض منطلقاً من أمة واحدة متحدة على الغرائز وحدها، إلى أن اصطفى منهم آدم وأضاف عليه مما يشاء من خلقه ونفخ فيه من روحه شيئاً هو عقل الإنسان ومنطقه وأسلوب تفكيره بدليل قول الله تعالى ﴿ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه﴾ ٤ ـ الأحزاب. علماً أن القلب في لغة القرآن لم يرد إلا بمعنى مركز التفكير والذكاء والذاكرة. ثم منحه سبحانه حرية الفكر مع القدرة الكافية من الإرادة للاختيار والتطبيق لما تم اختياره من سبيل.

﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وجعل في نفس الإنسان إمكانية الاتجاه على سبيلين متعارضين:

﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾ ٨ ـ الشمس.

ثم أرسل الرسل من بعد الرسل مساعدة للإنسان ورحمة له من ربه الذي لا يُضِل إلا الإنسان الذي يختار الفجور على التقوى فيظلم نفسه ويظلم غيره معها، وأكد سبحانه أنه كرَّم نسل بني آدم كلهم ﴿ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر﴾ ٧٠ ـ الإسراء. ومن دلائل تكريم الله للإنسان أنه

طلب من باقي مخلوقاته السجود والطاعة له. ﴿ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس﴾ ١١ - الأعراف.

وغضب سبحانه ولعن الذي رفض السجود له تكبراً وهو إبليس. وقال سبحانه كما رأينا في آية البقرة السابقة ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ٣٠ - البقرة. والخليفة هنا بمعنى أن الإنسان سوف يخلف الله تعالى في الأرض لإصلاحها والعمل والعمران فيها، وهو تكريم عظيم من الله تعالى لم يمنحه مثلاً للجن أو لغيرهم من مخلوقاته مثل الملائكة الذين لافضل ذاتي لهم على الخير إن فعلوه لأنهم مأمورين ولا خيار لهم وليس فيهم قدرة الرفض أو القدرة على الاختيار بين نقيضين كما في الإنسان، وبما أن الله تعالى يسعى للوصول بالإنسانية إلى شكل من الاتحاد أو الوحدة تختفي فيها الخلافات العرقية والعنصرية فيما بينهم مع المفاخرات القومية إلى أمة من المتقين واحدة، وأقسم أنه سوف يصل إليها وهي مشيئة الرحمن الذي على كل شيء قدير وهو القوي العزيز سبحانه ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ - المجادلة. وتعهد سبحانه أنه سوف يظهر هذا الدين على الدين كله وهو دين العالمين الوحيد الذي أرسل من الأساس ليكون للناس كافة ﴿هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ٣٣ - التوبة.

ومن الملفت للنظر أن هذه الآية بالذات قد تكررت في ثلاث آيات بينات حرفياً وكأنها ثلاث أقسام من الله تعالى تأكيداً على هذا الموضوع بالذات، ونجد هذه الآيات الثلاث في سورة التوبة وسورة الفتح الآية ٢٨ وسورة الصف الآية ٩ وإذا علمنا أن الرسول الكريم لم يبلغ هذا الدين للعالمين ولا لكافة الناس بعد وعلمنا أن آيات الجهاد سلمية وهي كلها دائمة تدعوا كل المؤمنين بدين القرآن أن ينشروه ويبلغوه بالحكمة والموعظة الحسنة للعالمين، بعدها نتأكد أن دور الدين كله لم يبدأ بعد حتى ينتهي، لا بل أن كل الدلائل تشير أن دوره سوف يبدأ الآن بعد أن ظهرت معجزات آيات الله التي حار فيها القدماء وألفوا عليها الروايات افتراء على الرسول في تأويلها، وهم يقولون بما لا يعرفون، الآن بدأت آيات الله تعالى تتكشف واحدة بعد أخرى في عصر العلم مُبيّنَةً تحريف القدماء وبراءة الرسول الكريم من كل محرفاتهم المناقضة لما ورد منها في القرآن من إعجازات علمية، وبعد أن علمنا أن القرآن كتاب لا مثيل له بين الكتب. وليس في دين الإسلام رجال دين بمعنى الوسطاء والوكلاء ليكون وظيفتهم شرح القرآن أو تفسيره

أو تأويله لأن هذه الأمور إذا قام بها إنسان معناه أنه استولى على كلمة الله في الأرض وهذا ليس من حق إنسان أبداً ولا حتى الرسل فالله لم يسمح أن يكون رسله وكلاء عنه يتكلمون باسمه ويشرحون كتبه للناس باسمه بل وظيفة الرسل كانت تنتهي بالتبليغ:

﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ ٩٩ ـ المائدة.

وليس الرسول وكيل عن الله له الإذن بالتكلم نيابة عنه أبداً:

﴿قل لست عليكم بوكيل﴾ ٦٦ ـ الأنعام.

﴿وما جعلناك عليهم حفيظاً وما أنت عليهم بوكيل﴾ ١٠٧ ـ الأنعام.

والرسول ليس له من الهداية شيء بل الهداية لله تعالى وحده وهو المرجع الوحيد للهداية عن طريق كتابه ورسالته في الأرض.

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ ـ البقرة.

وكذلك ليس للرسول من بعد التبليغ من الأمر شيء:

﴿قل إن الأمر كله لله﴾ ١٥٤ ـ آل عمران.

﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ ٣١ ـ الرعد.

﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ١٢٨ ـ آل عمران.

والرسول الأمين قام بما عليه بعد أن كتب كتبة الوحي القرآن كما أنزله الله وأمره جبريل بالوحي أن يرتبه الترتيب النهائي الذي لا اختلاف عليه اليوم وأحرف القرآن كاملة لا ينقصها ولا يزيدها حرف بدليل الإعجاز العددي، كل هذه الأمور معاً تشير إلى أن القرآن الكريم سوف يبدأ دوره الآن وفي هذا العصر على يد كل المؤمنين بالله وبالقرآن.

لنحاول إذاً أن نفهم من خلال آيات القرآن الكريم كيف يشير سبحانه أنه لا يقر بعبودية الإنسان في دينه على الأرض.

وآيات القرآن حية تتماشى مع كل زمان ومكان وليس لها أسباب نزول إلا في حالات خاصة نادرة منها الأمور الشخصية التي كانت للرسول الكريم ولعصره، أما باقي الآيات فيجب أن يقرأها المسلم وكأنه يسمعها مباشرة بصوت الرسول الكريم بعد أن تلقاها من الوحي مباشرة، فعندما نقرأ ﴿قل إني أمرت أن أعبد الله مخلصاً له

الدين﴾ ١١ ـ الزمر. نعرف أنه لا يمكن للإنسان إلا إذا كان حراً متحرراً أن يخلص في عبادة الله، لأن العبد الذي له سيد آخر وهو مالكه من الإنس سوف يوزع عبوديته بين سيدين، ولا يمكن لإنسان في الأرض أن يخلص لسيدين أبداً إلا لسيد دون الآخر. إذاً فهذه الآية وحدها تلغي العبودية لغير الله تعالى وتحضرني في هذه المناسبة أقوال السيد المسيح عليه السلام مما يطابق هذا الكلام ولا يناقض ما أتى به الرسول من دين في إنجيل متى إذا كان صحيحاً «لا يمكن لأحد أن يكون عبداً لسيدين»؟.

نعود إلى آيات القرآن الكريم، ويجب أن نفهم من خلال آياتها أن معنى العبادة هي الطاعة لصاحب الملك، وباعتبار أن الله تعالى له ما في السموات وما في الأرض، ومنها الإنسان يدخل الإنسان كمخلوق من عباد الله بالملكية له تعالى، ولكن لما شاء الله تعالى وأذن للإنسان بحرية الاختيار لمعبوده، فهو إما أن يعبد الله باختياره فيكون عبداً لله وحده لا شريك له، وإما أن يكون عبداً للسلطان باسم الله نتيجة إشراكه من دون أن يعلم فيكون عابداً للشيطان وهو يظن أنه يعبد الله، وهذه الحالات كلها نجدها في الآيات التالية فالذين يعبدون السلاطين يقول تعالى عنهم ﴿ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً ولا يستطيعون﴾ ٧٣ ـ النحل.

والذين تركوا عبادة السلاطين وعادوا لعبادة الله الواحد الأحد يقول سبحانه عنهم ﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى﴾ ١٧ ـ الزمر. وكذلك نجد في المثال التالي أن العبد إذا كان يملكه عبدٌ آخر من عباد الله يعجز أن يكون عبد الله تعالى، لأنه عاجز عن تقديم أي شيء للبرهان على عبادته، فهو لا يستطيع أن يأمر بالعدل وهو تحت نير العبودية ولا يستطيع أن يدفع الزكاة لأنه مملوك وليس له حق الملكية أصلاً. أما الحر الذي عنده رزق من الله هو القادر على أن يكون عبداً مخلصاً لله نجد كل ذلك في المثال التالي ﴿ضرب الله مثلاً عبداً مملوكاً لا يقدر على شيء ومن رزقناه منا رزقاً حسناً فهو ينفق منه سراً وجهراً هل يستوون الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ٧٥ ـ النحل.

هذه الآية وحدها تبرهن على أنَّ العبودية مرفوضة من أساسها في عرف الله تعالى إلا لله تعالى وحده لا شريك له فيها، ولذلك نجد الآيات التالية تؤكد على نفس المعنى ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم﴾ ٧٧ ـ الحج.

والمؤمن الصحيح لا يمكن أن يكون عبداً إلا لله وحده ولا يمكن أن يكتمل إيمان

الإنسان إلا إذا كان حراً. أما الذين يتبعون الشياطين فهم عبيد للشيطان وحده. لذلك يقول الشيطان لربه ﴿وإن يدعون إلا شيطاناً مريداً * لعنه الله وقال لأتخذن من عبادك نصيباً مفروضا﴾ ١١٧ - ١١٨ - النساء.

أما عباد الله تعالى فلا يمكن أن يكونوا عبيداً لأحد غير الله، وهذا ينفي وجود العبودية في الأرض أصلاً لبني آدم جميعاً، لأن العبد المملوك لم تعد له حرية التصرف كما رأينا في مثال الله تعالى، والله تعالى يقول للشيطان ﴿إن عبادي ليس لك عليهم سلطان﴾ ٤٢ - الحجر.

فإذا ادعى أي إنسان حق الملكية لأي إنسان ظاناً بأن الله تعالى قد سمح بالعبودية في الأرض يكون قد سلب ابن آدم التكريم الذي منحه لأبيه آدم بإسجاد الملائكة له، فكيف تسجد الملائكة لمخلوق ثم نجعل من أبنائه عبيداً يملكهم الآخرون، هذا ظلم لا يقبل به الله تعالى في شرعه، وهذا ما أحاول الآن بيانه وبرهانه من خلال آيات القرآن. أما الذي كان في عهد نزول القرآن الكريم من عبودية تعارف عليها الناس نتيجة جهل وجهالة وظلم من الإنسان لأخيه الإنسان، ولكن بظهور العلم والقرآن يختفي الظلم من الأرض تدريجياً والإنسان حرٌ من الأساس وهو مستخلف في الأرض باسم الله تعالى، ولا يستطيع ادعاء ملكيته عبد من عباد الرحمن، وهذا هو مبدأ الله تعالى المبيَّن في كتابه المبين، وبما أن الطاعة الكاملة لا تكون إلا لله تعالى دائماً وباسمه لا يجوز لإنسان أن يطيع إلا من أطاع الله، أي أن طاعة الإنسان لولي الأمر تكون من الأساس طاعة وعبودية لله وحده.

لنفرض أن ولي الأمر أمر بما ينافي ويناقض كتاب الله فأمره مرفوض، وإذا كان الآمر عاصياً لله كذلك أيضاً أمره مرفوض لذلك يقول سبحانه وتعالى في كتابه المبين ﴿ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه﴾ ٢٨ - الكهف.

وهكذا كل ما نجده من أحاديث سلطانية في صحيح البخاري ومسلم تأمر عباد الله بالطاعة العمياء سواء فَجَرَ السلطان أو ظلم واستبد بالعباد لا أساس لها في دين الرحمن والدليل هو القرآن.

وكل سلاطين المسلمين إذا استثنينا الخلفاء الراشدين الأربعة وأضفنا عليهم عمر بن عبد العزيز ليصبح عددهم خمسة، قد كانوا من الذين اتبعوا هواهم وطاعتهم مرفوضة واتبعهم المسلمون جهلاً وجهالة، لذلك إذا دققنا في آيات الطاعة والعبودية نكتشف

أن المسلم لا يمكن أن يقبل بدين الحديث الذي يؤيد الملوك والسلاطين، ويفرض الطاعة لهم باسم الأحاديث النبوية المفتراة، لتطويع المسلمين ظلماً وافتراء، فالنظام الوحيد الذي يقبل به الإسلام هو نظام الانتخاب (الشورى) الأمة تنتخب ممثليها وممثلو الأمة ينتخبون منهم رئيسهم، ومن حق ممثلي الأمة عزلهم إذا انحرفوا أو توقفوا عن تطبيق سنة الله وشرعه وحدوده ودستوره ودخلوا في معصية الخالق، وأفضلية الترشيح دائماً للأتقى والأحسن من كبار المجاهدين والعاملين على نشر الدعوة الإسلامية السلمية بأموالهم وبأنفسهم وليست لهم طموحات وأهواء دنيوية تتفوق على طموحاتهم في الآخرة. ﴿فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة﴾ ٩٥ ـ النساء. ﴿الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله﴾ ٢٠ ـ التوبة.

والمجاهد الإسلامي الذي يعلم أن الجهاد في الإسلام سلمي لا يتقاعس أيضاً ولا يسكت عن ضيم، لأن الله تعالى عزيز يحب عباده أن يكونوا أعزة فيقاتلون المعتدين عليهم في عقائدهم وفي أموالهم وأعراضهم وحرياتهم وحقوقهم.

وكذلك للعلم والمعرفة دور كبير جداً في الأمور القيادية:

فإذا كان العالم الحقيقي تقياً مجاهداً بلغ أعلى الدرجات «والعالم هنا ليس هو الفقيه في الدين والشرع الإسلامي وحده». ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ ١١ ـ المجادلة.

بعد هذه الآيات وبعد أن فهمنا الخطة العامة للإسلام لابد لنا من العودة إلى الآيات التي ذكر الله تعالى فيها ملك اليمين تمييزاً عن الملكية العامة:

﴿قد علمنا ما فرضنا عليهم في أزواجهم وما ملكت أيمانهم﴾ ٥٠ ـ الأحزاب.

فهل يقر الله تعالى ملك اليمين هذا كعرف من أعراف الناس أم يستنكره لأنه لا يتماشى أصلاً مع مبادىء الله في حرية الإنسان المخلوق المكرم منه سبحانه عن باقي مخلوقاته في العالمين؟ إذا عدنا إلى نموذج السبع المثاني الذي اعتبره سبحانه نموذجاً لقرآن الأجيال القادمة وما ينطبق عليهم من أحكام وأعراف نجد أن الله تعالى قد استثنى السور السبعة فلم يورد فيها آية واحدة تحوي على كلمة ما ملكت أيمانكم أو يقر فيها بملك اليمين لعلمه سبحانه أن ذلك عرف سوف ينتهي من الأرض مع تطور عقلية الإنسان مع الزمن، والله سبحانه يعلِّم عباده عن طريق الأمثال والمجاز للأمور الفكرية التي تحتاج

إلى درجة أعلى من التفكير، لذلك سبحانه يقول في نهاية الأمثال غالباً مشيراً إلى فئة خاصة من الناس وهم العلماء الحقيقيون:

﴿وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون﴾ ٤٣ ـ العنكبوت.

ومن تلك الأمثال المثل التالي ﴿ضرب لكم مثلاً من أنفسكم هل لكم من ما ملكت أيمانكم من شركاء في ما رزقناكم فأنتم فيه سواء تخافونهم كخيفتكم أنفسكم كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون﴾ ٢٨ ـ الروم.

والله تعالى يسأل الناس هل تقبلون أن يشارككم أحد من عبيدكم فيما تملكون؟

فكيف إذاً تقبلون أن تكونوا شركاء لله فيما يملك فالله تعالى له ملكية العباد وحده فكيف تدعون بالشراكة لهذه الملكية مع الله سبحانه وتعالى، وكيف تطلبون أن يقبل الله تعالى ما يرفضه منطقكم في الملكية، أما ملكية الأشياء من أموال وأرزاق فالله تعالى يبينها ويفصلها عن ملكية العباد للعباد:

﴿وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء﴾ ٢٥١ ـ البقرة.

والملكية هي ملكية الأشياء في الأرض حتى يرثها الله من عباده يوم القيامة:

﴿قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء﴾ ٢٦ ـ آل عمران.

وهذه الملكية هي الملكية للأبنية والأنعام وهو ما أمره الله الإنسان في الأرض:

﴿واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون * أمدكم بأنعام وبنين﴾ ١٣٣ ـ الشعراء.

﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون﴾ ٧١ ـ يس.

وتمييزاً عن تلك الملكية يتكلم سبحانه عن ملكية الأعراف السائدة التي لا يقرها الله أصلاً في الإسلام يسمي تلك الحالة بملكية اليمين أو ما ملكت أيمانهم، لأن العبودية كلها ناتجة عن تسلط الناس على الناس فيبيع القوي المستولي على الأسير أو الأسيرة بقوة يمينه في سوق النخاسة الإنسان مقابل ما يدفعه الشاري من مال، والإسلام دين عملي جاء ليعالج واقعاً حياتياً يعيشه الناس في الأرض والناس جميعاً بلا استثناء كانوا في وقت نزول القرآن متعارفين على العبودية، ولكن الله تعالى لم يعترف بها وتحاشى أن يعترف بالعبودية ورمز له غالباً بملك اليمين أي الإنسان الذي تبع إنساناً آخر نتيجة قوة قاهرة من يد أعلى من يده وأقوى، سماه ملك اليمين أو ما ملكت أيمانكم. وأسبابها كثيرة، الدائن كان يأخذ أسرة المدين كلها إذا عجز عن دفع ديونه بحسب بعض

الأعراف، والمنتصر يأخذ من غلبهم من الأمم الأخرى أسرى حرب فيدخلون إلى العبودية ويأخذ النساء والأطفال سبايا وعبيد والرجل يخطف ولَداً أو بنتاً ويهرب به أو بها إلى بلد بعيد يبيعه مقابل مال وهكذا.

والإسلام الذي طبق في عصر الرسول الكريم كان نموذجاً سريعاً لإسلام الرسالة ولكن عندما يبدأ الناس جميعاً في الأرض يؤمنون بكتاب الله بعد ظهور معجزاته وظهور العلماء الذين يستطيعون فهم كتاب الله تعالى وتفصيلاته وبيان آياته، الأمور عندها ستختلف عن إيمان الأميين الذين آمن أغلبهم حباً بالرسول الكريم وحباً بأخلاقه وبالدين الكريم الذي بشر به رحمة للعالمين، والله تعالى حمى أولئك المؤمنين من الشياطين وفتنتهم طالما بقي الرسول الكريم مرشداً وآيات الله تعالى تتنزل عليه تباعاً ليكون لها تأثيرها عليهم وإبعادهم عن سبل الضلال والشيطان، وكذلك تابع أصحاب الرسول الكبار من الخلفاء الراشدين الذين فهموا تماماً رسالة الإسلام وعرفوا الحق وميزوه عن الباطل، فحموا أيضاً أنصارهم وأصحابهم من الضلال في حياتهم، ولكن الأمور تبدلت سريعاً بعد عودة أصحاب الدنيا وأتباع الشهوات ليتصدروا في الحكم ولاية أمور المسلمين فأعادوا الناس إلى دين آبائهم الأولين بالتدرج، والله تعالى لم يقل في كتابه العزيز ثلاث مرات وهو يقسم ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ٣٣ ـ التوبة.

لمجرد أنه سوف يطبقه سبحانه أربعون عاماً وفي حياة جيل واحد من أجيال الناس في الأرض، إن دين الإسلام لم يبدأ دوره بعد حتى ينتهي، ودوره قادم ولو كره كل المشركين في الأرض بمن فيهم المشركين من جميع أتباع سبل الشياطين والسلاطين، حتى في الإسلام الأول فقد وضع الله تعالى أسس وقواعد لإنهاء الرق والعبودية من أعراف الناس بدليل قوله تعالى ﴿والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم إن علمتم فيهم خيراً وآتوهم من مال الله الذي آتاكم﴾ ٣٣ ـ النور.

أي إذا طلب العبد حريته يجب على المؤمن أن يحرر عبده بدون مقابل ويعطيه مالاً لأن الإنسان بلا مال يبدأ به حياته لن يتحرر من العبودية أصلاً، فالفقر الشديد هو نوع من أنواع الاستعباد في الأرض من قبل المترفين الأثرياء الذين يمنعون الماعون، والله تعالى جعل كل الكفارات في الإسلام في فترة وجود العبودية هو تحرير عباد الله من عبودية الإنسان للإنسان ليعودوا عباداً للرحمن وحده.

﴿ومن قتل مؤمناً خطئاً فتحير رقبة مؤمنة﴾ ٩٢ - النساء.

والمعادلة واضحة المؤمن قتل نفساً مؤمنة فيحيي فيما يقابلها نفساً مؤمنة أخرى لأن العبودية في منظار الله تعالى تعادل الموت وقتل حقوق الإنسان وكرامته:

﴿فإن كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة﴾ ٩٢ - النساء

﴿وإن كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة إلى أهله وتحرير رقبة مؤمنة﴾ ٩٢ - النساء.

﴿لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الأيمان فكفارته إطعام عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون أهليكم أو كسوتهم أو تحرير رقبة﴾ ٨٩ - المائدة.

﴿الذين يظاهرون منكم من نسائهم ما هن أمهاتهم إن أمهاتهم إلا الائى ولدنهم وإنهم ليقولون منكراً من القول وزوراً وإن الله لعفوٌ غفور * والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا فتحرير رقبة من قبل أن يتمآسا ذلكم توعظون به والله بما تعملون خبير﴾ ٢ - ٣ - المجادلة.

وعباد الله إذا ضلوا عن سبيل الله خرجوا من ملكية الله إلى ملكية عباد الله كما نجد في الآية المبنية على لسان الهدهد من الطير. يقولها الله على لسان الطير ليرمز إلى أن الإنسان لم يتوصل إلى تلك الحقيقة والرؤية التي فيها العلم والإحاطة بواقع الإنسان، خاصة إذا ضل ووراءه مرشد للضلال من الكافرين من أتباع السلاطين من شياطين الأرض، لا حظوا كلمات الآية الرمزية التي تبدأ قبلها بعقلية السلطان المستبد الذي لا يعرف إلا التعذيب والذبح فيقف الهدهد على مسافة تسمح له أن يقول الحق لسيده: أحطت بما لم تحط به علماً.

﴿فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به وجئتك من سبأ بنبأ يقين * إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم * وجدتُها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون * ألاّ يسجدوا لله الذي يخرج الخبءَ في السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون * الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم﴾ ٢٢ - ٢٦ - النمل.

خمس آيات تشرح بتركيز شديد قصة الإنسان في الأرض بين الهدي الذي هو سبيل الله وبين الضلال على أيدي الشياطين من أصحاب المصالح، ومن فهم هذه

الآيات الخمسة فهو في غنى عن كل كتب الشرح والتفصيل مما يكتبه الكتاب والمفكرون عن الله والدين والحقيقة والإيمان أو عن الشيطان والكفر والوهم والإشراك. فالإنسان المؤمن بالله تعالى لا يقبل أن يكون ملكاً إلا لله تعالى صاحب الملك كله لا شريك له في الملك أبداً ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليٌّ من الذُّل وكبره تكبيراً﴾ ١١١ ـ الإسراء.

وإذا انتبهنا للعبارة العظيمة من تلك الآية الكريمة:

﴿ولم يكن له وليٌّ من الذُّل﴾ ١١١ ـ الإسراء.

ماذا نفهم من هذه العبارة؟ خاصة إذا استأنسنا الآيات التالية ﴿والله ولي المؤمنين﴾ ٦٨ ـ آل عمران. ﴿والله ولي المتقين﴾ ١٩ ـ الجاثية. والذي يشرك بالله حتى من دون أن يعلم يصبح الشيطان ولياً له ﴿ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾ ١١٩ ـ النساء.

وماذا عند الله ويحبه لعباده إذا كان يرفض الذل لهم ﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً﴾ ١٣٩ ـ النساء.

لنعد لجزء الآية بعد أن استمعنا لهذه الآيات من جديد ﴿ولم يكن له وليٌّ من الذل﴾ ١١١ ـ الإسراء.

كل عبد لغير الله مذلول، لذلك فالله تعالى يحب أن يكون عباده من الأحرار الباحثين عن العزة في الله ولا يريدهم من المذلولين من عبيد العباد وأتباع السلاطين والشياطين من المشركين.

وعندما قال السلطان الأكبر فرعون وهو يظن أنه أصبح إلهاً متحدياً للذي خلقه ﴿ونادى فرعون في قومه قال يا قوم أليس لي ملك مصر وهذه الأنهار تجري من تحتي أفلا تبصرون * أم أنا خيرٌ من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين * فلولا أُلقي عليه أَسْوِرَةٌ من ذهبٍ أو جاء معه الملائكة مقترنين * فاستخفَّ قومه فأطاعوه إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾ ٥١ ـ ٥٤ ـ الزخرف.

وفرعون الذي يخاطب شعبه مقارناً نفسه بموسى مبيناً أنه مدع كاذب، والفاسق: بلغة القرآن هو الإنسان الذي يخرج عن ولاية الله وأمره وذلك بترك أمر الله متبعاً هواه تكبراً واستعلاء أو اتباعاً للشيطان ضلالاً وإضلالاً.

يقع المشركون تحت تجبر السلاطين وسيطرتهم القاهرة وتصبح لهم مع الزمن صفات

مشتركة منها الخنوع والذل وعدم القدرة على الرفض مع استخفاف المتسلطين بهم وهذا ما يشرحه سبحانه في جزء الآية ﴿فاستخف قومه فأطاعوه﴾ ٥٤ ـ الزخرف.

أي على الرغم من استخفافه بهم فهم ما يزالون في طاعته، بينما المؤمنون تصبح صفاتهم معاكسة تماماً لهذه الصفات، تجدهم في عزة وإباء وشجاعة وكرم النفس وقوة مع القدرة في جميع الظروف سلماً وحرباً، لذلك لا يمكن لقائد أن ينتصر وهو يعامل جنوده معاملة العبيد إلا على عبيد من أمثالهم وخير ما أختم به هذا البحث هي الآية الكريمة:

﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ ١ ـ الملك.

صدق الله العظيم وصدق رسوله الأمين.

العبودية للرحمن.. كيف تكون؟

إن من أهم الأمور للمسلم العائد إلى رحاب الإيمان الحقيقي من جديد أن يفهم مفهوم العبودية من خلال آيات القرآن الكريم، بعد أن فهمها المسلم سابقاً عن آبائه الأولين، الذين أفهموه العبودية أنها تكون للسلطات وحده من قبل شياطين الإنس، الذين تزيو بزي ملائكة الرحمة زوراً ونفاقاً وكذباً، جاعلين السلاطين مالكين لكل شيء إذا راجعنا الآيات البينات في كتاب الله متتبعين ماورد من الآيات عن الذل والذليل نجدها في آيات غضب الله على الكافرين أو المشركين، ولايطلب الله تعالى من عباده المؤمنين به مواقف ذلك أبداً، بل يطالبهم دائماً بمواقف العز والكرامة التي تليق بالإنسان المكرم وإذا استعرضنا تلك الآيات نجدها كما في الآيات التالية:

قال في وصف صحابة موسى عليه السلام الذين فرجوتا معه من مصر ثم عبدو العجل من بعده

﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله﴾ ٦١ ـ البقرة.

وقال سبحانه متحدثاً عن الكافرين وكيف سيكون موقفهم يوم القيامة

﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذِلَّةٌ ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ ٤٤ ـ المعارك.

والله تعالى لم يطلب من عباده أن يخشعوا بأبصارهم بل طلب منهم خشوع القلوب التي هي العقول المدركة لحقيقة الرحمن.

مثلاً عندما نقرأ في الآيات البينات

﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون﴾ ١ ـ ٢ ـ المؤمنون.

لايطلب سبحانه خشوع الأبصار أبداً بل يطلب خشوع القلوب والفرق كبير جداً.

فخشوع الأبصار لايكون إلا ذلاً والله لايرضى للمؤمنين الذل:

﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة﴾ ٤٣ ـ القلم.

فأين إذاً يجب أن تتجه أبصار المؤمنين أثناء الصلاة والدعاء لله سبحانه؟

إن العبد الذي عنده سيد في الأرض يستبد به يطلب منه أن يقف أمامه ذليلاً وبصره إلى الأرض، وسيده يتصرف به كيف يشاء ويسمح له أن يقبل حذاءه إذا تكرم علبه أو

أطراف ثوبه. تكبراً وتجبراً لذاته وإذلالاً لأتباعه وعبيده، هذه هي صورة عبودية العباد للعباد، أو عبودية الشيطان لأتباعه في الأرض، لأن الشيطان من الأرض وشهواته أرضية، ومن يتبعه يذله ويخشع بصره إلى الأرض أيضاً ليبعد بصره عن السماء حيث الله تعالى وحيث الحق والعدل.

لكن الله تعالى يختلف موقفه عن هذا الموقف تماماً، فالله يطلب من عباده أن يولوا وجوههم إليه وليس إلى الأرض، والله تعالى يرمز دائماً إلى مكان وجوده بالسماء وليس في مركز الأرض.

وعندما قال الله تعالى على لسان إبراهيم

﴿إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ ٧٩ ـ الأنعام.

لم يوجه إبراهيم وجهه إلى الأرض بل إلى السماء.

وعندما تكلم الله تعالى عن فرعون الذي أخلد لما في الأرض من شهوات ولم يسموا بنفسه إلى السماء قال عنه سبحانه:

﴿واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين * ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه﴾ ١٧٥ ـ ١٧٦ الأعراف.

لذلك لاتكون العزة إلا للمؤمنين، لأن العزة كلها لله وهو مانحها والشيطان هو الذي يمنح حزبه الذل ويجعل عباده أذلة بعكس عباد الرحمن:

﴿الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا﴾ ١٣٩ ـ النساء.

﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لايعلمون﴾ ٨ ـ المنافقون.

ويعلم الشيطان أن العزة لله وحده إذ يقول تعالى على لسان ابليس:

ففقال فبعزتك لأغوينهم أجمعين﴾ ٨٢ ـ ص.

والله تعالى ينكر أن يكون أولياءه وأتباعه أولياء ذل بل هم دائماً أولياء عز وكرامة، والذليل من أتباع الشيطاني وليس من أتباع الله،

﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً لم يكن له شريك في الملك ولم يكن له وليّ من الذل وكبره تكبيراً﴾ ١١١ ـ الإسراء.

وهكذا يتبين لنا خطوة بعد أخرى أن الله سبحانه لايريد عباداً أذلاء بل عباداً أقوياء أعزاء ذوي كرامة. وجوههم مرفوعة إلى أفق السماء ولايريد عباداً أبصارهم خاشعة من الذل ووجوهم في الأرض.

والرسول الكريم عندما كان يبحث عن قبله يتجه إليها في صلاته لم يكن يبحث عن قبلة بين قدميه ليوجه إليها بصره وهو يصلي بل كان يبحث عنها في السماء، قال تعالى: ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلةً ترضاها﴾ ١٤٤ ـ البقرة.

وعندما اختار الله تعالى المسجد الحرام ليكون قبلةً للمسلمين لم يطلب منهم أن يقفوا وأبصارهم بين أقدامهم بل قال تعالى:

﴿فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام﴾ ١٤٤ ـ البقرة.

والذي يولي وجهه شطر المسجد الحرام في أي مكان من الأرض، يجب أن يستقيم في وقفته ووجهه باتجاه الأفق ونظره باتجاه السماء حيث يعلم بوجه الله تعالى، فالله تعالى خلق الإنسان وكرمه وأسجد له ملائكته حتى يجعل منه الإنسان التقي، الذي عبد الله تطوعاً وحباً، واتجه إليه بعقله وعرف أنه مصدر الخير والقوة والعزة متى أراد خيراً أو عزاً في الدنيا والآخرة.

إن كل أشكال الذل والتذلل والمسكنة التي يقفها المسلمون اليوم وهم يصلون في المساجد، تلك مواقف طلبها فقهاء السوء إرضاءً لأوليائهم من السلاطين المستبدين وتبرعوا بتدريب الأمة على مواقف الذل المطلوبة منهم أمام سلطانهم والله سبحانه وتعالى يريد لعباده المتقين مواقف مختلفة تماماً، يريدهم أقوياء أعزة كرماء النفس واليد، ووجوههم تتجه مع أبصارهم باتجاه السماء سمواً بأنفهم وليس تكبراً. فالله تعالى يكره الكبر والمتكبرين والمتجبرين في الأرض، والفرق كبير بين الخشوع والتذلل والمذلة فالخشوع لايكون إلا عن حب واحترام لرب كريم، والتذلل لايكون إلا من عبد قد ذلك فيقف ذلك الموقف عن خوف ورهبة في الدنيا من مستبد طاغية أو عن خوف ورهبة من مجرم ظالم، يقف يوم القيامة أمام ربه متذكراً كيف كان يطلب من عباد الله أن يقفوا أمامه في الدنيا:

﴿قلوب يومئذ واجفة. أبصارها خاشعة﴾ ٩ ـ النازعات.

وهؤلاء هم المجرمون الذين يعلمون ماذا قدمت أيديهم في الدنيا من منكرات وجرائم، وهم كانوا لايصدقون بلقاء يومهم هذا، فهم اليوم في خوف شديد قلوبهم واجفة وأبصارهم خاشعة من شدة الخوف.

بينما أهل النعيم سوف تظهر عليهم النعمة وهم المؤمنون الموصدون لله ولكتابة والكاشفين لكل مكائد الشياطين وفتنه وأساليبه الشيطانية:

﴿وجوه يومئذ ناعمة * لسعيها راضية * في جنة عالية﴾ ٨ - ١٠ الغاشية.

وهؤلاء هم المتقون، ومن هم المتقون؟

هم الذين اتقوا فتنة الشياطين.

وهم الذين درسوا كتاب الله وحدهم، وفهموا معاني الآيات من نفس آيات الله، دون أن يسمحوا للشياطين بأن يفسروا لهم رسالة الرحمن، أو أن يؤولوها لهم كما يشاؤون ويرغبون.

والمتقون هم ﴿الذين إذا ذكروا بآيات ربهم لم يخروا عليها صماً وعمياناً﴾ ٧٣ - الفرقان.

والخر لايكون في لغة القرآن إلا للسجود.

والسجود في لغة القرآن لايكون إلا بمعنى الطاعة المطلقة. والطاعة عند المتقي لاتكون إلا بعد التأكد من فهم مقاصد الرحمن مما يتلى عليه من آيات الله، والمتقي هو الذي يتقي فتنة الله باتقائه الشيطان وشره دائماً، ومهما فتنه الله به لايجعل له سبيلاً إليه لأن عقله صار هو الكاشف له، إذ يطلب دائماً الدليل والبرهان على كل أمر قبل الإيمان به.

وهذا المؤمن الحذر لايقدر عليه كل الشياطين لأنه دائم الكشف لمكائدهم، فهو مثل الصائغ الذي لايقبل أن يدفع للزبون ثمن مايعرضه عليه من معادن على أنها ثمينة، قبل أن يجري عليها اختباره العلمي بمحاليله الخاصة، ويتأكد من نوع المعدن إذا كان ثميناً، ويتأكد أيضاً من عياره ووزنه، بعد فقط يفكر بدفع الثمن. ومثل هذا الخبير لايدخل إلى مجال علمه الظن والتخمين أبداً. لذلك فهو لايخدع من الشياطين.

أما إذا كان المؤمن ساذجاً يحكم على الناس من ملابسهم وأشكالهم ويؤمن بما يحكم به هواه وعاطفته، دون أن يحتكم إلى عقله ومنطقه، ويظن أن الدين عاطفة ومحبة ليس لها علاقة بالعقل والبراهين والأدلة، يكون قد اتبعه الشيطان وانتهى أمره. وهو لايعلم ماذا حصل له، إلا أنه يكتشف مع الأيام أن أحواله تسوء يوماً بعد يوم، ولم يعد يرى في حياته إلا الذل والهوان، ونعم الله اختفت من طريقه، ولايعلم ماهو سبب العذاب الذي يواجهه، مع أنه يصلي في اليوم خمس مرات، ويزكي ويصوم فوق

رمضان كل يوم خميس واثنين، وجع إلى بيت الله عدة مرات. لايمكن أن تشرح لهذا كيف استعبده الشيطان، وإن قلت له الحقيقة أيضاً لايمكن أن يصدق متى يسأل شيخه المحبوب. مثل هذا المسلم لايعلم أن سر ضلاله هو في تركه لكتاب الله الذي يعطيه الاتجاه الصحيح، وهي البوصلة التي لاتخطئ وسوف توصله إلى بر الأمان، ولكنه لغفلته آمن أن الحديث الذي نقله إليه شيخه المحبوب دون أن يعلم أنه شيطان قائلاً: أنه من وحي الله تعالى، من دون أن يعلم أنه من مكتتبات الشياطين، فوجه سفينته بحسب الوحي الثاني المناقض للاتجاه الأول، فصار يسعى بعدها إلى الجحيم وهو يظن أنه متجه إلى النعيم. وهذا هو الظلم الشديد نتيجة عدم التبصر. وقد قال الله تعالى مبيناً ذلك على لسان لقمان يعظ ابنه:

﴿يابني لاتشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم﴾ ١٣ ـ لقمان.

وكل رجل دين في العالم كله، يدعو إلى أي دين عن طريق الحب والهوى، طالباً من مريديه عدم إدخال العقل والمنطق في مجال الدين والإيمان، هو إما شيطان حقيقي أو رجل دين.

جاهل يتبع شيطاناً أكبر منه استغفالاً له من دون أن يعلم. وكل رجل دين يدعو إلى الله عن عقل وعن بصيرة مقدماً الدليل والبرهان أساساً لكل عملية إيمان، إذا كان مسلماً يؤكد على وجوب السيد بموجب كتاب الله وحده، منكراً التفسير والتأويل التي اشترطتها أصحاب المصلحة من أعوان السلاطين، مع إنكار الحديث المفتري على الله والرسول، وليس به دليل أو برهان على صدقه، عندها يمكن الحكم له بأنه رجل دين حقيقي ويدعو إلى الله العزيز الغفار عن بصيرة وعن علم حقيقي:

﴿قل هذه سبيلي أدعو الله على بصيرة أنا ومن اتبعني وسبحان الله وما أنا من المشركين﴾.

علماً أن العبودية للرحمن، إذا كانت خالصة له سبحانه، جنبت العبد من الوقوع في عبودية الإنسان للإنسان.

وكما رأينا من خلال آيات الله تعالى، فإن العبودية له تكون بمثابة عزّ للمؤمن في الأرض وتجنبه دائماً مواقف الذل للعباد.

فطاعته لله تعالى إن كانت عن عقل وبصيرة، وطلبه للدليل والبرهان كانت سابقة للإيمان بما قدم له على أنه هو الشرع وهو الدين، الذي هو كتاب الله تعالى، وكان إيمانه

بعد رؤيته للأدلة والبراهين على أنه كتاب لاريب فيه من رب العالمين، ثم آمن بعد ذلك أن من قدرة الله تعالى أن يرسل كتاباً لعباده بحيث يكون مفهوماً للجميع كل بحسب خلفيته العلمية والثقافية. في الإسلام لايحتاج المؤمن إلى من يفتي أو إلى مرشد ديني وطالما يعرف القراءة فعليه أن يقرأ القرآن، وهذا الكتاب يتكفل بالباقي.

أما إذا صدق أحداً من غير دليل من نفس الكتاب يسمع فيه سبحانه بأن يشرح ويفسر الكتاب، مفترضاً في ذاته الفهم والإدراك والأسلوب والتعبير بأفضل مما عبر به الله في كتابه، فإنه يكون قد اتبع شيطاناً من دون أن يعلم. وعبودية الإنسان تأتي بصورة عبودية الطاغوت الذي هو السلطان صاحب القوة والجبروت في الأرض، نتيجة ضعف المؤمنين مع كثرة الشياطين من الذين يعرفون ويحرفون خدمة للسلاطين مقابل نعيم الدنيا وشهواتها الزائلة.

﴿فأما من طغى * وآثر الحياة الدنيا * فأن الجحيم هي المأوى﴾ ٣٥ - ٣٧ النازعات.

والذي يكفر بدين السلطان ويعود ليتمسك بدين الرحمن وكتابه دون أن يشرك بالله رسولاً ولا بكتابه حديثاً يكون قد تمسك بالعروة الوثقى.

﴿لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لاانفصام لها والله سميع عليم * الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات ﴾ ٢٥٦ - ٢٥٧ البقرة.

والطاغوت ليس له سلطة على الناس إلا إذا اعتمد الناس في تحكيم عاطفتهم، عندها يجد شياطينه الثغرة إلى قلوب الناس فيضلونهم عن سواء السبيل، وبعدها يسهل عليهم كل شيء. والسبيل الوحيد لتجنب الطواغيت في الأرض هو وجود المفكرين في الأمة حيث يكون على عاتقهم توعية الأمة بشكل عام وجعل الأغلبية التي تعتمد على العقلية العلمية ترفض العقلية الوهمية، التي تقبل بسهولة بالأوهام والظنون والاعتقاد بالكرامات وقراءة الطالع والأبراج والكف والفنجان والإيمان بالأشباح وكل أنواع الخرافات والدجل.

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وأنابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ ١٧ - ١٨ - الزمر.

وهكذا نكتشف من آيات الله البينات، أن من يشاء من عباد الله أن يحيا في عزّ وكرامة دون أن يستطيع إنسان آخر استعباده في الرض، عليه أن يؤمن بالله وبكتابه، ويتمسك بهدي الله الذي فيه، فيعلم أن الله تعالى هو الوحيد الغني الرحيم الذي ليس له مصلحة من عبودية أحد، وإنما جعل عبودية العبد لله حامية له من عوبدة العباد، ليعيش في عز حقيقي ومَنَعَةٍ حقيقية بحصانَةٍ من رب العالمين لأنه تمسك بالعروة الوثقى وعرف البوصلة التي يمكن أن يأمن جانبها، فاتجه بها إلى سبيل الله الذي هو العلم الحقيقي ليصل به إلى نور الله وحقائقه في هذا الكون الفسيح، ليرث بعد ذلك جنة عرضها السموات والأرض:

﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمين الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن النكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائي * ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون * قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً الذي له ملك السموات والأرض لا إله إلا هو يحي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ ١٥٧ - ١٥٨ الأعراف.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الرسالة والنبوة

من هو الرسول؟ ومن هو النبي؟

ما هو الفرق بينهما؟

هل هناك رسولٌ ليس نبياً؟

هل هناك نبياً ليس رسولاً؟

من هم الأنبياء والرسل؟

لماذا قال الله تعالى عن رسولنا محمد أنه خاتم النبيين، ولم يقل عنه أنه خاتم المرسلين أو الرسل؟

ماذا يقصد الرحمن في القرآن الكريم بقوله: ﴿كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ ـ المجادلة؟

تساؤلات كبيرة وأساسية، إن حاولنا الإجابة عليها من خارج كتاب الله الكريم الذي عليه الدليل والحجة والبرهان، ضللنا السبيل، وكانت إجاباتنا كلها بعيدة عن الحق وعن العلم الحقيقي، بل دخلنا إلى بحر الأوهام والظنون التي لا تغني من الحق شيئاً.

وإن التزمنا القرآن وحده محاولين استقراء آيات الله البيّنات المبينات المفصلات وصلنا إلى الحق والحقيقة.

وإن دخلنا في كتب التفسير القديمة والحديثة مع ما يرافقها من كتب قيل عنها أسباب النزول، أو كتب الناسخ والمنسوخ، دخلنا في متاهة لها أول وليس لها نهاية ولا حق فيها.

لنبدأ بالأجوبة بحسب تسلسل التساؤلات، ونقول:

من هو الرسول:

إذا أحببنا أن نحصل على التعريف من القرآن الكريم علينا أن نراجع ما ورد في القرآن الكريم من آيات فيها فعل أرسل ومشتقاته، كما يلي: أرسل ـ أرْسَلَتْ ـ أرْسَلْتَ.

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ ٩ ـ الصف.

﴿كما أرسلنا فيكم رسولاً منكم يتلوا عليكم آياتنا﴾ ١٥١ ـ البقرة.

﴿وأرسلناك للناس رسولاً وكفى بالله شهيداً﴾ ٧٩ ـ النساء.

وردت كلمة رسول (١١٤) مرة في القرآن.

﴿وما محمد إلا رسول فدخلت من قبله الرسل أفإن مات أو قتل اتقلبتم على أعقابكم﴾ ١٤٤ ـ آل عمران.

وقد يكون الرسول كما مر معنا من الإنس باختيار الله واصطفائه أو يكون الرسول من الملائكة: كقوله تعالى:

﴿لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً﴾ ٩٥ ـ الإسراء.

وهذا الملك إما أن يكون قد كلف بتنفيذ مهمة من الله في الأرض كقوله تعالى: ﴿قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاماً ذكياً﴾ ١٩ ـ مريم. أو يكون رسول لتنفيذ عملية تدميرية لقوم مجرمين ﴿قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب﴾ ٨١ ـ هود.

أو يكون الرسول قد كلف بنقل رسالة من السماء إلى الأرض وتبليغها لرسول من البشر، وكانت هذه فيما نعلم مهمة جبريل عليه السلام كما نقرأها في سورة الجن، وهي تصف رحلته في السماء وحوله حراسة من ملائكة الرحمن وجنوده.

﴿ألا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلمكم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ ٢٧ ـ ٢٨ ـ الجن.

وعلى ذكر الإحصاء، فإن في القرآن الكريم (١١٦) كلمة بمعنى رسول في (١١٦) آية، إذا حذفنا منها آيتين حيث وردت كلمة الرسول بمعنى الرسول الملاك في سورة مريم وسورة الجن، يصبح عدد كلمات (الرسول) من البشر في الأرض (!١٤) كلمة في (١١٤) آية وهذا يتماشى مع إحصاء الكلمات الهامة في القرآن وتطابقها مع مضاعفات الرقم (١٩) وهي تساوي أيضاً نفس عدد سور القرآن الكريم: ١٩ × ٦=١١٤ سورة.

ما هي مهمة رسول الله في الأرض؟ طالما نتحدث عن رسل الله من الإنس ﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ ١٨ ـ العنكبوت.

لذلك أمر الله رسوله الكريم بإبلاغ ما أوحي إليه من رسالة: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ٦٧ - المائدة.

ولأهمية الموضوع هنا نجد لله تعالى أربع شهادات عن موضوع مهمة الرسول، وذلك في الآيات التالية:

﴿ما على الرسول إلا البلاغ﴾ ٩٩ - المائدة.

﴿وما على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ ٥٤ - النور.

ومتى تصبح قاعدة عامة لكل الرسل يقول تعالى:

﴿فهل على الرسول إلا البلاغ المبين﴾ ٣٥ - النحل.

أما هذا عن الرسول والرسل بشكل عام، ولكن ماذا عن رسولنا الكريم بالذات؟:

﴿وإن تولوا فإن عليك البلاغ﴾ ٢٠ - آل عمران.

﴿فإن توليتم فاعلموا إنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ ٩٢ - المائدة.

﴿فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين﴾ ٨٢ - النحل.

﴿فإن أعرضوا من أرسلناك عليهم حفيظاً إن عليك إلا البلاغ﴾ ٤٨ - الشورى.

﴿فإن توليتم فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ ١٢ - التغابن.

من مجمل هذه الآيات البينات يتبين لنا أن مهمة الرسول دائماً تنتهي بتبليغ ما كلف به من رسالة. وليس فوق بيان الله بيان آخر فوقه أبداً. بعد أن علمنا من هو الرسول وما هي مهمته ننتقل لنعلم من هو النبي وما هي مهمته أيضاً بنفس الطريقة من آيات الله البينات.

إن كلمة نبي مشتقة من كلمة نبأ وهو من الإخبار والإعلام كما في الآيات التالية:

﴿قالت من أنبأك هذا قال نبأني العليم الخبير﴾ ٣ - التحريم.

﴿وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون﴾ ٤ - المائدة.

﴿نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم﴾ ٤٩ - الحجر.

﴿قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم﴾ ٣٣ - البقرة.

﴿واتل عليهم نبأ إبراهيم * إذ قال لأبيه وقومه ما تعبدون﴾ ٦٩ - الشعراء.

﴿ولتعلمن نبأه بعد حين﴾ ٨٨ - ص.

﴿ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك﴾ ٤٤ ـ آل عمران.

وعندما نقرأ الآيات القرآنية التي نجد فيها كلمة النبي نكتشف وحدنا الفرق بين الرسول والنبي:

مثلاً لم يخاطب الله تعالى الرسول بقوله: يا أيها الرسول في كل القرآن إلا مرتين وهما:

﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك﴾ ٦٧ ـ المائدة.

﴿يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر﴾ ٤١ ـ المائدة.

في الآية الأولى النداء أمر من الله بتبليغ نص ما أنزل إليه من الله بالحرف، وفي الآية الثانية تنبيه للرسول الذي سوف يواجه أثناء التبليغ مواقف محزنة ومثبطة للهمم مثل الإنكار للحق والإسراع في الكفر، وهي كلها تقف في وجه البلاغ والتبليغ التي هي مهمة الرسول الأساسية.

بينما إذا انتقلنا إلى كلمة النبي، وعبارات يا أيها النبي، نجدها قد تكررت اثنتي عشر مرة في القرآن الكريم، ومرة واحدة في سورة التوبة الخاصة وهي بحسب تسلسلها في القرآن الكريم:

١ ـ ﴿يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين﴾ ٦٤ ـ الأنفال.

٢ ـ ﴿يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال﴾ ٦٥ ـ الأنفال.

٣ ـ ﴿يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم﴾ ٧٠ ـ الأنفال.

٤ ـ ﴿يا أيها النبي اتق الله ولا تطع الكافرين والمنافقين﴾ ٣٣ ـ الأحزاب.

٥ ـ ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحاً جميلاً﴾ ٢٨ ـ الأحزاب.

٦ ـ ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ ٤٥ ـ الأحزاب.

٧ ـ ﴿يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن﴾ ٥٠ ـ الأحزاب.

٨ ـ ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ ٥٩ ـ الأحزاب.

٩- ﴿يا أيها النبي إذا جاءك المؤمنات يبايعنك على أن لا يشركن بالله شيئاً ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله إن الله غفور رحيم﴾ ١٢ - الممتحنة.

١٠ - ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن﴾ ١ - الطلاق.

١١ - ﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك تبتغي مرضاة أزواجك﴾ ١ - التحريم.

١٢ - ﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ ٩ - التحريم.

أخيراً نجد في السورة التاسعة من القرآن وهي السورة التي استثناها الرحمن من القرآن كله بأن لم يبدأها بالبسملة كما في باقي سور القرآن الأخرى، ليلفت نظر المؤمنين إلى أهمية هذا الاستثناء الذي بينته في مكانه من هذا الكتاب، نجد في تلك السورة الآية الأخيرة التي وردت في الآية التاسعة من سورة التحريم، فهي تتبع عصر الرسول الأمين وحده وليس للمؤمنين الذي سيعيشون بعد عصره علاقة بها فنقرأ في سورة التوبة نفس الآية التي تقول:

﴿يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير﴾ ٧٣ - التوبة.

إذا قرأنا الآيات الإثنتي عشرة لنتعرف على صفات النبي فيها، نجد أن النبي هو الرجل الذي اختاره الله تعالى ليكون شاهداً ومبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه والنبي هو المطبق لأحكام الله وأوامره في الأرض وعلى المؤمنين الذين اتبعوا رسالة الرسول من بعد البلاغ. فالنبي هو الذي يحرض المؤمنين على القتال طالما النبي حي يرزق، وهو الذي يجاهد الكفار والمنافقين وقد أمر بأن يغلظ عليهم. وهو الذي يبلغ شكل لباس المؤمنات تعففاً. لعصر الرسول ومكانه في العالم. وهو الحاكم الذي يبايعه المؤمنون والمؤمنات ليتولى أمرهم في الدنيا. وهو الذي يستغفر للمؤمنين والمؤمنات من الذين يخطئون في الحياة الدنيا.

وهكذا علمنا أن دور الرسول لا ينتهي طالما هناك قرآن لم يبلغ بعد للناس.

بينما دور النبي خاص بزمانه ومكانه ينتهي بوفاته ليبدأ الذين يأتون من بعده يحكمون بما أنزل الله بحسب ظروفهم وأعرافهم، دون أن يتخطوا حدود الله، لكن لهم الحرية ضمن مجال تلك الحدود.

﴿فاحكم بينهم بما أنزل الله﴾ ٤٩ ـ المائدة.

علماً أن الله تعالى في سورة المائدة يصف الذين لا يحكمون بما أنزل الله في ثلاث آيات متشابهات في الآية الأولى يقول عن وصفهم بأنهم هم (الكافرون) وفي الآية الثانية يصفهم بأنهم هم (الظالمون) وفي الآية الثالثة يصفهم بأنهم هم (الفاسقون) ثم يأمر رسوله بعدها بأن يحكم بين الناس بما أنزل الله تعالى فقط، دون أن يتبع أهواءهم، لعلم الله تعالى أن بينهم كثير من الناس لا يعجبهم حكم القرآن الواضح الصريح الذي لا مجال فيه للف أو الدوران، فقالها الأولون بصراحة للرسول معلنين أنهم غير مرتاحين لما في القرآن من أحكام وشرائع وتوزيع للحقوق أو وصايا الصراط المستقيم:

﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله﴾ ١٥ ـ يونس.

بعد أن تعرفنا على النبي ومهمته، وقبلها تعرفنا على الرسول ومهمته وعرفنا الفرق بينهما ننتقل إلى التساءل الثالث:

هل هناك رسول ليس نبياً؟.

عند الكلام عن الرسول الملاك، علمنا أنه رسول لتنفيذ مهمة محددة في الأرض، بعدها يعود إلى ربه وتنتهي مهمته بعد تنفيذ ما أمر به، مثل الرسل الذين آتوا مثلاً من السماء لتدمير وتعذيب المجرمين في الأرض كقوله تعالى:

﴿قالوا إنا أرسلناك إلى قوم مجرمين * لنرسل عليهم حجارة من طين * مسومة عند ربك للمسرفين فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين * فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين﴾ ٣٢ ـ ٣٦ ـ الذاريات.

أو رسول يأتي بنبأ من الله لرسول في الأرض مثل جبريل مثلاً:

﴿قل نزله روحا القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدىً وبشرى للمسلمين﴾ ١٠٢ ـ النحل.

فهل هناك رسول غير نبي وغير ملاك من الإنس؟.

أيضاً يجب أن يكون الجواب من خلال آيات القرآن الكريم:

فالله تعالى يقول في آيات عديدة في القرآن الكريم أن سنة إرسال الرسل لها قواعد وسنن منها أنه كان يوحى إليهم وكانوا رجالاً:

﴿وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً نوحي إليهم﴾ ١٠٩ ـ يوسف.

وكل رسول كان يوحى إليه بلسان قومه:

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم﴾ ٤ - إبراهيم.

وكل رسل الله في الأرض من البشر ولهم نفس صفاتهم يأكلون ويشربون ويتزوجون ويخطئون ويصيبون وهم غير معصومين

﴿وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام﴾ ٢٠ - الفرقان.

والآن إذا تفقدنا كل رسل الله المرسلين المذكورين في القرآن المبين لوجدنا أنهم جميعاً كانوا أنبياء. وقد أعلمنا الله تعالى أن محمداً كان خاتم الأنبياء في القرآن:

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين﴾ ٤٠ - الأحزاب.

وكما لاحظتم لقد تحاشى رب العالمين أن يتكلم عن الرسل من قبل الرسول محمد إلا بعد أن أشار سبحانه لذلك في القرآن المبين، مؤكداً أنهم كانوا قبله وسبقوه في الرسالة، ثم عاد سبحانه ليؤكد أن محمداً كان هو خاتم الأنبياء، كما قرأنا في آية الأحزاب السابقة فما هو السر يا ترى؟. ولماذا لم يقل سبحانه عن محمد أنه كان خاتم الرسل أو المرسلين؟.

إننا لن نتمكن من معرفة الحق إلا من كتاب الحق الذي هو القرآن المبين، يقول تعالى في القرآن العظيم:

﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ - المجادلة.

وقسم الله الذي قرأناه في آية المجادلة يقابل ما تحدى به إبليس ربه عندما قال:

﴿قال ربِّ بما أغويتني لأزينن لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين﴾ ٣٩ - الحجر.

والله تعالى يعلم أن أكثر الناس سوف يتبعون إبليس اللعين في مرحلة زمنية كبيرة من مراحل تاريخ الإنسان في الأرض حيث يعلمنا سبحانه:

﴿ولقد صدَّق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ ٢٠ - سبأ.

فهل سيستمر في الأرض انتصار الظلم على العدل، ويستمر تفوق الباطل على الحق، ويبقى استعلاء أتباع الشيطان على أتباع الرحمن؟.

أيضاً لن نجد الجواب إلا في القرآن المبين حيث يقول سبحانه بدايةً للملائكة الذين احتجوا على استخلاف نسل آدم في الأرض، وتبدأ القصة بقوله تعالى:

﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ ٣٠ ـ البقرة.

فماذا قال الملائكة لله جواباً على قرار الرحمن ذاك؟

﴿قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك﴾ ٣٠ ـ البقرة. ﴿قال إني أعلم مالا تعلمون﴾ ٣٠ ـ البقرة.

إذاً هذا الشيء الذي لا يعلمه الملائكة ولا الناس وما يزال في غيب الله وهو قادم بإذن الله بدليل قوله تعالى: ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ ـ المجادلة.

وإذا فكرنا في هذه الآية نجد أن الرحمن يقسم أن الغلبة في النهاية سوف تكون في الأرض لجنود الرحمن من المؤمنين والمتقين من رسل الله، وسوف يغلبون وتصبح تقاليد الأمور بيدهم ولو كره المشركون من أتباع الشياطين، سواء كانوا من كفار الإنس أو كانوا من كفار الجن، بدليل قوله تعالى في ثلاث مواضع من القرآن نجد الأول منها في سورة التوبة الخاصة بعصر الرسول، بدليل تفوق هذا الدين في عصر الرسول وعصر أصحابه على الدين كله، كبداية لما يمكن أن يحققه أتباع هذا الدين:

﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ٩ ـ الصف. باعتبار أن المشركين في مكة كانوا أشد أعداء الإسلام منذ البداية.

وبعدها يقول تعالى ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيداً﴾ ٢٨ ـ الفتح.

ثم بعدها نجد الشهادة الأخيرة تقول في الآية التاسعة لتشير إلى ما ورد في السورة التاسعة المنسية في القرآن وبنفس عباراتها (أقصد سورة التوبة) ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ٩ ـ الصف.

فكيف يمكن أن يتحقق ظهور الدين على الدين كله في العالم، خاصة إذا كنا نعلم أن رسالة الإسلام للناس كافة وليست لأمة من الأمم كما كانت باقي الرسالات قبل الإسلام ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ ٢٨ ـ سبأ.

لكن الرسول الكريم لم يبلغ كافة الناس في الأرض، فكيف إذاً يمكن أن يتحقق إيصال الرسالة للعالمين، حتى يقال لكل المؤمنين في الأرض من باقي الأديان ويتسنى

لهم الدخول في دين السلم والسلام والإسلام، ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ ٢٠٨ ـ البقرة.

وكلنا نعلم أن دين السلم هو دين السلام للعالمين. فالإسلام مشتق من كلمة السلام. وهو الدين الذي إذا قبله الذين يعلمون من الذين يتفكرون ويعقلون أصبح بسرعة وسهولة ديناً للأكثرية، وهذا يحقق السلام العالمي للجميع، ويتوقف بعده سفك الدماء، الذي تحدث عنه الملائكة منذ البداية وقال لهم ربهم وقتها ﴿إني أعلم مالا تعلمون﴾.

إذاً ماذا نتوقع هل سيرسل الله تعالى رسلاً آخرين من أجل تحقيق ما وعد به الرحمن وما أقسم به عندما قال ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ ـ المجادلة.

نحن نعلم أن جميع الرسل السابقين كانوا من الأنبياء أيضاً، لأن الله تعالى كان قد أوحى إليهم جميعاً بالكتاب والحكمة. ليبلغوها، وبين أن مهمة الرسول تنتهي بإبلاغ الرسالة كما شرحنا قبل قليل. ولكننا نعلم أن الله تعالى قد حفظ بقدرة منه رسالته الأخيرة وحدها من ضمن رسالاته السابقة التي حرفت وبدلت جميعاً، والدليل ما بقي معنا منها، وكلها تناقض العلم وتناقض القرآن وتناقض بعضها، وينطبق عليها جميعاً وصف الله لغير كتاب الله حيث يعطينا سبحانه تلك الصفة للتمييز بين ما كان من عند الله عن غيره من الكتب الأخرى المدعاة افتراء على الله ورسله:

﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ ٨٢ ـ النساء.

طالما نص الرسالة محفوظ وموجود، لم تعد الحاجة للأنبياء بعد توفر الرسالة الموجهة للعالمين بين أيدي الناس في الأرض كما تشاهدون. لذلك قال تعالى عن نبيه محمد بأنه خاتم الأنبياء، لأن الله تعالى لن يرسل بعده وحياً جديداً أو رسالة أخرى للعالمين على نبي جديد من بعده.

﴿ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما﴾ ٤٠ ـ الأحزاب.

اليوم وفي بداية القرن الحادي والعشرين حيث تطور العلم وكثر العلماء والمتعلمون الذين بإمكانهم الدخول إلى دين القرآن بنفس السرعة التي آمن بها سحرة فرعون، عندما رأوا آية الله في أفعى موسى الحقيقية التي ميزوها بسهولة، وعلموا أن ما كان مع موسى هو الحق وما كان معهم هو الباطل، فآمنوا جميعاً برب موسى، دون تردد،

كذلك سوف يفعل العلماء الذين سيرون الحق والحقائق القرآنية فيؤمنوا بدين الله الحقيقي من دون تردد كما تنبأ الله لهم سلفاً عندما قال: ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ ٥٤ ـ الحج.

إذاً فرسل الله الجدد لا يشترط فيهم أن يكونوا أنبياء لأن الرسالة موجودة بشكل كامل بين أيديهم جاهزة للتبليغ، فكل إنسان عاقل سواء كان رجلاً أو امرأة إذا آمن بالله ولم يشرك به أحداً، وآمن بعد الله تعالى بالقرآن بقسميه الكتاب والحكمة، يستطيع أن يتحول إلى رسول لله يجاهد في سبيله ويبلغ رسالة الله للعالمين، على المبدأ الذي أظهره سبحانه لرسوله في حجة الوداع، لتكون من بعده سنةً باقيةً للعالمين بلا تبديل، وتعتمد على المبادىء والأسس الرحمانية التالية:

المبدأ الأول: لا إكراه في الدين ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾.

المبدأ الثاني: مبدأ الحرية والاختيار حيث يختار الإنسان ما يشاء دون إكراه أو فرض من أحد، بأي شكل من أشكال الفرض أو الإكراه، وحسابه على الله وليس على الناس ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

وأسلوب الدعوة لهؤلاء الرسل سوف يكون على مبدأ الله الدائم بالدعوة إلى دينه دون تبديل إلى يوم القيامة ﴿ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة﴾ ١٢٥ ـ النحل.

وهؤلاء الرسل هم الذين سيغلبون الشياطين وأتباعهم في المستقبل بعد توحيد الله الذي لا شريك له وبعد أن يتم توحيد كتابه الذي هو القرآن فلا يشرك به شيئاً من الكتب الأخرى، ﴿فبأي حديث بعد الله وآيات يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

وليس بين الحديث المدعى حديث واحد في مستوى حديث الله الذي تحدى به قائلاً ﴿فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين﴾ ٣٤ ـ الطور.

والآيات التالية تنطبق على رسل الله القادمين من الذين سيبشرون من جديد للإسلام، حتى يتحقق دخول أغلب الناس فيه، كما تنبأ به الرحمن تماماً، عند تحقق نصر الله وفتحه السلمي من دون الحاجة للسيوف ولا لسفك الدماء:

﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ١ ـ ٣ ـ النصر.

ونحن إن فهمنا الآية السابقة ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ ـ المجادلة. فهماً حقيقياً، ونعلم من الواقع حتى هذا اليوم أن الغلبة إلى

هذا اليوم كانت لأتباع الشيطان في الأرض كما أخبرنا به الرحمن وكما لازلنا نلمسه من واقعنا الأليم ﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ ٢٠ - سبأ.

إلى جانب ما نعلم أن كل أنبياء الله قد ماتوا كما مات خاتمهم وكانوا أيضاً جميعاً من المرسلين، لا بد لنا عندها من أن تتساءل: من هم إذاً رسل الله الذين سيغلبون الشيطان في المستقبل؟ طالما قد أعلن سبحانه انتهاء عصر النبوات وعصر إنزال الوحي من السماء، إنهم ولاشك رسلٌ من نوع جديد، رسلٌ يحملون رسالة الرحمن ليبلغوها إلى الناس كافة في ربوع الأرض حتى تصل إلى كل العالمين. عندها فقط سوف يتحقق نصر الله، وعندها سوف يدخلون إلى دين الله أفواجاً، وعندها فقط سوف يتحقق ما تنبأ به الرحمن أنه سوف يظهر هذا الدين على الدين كله، ولو كره الكافرون والمشركون، ومعهم شياطين الإنس والجن معاً.

لا يشترط في هؤلاء الرسل أن يكونوا أنبياء يوحى إليهم من السماء كما قلنا، لأن نص الوحي والرسالة محفوظ وموجود، علماً أن كل الآيات والمعجزات والبراهين التي تبرهن أن هذا الكتاب لا يمكن أن يكون من عند غير الله لم تكن ظاهرة في عصر الرسول بل بدأت تظهر الآن في عصر العلوم.

أليس هذا وحده دليلاً كافياً وشافياً من الله تعالى على أن دور هذا القرآن لم يبدأ بعد وأنه سوف يبدأ في المستقبل على أيدي رسل من المؤمنين بالآلاف، وهم يدعون إلى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وهم يقولون للناس أجمعين، مبلغين آياته التي يتلونها على عباد الرحمن:

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً كبيراً * وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذاباً أليما﴾ ٩ - ١٠ - الإسراء.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين

محبة الرسول

من يحب الرسول فعلاً عليه أن يوحد الله قولاً وعملاً. إذ لا يمكن لمسلم عاقل يقرأ القرآن متفهماً آياته عارفاً حقيقة الإسلام، إلا أن يحب الله ورسوله معاً، ولكن من غير إشراك الرسول مع الله، مدركاً أن الذي يطيع الرسول بإطاعة ما أتى به من وحي سماوي، إنما تكون طاعته لله وحده لا شريك له في الأمر أو التحليل أو التحريم أو الشفاعة أو الهدي أو الحديث.

لأن القرآن الكريم لم يصل إلى الناس إلا من خلال الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، وما بلغه بأمانة مطلقة ساعده سبحانه عليها وعصمه عن شياطين الإنس والجن خلال فترة التبليغ بدليل قول الله تعالى ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس إن الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ ٦٧ ـ المائدة.

لكن الفرق كبير بين أن نحب الله ونطيع ما أمر به في كتابه المبين، ونحن نعلم سلفاً ما بذله رسوله من جهد جهيد في تبليغ رسالة ربه من وحي كريم، مقدرين ومدركين سلفاً أن الرسل جميعاً ما هم إلا وسطاء ومبلغين لوحي الله، ومن بعد التبليغ عليهم دور تطبيق ذلك الوحي الذي فيه الشرع والحكم نظاماً على الناس بحسب تدبرهم وفهمهم مع ما يتطابق من ذلك الوحي على زمانهم ومكانهم. وبين أن نجعل مع طاعة الله تعالى طاعة خاصة لرسوله الكريم جاعلين له الحق في التحليل والتحريم مع الله، والحق في الشفاعة إشراكاً بالله، ونجعل له سنةً خاصة به مع سنة الله، ونؤمن بوجود حديث له مع حديث الله، رغم إنكار الله تعالى لكل ذلك في آيات القرآن البينات، مبدلين شرع الله تعالى الذي أتانا وفيه مصلحة الأمة الإسلامية إلى شرع آخر مناقض له لمصلحة الأقلية المتنفذة في الأمة التي يسميها سبحانه بالملأ في آيات القرآن الكريم.

والقرآن نورٌ من الله ومن علمه ﴿يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً﴾ ١٧٤ ـ النساء.

ومن أمثلة هذا النور، ما ورد في كتاب الله جواباً لكل مشايخ السلاطين من الذين يرددون صباح مساء في كل المساجد الإسلامية (إن أحسن الهدي هديُ محمد)، وهم يقصدون به السنة النبوية أو الحديث النبوي، دون أن يعلنوا للناس ما يعلمون بطلانه

لتناقضه مع كتاب الله المبين، ودون أن يقولوا للناس لمصلحة من بدلوا كتاب الله تماماً كما أخفى أهل الكتاب سابقاً كتاب الله ونوره الحقيقي وأظهروا للناس محرفاتهم بدلاً عن الأصلية.

إن القرآن هو النور الوحيد الذي نزل على رسولنا وليس معه نور آخر ليبلغه إن كنا نحب معرفة الحقيقة ولا نهوى مع الحقيقة شيئاً آخر يقول تعالى:

﴿فآمنوا بالله ورسوله والنور الذي أنزلنا﴾ ٨ ـ التغابن.

وآيات القرآن بينات مفصلات أحسن التفصيل لاتحتاج إلى نور إضافي، فالشمس في وضح النهار لا يمكن أن تزيد نورها بكل المشاعل وبكل ما أبدع الإنسان من وسائل للإضاءة في الأرض. وكذلك كتابه لا يحتاج إلى نور من عباده المرسلين الذين كلفوا بالتبليغ فقط وليس لهم من أمر الله وأمر الدين وأمر الشرع الإلهي شيء، بدليل قوله تعالى:

﴿وما على الرسول إلا البلاغ﴾ ٩٩ ـ المائدة.

﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ١٢٨ ـ آل عمران.

﴿قل إن الأمر كله لله﴾ ١٥٤ ـ آل عمران.

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ ٤ ـ الروم.

﴿ولله غيب السموات والأرض إليه يرجع الأمر كله﴾ ١٢٣ ـ هود.

﴿بل لله الأمر جميعا﴾ ٣١ ـ الرعد.

وماذا عن موضوع الهداية، فهل لمحمد بعد كل هذا هدي خاص اسمه هدي محمد ويقصد به وحي آخر مع وحي القرآن ونوره؟. إن الله تعالى هو الذي يقرر حقيقة ذلك بقوله المبين ﴿إن علينا للهدى وإن لنا للآخرة والأولى﴾ ١١ ـ ١٢ ـ الليل.

كما يقول سبحانه ﴿وكفى بربك هادياً ونصيرا﴾ ٣١ ـ الفرقان.

وآيات نفي الهداية عن غير الله كثيرة في القرآن، منها ما جاء بشكل مباشر: حيث قوله سبحانه ﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ ـ القصص.

ولكنا إذا قرأنا بعد ذلك آية تقول ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ ٥٢ ـ الشورى.

يجب أن نعلم أنه لم يكن مع الرسول الكريم ليهدي به إلا نور الله الذي أتى به وحياً من ربه الكريم، إلا نفس الوحي وحده ليهدي به الرسول إلى صراط مستقيم. أما قبل

ذلك الوحي السماوي فإن رسولنا نفسه كان أمياً ضالاً هداه الله بعدها كما يقول سبحانه: ﴿ألم يجدك يتيماً فآوى ووجدك ضالاً فهدى﴾ ٧ ـ الضحى.

ولو كان الرسول الكريم عالماً في النحو والبلاغة والبيان قبل الرسالة إذا لشك المبطلون ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب فتخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ ٤٨ ـ العنكبوت.

وبما أن التبيان كله في القرآن يقول سبحانه مبيناً ذلك للعالمين ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ ٨٩ ـ النحل. والبيان والتبيين لا يكون إلا بآيات الله البينات لذلك يقول سبحانه ﴿لا تحرك به لسانك لتعجل به * إن علينا جمعه وقرآنه * فإذا قرأناه فاتبع قرآنه * ثم إن علينا بيانه﴾ ١٩ ـ القيامة.

ومعنى كلمة مبين التي تأتي صفة لاسماء مثل: ثعبان مبين ـ عدو مبين ـ كفور مبين بمعنى حقيقي مثل قوله تعالى ﴿أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين﴾ ١٣ ـ الدخان.

بينما قول الله تعالى في وصفه للقرآن بأنه بيان للناس يختلف عما سبق كما في قوله تعالى ﴿هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين﴾ ١٣٨ ـ آل عمران.

والرسول عليه تطبيق ما أنزل إليه من وحي مفصل ومبين من ربه الرحيم ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ ١٠٥ ـ النساء.

والذي يقوله فقهاء السلاطين بوجود وحي آخر شفهي هو مجرد ادعاء لخدمة ولي أمرهم، الذي لم يعجبه شرع الله الذي منعه من التسلط على عباد الله وأكل حقوقهم ظلماً وتجبراً كما يشاء، فبدله بالتدريج، كما بدل الذين من قبلهم ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ ٥٩ ـ البقرة. وهذا حدث في كل الأديان لكن الله تعالى لا يقرهم على ما فعلوه بدليل قوله سبحانه ﴿لا تبديل لكلمات الله﴾ ٦٤ ـ يونس.

والذي يستبدل القرآن بافتراءات ينسبها للرسول الكريم لتشكل كتباً من صنع البشر هو مثل الذي يستبدل الخير ويأتي بأدنى منه، لذلك يسألهم الرحمن منكراً ذلك في قوله:

﴿قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ ٦١ ـ البقرة.

ولن يفعل ذلك عاقل أبداً. بل يكون إما كافراً أو مشركاً إذا بدل كلام الله تعالى الذي يحوي الحق بآخر لا حق فيه، وكتاب الله المعجز حامل الخيرات بكتب لا خير

فيها ولا إعجاز، كما يقول سبحانه ﴿ومن يتبدل الكفر بالإيمان فقد ضل سواء السبيل﴾ ١٠٨ ـ البقرة.

لذلك كله يجب أن نعلم أن الله وحده من خلال كتابه المبين يهدي للحق وحده لا شريك له في الهداية ﴿قل الله يهدي للحق﴾. والناس عادة يشركون بتأثير من الملأ الذين هم أهل المال والسلطة والجاه في الأمة جهلاً وإضلالاً على أيدي فقهاء متخصصين مأجورين. ﴿قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق﴾ فيأتي جواب هذا التساؤل كما رأينا في نفس الآية ﴿قل الله يهدي للحق﴾.

ثم يفاجِيء سبحانه الإنسان بسؤال جديد مباشرةً بعد تقرير حق الهدي للرحمن وحده، والسؤال لعقل الإنسان ومنطقه وليس لما يحب ويهوى ﴿أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يهدي إلا أن يُهْدى فما لكم كيف تحكمون﴾ ٣٥ ـ يونس.

الحقيقة أن تلك الآية جواب لكل المسلمين الضالين عن هدي الله إلى غيره، وعن كتاب الله إلى كتب أخرى، بإتباع هدي خاص لا وجود له إلا عند مشايخ السلاطين، والتي تم افتراؤها بناء على توصياته وتحقيقاً لمصالحه الدنيوية ليتمرغ في مُتَع الدنيا ظهراً لبطن.

إن القرآن فقط هو الذي يهدي للأفضل والأحسن والأقوم في الإسلام الصحيح ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ٩ ـ الإسراء.

والله تعالى إذا تتبعنا آيات القرآن نجده ينكر الهداية على رسوله إذا فكرنا أن للرسول الكريم هدي خاص مفصول عن هدي الله الموجود في القرآن ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ ـ البقرة.

ولكنا إذا فهمنا أن هدي الرسول هو ما أتى به من الرحمن من كتاب عندها يختلف المفهوم ويعلم أن ذلك كان حتى يستطيع الرسول أن يهدي بذلك النور إلى صراط مستقيم: وهذا معنى قوله تعالى ﴿وإنك تهدي إلى صراط مستقيم﴾ ٥٢ ـ الشورى.

لذلك إذا قرأنا الآية القرآنية بعد كل هذا البيان السابق ﴿وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نُزِّلَ إليهم﴾ ٤٤ ـ النحل، نفهم أن الرسول الكريم ليس معه شيء خاص به إلا كتاب الله ليبينه للناس. فالبيان كله في القرآن وحده، كما يقول سبحانه ﴿ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء﴾ ٨٩ ـ النحل، وآيات القرآن آيات بينات بذاتها ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ إذاً مجرد إبلاغ النص هو تبيين لما أنزل الله ٩٩ ـ البقرة.

لكن فقهاء السلاطين الذين يخفون هذه الحقيقة عن الناس لمصلحة السلطان ويقولون على الله غير الحق، ويدّعون بوجود كتاب مع كتاب الله يلعنهم رب العالمين قائلاً:

﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله﴾ ١٥٩ - البقرة.

وآيات الله أيضاً مبينات، كما يقول تعالى ﴿لقد أنزلنا آيات مبينات والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم﴾ ٤٦ - النور.

وآيات الطلاق مثلاً آيات مبينات لا تحتاج إلى آيات أخرى لتبينها ﴿رسولاً يتلو عليكم آيات الله مبينات ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور﴾ ١١ - الطلاق.

وآيات الله وكتابه المبين لا تحتاج إلى تفصيل إضافي من أحد من خلق الله، فمن معجزات الله في كتابه أن كل إنسان يعرف اللغة العربية يستطيع أن يفهم من كتاب الله بقدر علمه وبقدر حاجته من المعرفة، وهذا طبعاً على درجات بحسب علم الأفراد واختلافهم ﴿ولقد جئناكم بكتاب فصلناه على علم﴾ ٥٢ - الأعراف. والذين يحتاجون إلى تلك التفاصيل هم أهل العلم (من الذين يعلمون) كما يقول سبحانه ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون﴾ ٩٧ - الأنعام. وكذلك للذين يفقهون ما يقرأون إلى قوله ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون﴾ ٩٨ - الأنعام. ولقوم يتلون كتاب الله ويذكرون مواعظ الله تعالى في كتابه المبين حيث يقول سبحانه ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ ١٢٦ - الأنعام.

وسنة الله في رسله أن يأتيهم بالآيات مفصلات لكل شيء كما قال تعالى ﴿ثم آتينا موسى الكتاب تماماً على الذي أحسن وتفصيلاً لكل شيء﴾ ١٥٤ - الأنعام.

لكن الله تعالى لا يرسل كل كتبه مبينات بذاتها.

فقد قال عن القرآن أنه كتاب مبين بذاته لا يحتاج إلى أي كتاب آخر ليستبين به أبداً كما يبدأ سبحانه سورة الحجر بقوله ﴿ الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين﴾ ١ - الحجر.

﴿إن هو إلا ذكر وقرآن مبين﴾ ٦٩ - يس.

﴿والكتاب المبين إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون﴾ ٢ - الزخرف.

لكن وضع أهل الكتاب وشرعهم يختلف عن ذلك اختلافاً بيناً، فهم ملزمون بكل ما أنزل سبحانه على رسلهم جميعاً لذلك يقول سبحانه ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ ٦٨ ـ المائدة. ومن أجل ذلك يقول سبحانه عن كتاب موسى وهارون ﴿وآتيناهما الكتاب المستبين﴾ ١١٧ ـ الصافات.

علماً أن في تتمة الآية (٨٦ من سورة المائدة) نجد تنبؤاً من الرحمن بما سيفعله كثير من رجال دين أهل الكتاب بما أنزل الله على رسول الإسلام حيث يقرر سبحانه ذلك بقوله ﴿وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين﴾ ٦٨ ـ المائدة.

لذلك وكما قلت مراراً عندما يقرأ المسلم آيات القرآن مثل الآية التالية ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله﴾ ١٠٥ ـ النساء.

يجب أن لا يتبادر إلى ذهنه أن ربه قد أرى أو أنزل على رسوله غير القرآن، فيؤمن مع فقهاء أهل السلطة من الطواغيت بكتب أخرى غير القرآن الكريم. يجب أن يعلم سلفاً بأن كل من يؤمن بتلك الكتب الضالة قد ضل السبيل الصحيح ونال غضب الله إلى يوم الدين وأصبح على سبل الشيطان كائناً من كان.

ويجب أن نعلم أنه لا يوجد اليوم على سطح هذه الكرة الأرضية كتاب لا ريب فيه وأنه من رب العالمين، ويحتوي على آيات ونصوص قطعية الثبوت لا ظن فيها وقطعية الدلالة لاشك فيها، إلاّ كتاب واحد ثبت ببرهان من الله العلي العظيم، بالعلم الرياضي المجرد الذي لا يستطيع انكاره عالم حقيقي ألا وهو القرآن العظيم.

قد يجد المسلم في ذلك الركام الهائل، بعض الأحاديث التي ما زالت تقول الحق لكنها ضاعت بين الأحاديث المفتراة بالآلاف، فإذا بحث في صحيح البخاري ومسلم وجد الحديث التالي، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه سمع رسول الله تعالى يقول: «لا تكتبوا عني ومن كتب عني غير القرآن فليمحه» وهذا أمر من الرسول يجب اتباعه لأنه يتماشى مع منهج الله.

والدليل الذي يثبت صحة هذا الأمر، ما نجده أيضاً في تلك الأحاديث من حديث عن أبي بكر الصديق، هذه المرة برواية ابنته عائشة رضي الله عنهما: روى الحاكم بسنده عن القاسم بن محمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: جمع أبي الحديث عن

رسول الله وكان خمسمائة حديث فبات يتقلب كثيراً فلما أصبح قال: «أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك فجئته بها فدعا بنار فحرقها» عن كتاب تذكرة الحفاظ للإمام (الذهبي) الصفحة الخامسة (طبع الهند). لا يمكن لأبي بكر الصديق رضي الله عنه أن يحرق أحاديث الرسول الكريم إلا تنفيذاً لأمر واجب الطاعة من رسوله الكريم وملزم للتنفيذ لا محال.

كما نجد الحديث التالي أيضاً بين ركام الأحاديث: (عن كتاب تقييد العلم الصفحة (٣٤): روي عن أبي هريرة أنه قال: خرج علينا رسول الله، ونحن نكتب الأحاديث فقال: «ما هذا الذي تكتبون؟» قلنا أحاديث نسمعها منك، قال «أكتاب غير كتاب الله؟ أتدرون؟ ماضل الأمم قبلكم إلا بما اكتتبوا غير كتاب الله».

وجدت في تاريخ البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي، عن رواية آخر خطبة للرسول الكريم في حجة الوداع قبل وفاته قول الرسول الكريم التالي (أيها الناس إني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا أبداً، كتاب الله فاعملوا به) المجلد الثالث، الجزء الخامس، الصفحة ١٧٩ طبع دار الريان للتراث القاهرة ١٩٨٨. دون ذكر سنة أو حديث خاص بالرسول.

وآخر ما نتطرق إليه في هذا الموضوع هو إشراك أهل السنة الرسول الكريم بالشفاعة رغم علم المسلمين جميعاً أن سبب إشراك أهل مكة القدماء كان بسبب الإشراك بالله بالشفاعة لغير الله وليس كما يظن بعض الجهلة أنهم كانوا من الوثنيين يعبدون الأصنام، بدليل آيات الله تعالى التي تقرر حقيقة إيمانهم بالله في القرآن الكريم مع إشراكهم:

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض وسخر الشمس والقمر ليقولن الله فأنى يؤفكون﴾ ٦١ ـ العنكبوت. ﴿ولئن سألتهم من نزل من السماء ماءا فأحيا به الأرض من بعد موتها ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعقلون﴾ ٦٣ ـ العنكبوت. والله تعالى في تلك الآية لا يقرر أن أكثرهم لا يعقلون لأنهم لا يعرفون جواب ماسألهم الرسول الكريم وإنما لإشراكهم بالله بعد معرفتهم لتلك الحقيقة، وهنا يأتي ظلم المشرك لنفسه بترك التوحيد الذي فيه مصلحته.

﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ٢٥ ـ لقمان. ﴿ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله قل أفرأيتم

ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هنَّ كاشفات ضره أو أرادني برحمة هل هن ممسكات رحمته قل حسبي الله عليه يتوكل المتوكلون﴾ ٣٨ ـ الزمر.

ونفس السؤال الذي طرحه الرسول من خلال القرآن على أهل مكة الذين كانوا يظنون أن الملائكة من الإناث والله تعالى يفضلهن من أجل تلك الميزة، فكانوا يتقربون إلى الله زلفى بدعائهم لتلك الملائكة وتقديم الأضاحي لها.

نفس السؤال إذا عدنا نحن اليوم وطرحناه على المسلمين الذين يستنجدون بالأتقياء والصالحين تقرباً إلى الله وطلباً لشفاعتهم، فهل يستطيع أي رسول من رسل الله أو أحد من خلقه أن يكشف ضراً عن عبد شاء الله أن يضره وهل يستطيع أي رسول أو أحد من خلقه أن يمسك رحمةً شاءها الله لعبد من عباده فيمنعها عنه؟.

والجواب من القرآن واضح لا مجال لبيانه أو تبيانه من أحد، نجده في آيتين بالإضافة إلى آية الزمر السابقة شاهدتين من الله تعالى على صدق الاتجاه في التوحيد للرحمن وحده، تقول الآية الأولى من سورة فاطر ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم﴾ ٢ ـ فاطر.

وكما تقول الآية الثانية نفس الشيء مؤكدة على صدق الله في طلب التوحيد من جميع عباده في سورة الملك ﴿أمن هذا الذي يرزقكم إن أمسك رزقه﴾ ٢١ ـ الملك.

من خلال هذه الآيات وحدها يجب أن يقتنع المسلم بأن الشفاعة لله وحده لا شريك له فيها، حتى قبل أن يقرأ آيات الشفاعة في القرآن التي تقرر جميعها الشفاعة لله وحده، وقد قالها سبحانه لرسوله حتى يبلغها للناس عند انذارهم بأنه لا شفيع لهم يوم القيامة إلا الرحمن الرحيم ﴿وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ ٥١ ـ الأنعام.

وهذا هو مطلق الحق والمنطق، لأنه لا يعقل أصلاً أن يكون أحد عباد الله أرحم بعباد الله من أرحم الراحمين، إلا إذا أحببنا الإشراك وفضلناه على التوحيد.

لذلك فكل من يدعوا مع الله غيره فإنه يدعو من ليس بيده أن يضره أو أن ينفعه كما يقول سبحانه ﴿قل أندعوا من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا﴾ ٧١ ـ الأنعام.

والنفس شفيعها هو عملها في الحياة الدنيا، أما الدعاء فإنه لن يغير شيئاً، خاصة إذا كان ذلك الدعاء لشفيع غير الله، وقد أمر سبحانه أن يبلغ الناس:

﴿و ذكر به أن تُبْسِلَ نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع﴾ ٧٠ ـ الأنعام.

والرسول الكريم كان يعلم الحقيقة، بدليل أننا نجد ما يؤيد ذلك في كتب الحديث التي تحوي مثل جعبة الحاوي كل شيء ونقيضه، فيه الحق والباطل معاً وليس من السهولة بمكان الفصل بينهما من جديد.

فالحديث رقم ٢٠٦ المسلسل ٣٥١ في صحيح الإمام مسلم عن أبي هريرة يقول: قال رسول الله حين أنزل الله عليه ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ ٢٦ ـ الشعراء، «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله. لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبد المطلب لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً. يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً. يا فاطمة بنت رسول الله سليني ما شئت (في الدنيا). لا أغني عنك من الله شيئاً (في الآخرة)».

لذلك نجد الله تعالى يعظنا جميعاً في القرآن الكريم قائلاً سبحانه:

﴿يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ ٢٥٤ ـ البقرة.

وحتى لا يفكر المسلم بموضوع الشفاعة مرة أخرى وتلتبس عليه الأمور إن حاول شيطان من شياطين الإنس أن يجعله يشرك بالله بالشفاعة من جديد يقول سبحانه في كتابه المبين ﴿قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض ثم إليه ترجعون﴾ ٤٤ ـ الزمر.

إن تجنب طاعة الطواغيت هي الأساس في التوحيد الإسلامي، وهذا لن يتم لنا إلا بهجر كل كتب فقهاء الدين التي دفع ثمنها الطواغيت من بيت مال المسلمين، والعودة إلى كتابنا المهجور القرآن العظيم، الذي لا كتاب في الأرض أعظم منه أبداً.

وبذلك نكون قد عدنا إلى نور الله تعالى، وتمسكنا بحبله المتين، وأطعنا رسولنا الذي أمرنا في حجة الوداع أن لا نترك كتاب الله، ولم يقل يومها كتابي أو سنتي أو حديثي أبداً. فالرسول الكريم من أفضل الموحدين هو وصحابته الكرام، خاصة الأربعة الراشدون وخامسهم الوحيد الذي استرشد بهم هو عمر بن عبد العزيز الأموي من بين كل السلاطين.

وبعودتنا من الإشراك الحالي إلى التوحيد مع تجنب كتب الطواغيت كلها، سوف

تتبدل ظروفنا، وتتوحد صفوفنا مع توحد كلمتنا، وسوف يهابنا عدونا، ويتقرب محاولاً كسب ودنا وصداقتنا، فنعيش في نعيم الدارين: دار الدنيا معززين مكرمين بفضل الله ونعمه، وفي الآخرة نجد أجورنا تنتظرنا في جنة الرضوان، كما يؤكد ذلك سبحانه بقوله:

﴿وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك الفوز العظيم﴾ ٧٢ - التوبة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الفتنة

ما هي فتنة الله تعالى في الأرض؟

وهل قولنا: «سنة الله في الأرض هي الفتنة» صحيحة؟

وما معنى قول الله تعالى في الآية الكريمة:

﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ ٢ ـ العنكبوت.

ما هي خطة الله تعالى وإلى ماذا يسعى الرحمن بالوصول بالإنسان في نتيجة الامتحان والاختبار في الأرض وقبل يوم القيامة؟.

والجواب على هذه التساؤلات الكبيرة يجب أن يكون من خلال علم الله الموجود بين أيدينا في القرآن الكريم.

ما هي فتنة الله تعالى في الأرض؟.

قبل الجواب على هذا التساؤل الهام لابد أن نعرف ماذا نفخ الله تعالى في آدم المصطفى من بين أمثاله من البشر وأضاف إليه ولم يكن موجوداً في أمثاله السابقين؟.

إن الشيء الوحيد الذي امتاز به آدم عن باقي مخلوقات الله تعالى في الأرض هو العقل الإنساني مع وجود الإرادة الحرة في الاختيار بين سبيلين هما الحق والباطل، علماً أن الله سبحانه خلق الإنسان من اجتماع أزواج فيه الشيء وعكسه دائماً، وفي داخله نفسان متعارضتان الرحمن والشيطان (التقوى والفجور) وجعل سبحانه العقل هو الوسيلة الوحيدة للتمييز بين الحق والباطل، والله تعالى علم الإنسان ثم أرسل إليه الرسل والرسالات ليدلوه على سبيل الخير في الأرض، والتمسك بطريق الرحمن وهديه، من أجل النجاح في تخليص نفسه بإتباع وصايا الرحمن من عذاب الدنيا للوصول إلى نعيم الدنيا أولاً، والذي ينجح في هذا الاختبار مجتازاً كل الموانع والصعوبات التي وضعها الله تعالى في طريقه يصل في النتيجة بنفسه إلى درجة التقوى ليدخل إلى فريق عباد الله المخلصين، وهم الفريق الذي فشلت كل شياطين الإنس والجن من الإيقاع به في حبائلهم ومكائدهم نتيجة تمسكه بكتاب الله وتوحيده، وتمسكه بطلب براهين العقل مع إبعاد الهوى كحكم على كل أمور العقائد، وعدم قبول أي شيء إلا بعد شك

وطلب الأدلة والبراهين حرصاً على عدم الوقوع في الوهم، لعلمه أن الذي يقع في الوهم سقط في منطقة الشيطان وفي حدوده وصار سهلاً عليه افتراسه، وكتب الشياطين تشهد عليهم بعد تحريفها بأنهم يؤمنون فقط بأن الجنة هي إنشاء إسرائيل الكبرى، وهذا ما يبشرون به للعالمين لتكون تحت زعامتهم ويكون لهم العالم بكل شعوبه عبيداً لهم، هذا ليس من الخيال ولا من الأوهام بل هذا هو فعلاً ما يسعى إليه شياطينهم في الأرض، وهذا لن يتم إذا فهمنا القرآن وتدبرناه وجعلناه منهجاً لنا، وفهمنا قول إبليس باعتباره زعيم كل الشياطين وأقدمهم في هذه الوظيفة من الإنس:

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس لم يكن من الساجدين * قال ما منعك ألا تسجد إذ أمرتك قال أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين * قال فاهبط منها فما يكون لك أن تتكبر فيها فاخرج إنك من الصاغرين * قال انظرني إلى يوم يبعثون * قال إنك من المنظرين * قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم * ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم ولا تجد أكثرهم شاكرين * قال اخرج منها مذموماً مدحوراً لمن تبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين﴾ ١١ - ١٨ - الأعراف.

هذا ما قاله إبليس من البداية ولكن كيف سارت الأمور على الأرض وكيف كانت النتائج، هل فشل إبليس في ظنونه ولم يتبعه أحد في العالمين، هذا ما نجده مقدراً من رب العالمين الذي وسع علمه كل شيء وكل ما يحصل في الأرض وفي الكون الذي يعتبر مختبره العلمي باعتباره العالم الخبير العليم الحكيم، وكل شيء في ذلك المختبر واقع تحت سيطرته الكاملة، وكل شيء فيه يجري بإذنه وبحسب مشيئته وحده وإن كان أكثر الناس لا يعلمون ذلك جهلاً منهم بكتاب الله العظيم.

﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين * وما كان له عليهم من سلطان إلا لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها في شك وربك على كل شيء حفيظ﴾ ٢٠ - ٢١ - سبأ.

ومن كل ذلك يمكن أن نفهم أن الفتنة هي من سنة الله الدائمة في الأرض التي لا يمكن أن تتبدل أو تتغير إلى يوم القيامة، فهو المحك الذي به يكتشف الله المؤمن القوي الذي آمن عن عقل بعد شك وطلب للدليل وللبرهان واطمأن قلبه بعد ذلك، ويميزه عن المؤمن الضعيف الذي آمن عن حب تسليماً فيقع فريسة في

فتنة الله بالشيطان الذي يحرفه بسهولة ليجعله من الضالين الذين يؤمنون ويصلون ويتعبدون، دون أن يعلموا أنهم بغفلتهم قد تحولوا إلى مشركين وعبدوا الشياطين وهم يظنون أنهم لا يزالون يعبدون الله ويوحدونه وهؤلاء من الذين قال الله تعالى عنهم.... ﴿ظالمي أنفسهم﴾ ٩٧ ـ النساء.

وآيات الله سبحانه وتعالى تبرهن لكل ذي عقل أن هذه الأمور ضمن خطة الله العامة وهي التي تجري في الأرض كل يوم وإن كان من الناس لا ينتبهون إليها إما لأنهم لا يهتمون أو لأنهم غافلون، والله تعالى هو الذي فتن المؤمنين وسلط عليهم الشياطين من بعضهم ﴿وكذلك فتنا بعضهم ببعض﴾ ٥٣ ـ الأنعام.

والفتنة قديمة في الأرض قدم الإنسان نفسه ﴿ولقد فتنا الذين من قبلهم﴾ ٣ ـ العنكبوت. وفتنة الإنسان دائمة ومستمرة لا تتوقف ﴿أو لا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ ١٢٦ ـ التوبة.

والشر أو الخير الذي يصيب الإنسان هو نوع من أنواع فتنة النفوس، ليعلم الله كيف تكون، هل تصبر؟ هل تتحمل إذا كان شراً؟ وهل تقنط من رحمة الله وتكفر؟ أم أنها تزداد صبراً وإيماناً، وإذا كان خيراً هل تشكر وتزداد قرباً لله أم أنها تتكبر وتبتعد وتظن أن هذا الخير حصلته بفضل ذكائها وحده؟ ﴿ونبلوكم بالشر والخير فتنة﴾ ٣٥ ـ الأنبياء. ﴿فإذا مس الإنسان ضرٌ دعانا ثم إذا خولناه نعمةً منا قال إنما أوتيته على علم بل هي فتنةٌ ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ ٤٩ ـ الزمر.

والله سبحانه لم يستثن أحداً من فتنته ولا حتى رسله وأنبيائه المكرمين، فلقد فتن سبحانه موسى عليه السلام ﴿وقتلت نفساً فنجيناك من الغم وفتناك فتوناً﴾ ٤٠ ـ طه. وفتن من بعده سليمان عليه السلام ﴿ولقد فتنا سليمان﴾ ٣٤ ـ ص. ولقد فتن الله تعالى رسوله الكريم وأنقذه منها برحمة منه ﴿وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفترى علينا غيره وإذاً لأتخذوك خليلاً﴾ ٧٣ ـ الإسراء.

وهي قصة الغرانيق المعروفة لذلك يقول سبحانه بعدها ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً * إذا لأذقناك ضعف الحيوة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيراً﴾ ٧٤ ـ ٧٥ ـ الإسراء.

والله سبحانه يعتبر هذه الفتن وسائل لاختبار قوة الإيمان، لأنه لا يريد المؤمن الذي يكون إيمانه ضعيفاً غير مستند على صخرة الحق الذي هو العقل وسبيل الله الذي هو

العلم، وحبله المتين الذي هو القرآن الكريم، فإن ترك أحد هذه الأمور الثلاثة تزعزع إيمانه فسقط صاحبه ضحية للشياطين، ومن سقط يتحمل نتيجة سقوطه وحده لأنه لم يتمسك بالعقل والحجة والبرهان، وكما أرسل الله سبحانه الملائكة إلى الأرض لنقل الوحي والرسالات رحمة بالإنسان كذلك أرسل سبحانه بعض الملائكة فتنة واختباراً للنفوس إذا ضعفت بدليل قول الله تعالى:

﴿واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل وهاروت وماروت وما يعلمان من أحدٍ حتى يقولا إنما نحن فتنةٌ فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم﴾ ١٠٢ ـ البقرة.

والمؤمنون من المسلمين عندما أطمأنوا إلى الله عن غفلة وظنوا أن الله تعالى قد توقف عن فتنة الناس في الأرض، وقعوا فرائس للشيطان مرة أخرى من بعد الجيل الأول للرسول الكريم والصحابة، لأنهم نسوا أن الله تعالى قد نبههم أنه يفتنهم في كل عام مرة أو مرتين والله تعالى قد جعل أموال الأرض وزينتها ووسائل للشياطين لفتنة المؤمنين الغافلين، لأنه شاء أن لا يكون له إلا المؤمنين المخلصين المتقين الخاشعين ﴿واعلموا أنما أموالكم وأولادكم فتنة وأن الله عنده أجر عظيم﴾ ٢٨ ـ الأنفال. والله تعالى مع كل هذا ينبه عباده الصالحين أن يكونوا دائماً على حذر من الشياطين ومن فتنتهم ﴿يا بني آدم لا يفتننكم الشيطان﴾ ٢٧ ـ الأعراف.

فوظيفة الشيطان الذي هو غالباً من الإنس في الأرض هي إضلال الناس عن الحق حتى يستعبدهم تحت أسماء مختلفة، وإتباعه غالباً هم الضالون الذين مع إيمانهم بالله لغفلتهم يتبعون الشيطان الذي يوقعهم عن طريق الظنون والأوهام، ومحرفات الكتب المقدسة إلى عبادته بدلاً من عبادة الله، وما العبادة إلا الطاعة، فالعبد إذا كان عبداً لله وحده تحرر من عبودية العباد وصار سيد نفسه في الأرض، وإن أضله الشيطان صار عبداً له واستعبده في الأرض وسحب منه حقوقه وحرياته كلها باسم الله والرسول، وهذا هو الفرق الحقيقي بين المؤمن الحريص على التوحيد ليضمن بتوحيده حقوقه وحرياته في الأرض، وبين المؤمن الغافل الذي يجعله الشيطان عبداً له يذله ويأخذ منه كل حقوقه ويظلمه أشد الظلم ويوهمه أن ما يجده من عذاب وذل وفقر هو خلاصٌ له من عقاب

الله وجحيمه في السماء، ولذلك فالمشرك ظلمه لنفسه ظلمٌ مضاعف فهو أولاً:

ظلمٌ لنفسه في الأرض بتخليه عن حقوقه وحرياته للسلاطين بدون مقابل فيعيش فقيراً تعيساً في الأرض، ظناً أن الله تعالى يعذبه في الأرض بدلاً عن عذاب الآخرة، وظلمٌ آخر لنفسه إشراكاً بالله لقبوله بشرع آخر يناقض شرع الله الصحيح وطاعته للسلطان الذي عصى الله وبدل شرعه ودستوره كله، ويوم القيامة سوف يقف أمام الله تعالى يقسم بأنه لم يكن من المشركين، وصراع الإنسان في الأرض أقره الرحمن فالناس من قبل الرسالات في الأرض كانوا أمة واحدة تتبع غرائزها ولاتعلم الخير ولا الشر ولا ما هو الإيمان أو الكفر ولا الرحمن أو الشيطان.

﴿كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه إلا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغياً بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه والله يهدي من يشاء إلى صراط المستقيم﴾ ٢١٣ ـ البقرة.

طبعاً المشيئة هنا للإنسان المؤمن الذي اختار الله عن عقل وعن بصيرة وشاء لنفسه الهداية، صحيح أن الله تعالى هو الذي ألهم النفس الإنسانية فجورها وتقواها وجعل إمكانية الاتجاه نحو النفسين بإرادة من الإنسان نفسه حامل الاتجاهين معاً ﴿ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها﴾ ٨ ـ الشمس.

فالصراع في الأرض بين الشر والخير ووجود المتناقضات مثل الظلم والعدالة، الغني والفقير، الفساد والإصلاح، مع إعطاء الفرص للشياطين وهم غالباً من الدهاة أصحاب الكيد والمكر على المؤمنين جميعاً بمن فيهم الأقوياء من الموحدين لله ولسبيله ولكتابه، والمؤمنين السذج البسطاء من الذين يسمونهم شياطين الماسونية (العميان) لذلك فإن الله تعالى ترك الفرص والحرية للشياطين وللمؤمنين بدون أن يكون أي تمييز لفئة على فئة حتى ينتصر الأقوى والأصلح، ولا شك أن المؤمن العاقل العالم الموحد لله ولكتابه أقوى وأصلح من الشيطان الكافر

﴿كلاً نمدُّ هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وما كان عطاء ربك محظوراً﴾ ٢٠ ـ الإسراء.

والشيطان إذا استعلى في الأرض ارتكب مجازر كبيرة في الأرض وسفك الدماء وارتكب المظالم بلا رحمة وبلا شفقة، وهذا من ظلم الإنسان للإنسان إذا كفر بالرحمن، والشيطان لايملك تلك القوة إلا إذا غفل الأكثرية وتركوا ميزان العقل واتبعوا

الهوى فوقعوا في حبائل الشيطان، والله سبحانه خلال تاريخ الإنسان أجرى مع كل الأمم تجارب كان ينقذ فيها دائماً المؤمنين، ويدمر الكافرين والمشركين معاً، هم وذريته معهم، لعلمه سبحانه أن الشجرة الخبيثة لا يمكن أن تعطي إلا بذرة خبيثة مثلها ﴿والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذي خبث لا يخرج إلا نكداً كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون﴾ ٥٨ ـ الأعراف.

أما في الآية التالية:

﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولاهم يذكرون﴾ ١٢٦ ـ التوبة.

التي هي من سورة التوبة الخاصة، حيث يخاطب الله تعالى فيها الأحياء وهم الرسول الكريم وأصحابه، لأنهم كانوا يتذكرون أنهم كانوا يفتنون في كل عام مرةً أو مرتين، عندما يأمر سبحانه رسوله أن يحرض المؤمنين على القتال والخروج للغزو لتحقيق الحق وكسر شوكة المشركين بعد التفوق والنصر عليهم بإذن الله وتأييده، أو الخروج من أجل الغزو أو قتال الكافرين والمنافقين من أهل الكتاب وقتلهم أو إخراجهم من الجزيرة العربية، قبل مواجهة المؤمنين للروم والفرس وجيوشهم الجرارة وحتى لا تبقى عائلات المقاتلين من المؤمنين تحت رحمة أعداء يستترون خلفهم ويعملون عمل الطابور الخامس للتخريب خلف الصفوف.. لعلم الله أنهم لا يؤتمنون على عهد أو ميثاق. كما أن الله تعالى يذكّر المؤمنين كيف كانوا يفتنون عند أمر الرسول بتلك الغزوات، التي كانت تحدث مرة أو مرتين في كل عام، فيخرج من بين صفوف الصحابة من يعتذر عن الخروج بحجج مختلفة يعلم بصدقها وكذبها الله وحده الذي كشف للرسول وللمؤمنين كذبهم ونفاقهم وتقاعسهم عن أمر الله الذي بلغ إليهم أمراً من الرسول الكريم. واليوم إذا راقب المؤمن نفسه وأحواله يفتن في أمور كثيرة قد تكون أصغر من تلك أو أكبر كأن يغريه الشيطان بمعصية لأن الشيطان يقعد للمؤمن فيغريه بالإشراك بالله وهي الكبيرة الأولى في دين الإسلام، أو يغريه بالإساءة للوالدين وإغضابهما وهي الكبيرة الثانية، أو يغريه أن يجهض زوجته بلا مبرر إلا خوفه على أن لا يستطيع الإنفاق على الوليد أو يوافق زوجته على الإجهاض لأنها تخشى على قوامها وجمالها أكثر من حياة الجنين وهي الكبيرة الثالثة. أو يغريه الشيطان فيزني وهي الكبيرة الرابعة. أو أن ينتقم فيقتل نفساً حرم الله قتلها إلا بالحق من بعد المحاكمة العادلة وهي الكبيرة الخامسة.

أو أن يغريه على أكل مال اليتيم طمعاً وعدواناً وهي الكبيرة السادسة، أو أن يغش في المكاييل والموازين والقياسات وهي الكبيرة السابعة، أو أن يكذب فيقول غير الحق وهي الكبيرة الثامنة، أو يغريه الشيطان فيخون ما عاهد الله في عهوده وعقوده وهي الكبيرة التاسعة، أو أن يترك سبيل الله الواحد بإتباع القرآن وحده فيتبع أساليب وسبل أخرى مثل إتباع الفرق المختلفة تحت اسم الإسلام وهي الكبيرة العاشرة.

إن كل هذه الأمور من أمور أخرى كثيرة تأتي من الشيطان، مثل الحسد والنميمة والغيبة والحقد والكراهية الشديدة واغتصاب مال الغير بالقوة أو السرقة، كلها معاصي يغري بها الشيطان. فالإنسان الذي يكون أمام تلك المعاصي مع الشيطان يكون في حالة فتنة فهو إما أن يتذكر الله تعالى فيبتعد عنها إما حباً لله وهذا أولى أو خوفاً من عقابه وناره وهذا أدنى.

الآن ما هي مقاصد الرحمن من كل عملية اختبار الإنسان، ومن كل عمليات الفتنة، ومن كل ما شاهدنا من تسليط الشيطان وتوظيفه لاختبار قوة إيمان العباد في الأرض، ومن كل عمليات الفتنة الدائمة بلا توقف أبداً، إن المتأمل لآيات الله من خلال تلاوة ذكر الله تعالى يكتشف فعلاً أن الله تعالى له هدف محدد، وهو أنه سبحانه لم يخلقنا عبثاً ﴿أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً﴾ ١١٥ - المؤمنون.

وكذلك فإنه سبحانه لا يلهو ولا يتسلى بكل ما نراه في الأرض من أحداث وفواجع تحصل جميعها بإذنه وتحت بصره وسمعه.

﴿لو أردنا أن نتخذ لهواً لاتخذناه من لدنّا إن كنا فاعلين﴾ ١٧ - الأنبياء.

وهدف الله سبحانه أن يميز في الأرض الخبيث من الطيب، ليصل في نتيجة التجربة الإنسانية التي بدأت على الأرض من أمة واحدة، تسير على غريزتها دون تمييز بين الحق والباطل وبين الخير والشر وبين الطيب والخبيث إلى أمة واحدة أيضاً ولكن وصلت إلى تلك النتيجة بما وضعه الله فيها من بذرة الخير التي طورها سبحانه مع الزمن حتى قويت وأصبحت في النهاية شجرة طيبة ﴿ألم تر كيف ضرب الله مثلاً كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء﴾ ٢٤ - إبراهيم.

هذه هي شجرة المؤمنين الذين تمسكوا بكلمة الله الطيبة الثابتة التي أنزلها الله من السماء وجعل فرعها في الأرض. والله سبحانه يثبت دائماً الذين آمنوا به عن طريق القول الثابت الذي لا اختلاف ولا تناقض ولا تغيير فيه أبداً، وهو القرآن الكريم بينما

نجد الأقوال المختلفة وشديدة الاختلاف فيما نسميه اليوم الحديث النبوي الشريف افتراء على الله تعالي وعلى رسوله ﴿يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين﴾ ٢٧ - إبراهيم.

والله تعالى يسعى إلى أن يميز ذلك الطيب من ذاك الخبيث، والخبيث من المؤمنين هم كل ضعاف النفوس من المنافقين، ومن الذين يسهل على الشيطان استغفالهم فيشركون بالله من غير علم، وكما لا يريد الله تعالى المؤمنين الذين يمكن شراؤهم بالأموال والشهوات من ضعاف النفوس فيقعون في حبائل الشياطين كما تقع الفراشات في النار دون أن تعلم أنها سوف تحرقها، وكما لا يريد المؤمنين الذين يمكن أن ينافقوا أو أن يقعوا في أمراض مثل الكذب والرياء والحسد والبغضاء، بل شاء الله أن يميز من بين كل ذلك عن المؤمنين الذين أفشلوا كل وسائل الشياطين وظلوا ثابتين متمسكين بتوحيد الله تعالى وتوحيد سبيله الذي هو العلم والحق وتوحيد كتابه الذي هو القرآن الكريم.

﴿ما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب﴾ ١٧٩ - آل عمران.

والله تعالى هو الذي خطط لكل ما يجري الآن منذ البداية وهو سبحانه الوحيد الذي يعلم بالنتائج سلفاً ويعلم أن الحق والخير والعدل في الأرض هي التي سوف تنتصر في النهاية على الشر وهذا وإن لم يحصل حتى الآن فإن بداياته قد ظهرت بظهور معجزات القرآن الكريم، وبشرى لكل من سيكون من فريق المبشرين لدين الله من أجل الوصول للأمة الإنسانية الواحدة المتحدة على الحب والعدل والسلام والإيمان بالله والتوحيد به وبكتابه وسبيله، وهذا لن يكون بعيداً وأنا كلي إيمان بأن ذلك سوف يتحقق بإذن الله تعالى ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قويُ عزيز﴾ ٢١ - المجادلة.

وتحقيق ذلك سوف يتم على أيدي العلماء وأهل العلم الحقيقي منهم لأنهم على سبيل الله أصلاً وإن كانوا لا يعلمون والله تعالى هو الذي قدر ذلك لوحده في الآية الكريمة ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ ٥٤ - الحج.

والله تعالى هو الذي جعل أهل العلم والعلماء أقرب الناس للمؤمنين فوضع ذكرهم بعدهم مباشرة لعلمه أنهم أول من سيؤمن به عندما يسمعون بكتابه المعجز للعالمين:

﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾ ١١ - المجادلة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

الحقيقة والوهم - الرحمن والشيطان

من خلال بحث الفتنة السابق عرفنا أن الله سبحانه وتعالى وراء كل ما يحصل في الأرض من صراع للأفكار وصراع للأجيال وصراع للقوى وسباق وجري وراء الشهوات من أموال ومتع، وهو سبحانه وراء كل الأديان وهو الذي أرسل من الملائكة رسلاً من أجل فتنة الناس والله صادق أمين لا يكذب على عباده، ويتيح لهم التعرف على الخير من بعد تجريب كل سبل الشر ليتأكدوا من بطلانها جميعاً، وأفضل مكان يمكن التعرف على الله سبحانه فيه هو كتابه الحقيقي القرآن الكريم، وأفضل الآيات التي تذكر حقيقة الله هي الآيات التي فيها صفاته الحسنى، والله تعالى خلق الإنسان الأول باصطفائه، ونفخ فيه من روحه وجعله مخلوقاً مميزاً يحمل الفكر والعقل وإمكانية النطق والتعلم بالقراءة والكتابة فحسده مخلوق آخر فكفر إبليس حسداً وتكبراً، والإنسان خلقه سبحانه مكوناً من اجتماع أزواج متعاكسة شكلاً وفعلاً ومن أهم تلك الأزواج إمكانية اتجاه الإنسان للحقيقة إذا اتخذ العلم الحقيقي المستند للعقل وسيلة مع إمكانية وقوعه في الأوهام إذا غفل عن أهمية العلم وسقط في هوة الجهل والجهالة، والعلم يؤدي إذا تمسك به الإنسان إلى الرحمن الذي هو الحق، والجهل يؤدي إلى وقوع الإنسان في الوهم والباطل الذي في حدود الشيطان ليستغله ويستعبده نتيجة جهله وابتعاده عن العلم، والله سبحانه وتعالى في كل هذا يقول لنا صادقاً ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ ٤٠ - النساء.

ولفهم الظلم ومصدره لابد أن نعرف أن الله تعالى قد خلق الناس من الأساس أحراراً وجعل مشيئتهم وحريتهم في الاختيار هي الأولى، فالله سبحانه لا يكره الإنسان على شيء أبداً ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ ٢٥٦ - البقرة. وقد قال سبحانه لرسوله مستنكراً أسلوب الإكراه في الإيمان ﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ٩٩ - يونس.

والباحث عن الحقيقة والدارس لصفات الله يكتشف من خلال آيات القرآن الكريم أن الله تعالى مع كونه الرحمن الرحيم والملك القدوس السلام التواب الرزاق الغفور الكريم الحق العفو الغني الودود، هو أيضاً القوي العزيز الجبار الخالق المتكبر القهار المتعال العظيم، إن كل من يتجاهل الصفات التي ذكرتها لا يمكن أن يتعرف على حقيقة الله

سبحانه أبداً، والشياطين عادة يضلون الناس بتبديل صفات الله تعالى هذه، لذلك يجب أن نعلم أن الذي ينقص من صفات الله أو يزيد عليها هو الشيطان حتى يضل بها أتباعه من الناس، والذي يفهم الله سبحانه من خلال صفاته الحسنى ومن خلال آيات الله البينات يعلم أن الله تعالى وراء كل ملحمة الإنسان (التراجيديا الإنسانية) على الأرض وله غاية من وراء ذلك، هي أن يبدأ صراع الإنسان ذو العقل والفكر والعلم على الأرض بين فكرتي الحق والباطل ـ الخير والشر ـ الجميل والقبيح ـ الرحمن والشيطان ـ حتى يصل بالإنسان الحر المستنير بهدي الله ونوره المرسل إليه من خلال رسل الله إلى معرفة الله تعالى، والتعرف على سبيله على أنه العلم الحقيقي المؤدي إلى عمل الخير والإحسان والإصلاح في الأرض، مع الابتعاد عن أعمال الشر والإساءة والإفساد، وفي النتيجة يصل هذا المخلوق المميز عند الله تعالى عن طريق عقله المستنير بنور الله إلى الإنسان الطيب الذكي المدرك عن علم ومعرفة لمضار الشر وعن قوة وبصيرة، فيبتعد عن الخبث والخبائث لضررها الأكيد، وهذا هو الذي يبشر به الله سبحانه به في كتابه وهو يقول ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله﴾ ٣٣ ـ التوبة.

ومن يظن أن الله تعالى قد أظهره على الدين كله وانتهى أمرُ هذا الدين وعاد الله سبحانه بعدها إلى عليائه يكون من أكبر المتوهمين فالله سبحانه العليم الخبير العزيز القوي الجبار الذي يخلق ما يشاء لم يبدأ التجربة على الأرض إلا وهو يعلم كيف ستكون النتائج وإلا لما أقسم وقال سبحانه ﴿كتب الله لأغلبن أنا ورسلي إن الله قوي عزيز﴾ ٢١ ـ المجادلة. كذلك لما قال تعالى في أقصر سورة مدنية في القرآن الكريم ﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ١ ـ ٣ ـ النصر.

إن من يظن أن هذه الآية قد تحققت على الأرض أيام الرسول الكريم فإنه واهم ولا يعرف الحقيقة لأن الذين آمنوا مع الرسول الكريم كانوا غالباً من الذين أسلموا تسليماً وجميعهم لم يؤمنوا بعد رؤية معجزات القرآن ودلائل الرحمن وبراهينه العلمية في القرآن ولم يستمر أولئك المؤمنون لأكثر من جيل واحد انتهى دورهم في الأرض كما بدأها سبحانه بأمة واحدة عند البداية، ولكن بدلاً من خلق هذه الأمة كأمة واحدة في الأرض بقوة الخلق كما خلق الملائكة مؤمنين مطهرين من الشر والخبائث لا يعرفون تناقضاً ولا صراعاً وليس عندهم خير وشر ولا شيطان يصارع الرحمن، شاء الله وكانت إرادته أن تكون هذه الأمة هي التي تسعى إلى الوحدة لأنها اكتشفت محاسن

التوحد وتعرفت على نعيم الله من خلال درب الآلام في جحيم الأرض الذي دام بين الظالم والمظلوم وكلاهما ظالم لنفسه من دون أن يعلم الشيطان الكافر الذي ظن أنه استغل بذكائه الضعفاء والسذج والعميان أنه كان ظالماً لنفسه أيضاً لأنه باع الآخرة بدنياه القصيرة، لوقوف شهوات الدنيا حاجزاً وغشاوة أمام عينيه التي منعته من رؤية الحقيقة، والمشرك الذي آمن بالله أولاً ثم خدعه الشيطان بكتب كتبها تحريفاً لكتب الله الحقيقية حتى يجعله عبداً مطيعاً له ولمآربه في الأرض وهو يظن أنه يعبد الرحمن دون أن يعلم أنه أصبح يعبد الشيطان باسم الله، والمشرك ظالم لنفسه لأنه لم يشك بنوايا من ادعى الخير ولبس له لباس الواعظ في قوم فرعون وهو يدعي أنه يدعو الناس لله وفي الحقيقة كان يدعو إلى عبادة فرعون كما لبس لباس الواعظ في الأمم التي آمنت ببوذا فخدعوا الناس وجعلوهم يعبدون سلطان البوذية باسم بوذا، ولبس لباس الواعظ اليهودي في الأمة التي آمنت بإله موسى فخدعوا الناس وأنسوهم الآخرة وجعلوهم يعبدون سلطان اليهودية وشيطانهم الأكبر لتأسيس إمبراطورية الشيطان في الأرض، ولبس لباس الواعظ المسيحي في الأمة المسيحية ليدعوا الناس للإيمان بالمسيح على أنه الله ليجعل من سلطان المسيحية إلهاً في الأرض يفعل ما يشاء، ولبس لباس الواعظ الإسلامي في الطوائف الإسلامية ليجعل من سلاطين المسلمين مستبدين باسم الله يظلمون الناس جهاراً باسم الله والرسول، فهل تتوقعون من كهنوت ما (مهنة رجل الدين) صدقاً طالما تعلمون أن وجودهم كله خلال التاريخ كان لخدمة مصالح الأقوى في الأرض وهو الحاكم الدنيوي الذي يدفع لهم مما يحبون..

هذا هو مختصر الحقيقة لدرب الآلام في الأرض، ولكن بشرى للمؤمنين وبشرى للمتقين وبشرى للذين يخشون ربهم ويعرفون من هو الشيطان، وبشرى للذين يعلمون أنهم يدخلون من جديد إلى دين قديم ظهر في الأرض وفي الجزيرة العربية وفي القرن السابع الميلادي على يد رسول كريم أمين من آل إبراهيم وإسماعيل فأرسل الله إليه خاتم الرسالات في الأرض ليكون بشرى للعالمين، فأضاء به سبحانه الأرض في ومضة سريعة دامت مدة أربعين عاماً في الأرض، واستمر تأثير تلك الومضة الإلهية مؤثرةً وفعالةً في الأرض لقرون طويلة مع أن الشياطين استطاعوا أن يحرفوا الناس من جديد فأعادوهم إلى دين آبائهم القديم بالشفاعة، وإلى عصر الجاهلية العظمى التي ما يزال المسلمون يقبعون فيها إلى اليوم من دون أن يعرفوا لأنفسهم مخرجاً من ذلك الكهف المظلم البعيد عن نور الله والقريب من أشباح الشياطين وأوهامهم وتعاليمهم،

ولابد قبل أن أنهي هذا الموضوع الهام في كتابي الرابع الذي يحمل اسم (الحقيقة) حيث عاهدت فيها ربي أن أسعى جاهداً لإظهار الحقيقة كاملةً. الحقيقة التي ذكرها رب العالمين في كتابه وشاء الشياطين بإخفاءها عن الناس ظلماً لأنفسهم وظلماً للسذج من المسلمين الذين وثقوا في الشياطين رغم تنبيه الله الدائم لهم أن يحذروا منهم على الدوام: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر الأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون * إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون * وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروه فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ ٩٠ - ٩٢ - المائدة.

هذه الآيات الثلاثة من آيات الله البينات تقول الحقيقة كاملة عن الشيطان وعمله ومهنته وأين يمكن أن نجده في الأرض؟.

فالشيطان ليس كما صوره لنا شياطين الإنس في الأرض وقالوا لنا كذباً أنه مخلوق ضعيف يحرقه الله بمجرد قولنا بلساننا: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم». أو يسرع هارباً كما يروي أبو هريرة. الشيطان ذكي وجه ذكائه كله للشر بعد أن اكتشف وجود فئة طيبة ساذجة تعيش على الأرض فاستغلها واستعبدها أبشع استغلال وأفظع استعباد بلا رحمة ولا شفقة وسعى إلى تحقيق أحلامه الدنيوية وشهواته وأهوائه الأرضية والشيطان لم يستطع أن يعلم أن وراء كل ما يراه وما يشاهده إله جبار قاهر خلاق فعال لما يريد، والشيطان نفسه الذي ظن أنه أصبح الإله المعبود في الأرض لم يعلم أن الله تعالى قد استخدمه ووظفه ليكون وسيلة الله تعالى لفتنة المؤمنين وزلزلتهم في كل عام على الأقل مرة أو مرتين حتى يكشف عن طريقه وبأساليبه ضعاف النفوس عن أقوياء النفس والإيمان المتمسكين بوحدانية الله تطبيقاً وتوحيداً لسبيل الله الذي هو العلم الخالي من الأوهام والظنون مع التمسك بكتاب الله الوحيد الذي عليه برهان من الله أنه من رب العالمين، والذي عليه برهان آخر عددي بأنه سَلِمَ من التحريف زيادة أو نقصاناً بدليل الإعجاز العددي، رافضاً كل مصادر الشياطين الأخرى جملة وتفصيلاً، وهؤلاء هم الذين يقدر إيمانهم الرحمن وهم الذين سوف يرثون الأرض اعتباراً من انتشار رسالة الله الأخيرة بين أهل العلم والعلماء في الأرض ﴿وليعلم الذين أوتوا العلم أنه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم﴾ ٥٤ - الحج.

والله تعالى شاء سلفاً أنه لا يريد الذين يؤمنون به عن تسليم بلا عقل وبلا حجة أو دليل أو برهان لأن هؤلاء المؤمنين لا يؤمنون بالله إلا ويكون في إيمانهم شبهة بإشراك بدليل قوله تعالى ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ - يوسف. وأغلب هؤلاء المؤمنين يتركون سبيل الله الصحيح الذي هو العلم الصحيح وكتابه الصحيح ويلحقون من ظنوا أنهم من الأولياء الصالحين، دون أن يعلموا أنهم هم الشياطين فيتَّبعون ما بدلوا وما حرفوا وما أعطوهم بدلاً من الحقائق من الظنون فيقول سبحانه عنهم ﴿وما يتَّبع أكثرهم إلا ظناً إن الظن لا يغني من الحق شيئاً إن الله عليم بما يفعلون﴾ ٣٦ - يونس.

والله تعالى يقرر الحقيقة للذين يبحثون عن الحقائق أن الكتاب الوحيد الذي لا يمكن أن يفتري مثله الشياطين هو القرآن العظيم ﴿وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين﴾ ٣٧ - يونس. ﴿وكل شيء فصلناه تفصيلا﴾ ١٢ - الإسراء. ﴿ويعلمون أن الله هو الحق المبين﴾ ٢٥ - النور. ولذلك فكتابه أيضاً مبين بذاته ﴿تلك آيات الكتاب المبين﴾ ٢ - الشعراء. وآياته مبينات ﴿وأنزلنا إليكم آيات مبينات﴾ ٣٤ - النور. وقال سبحانه عن آياته البينات وهي المعجزات العلمية في القرآن الكريم ﴿ولقد أنزلنا إليك آيات بينات وما يكفر بها إلا الفاسقون﴾ ٩٩ - البقرة.

والله تعالى قال لنا الحقيقة كاملة عن رسوله لمن يبحث عنها فدوره بالنسبة للرسالة هو دور تبليغ فقط لرسالة كاملة ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته﴾ ٦٧ - المائدة. والرسول ليس له من الأمر شيء من بعد التبليغ وكل شيء تحت تصرف الله تعالى وحده:

﴿وليس لك من الأمر شيئا﴾ ١٢٨ - آل عمران.

إذا فالأمر كله يجب أن يكون بيد الله تعالى وحده:

﴿وكان أمر الله مفعولا﴾ ٤٧ - النساء.

﴿ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين﴾ ٥٤ - الأعراف.

﴿حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون﴾ ٤٨ - التوبة.

﴿إليه يرجع الأمر كله﴾ ١٣٣ - هود.

وأخيراً يختم الله كل تلك الآيات بآية خاتمة للجميع مؤكداً أن الأمر كله بيده وحده لا شريك له فيه أبداً:

﴿بل لله الأمر جميعا﴾ ٣١ ـ الرعد.

والسُّنة قوانين والقوانين أوامر دائمة والأوامر من الله تعالى وحده وكل من يتقول بعد ذلك بسُنَّة لعبد من عباده يشرك بالله علناً، والقائل به إما شيطان أو مُضلّ أو مشركٌ على ضلال، والهدي والهداية من شؤون الله وحده ومن ادعى هداية من أحد عباده يشرك بالله علناً، وهو إما شيطان يريد أن يُضِل الناس على علم أو مشرك على ضلال. والله تعالى يقول لرسوله علناً أن موضوع الهدي والهداية ليست لك وهذا موضوع خاص بالله وحده فهو الذي يهدي إليه من يشاء من عباده فيتقدم إلى الله راغباً مختاراً بحريته متطوعاً راجياً الهداية من الرحمن الذي يعلم الغيب وما في القلوب يقبل به أن يكون من المهتدين ﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ ـ البقرة. وكذلك فلله وحده الشفاعة جميعاً ومن ادعى شفاعة لأحد عباده فهو إما شيطان يجب أن يضل الناس أو مشرك اتبع الشياطين من الذين يضلون العباد ﴿ليس لهم من دونه وليٌ ولا شفيعٌ لعلهم يتقون﴾ ٥١ ـ الأنعام. ﴿أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يومٌ لا بيع فيه ولا خلةٌ ولا شفاعة﴾ ٢٥٤ ـ البقرة. وأخيراً ينهيها سبحانه في الآية الخاتمة لموضوع الشفاعة ﴿قل لله الشفاعة جميعا﴾ ٤٤ ـ الزمر.

وهكذا من اتبع كتاب الله وحده وجد فيه الحقائق من دون إضلال ومن اتبع كتب الظنون من الأحاديث اتبع الشياطين.

إن الناس إذا آمنوا بالله من جديد عن طريق العقل والبرهان لن تستطيع عندها شياطين الإنس والجن أن تخدعهم لأن هؤلاء آمنوا بأن الله الحق، وهم يسعون إلى الحق والحقيقة ويؤمنون بالعلم الذي اتخذوه سبيلاً وسبيل الله تعالى هو العلم، وهؤلاء إذا أتاهم الهدي عن طريق القرآن وحده لن يتخذوا من بعده كتاباً مع كتاب الله أبداً، لأنه الكتاب الوحيد الذي يحمل البرهان وهذا هو التوحيد الذي يسعى إليه الرحمن في الأرض ليصل به في نتيجة الاختبار على الأرض.

﴿ولقد صدق عليهم إبليس ظنه فاتبعوه إلا فريقاً من المؤمنين﴾ ٢٠ ـ سبأ.

ولكن تعالى قال:

﴿وما كان الله ليذر المؤمنين على ما أنتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان

الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله **وإن** تؤمنوا وتتقوا فلكم أجر عظيم﴾ ١٧٩ - آل عمران.

وعندها سوف تتحقق آيات الله تعالى التي بدأت بها هذا البحث:

﴿إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجاً * فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا﴾ ١ - ٣ - النصر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

كيف فهم المسلمون الإسلام
من خلال كتب التراث وتفاسير الأولين

إن إساءة فهم الآية التالية: ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ ٢٨٥ ـ البقرة. مع تشجيع مثل سفيان الذي أشار إليه البخاري إشارة ذات مغزى عندما قال: قال سفيان وقرأ الآية مبتورة حتى يساء فهمها من الناس الذين ليس بين أيديهم نسخ من كتاب الله، ولا يعلمون عنه إلا ما يسمعون من علماء الدين في المساجد ﴿لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم﴾ ٦٨ ـ المائدة.

هذه الآية على شكلها المبتور كما استشهد به سفيان عندما يسمعها الجاهل بالقرآن يظن أن هذا الكلام موجه من الله للمسلمين، فعليه تطبيق التوراة والإنجيل مع القرآن حتى يكون مسلماً صحيحاً. ومع الأسف لم يعلم آباؤنا ماذا أخفى سفيان عنهم، وكان ما يزال في أول الآية التي تبين أنها موجهة إلى أهل الكتاب وحدهم دون المسلمين، وفي آخرها متنبئاً لنا سبحانه أن فئةً من أهل الكتاب سوف تعمل على زيادة ما أوحى الله لرسولنا فوق القرآن بأحاديث ما زالت تثقل كاهل المسلمين إلى هذا اليوم. مع أننا إذا قرأنا الآية كاملة نعلم الحق الذي أخفاه سفيان وأمثاله فالله تعالى يقول ﴿قل يا أهل الكتاب لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليكم من ربكم وليزيدن كثيراً منهم ما أنزل إليك من ربك طغياناً وكفراً فلا تأس على القوم الكافرين﴾ ٦٨ ـ المائدة.

فأصبح الإسلام بعد ذلك متأثراً بما نقله أهل الكتاب إلينا من كتبهم المحرفة، وصار المسلمون يحرمون ما حرم الله على أهل الكتاب بغض النظر عن القرآن العظيم، الذي أصبح بالإمكان نسخه مع نسخ آياته البينات والمعروف عنها بأنها نصوص قطعية الثبوت وقطعية الدلالة، بنصوص بديلة كلها ظنية الثبوت وظنية الدلالة، جهلاً من المسلمين الذين وثقوا وآمنوا بكل ما قاله لهم رجال الدين في عهود السلاطين الذين لم يهتموا إلا كيف يحصلون على متع الدنيا وحدها وكيف يتمرغون فيها ظهراً لبطن.

فأصبحت بعدها أفكار القرآن الإسلامية مقلوبة تماماً ومعكوسة، فأصبح المسلم مثلاً يعتقد بوجوب قتل الكافر والمشرك والمرتد عن الدين كما أصبح يعتقد بوجوب قتل من يخرج عن إجماع المسلمين.

بينما إسلام القرآن ينكر أصلاً وجود الإجماع، لأن الإسلام مبني على الشورى والتشاور ومبدأ الأخذ بالآراء بحرية كاملة، والشورى لا تنكر مبدأ المعارضة ومبدأ وجود الرأي الآخر، وإلا لوجب قتل المعارض وكتم المعارضة. والإسلام، إذا فكرنا أكثر، يقبل حتى بوجود الشيطان مع علمه بعداوته للإنسان، والله تعالى لم يأمر بقتل الشيطان، مع إقرار القرآن بأن ألد أعداء المؤمنين هم شياطين الإنس من المفسدين في الأرض، فلم يأمر سبحانه بقتلهم إلا بالحق وبعد ثبوت الجرائم التي تستحق قتل فاعلها بحسب شرع الله العادل. والمسلم من خلال دخول شرع أهل الكتاب الحدي: العين بالعين والسن بالسن أصبح يفهم شرع الإسلام على نفس الشرع الحدي، فيقول يجب إقامة الحد على السارق والزاني مما يدل أنه لم يفهم مبدأ الحدود في شرع الله الحنيف. ولو فهم المسلم أن شرع القرآن يختلف عن شرع أهل الكتاب بأنه شرع حدودي، ولكل فعل جرمي في الإسلام هناك حدٌ أعلى وحدٌ أدنى لا يجوز تجاوزهما، وحدود الإسلام وشرعه تقع بين الحدين، ومن حق القاضي أن يختار ما يشاء من بينهما، وبدون فهم هذه الحدود في شرع الإسلام القرآني لا يمكن فهم شرع الإسلام الصحيح. بينما المطبق حالياً على أنه الإسلام هو شرع خليط وبعيد كل البعد في مبادىء فهمه عن شرع القرآن الحنيف.

يظن المسلمون اليوم أنهم يطبقون الإسلام كما طبقه الرسول الكريم في أول الإسلام مقتدين بروايات ظنية محرفة تناقض القرآن. علماً أنه لو طبقنا فعلاً بعض ما طبقه الأولون سوف نجده لا يصلح لنا ولا لزماننا، لأن ذلك كان هو التفاعل الأول لجيل المؤمنين الأول، مع القرآن ولكل جيل يأتي من بعدهم الحق في التفاعل مع آيات الله من جديد لاستنباط ما يناسبهم ويناسب زمانهم ومكانهم من أحكام، دون أن يتخطوا في ذلك حدود الله أو الدخول في مجال ما حرمه الله.

بنى الله تعالى شرع القرآن أساساً حتى يكون دستوراً دائماً متجدداً مع كل جيل إسلامي، من حقه أن يفهم القرآن وحده ويتفاعل مع آياته بحسب مفهوم عصره، فيفهم القرآن وآياته بحسب ظروفه الزمانية والمكانية، وهذا هو الذي يعطي القرآن القيمة العالمية

ليكون دستوراً عالمياً يقبل بكل الأعراف والتقاليد لأمم العالم على اختلافها، شريطة أن لا تتجاوز حدود الله، وهذا يبعد المسلمين بشكل دائم عن الجمود على أحكام معينة أو قوانين محددة، بل بإمكانهم تبديلها وتغييرها بشكل دائم، شريطة أن تنطلق من روح القرآن ذي المفهوم العالمي وأن لا تتجاوز حدود الله في حدها الأعلى أو الأدنى، وأن لا يحاول المشرع الإسلامي التدخل فيما حرم الله، فيجعل مما حرّم حلالاً أو يجعل مما حلل حراماً.

إن الوصايا العشر ثابتة في كل الشرائع السماوية لا تتغير مع الزمن. لذلك مثلاً: نجد أن تحريم الكذب والسرقة والزنى وغيرها من ثوابت التحريم دائمة لا تتغير في شرع الله. وأن القرآن هو وحده الذي يبين ذلك كله من دون الاستعانة بكتب أخرى ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ ٩ ـ الإسراء.

ولكن الله تعالى مع كل ذلك يسأل المؤمنين أن يزيلوا الأقفال عن عقولهم لفهم كتابه المبين:

﴿أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها﴾ ٢٤ ـ محمد.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

من هم الغافلون

إن من يدرس أحوال المسلمين عن كثب وهو على علم ومعرفة تامة لما بين أيدي المسلمين من كتب تراثية دينية، ويعلم ماذا يدرَّس لطلبة علوم الدين في المدارس الدينية من مناهج، عندها يعلم يقيناً أن كل ذلك لا يتوافق كثيراً ولا قليلاً مع ما قاله الله تعالى في كتابه العظيم القرآن المبين، يكتشف مباشرة أن سبب تأخر الأمة الإسلامية وضعفها الحالي غير ناتج عن ضعف في مستوى الإيمان ولا في قلة عدد المؤمنين في الأمة ولا عن قلة من المصلين، ولا لوجود تناقص لعددهم كأمة، ويدخل في علمه يقيناً أن سبب الضعف ناتج عن نوع الإيمان، وعن سبب آخر مهم جداً ذكره الله تعالى في كتابه العزيز، ولم ينتبه له أغلب المسلمين وهو هجرهم لكتاب الله العظيم، القرآن الكريم.

وأهمية القرآن العظمى تأتي من كونه كتاباً علمياً يحض على العلم والأساليب العلمية في كل شيء، فالإيمان في دين القرآن مبني على الدليل والبرهان، حيث من حق الإنسان التساؤل والبحث عن الدليل بالعقل قبل الإيمان وهذا وحده بإمكانه حماية أتباعه من الضلال والإضلال من شياطين الإنس والجان. لكن إيمان المسلمين الحالي بني فقط على حب الله ورسوله، وهذا عظيم لو أنه أعمل من بعد الإيمان العقل وليس قبله والفرق بين الحالتين عظيم. لأن الذي آمن بالله عن طريق العقل والبرهان وهو يتمسك بالقرآن يستحيل على شياطين الإنس من أتباع الطواغيت ورجال دينه أن يحرفوه عن الحق الذي في كتاب الله المبين، بينما إذا آمن حباً فالحب وحده من الأهواء. والهوى لا يحكمه العقل فيسهل عندها على الشيطان أن يحرفهم إلى الباطل وإلى الشرك الخفي دون أن يشعر أتباعه، وهذا هو سر قوله تعالى في وصف أغلب المؤمنين عن سبيل الحب دون سبيل العقل ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

هذا وقد شرحت بإسهاب في كتبي السابقة سبب وقوع المؤمن حباً ضحيةً للإشراك الخفي بالله تعالى، من غير أن يعلم بحقيقة إشراكه، لدرجة أنه سوف يفاجأ يوم القيامة أمام الله تعالى ساعة الحساب، ويقسم أنه لم يشرك أبداً بالله ولم يكن من المشركين ﴿ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين﴾ ٢٣ ـ الأنعام.

لكن هذا القسم وذلك الاعتقاد لن يغير الحقيقة القائمة عن غفلة من كل المسلمين

الذين يقرأون في كل صلواتهم مرات ومرات وهم يدعون ﴿إهدنا الصراط المستقيم * صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين﴾ الفاتحة.

يدعون الله أن يهديهم الصراط المستقيم، وهو في القرآن الوصايا العشر التي عددها سبحانه في سورة الأنعام في الآيات ١٥١ ـ ١٥٢ ـ ١٥٣، بينما في ذهن المسلم أن الصراط المستقيم هو حبل فوق وادي جهنم يعبر به إلى النعيم.

وهكذا فكثير مما في عقل المسلم يختلف عن الموجود في القرآن لأنه آمن بكتب الطاغوت الظنية وكفر بكتاب الله الذي لا ظن فيه ولا تخمين.

هذا التحول من كتاب الله الحقيقي إلى كتب الوهم والظن هو الغفلة وأتباعه هم الغافلون. لأنهم غافلون عن آيات الله الحقيقية ﴿وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون﴾ ٩٢ ـ يونس.

والأمة إذا ضلت السبيل أو أُضلت عن كتاب الله الحقيقي تحولت إلى أمة غافلة عن الحق، والغافل عن الحق جاهل، وهو أيضاً ضال بل أضل من الأنعام. لأن الأنعام بغريزتها تميز ما ينفعها عما يضرها، أما الإنسان الضال فلم يعد يميز بين ما ينفعه وما يضره. ﴿لقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون﴾ ١٧٩ ـ الأعراف.

هذه الآيات البينات لا تحتاج إلى تفسير ولا تحتاج إلى تأويل بل تحتاج إلى عين ترى وأذن تسمع وعقل يفقه.

يتحدث الله سبحانه في الآية السابقة عن جهنم من غير تحديد. هل ذلك كان في جحيم الدنيا أم كان في جحيم الآخرة؟. وهل يعيش المسلمون اليوم في جحيم الأرض أم في نعيمها؟. إذا كانوا يعيشون في النعيم أين دلائل نعم الله على الأغنياء منهم قبل الفقراء، وأين نعمة القوة ونعمة العزة ونعمة الاتحاد ونعمة التحابب والتوادد؟..

أليس الله تعالى هو الذي قال في كتابه المبين عن المؤمنين الحقيقيين الذين خرجوا من فئة الغافلين لتمسكهم بحبل الله الذي هو كتابه المبين والعظيم ﴿لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾ ٩٨ ـ يونس.

فهل كشف الله تعالى عنا هذا العذاب حتى هذا اليوم كأمة إسلامية؟.

أليست كل أمم الأرض تتفنن كيف تسومنا سوء العذاب ويحرموننا حتى من التنعم

بما بين أيدينا من مال ورزق ﴿وإذ تأذن ربك ليبعثن عليهم إلى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب﴾ ١٦٧ ـ الأعراف.

أليست قلوبنا غافلة عن آيات الله مثل الآية التالية التي تذكر بعذاب الدنيا قبل الآخرة ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ ٢١ ـ السجدة. أو الآية التالية التي قليل منا من يتذكر أنه قرأها في كتاب الله المبين وتفكر فيها كما يجب ﴿فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون﴾ ٢٦ ـ الزمر.

أليس الذين لا يعلمون هم من الغافلين؟. ألم يقرأ أحدنا الآية التالية:

﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾ ١١٤ ـ البقرة.

لماذا كل هذا الجحيم في الدنيا نقاسيه قبل الآخرة؟. أليس لأننا قد تركنا نور الله الذي في كتابه واتبعنا ما تتلوا شياطين الطواغيت من كتب أخرى، ظناً أن الخير كله فيها عن غفلة منا ومن آبائنا الأولين الذين آمنوا بالطاغوت، وهم يظنون أنهم قد آمنوا بالله فاتبعناهم عن غفلة منا جميعاً من دون شك ولا تبصر ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

فهل كفرنا بالطاغوت أم أننا اتبعناه حتى أصبحنا بعدها نستحق الإذلال حتى من محاكم وهيئات الأمم الأخرى مجتمعة؟. ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به﴾ ٦٠ ـ النساء.

كل هذا والله تعالى يأمرنا في كتابه المبين أن نؤمن بالله وحده ونترك الإشراك به وذلك أمر من الله بهجر واجتناب كل الطواغيت ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ٣٦ ـ النحل.

فهل اتبعنا رسولنا وعبدنا الله وحده، أم أشركنا به الطاغوت بقبولنا ما قدم لنا مشايخه من كتب أخرى ألغت مفعول كتاب الله الذي هجرناه، فهل نحن اليوم أيها المسلمون من الذين حقت عليهم الضلالة مع العذاب أم من الذين اهتدوا وكانوا من المبشَّرين المنعمين؟. أم سوف يشفع لنا يوم القيامة إن اعتذرنا لربنا قائلين:

﴿أو تقولوا إنما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل

المبطلون﴾ ١٧٣ ـ الأعراف. ﴿ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للذين أشركوا مكانكم أنتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم إيانا تعبدون * فكفى بالله شهيداً بيننا وبينكم إن كنا عن عبادتكم لغافلين * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت وردوا إلى الله مولاهم الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون﴾ ٢٨ ـ ٣٠ ـ يونس.

ما هي أسباب تلك الغفلة المستمرة إلى هذا اليوم؟.

من أولى أسباب الغفلة أننا جميعاً صدقنا ما قيل لنا من دون أن نشك في نوايا الذين قالوا عن ما قدموا لنا من كتب ضالة وهم يؤكدون على أنها أحاديث صحيحة وقدسية وشريفة لرسولنا الكريم، إن كنتم تحبونه اتبعوا إذاً ما قاله، فصدقنا تلك الروايات قبل أن نتأكد من صدق الذين قالوا، وقبل أن نعرف نواياهم، وقبل أن نعلم من هو الذي يدفع لهم أجور ما يفترونه وقبل أن ندرك لمصلحة من كل تلك الأقاويل والروايات والأحاديث المتفق على صحتها، وقبل أن ندرك تناقضها الحقيقي مع آيات الله البينات في القرآن العظيم.

هكذا آمن آباؤنا الأقدمون بما قدم لهم لمجرد سماعهم من مشايخ السلطان الذين قالوا لقد أجرينا تحرياتنا السرية والعلنية عن جميع الذين تتابعوا في رواية هذه الأقاويل، فاكتشفنا أنهم كانوا جميعاً من أولياء الله الصادقين الصالحين، ومن الملائكة المكرمين، الذين لا ينطبق عليهم صفات الإنسان المذكورة في القرآن الكريم، والتي تعلن للجميع أن كل فرد منا يحمل نفساً أمارة بالسوء إن اتبعت الأهواء والشهوات من أموال وبنين وتلك النفس معرضة دائماً للخطأ والنسيان.

وقد استشهدت بأستاذ البخاري وشيخه عمر بن مرزوق مراراً وهو الذي كان في قصره ألف امرأة خاصة به وحده لا شريك له فيها أحد من الرجال غيره: (عن كتاب البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي المجلد الخامس الجزء العاشر الصفحة ٣٠٤ طبع دار الريان للتراث ـ القاهرة ١٩٨٨).

فهل كان هذا الشيخ الذي علمنا عنه هذه المعلومة من الزاهدين في الأهواء والشهوات؟. أم أنه كان من الغارقين فيها؟. وماذا يقدم أمثال هذا الشيخ إلى كل الطواغيت من خدمات حتى ينالوا كرمهم وسخاءهم إلى هذا الحد، ونحن نعلم أن كل سلاطين المسلمين وحتى آخر سلطان فيهم كانوا من أبخل الناس وأشحهم على شعوبهم المقهورة دائماً بالظلم والطغيان وسلب الحقوق والحريات إلى يوم يبعثون.

لو أن إبراهيم عليه السلام قبل الرسالة اتبع أباه وقبل ما سمعه ورآه منه ومن قومه ومشايخهم لكان من الغافلين الضالين، ولكنه استخدم عقله الذي هو ميزان الله مع الإنسان ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه آزر أتتخذ أصناماً آلهة إني أراك وقومك في ضلال مبين﴾ ٧٤ ـ الأنعام.

فيبحث إبراهيم عن الله بعقله بعد أن شك بما رآه مع أبيه وقومه من دين ﴿فلما جن عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربي فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربي فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين * فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال يا قوم إني بريء مما تشركون * إني وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين﴾ ٧٤ ـ ٩٤ ـ الأنعام.

وهكذا اهتدى إبراهيم عليه السلام بعقله إلى الله تعالى ولم يقبل بدين الآباء ولم يثق بما قالوه لأنه استخدم منحة الله التي هي العقل والميزان. والغريب بعد هذا أيها القارىء الكريم أن تجد في كل ما يقدمه المسلمون لنا على أنها كتب صادقة عن قصص الأنبياء فنصدق ما كتبه المنافقون من أحاديث منقولة ونقول أن اسم أبو إبراهيم هو (تا ر ح) نقلاً عن التوراة، وننسى أن الله تعالى قال في القرآن أن اسمه كان (آزر) وننقل عن التوراة كل القصص المشوهة ونترك النبع الصافي الذي قال عنه الله تعالى ﴿ذلك الكتاب لاريب فيه هدىً للمتقين﴾ ٢ ـ البقرة.

إننا نأخذ معلوماتنا عن ديننا من كتب الريب لمجرد أنهم قالوا لنا أنها أحاديث نبوية شريفة، دون أن نعمل عقولنا لننقد ما نسمع من قصص مشوهة عن الأنبياء والرسل. ولو أن كل مسلم قرأ التوراة مرة واحدة في حياته لاكتشف عندها مصدر علم علمائنا الكرام، وعاد وحده إلى كتاب الله.

إن أقل الناس قراءةً في العالم اليوم هم مع الأسف المسلمون الذين كان أول وحيهم ابتدأ من السماء بكلمة اقرأ ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ـ العلق فالذي يقرأ القرآن من جديد عليه أن يركز على آيات الآبائيين الذين مازالوا يقولون ﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ ١٠٤ ـ المائدة.

أو يقولون ﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ ١٧٠ ـ البقرة. أو يقولون ﴿قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا﴾ ٢١ ـ لقمان. ولكن إذا قال لهم أحد من عباد ا لله اليوم أو في

أي يوم ﴿أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم﴾ ٢٤ ـ الزخرف. لأَصَرَّ الغالبية على القول ﴿قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون﴾ ٢٤ ـ الزخرف.

والذي حصل للجميع أنهم نسوا الذكر الذي هو القرآن ﴿ولكن متعتهم وآباءهم حتى نسوا الذكر وكانوا قوماً بوراً﴾ ١٨ ـ الفرقان.

ومن ينس كتاب الله فقد نسي الله تعالى فأنساهم الله أنفسهم وأضلهم ضلالاً مبيناً.

﴿ ولا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم﴾ ١٩ ـ الحشر.

والذي يعرض عن كتاب الله وينسى تلاوة آياته البينات نسيه الرحمن في الدنيا وحشره في الآخرة أعمى ﴿ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضنكاً ونحشره يوم القيامة أعمى * قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً * قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى﴾ ١٢٤ ـ ١٢٦ ـ طه.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

ما هو السبيل للخلاص لما نحن فيه من ضعف وتفرق كأمة إسلامية؟

إن أغلبية المسلمين اليوم يدركون مدى الضعف والتفرق التي آلت إليه حالهم، وأغلبهم يظن أن السبيل هو الثورة. لكنهم لا يعلمون كيف ولا على من يثورون أصلاً. لأن كل ثورة لابد أن تسبقها حركة فكرية وإلا لما كانت هناك ثورة.

إن كلمة ثورة تتضمن رفض واقع حياتي لمجتمع ما ناتج عن واقع فكري جماعي معين، يتطلب من الناس تغيير ذلك الواقع الفكري للوصول إلى تغيير الواقع (المعيشي) الحياتي من الشكل المرفوض إلى الشكل المطلوب، ومقدار الاختلاف وزاوية التغيير تعتمد على مدى صلاحية الأفكار الجديدة التي لابد من زرعها في أذهان الناس من جديد ومدى تقبل الناس واستعدادهم للتجاوب معها.

إننا نسمع بكلمة الثورة الإسلامية، والمسلمون في العالم اليوم يعيشون واقعاً حياتياً (معيشياً) متأخراً، ناتجاً بالضرورة عن واقع فكري إسلامي متخلف، يعتمد على ما زرعه طواغيت المسلمين خلال العصور الإسلامية المختلفة من أوهام والوهم عدو العلم، وعلى الثوار المسلمين الذين يطالبون بالتغيير لهذا الواقع الحياتي المرفوض أن يبينوا للناس بالحكمة والموعظة الحسنة. الأفكار القديمة البالية المطلوب تغييرها مع إظهار البدائل من الأفكار الصحيحة، والتبشير لها بالحسنى والحكمة والموعظة الحسنة، من أجل الدعوة إلى واقع معيشي جديد لتحسين أمور الناس من السيء إلى الحسن، مع إقناع الناس بالحجة والبرهان، والحوار الديمقراطي وليس بالسيف أو بالبندقية.. لأنه يستحيل تغيير الأفكار بالقوة، والله تعالى أقوى من الجميع، لكنه عندما يريد تغيير الأفكار يرسل عادة الرسل للإقناع على مبدأ الحرية الفكرية، ومنع الإكراه في الدين، فمن شاء آمن ومن شاء رفض وكفر وهو حر، وهذه الحرية قدسها الرحمن وعلى أساسها يتحمل كل إنسان مسؤولية اختياره. فالله تعالى لم يكتب على أي إنسان أفكاره ولا دينه بل منحه الحرية وحمله المسؤولية المترتبة على اختياره.

عندما أرسل الله تعالى موسى وهارون إلى فرعون لم يطلب منهما قتالاً ولا

عنفاً بل طلب سبحانه منهما أن يقولا له قولاً ليناً ﴿اذهبا إلى فرعون إنه طغى * فقولا له قولاً ليناً لعله يتذكر أو يخشى﴾ ٤٣ - ٤٤ - طه.

لأن الله تعالى يريد أن يؤمن الناس به تطوعاً وحباً بعد القناعة العقلية والبحث عن البرهان، ولا يريد زيادة عدد المشركين به أو عدد المنافقين والمرائين الذين يتضاعفون مع وجود الإكراه في الدين. يدعو الله عباده عن طريق الإيمان به عقلاً، فأرسل لهم القرآن وعليه البراهين المعجزة التي تبين أنه فعلاً وحقيقة من رب العالمين ومن دينه المبني على مبادىء وعقائد اختارها الرحمن لمصلحة الإنسان ومنفعته في الدنيا والآخرة.

لذلك فكل الثوار الإسلاميين الذين يطالبون بتغيير الواقع الحالي مطالبون أن تكون معهم أفكار بديلة وخطة وبرنامج منظم وموحد، للوصول بتلك الأفكار والتبشير لها علناً بالحكمة والموعظة الحسنة بين الناس وإن ظنوا أن كل ثورة يجب أن تعتمد على التآمر والسر مستندين إلى وسائل الإكراه كالقوة والعنف والإرهاب والقتل وسفك الدماء البريئة، فهؤلاء غالباً لا يدعون إلى ثورة إسلامية غايتها الإصلاح الديني، وإنما يسعون إلى نوع من المشاركة السياسية على أكبر تقدير مستخدمين الإرهاب وسيلة من وسائل الوصول للسلطة فقط.

لأنه إذا حدث واستلمت فئة إرهابية دفة الحكم باسم الإسلام قبل تغيير الواقع الفكري لدى المسلمين، أو قبل الدعوة له مسبقاً بدعوة علنية، فإن الفئة التي ستتصدر الحكم لن يكون باستطاعتها تغيير شيء من واقع المسلمين إلا أن يكون في مجال الشكليات مثل الاسم واللباس وإطالة الذقون وما تفرضه السلطة من الممنوعات والأوامر.

أما تغيير العقلية وأسلوب التفكير، والنظرة العامة للأمور الأساسية فستبقى على حالها، علماً أننا إذا لم نستطع تغيير ما في نفوس الناس من الأوهام بالحقائق، ونغير نظرتهم وتعريفاتهم للحق والخير والجمال والمنطق والعلم والعمل، فإن مجرد ايجاد سلطان جديد ملتح يلبس العمامة والقفطان ليرأس نفس الناس باسم أمير المؤمنين بدل رئيس أو أمير كان يلبس الجاكيت والبنطلون، لن يعالج من أمور المسلمين شيئاً. كما أنه لن يطور أحوالهم إن لم يساعد على زيادة الأمور سوءاً وتراجعاً، فتكون النتائج مثل نتائج ثورة مصطفى كمال أتاتورك في تركيا الذي عالج الشكليات دون محاولة معالجة الجهل والأوهام والتأخر، بينما نجحت اليابان في تغيير كل الأفكار السلبية عند اليابانيين

وتحويلها لمصلحة الأمة اليابانية ايجابياً، مع الاستفادة من مزايا التقاليد والاعتقادات القديمة وحب الشعب للنظام وتميزهم بالترابط العائلي مع مزايا فردية مثل الصبر والجلد في العمل، وتوجيه ذلك كله لمصلحة الاقتصاد كوسيلة من وسائل التفوق كأمة فاعلة ونشيطة خرجت من الحرب العالمية الثانية مهزومة بعد أن ذاق شعبها ويلات القنبلة الذرية، لكنها كأي أمة حية لم تستسلم لليأس والأوهام. ولم تتوقف عند الشكليات بل غيرت أسلوب التفكير العام إلى أسلوب علمي معاصر. والآية الكريمة ﴿إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ ١١ ـ الرعد. هي آية عامة لكل الأقوام حيث لم يحدد سبحانه نوع عقيدتها لأن التغيير الذي وعد به الرحمن سوف يحصل بين القوم بعد تغيير ما في نفوسهم.

وهذا القانون أو السنة الإلهية هي سنة ثابتة مثل ثبات قوانين الفيزياء والكيمياء والفلك والرياضيات التي هي أيضاً من سنن الله تعالى الثابتة.

أرجو أن لا يفهمني أحد خطأ، فأنا لا أقول أن ما فعلته اليابان صحيح بشكل نموذجي وعلى المسلمين أن يتبعوا خطى اليابانيين، بل أحببت فقط أن أضرب لهم مثلاً معاصراً لأبين كيف وضع مفكروا أمة ما هدفاً مثل تحصيل التفوق المالي والاقتصادي فحققوه في الحياة الدنيا بأسلوب عقلاني مدروس. وهذا لم يحصل بالصدفة بل خطط له علماء وخبراء ومتخصصون وفنيون فكانت عملية علمية واقعية من دون أي وهم أو مجال للأوهام، فوصلوا ونجحوا في تحقيق أهدافهم وغاياتهم بإذن الله الذي شرع قانون التغيير لكل الأمم.

ضربت المثال قاصداً أن أبين للمسلمين كيف أن تغيير العقلية من عقلية وهمية خرافية إلى عقلية علمية رياضية إحصائية، يؤثر مباشرة في تغيير أوضاع الأمة، وهذه سنة من سنن الله في الكون أعلمنا عنه سبحانه في الآية السابقة (١١ـ الرعد). حتى يبين لنا سبحانه أن إمكانية الوصول إلى التغيير متاحة لكل البشر مؤمنين وكفاراً. وهدف المسلمين يختلف من خلال الفهم الصحيح لآيات القرآن الكريم.

إن المؤمنين من المسلمين يعلمون أن الهدف الأسمى هو تحقيق جنة الآخرة، ولكنهم لا يعلمون أن تحقيق تلك الجنة لا يمكن أن تتم للإنسان في الأرض إلا من خلال تحقيق مهمة الاستخلاف في الأرض، وهو باختصار تحقيق جنة الدنيا بالسعي على مناهج القرآن وليس على مناهج من تخطيط الطواغيت في الأرض ومن تنفيذ علمائه ورجال

دينه، الذين لا يهمهم تحقيق ما يناسب الغالبية من عامة الأمة من شرائع وأحكام بقدر ما يهمهم إرضاء ولي أمرهم وسلطان زمانهم الذي لا راد لحكمه ولا لأمره ولا لقضائه. فهل هؤلاء العلماء يعبدون الله أم يعبدون السلطان؟. (الطاغوت).

على المسلم المؤمن بالله الموحد له ولكتابه أن يتعلم من خبرات باقي الأمم أن الأهداف الكبيرة لم يكن تحقيقها سهلاً في أي يوم من الأيام، ومن أجل تحقيقها لابد من إتباع سنن العلم الصحيح التي هي سنن الله تعالى أصلاً.

ومجال تدخل عقيدة المؤمن وقوة إيمانه بربه وكتابه ودستوره وشرعه يبدأ عندما يكون نفس المؤمن قادراً على تطبيق ما يؤمن به على مستوى أمة كاملة، عندها يستطيع فعلاً بناء جنته الأولى على الأرض كما أمره ربه بالعمل الصالح المصلح في الأرض أولاً ليكافئه ربه لحسن أدائه وإيمانه وتطبيقه لشرع الله الصحيح جنة أخرى في السماء.

هذا هو الفرق الأساسي بين الكافر الملحد الذي يسعى لبناء حضارة في الأرض ويجعل ذلك أكبر همه واهتمامه دون أن يسعى إلى تحقيق جنة الله في الآخرة من خلال تحقيق جنته الأولى على الأرض.

أما المشرك فكما رأينا هو الذي يفشل عادة في بناء أي شيء حقيقي في الأرض أو في السماء، فهو لا يبني سوى أوهاماً ولا يحصد إلا خيالاً وضلالاً، فيخرج من الدنيا خاسراً جنته الأرضية ومحروماً من نعم الله في الأرض، لأنه قبل أن يسلبه السلطان نعيمه، لجهله بحقوقه فتركه في فقر وعذاب يقاسيه من زبانية مخابراته ورجال أمنه، وفي الآخرة يحرمه الله أيضاً جنته التي في السماء لأنه لم يستخدم عقله الذي كان معه ولم ينظر أيضاً في كتاب الله وحده، حتى يعلم حقوقه طوال حياته ولم يخن الشيطان مرة ويغافله ليقرأ القرآن وحده. هذه هي حالة غالبية أمتنا الإسلامية اليوم وواقعها الثابت.

وأنا لا أقول هذه الحقيقة الآن حتى نيأس ونستسلم للشياطين أكثر من استسلامنا الحالي، بل حتى نصحو من غفلتنا الطويلة وننبذ مصادر الوهم ونتمسك بمصدر الحق والحقائق الذي هو كتابنا العزيز القرآن الكريم، الكتاب الذي لا كتاب للمسلمين بعده وبه تم الإسلام واكتمل عندما قال سبحانه فيه ﴿اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ ٣ - المائدة.

فعلينا جميعاً إن كنا من الذين يستخدمون عقولهم أن نعود إلى كتاب الله وحده زرافات ووحداناً.

علينا أن نعود لله تعالى عودة التائبين المستبشرين للخير المؤمنين بربهم الرؤوف الرحيم بلا قنوط من رحمة الله ومغفرته ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾ ٥٣ ـ الزمر.

وإذا أصبح حاكمنا من حزب الرحمن فعلاً، وعلى سبيل الخلفاء الراشدين وقدوته في العدل، عدل عمر بن الخطاب. يجب أن يكون في اعتباره أن حزب الشيطان موجود دائماً، فيحسب حسابه.

هذه حقيقة لا يمكن أن ينكرها إلا شيطان من أعوان السلاطين أو مغفل لا يعلم الفرق بين الجيل الأول من جيل الصحابة الكرام من الذين تابعوا الرسالة مهتدين بهدي الرحمن وعلى سبيله وصراطه المستقيم، وبين الأجيال التي تلتها من أصحاب الحق ليظهر أصحاب الباطل من عشاق الدنيا وشهواتها فسيطر الحزب الذي مالت نفسه للعاجل من لذات الحياة الدنيا ونعيمها من الشهوات والأهواء وإلى هذا اليوم.

وهكذا تبين لنا أن الثورة في الإسلام مجالها الفكر والعلم وقادتها هم المفكرون والعلماء الحقيقيون والدعوة إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، فلا مجال في هذا كله للعنف والقتل والإرهاب ولا لإسالة دماء الأبرياء.. وعندما يرفع الثائر الإسلامي سيفه على المسلمين من أهله مدعياً الدعوة للإصلاح يكون فكره قد انتهى. وتكون إساءته للإسلام في تلك الحال واللحظة أكبر بكثير من الملحد أو المشرك الذي كف شره عن الناس. لأن كفر الملحد أو إشراكة سوف يكون في النتيجة وبالاً على الذي كفر أو على الذي أشرك يحاسبهما ربهما عليها وحدهما وأمامه يوم القيامة.

أما قتل الأبرياء من النساء والشيوخ والأطفال باسم الإسلام وترويع الناس فأمر لا تقره شريعة أرضية فكيف بشريعة السماء التي أرسلها رب غفور وسعت رحمته كل شيء وكتب على نفسه أن لا يظلم مثقال ذرة. ودين الإسلام الذي اشتق اسمه من السلم والسلام والحب للعالمين، لا يمكن أن يكون ديناً دموياً يسمح بسفك الدماء من غير وجه حق بجرائم تقشعر له الأبدان وتشمئز منها النفوس السليمة.

إن هذه الأمور إن حصلت فإنها غالباً تكون من أجل الوصول إلى سلطة وشهوة دنيوية، وإلى عرش دنيوي، لو سعى إليه الناس بتغيير ما في عقولهم ونفوسهم من

جهل إلى علم ومن وهم إلى حقيقة، ثم سعوا إليه من دون هذا العنف الدموي الذي يغضب الله والناس لبلغوا كل ما يرجون تحقيقه، وعداً من الله لكل الناس بينما يقول الله سبحانه في الوصايا العشر في الإسلام ﴿ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾ ١٥١ - الأنعام.

وأين الحق في قتل الناس في الشوارع المزدحمة في المدن الإسلامية وكلهم من الأبرياء بسيارات مفخخة بالمتفجرات الناسفة للمئات من الناس بلا تمييز.

إن هذا من أشد أنواع الظلم من الإنسان للإنسان، وقد قال الله تعالى عن الظالمين في القرآن الكريم:

﴿الله لا يحب الظالمين﴾ ٥٧ - آل عمران.

﴿لعنة الله على الظالمين﴾ ٤٤ - الأعراف.

﴿والله لا يهدي القوم الظالمين﴾ ٢٥٨ - البقرة.

﴿إن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ ٢٢ - إبراهيم.

﴿وما للظالمين من نصير﴾ ٧١ - الحج.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين وجعلنا سبحانه من التائبين المستغفرين ليهدينا إلى حقه ونوره المبين ويشفع لنا يوم الدين يوم لا تنفع شفاعة إلا شفاعته.

﴿واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون﴾ ٤٨ - البقرة.

﴿قال يا قوم أرايتم إن كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقاً حسناً وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾ ٨٨ - هود.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

من هو الشيطان؟

سؤال كبير تناوله كثير من المفكرين والفلاسفة في العالم. ليقولوا غالباً آراءهم الشخصية من خلال معرفتهم وخبرتهم الذاتية. ولكني لن أتناول الموضوع من أجل التقول بما أظن منطلقاً من ذاتي وإنما لأقول الحقيقة مستنداً لكتاب حقيقي عليه برهان أنه من خالق الكون والناس أجمعين، وهو الله ربي ورب العالمين.

عندما تحدث سبحانه عن إبليس الأب الروحي الممثل لكلِ شياطين الجن في الأرض. تكلم عن مخلوق عالم دخل الكبر إلى نفسه فكفر حسداً من آدم من قبل أن يعلم سبب التفضيل ورَفَضَ الطاعة والسجود له في الأرض عندما أمره ربه بالسجود واضمر في نفسه الشر له ولذريته من بعده إلى يوم يبعثون ﴿وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس كان من الجن ففسق عن أمر ربه﴾ ٥٠ ـ الكهف.

بعد أن علمنا أن إبليس من الجن لابد أن نعرف من هم الجن: هم مخلوقات أرضية خلقهم الله تعالى من قبل أن يخلق الإنسان من الطاقة (طاقة النار) ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾ ٢٧ ـ الحجر.

والله سبحانه يحدثنا عن خلق آدم وكيف فسق إبليس عن أمر ربه في الآيات التاليات ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من صلصال من حماء مسنون * فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين * فسجد الملائكة كلهم أجمعون * إلا إبليس أبى أن يكون مع الساجدين * قال يا إبليس ما لك ألا تكون مع الساجدين * قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حماءٍ مسنون * قال فاخرج منها فإنك رجيم * وإن عليك اللعنة إلى يوم الدين * قال رب فانظرني إلى يوم يبعثون * قال فإنك من المنظرين * إلى يوم الوقت المعلوم * قال رب بما أغويتني لأزينَنَّ لهم في الأرض ولأغوينهم أجمعين * إلا عبادك منهم المخلصين * قال هذا صراط عليَّ مستقيم * إن عبادي ليس لكَ عليهم سلطان إلا من اتبعك من الغاوين * وإن جهنم لموعدهم أجمعين * لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم﴾ ٢٨ ـ ٤٤ ـ الحجر.

ونلاحظ من خلال ما تقدم:

ـ أن إبليس من الجن وليس من الملائكة.

- إبليس عالم يعرف حقائق كثيرة تعلمها من رب العالمين.

- إبليس كفر ورفض طاعة الله غروراً وتكبراً وحسداً وكلها من أمراض النفس يصاب بها حتى العلماء.

- إبليس تأبط شراً وأضمر حقداً عظيماً للإنسان سوف يرافقه إلى يوم القيامة. ونوى وعمل بحسب نيته لإضلال الإنسان، وأن لا يرشده إلى خير ما أمكن. وعاهد نفسه على أن لا يكل ولا يمل من السعي لإضلال الإنسان عن الحق أينما كان على قدر طاقته واستطاعة ذريته من بعده. وسارت ذريته على منهج أبيهم في الأرض وهؤلاء من يطلق عليهم اليوم الجن السفلي أو الجن الكافر أو الأبالسة من جمع أباليس.

وهنا يتبادر إلى الذهن سؤال طبيعي:

هل كل الجن مثل إبليس جعلوا مهنتهم في الأرض الشر والفساد والإفساد؟

إن في الجن فريق آخر يؤمن بالله تعالى ويوحدون الله ويقرأون القرآن ولا يحقدون على أحد ويحبون المؤمنين من الناس وهم على استعداد لمؤازرة المؤمنين من الإنس وكشف مكائد الكافرين من بينهم من الذين اصطلحنا أن نسميهم بالشياطين ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي أنه استمع نفر من الجن فقالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً * وأنه تعالى جد ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً * وأنه كان يقول سفيهنا على الله شططا * وأنا ظننا أن لن تقول الإنس والجن على الله كذبا * وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً * وأنهم ظنوا كما ظننتم أن لن يبعث الله أحداً * وأنا لمسنا السماء فوجدناها ملئت حرساً شديداً وشهباً * وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً * وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً * وأنا منا الصالحون ومنا دون ذلك طرائق قدداً * وأنا ظننا أن لن نعجز الله في الأرض ولن نعجزه هرباً * وأنا لما سمعنا الهدى آمنا به فمن يؤمن بربه فلا يخاف بخساً ولا رهقاً * وأنا منا المسلمون ومنا القاسطون فمن أسلم فأولئك تحروا رشداً * وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً * وألو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقاً * لنفتنهم فيه ومن يعرض عن ذكر ربه يسلكه عذاباً صعداً * وأن المساجد لله فلا تدعو مع الله أحداً * وأنه لما قام عبد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبداً * قل إنما أدعو ربي ولا أشرك به أحداً * قل إني لا أملك لكم ضراً ولا رشداً * قل إني لن يجيرني من الله أحد ولن أجد من دونه ملتحداً

* إلا بلاغاً من الله ورسالاته ومن يعص الله ورسوله فإن له نار جهنم خالدين فيها أبداً * حتى إذا رأوا ما يوعدون * فسيعلمون من أضعف ناصراً وأقل عدداً * قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمداً * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصداً * ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عدداً﴾ ١ - ٢٨ - الجن.

هذه السورة التي نزلت من السماء باسم الجن تخبر الإنسان كل ما يلزمه من حقائق لمعرفة هذا المخلوق الذكي المرافق له في هذه الأرض.

والمسلم إذا شاء أن يخرج من كهفه العظيم الذي حشر فيه من قبل سلاطين الأرض مستعينين بشياطين الإنس والجن معاً، عليه فقط أن يتمسك بكتاب الله وبإيمانه بربه، بعدها سوف يكتشف أنه كان في ضلال مبين بسعي دؤوب من تحالف شياطين الإنس والجن الذين لا سلطة حقيقية لهم على الإنسان.

فمن هم شياطين الإنس؟

إلى الآن لم نتعرف إلا على الفريق الأول من الجن الذين كفروا وتخصصوا في إضلال الإنس بالذات من ذرية إبليس. وما يزال علينا أن نتعرف على الفريق الأهم والأساسي بالنسبة للإنسان وهم فريق شياطين الإنس.

إن العقل يقول: على العاقل الباحث عن الأمن والسلام أن يتعرف على كل العوامل المؤدية إلى غايته، ويبحث عن كل الأعداء المحيطين به ويمنعونه من تحقيق تلك الغاية. والله تعالى لم يترك صغيرة أو كبيرة تهم الإنسان المؤمن الباحث عن الحق على سبيل العلم وإلا وذكرها له الرحمن في كتابه المبين. والذي يعتمد ذلك الكتاب الذي لا ريب فيه فإنه سوف ينجو من الضلال والإضلال بإذن الله طالما بقي إيمانه حقيقياً وصادقاً، وطالما لم يستبدل كتاب الله بغيره أو لم يشرك بذلك الكتاب كتباً أخرى مهما كانت الأسباب والذرائع. وطالما بقي سعيه لوجه الله تعالى خدمة للحق وسعياً لتحقيقه حباً بالله وبالمؤمنين الصادقين المتقين الخاشعين. في القرآن الكريم لم يذكر سبحانه وتعالى أنه اختار من ذرية إبراهيم ذرية يعقوب الذي نجد له في القرآن اسماً آخر مثل كثير من رسل الله فكان اسمه أيضاً إسرائيل - وأبناؤه: بني إسرائيل.

والقرآن الكريم ركز تركيزاً كبيراً على قصة بني إسرائيل بالذات ليس تكريماً لهم ولا دعوة لإدخالهم إلى الإسلام والإيمان. فالله سبحانه وتعالى يعلم قبلنا أنهم أبعد الناس

عن الإسلام وعن الإيمان، ويعلم أن أغلب قلوبهم قد تحجرت على الحقد والحسد وابتعدت عن الحق والخير في الأرض. بل إن رب العالمين يسخر من الذين يدعونهم للحق وللإيمان ﴿أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون﴾ ٧٥ ـ البقرة.

والله تعالى أعلم بقلوبهم منا جميعاً إذ يقول وهو يخاطبهم ﴿ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة وإن من الحجارة لما يتفجر منه الأنهار وإن منها لما يشقق فيخرج منه الماء وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾ ٧٤ ـ البقرة.

طبعاً كما أن الجن فريقان فريق مؤمن بالله وفريق قد كفر حسداً من آدم، كذلك بني إسرائيل فهم فريقان فريق منهم من أمثال الذين حسدوا يوسف فتآمروا على قتله أو إبعاده عن أبيه كذلك هذا الفريق حسد أبناء إسماعيل وذريته فكفروا من بعد علم بدليل قول الله تعالى ﴿ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق﴾ ١٠٩ ـ البقرة.

والله تعالى يقول عنهم ﴿إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس من الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾ ١٥٩ ـ البقرة.

وأهل الكتاب قد حرفوا كتابهم السماوي وكتبوه كما يشاؤون ويرغبون وعندما وجدوا أن الذبيح الذي افتداه الله تعالى هو إسماعيل بدلوا اسمه في كتابهم حسداً وجعلوه اسحق كما تقرؤونه في توراتهم اليوم.

والله تعالى يعلم كل ما فعلوا وما الله بغافل عما يفعلون ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ ٧٩ ـ البقرة.

وهكذا نكتشف من كتاب الله وحده، أن سبب تركيز الرحمن على قصة بني إسرائيل بالذات حتى يتعرف المؤمنين على أعداء الإنسانية في الأرض من الذين تحولوا إلى شياطين الإنس وهم فريق من بني إسرائيل. تحالفوا مع إبليس وذريته لإضلال الإنسان في الأرض.

ونجد أن هذا الفريق من أهل الكتاب هم المؤسسون للجمعيات السرية الماسونية في العالم منذ عام ٤٣ ميلادية على يد حيرام أبيود ومساعده مؤات لافي الذي وقع عليه

في ٢٦ حزيران الموافق لعام ٤٣ ميلادي في مدينة القدس (راجع دور القوة الخفية في واقعنا الفكري الحالي كمسلمين) في كتاب دين السلطان للمؤلف الصفحة ١٣٨).

إن الإنسان لن ينجح حتماً بالتخلص من الشياطين، إن لم يعرف أولاً من هم الشياطين وكيف يمكنه مجابهتهم وماذا يستخدم من أسلحة أقصد الأسلحة الفكرية، لأن الشيطان لا يغزو الإنسان إلا من خلال فكره فيسيطر عليه ويستخدمه لمآربه ممرغاً أنفه في دناسات الأرض، وهو يشرب نخب النصر كلما حطم أنفة إنسان كان يؤمن بالله تعالى من قبل فيمرغه وهو يضحك في نجاسات الشهوات بطناً لظهرٍ وظهراً لبطن.

والله تعالى يخبرنا جميعاً منذ البداية بعداوة إبليس للإنسان ﴿وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو﴾ ٣٦ ـ البقرة.

واهبطوا هنا ليس بمعنى النزول من السماء، فالله سبحانه قد قال لنا أصلاً أنه قد خلق آدم من تراب هذه الأرض ولم يخلقه في السماوات، وكذلك إبليس هو من مخلوقات الأرض، ولكن الهبوط هنا هبوط مجازي لكل من شاءت نفسه الانحدار والإخلاد للأرض وشهواتها دون أن يرفع وجهه إلى السماوات متجهاً للسمو بنفسه والعلو بها عن كل النجاسات.

وكم حذر سبحانه الإنسان من أتباع خطوات الشيطان ﴿ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ ١٦٨ ـ البقرة.

ولأهمية هذه الموعظة نجد الله تعالى يكررها ثلاث مرات في ثلاثة أماكن مختلفة من كتابه المبين. ويقرر سبحانه عداوة الشيطان الأكيدة للإنسان ﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ٥ ـ يوسف. ووظيفة الشيطان هي إضلال المؤمن بالله ضلالاً مبيناً لاشك فيه ﴿قال هذا من عمل الشيطان إنه عدو مضل مبين﴾ ١٥ ـ القصص. ضلالاً مبيناً بمعنى ضلالاً حقيقياً.

وطالما علمنا من رب العالمين بعداوته الأكيدة يجب علينا إذاً أن لانواليه ولا نصادقه ولا نصاحبه بل نعامله على أساس أنه عدو حقيقي وبشكل دائم ﴿إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا﴾ ٦ ـ فاطر.

وعبادة الشيطان هي طاعته. لذلك ينبهنا سبحانه أن لا نطيع شيطاناً ﴿أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين﴾ ٦٠ ـ يس.

والشياطين عادة حلفاء دائمون للسلاطين (الطواغيت في الأرض) فينبهنا سبحانه أن لا نطيع ونعبد الطاغوت أيضاً بل نكفر به ونعبد الله ونطيعه وحده ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

أما الذين كفروا بالله فهم قد والوا الطاغوت وعبدوا الشياطين من دون أن يعلموا ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون﴾ ٢٥٧ ـ البقرة.

ونجد أن شياطين الإنس والجن هم دائماً أعداء الرسل والأنبياء والصالحين ﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن﴾ ١١٢ ـ الأنعام.

كما نجد أن شياطين الإنس ومن بني إسرائيل أصبحت وظيفتهم الدائمة في الأرض قتل الأنبياء والرسل والصالحين ﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين﴾ ٩١ ـ البقرة.

﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون﴾ ٦١ ـ البقرة.

مع كل ذلك فالله تعالى ينبهنا إلى وجود فئة أخرى من اليهود مؤمنة بالله ولا تفعل الشر ولا يعجبهم ما يفعله الفريق الأول منهم، وعن هؤلاء يقول سبحانه في الآية التي بعدها مباشرة ﴿إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ ٦٢ ـ البقرة.

لنستمع للإمام أبي حامد الغزالي الذي ولد في سنة ٤٤٥ هجرية ماذا يقول (فأدلة الطريق هم العلماء الذين هم ورثة الأنبياء، وقد شغر منهم الزمان ولم يبق إلا المترسمون (رجال الدين الرسميين الذين يعملون في خدمة السلطان) وقد استحوذ على أكثرهم الشيطان، واستغواهم الطغيان وأصبح كل واحد بعاجل حظه مشغوفاً، فصار يرى المعروف منكراً والمنكر معروفاً، حتى ظل عَلَمُ الدين مندرساً، ومنار الهدى في أقطار الأرض منطمساً. ولقد خيلوا إلى الخلق أن لا علم إلا فتوى حكومة تستعين به القضاة على فصل الخصام، عند تهاوش الطُّغام، أو جدل يتدرع به طالب المباهاة إلى الغلبة والإفحام، أو سجع مزخرف يتوسل به الواعظ إلى استدراج العوام، إذ لم يروا ما سوى

هذه الثلاثة مصيدة للحرام، وشبكة للحطام) عن كتاب إحياء علوم الدين ـ المجلد الأول ـ الصفحة ٢ ـ دار الفكر ١٩٧٥.

إن النص الذي قرآناه يقول حقيقة ما يراه هذا المفكر من واقعه المرير، لكنه لا يدرك متى وأين حصل الانحراف للمسار، حتى بلغت الأمور هذا المبلغ من السوء أو أنه لا يستطيع أن يقول أكثر مما قال فهو يكتب كتابه في ظل سلطان يعتمد في حكمه على شياطين الإنس والجن معاً.

كذلك عندما استشهدت في كتبي السابقة بما قاله ابن قيم الجوزية وهو يصف لنا عالم السلطان بعد أن سماه (عالم السوء) لقد قال تقريباً نفس هذا الكلام عن علماء المسلمين من رجال الدين الذين عملوا بعد أن تعاهدوا وتعاقدوا مع السلاطين، وهم جميعاً نموذج واحد لا يختلفون إلا بالأسماء إذا استثنينا منهم عمر بن عبد العزيز رحمه الله من الذين حكموا وخشية الله في قلوبهم أكبر من خشية الناس.

وهكذا أصبحت الصورة واضحة: إن أغلب رجال الدين في بلاد المسلمين كان اعتمادهم في الرزق على السلاطين وكبار الشياطين، فلم يخرج من علماء المسلمين الأتقياء الذين هربوا من السلاطين ومن الشياطين إلا قلة قليلة لم يكن لهم وزن كبير، إذ لم يؤثروا في الحياة الإسلامية العامة أصلاً، وإن كتبوا بعض الكتب فلم يؤثروا فعلياً على أفكار المسلمين إلا بشكل سطحي.

والتأثير كله كان لعلماء السلاطين ولوعاظ المساجد من تلاميذ العلماء المذكورين، علماء السوء الذين يقولون ويحرفون إرضاء لأولي الأمر ورغبة في نوال الدنيا. وقد عاشوا كالملوك في قصور فيها المئات من الجواري ولهم نصيب من عذراوات الحور العين، اللائي كن يرسلن إليهم من السبي بحجة نشر الإسلام بالسيف وتبليغه للعالمين، هذه حقائق يتعامى عنها المسلمون تماماً كما تفعل النعامة التي تخفي رأسها في الرمل.

والله تعالى قال لنا الحقيقة في كتابه وأخبرنا أنه يفتننا بالشياطين بل ويفتننا دائماً في كل عام مرة أو مرتين ﴿أولا يرون أنهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين﴾ ١٢٦ ـ التوبة. ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ ٢ ـ العنكبوت.

وعندما ترك موسى أصحابه من الذين رافقوه خلال جهاده الطويل ورأوا كل معجزات الله على يديه، ثم غاب عنهم أربعين ليلة فإن شيطان واحد من الإنس وهو السامري استطاع أن يحرفهم عن الإيمان وأشركوا بالله وعبدوا العجل الذهبي، وقد

كانت فتنة لهم من الله قالها سبحانه على لسان رسول موسى ﴿واختار موسى قومه سبعين رجلاً ليمقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي أتهلكننا بما فعل السفهاء منا إن هي إلا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء أنت ولينا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين﴾ ١٥٥ ـ الأعراف.

أليس من السذاجة بعد كل هذا الذي علمناه من الله رب العالمين عن الفتنة لكل خلقه من المؤمنين أن نظن وحدنا نحن المسلمين أن الله تعالى قد توقف عن فتنتنا ألف وأربعمائة عام وحجب عنا الشياطين وشر فتنتهم إلى هذا اليوم؟

﴿ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون * واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على الملكين ببابل وهاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وما هم بضارين به من أحد إلا بإذن الله ويتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون﴾ ١٠٢ ـ البقرة.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

المفسدون في الأرض

لاشك أن كل إنسان أصبح عابداً للمال وتغاضى عن القيم الإنسانية والمثل العليا الأخلاقية والدينية تحول بالتدريج إلى شيطان حقيقي من الإنس معادياً كل البشرية. وكما أن كل رجل دين يعمل لصالح الطواغيت في الأرض باسم الله شكلاً ولباساً، ويعمل لخدمة فرعون أو مليكه أو قيصره أو رئيسه جاعلاً تلك الأوامر هي الأولى متغاضياً عن أوامر ربه فيما يعلمه من حقيقة الدين هو أيضاً شيطان خطير من شياطين الإنس، وخطره على الناس عظيم بما يفتريه على الله والرسل مستغلاً ثقة الناس وطيبتهم. وشياطين الإنس من فئة رجال الدين يقعون تحت تصنيفين وفئتين مختلفتين في جميع أديان الأرض المختلفة.

الفئة الأولى: هم فئة الذين يعلمون ويحرفون وهم زعماء وقادة للفئة الثانية.

الفئة الثانية: هم فئة الجهال في رجال الدين الذين يرددون كالببغاوات ما تقوله الفئة الأولى دون أن تعلم مقاصدها ولا مآربها أو مصالحها.

والفئة الثانية أعظم خطراً على أمتها لأن الفئة الأولى كافرة بما تدعيه وتعلم أنها تسعى للدنيا ونعيمها فتخاف زوالهما، لذلك نجدها جبانةً عند المواجهة وضعيفة المقاومة وصفاتها من صفات الشيطان الذي وصفه سبحانه بالضعف مع عدائه الدائم للإنسانية ﴿فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾ ٧٦ ـ النساء.

بينما نجد الفئة الثانية مع ضلالها تتصف بالقوة لأنها تؤمن بما هي عليه من ضلال، ظناً أنها على حق، ومن ميزتهم أنهم عاطفيون لا يثقون بعقولهم فيعملون دائماً بمشورة ورأي الآخرين فيسهل السيطرة عليهم من الأذكياء من الشياطين الحقيقيين من رجال الدين المأجورين الذين يبدون عكس ما يبطنون.

صحيح أن كل أديان الأرض اليوم محرفة من قبل ملأها، وهم أصحاب المال والقوة والنفوذ في كل أمة، والمتتبع للقصص القرآني يكتشف الدورة العقائدية لكل دين حيث أرسل الله تعالى لكل أمة في الأرض رسولها بعقيدة واحدة للجميع، وهذا لو فكرنا فيه لاكتشفنا أنه بدهي لا يحتاج إلى نقاش أو جدال..

فالله تعالى واحد لا شريك له، ودينه من البدهي أن يكون واحداً لا اختلاف فيه

وهو الإسلام للجميع ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ١٩ ـ آل عمران.

وهذا الدين أتى لمصلحة أكثرية الأمة ومن أجل خيرها وصلاحها دائماً في الدنيا والآخرة، لكن الملأ من كل أمة بما لها من قوة ونفوذ سعت دائماً بكيد ودهاء بمساعدة رجال أذكياء باعوا أنفسهم للطاغوت الذي هو السلطان في كل أمة مقابل الدنيا ومتاعها وشهواتها، وخدعوا فيما يقابل ذلك الأمة وترفهوا على حساب شقائها وتعاستها، وجعلوهم بالتدريج ممن يشركون الطاغوت مع الله، ولعلم الله تعالى أن هذا يحصل دائماً وفي جميع الأمم بلا استثناء، قال سبحانه مؤكداً على هذه الحقيقة التي سوف تستمر إذا استمر غباء الأمة ولم يغير أفرادها ما بأنفسهم مستخدمين عقولهم ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون﴾ ١٠٦ ـ يوسف.

وقد حدث هذا في كل الأديان القديمة سواء التي بادت منها أو التي ما تزال باقية مثل البوذية والكونفوشية والزرادشتية والمانوية والمجوسية وغيرها، أو كانت من الأديان التي تعتبر سماوية اليوم مثل اليهودية والمسيحية والإسلام ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

وكل أديان الأرض تجمعها صفة مشتركة واحدة، وهي أنها تدعوا إلى مثل عليا عالمية وتدعو إلى الخير العام والسلام العام للإنسانية في الأرض ولا يشذ عن تلك الأديان إلا دين واحد هو اليهودية التي تؤمن بالازدواجية لمفهوم الخير والحق والمثل العليا العالمية.

ولا يمكن فهم الديانة اليهودية، إلا بعد دراسة كتبها القديمة إلى جانب التوراة مثل التلمود والكبالا والزوهار وكتب الموسوعة اليهودية الأخرى..

تعتبر الديانة اليهودية من أقدم الديانات في منطقة الشرق الأوسط، وتعتبر من الديانات الإبراهيمية، باعتبار أن إبراهيم هو أبو الأنبياء والرسل، التي تعتبر الموجة الثانية للديانة بعد الموجة الأولى التي انتهت من بعد عاد وثمود وقوم نوح من الذين أتوا من ذرية من آمنوا مع نوح من الذين نجوا من الطوفان الشهير ﴿ذرية من حملنا مع نوح﴾ ٣ ـ الإسراء.

واليهود في تاريخهم الطويل بدلوا وغيروا في الدين مرات كثيرة واخفوا أيضاً أشياء كثيرة ﴿قل من أنزل الكتاب الذي جاء به موسى نوراً وهدىً للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا﴾ ٩١ ـ الأنعام. وقد قال الله فيهم ﴿أفطمعون أن

يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعدما عقلوه وهم يعلمون﴾ ٧٥ ـ البقرة.

هذه الفئة هي الفئة التي قلت عنها فئة شياطين الإنس من الذين يعرفون ويحرفون وضمن اليهود أيضاً الفئة الثانية ﴿ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أماني وإن هم ألا يظنون﴾ ٧٨ ـ البقرة.

فيقول سبحانه متوعداً للفئة الأولى ﴿فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون﴾ ٧٩ ـ البقرة.

وقال سبحنه مبيناً أساليب تحريف كتبهم المقدسة. ﴿يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظاً مما ذكروا به﴾ ١٣ ـ المائدة.

واليهود خلال تاريخهم الطويل ونتيجة لما تعرضوا له من الكفر والإشراك وتبديل الدين ودمار البلاد والسبي الأول والثاني إلى بابل بدلوا وأضاعوا كتبهم، فأعادوا كتابتها من الذاكرة مرات عديدة (وكان اليهود والنصارى إلى القرن الثامن عشر الميلادي يعتقدون أن الأسفار الخمسة الأولى وهي التكوين ـ الخروج ـ اللاويين ـ العدد ـ التثنية) قد كتبها موسى بنفسه (أو على الأقل كانت هذه عقيدة الناس) ثم ظهرت الأبحاث الكثيرة التي تؤكد أن موسى لم يكتب هذه الأسفار وأنها كتبت بعد وفاته بفترة تصل إلى ألف عام.

وكان (جان استروك) (١٧٥٣م) أول من قدم ما أسماه البرهان الحاسم الذي يؤكد براءة موسى من كتابة الأسفار الخمسة، فذكر أن من يطالع سفر التكوين سيجد نصين جنباً إلى جنب، أحدهما يسمي الإله باسم «يهوا» والثاني باسم «ألوهيم» والعلماء يعتقدون أن القصص الخاص «بيهوا» قد كتب في مملكة الجنوب يهوذا.

بينما كتب القصص المتعلق بـ(ألوهيم) في مملكة الشمال ـ إسرائيل ـ وكلاهما ظهر بعد وفاة سليمان عندما انقسمت المملكة التي أسسها داوود إلى مملكتين متحاربتين، إحداهما في الشمال وعاصمتها السامرة (شكيم) والتي تبعها عشرة من أسباط إسرائيل وتسمى «مملكة إسرائيل» والأخرى في الجنوب وعاصمتها «أورشليم» وتدعى «يهوذا» وهي مكونة من سبطي يهوذا وبنيامين.

وتنبه العالم (إينورن) (١٧٨٠ ـ ١٧٨٣) إلى أن الأسفار الأربعة الأخرى من التوراة

تحتوي أيضاً على نصين مختلفين، ثم ظهر لها وزن قرب نهاية القرن الثامن عشر بنظريته: وهي أن أسفار موسى الخمسة كتبت بعد الأسفار الأخرى (على عكس ما هو معروف حتى ذلك الوقت) ودرس الباحث (إيلجن) (١٧٩٨) (النص الألوهيمي) فوجده أيضاً ينقسم إلى قسمين مختلفين، كتب كل واحد منهما في فترة ومرحلة مختلفة عن الأخرى (عن كتاب أباطيل التوراة والعهد القديم تأليف الدكتور محمد علي البار نشر دار القلم دمشق ١٩٩٠ صفحة ١٣).

والله تعالى لعلمه أن ما مع اليهود اليوم هي كلها محرفات ولم يبق فيها صحيح يقول تعالى ﴿يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون﴾ ٧١ ـ آل عمران.

وبين سبحانه لأهل الكتاب أن الصحيح لن يجدوه أبداً إلا مما أنزل الله تعالى في القرآن كتاباً للعالمين ﴿يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيراً مما كنتم تخفون من الكتاب﴾ ١٥ ـ المائدة.

وكما بين سبحانه كذب ما بين أيديهم من كتب يدعونها لله ﴿وإن منهم فريقاً يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون﴾ ٧٨ ـ آل عمران.

وهؤلاء هم شياطين الإنس يفعلون الشر وهم يعلمون ما يفعلون.

لكل ما سبق وذكرته حتى الآن، فإن الدارس للديانة اليهودية يكتشف أسباب اختلاف هذه الديانة بالذات عن باقي ديانات الأرض كلها.

والمشكلة أن الذي لم يتوصل لفهم هذه الحقيقة لا يستطيع أن يفهم اليهودي النموذجي أبداً.

إن اليهودي يختلف تفكيره ونظرته للعالم والناس من حوله نتيجة اختلاف هذا الدين الفريد من نوعه في العالم من حيث نظرته وتقييمه للناس الآخرين (غير اليهود) عن نظرة وتقييم الأديان الأخرى المعاصرة لها (لأنكم شعب مقدس للرب إلهكم فإياكم قد اختار الرب إلهكم من بين جميع شعوب الأرض لتكونوا شعبه الخاص. ولم يفضلكم الرب ويتخيركم لأنكم أكثر عدداً من سائر الشعوب، فأنتم أقل الأمم عدداً. بل من محبته لكم) «سفر التثنية الإصحاح السابع الفقرات من ٦ حتى ٨».

(فالرب إلهكم هو مالك السموات وسماء السموات وكل ما فيها غير أن الرب

فضل آباءكم واصطفى ذريتهم من بعدهم، **التي هي أنتم**، لتكونوا فوق جميع أمم الأرض، كما هو حادث اليوم) «نفس المصدر الإصحاح العاشر الفقرتان ١٤ - ١٥».

والشرع الإسرائيلي يعتبر الناس في الأرض صنفين:

الصنف الأول وهو شعب الله المختار له كل الحقوق ويجب أن يعامل بالحسنى والصنف الثاني وهو ما يطلق عليه اليهود (الجنتايل) أو لفظة (الغوييم) وهي تعني الأميين أو الأممين من غير اليهود، وهؤلاء لا حقوق لهم أبداً.

لنستمع إلى قانون العفو العام عن الديون في نهاية كل سبع سنوات (وفي آخر كل سنة سابعة تبرىء المديونين من الديون وهذا هو الإجراء: يقوم كل دائن بإبراء مدينه مما أقرضه، ولا يطالب أخاه الإسرائيلي به، لأنه قد نودي بوقت الرب لإلغاء الديون. أما الأجنبي فتطالبه بالدين، وأما أخوك فتبرئه من ديونه) «سفر التثنية الإصحاح ١٥ - الفقرات من ١ حتى ٤».

(فتقرضون أمم كثيرة ولا تقترضون من أحد، وتتسلطون على أمم كثيرة ولا يتسلط أحد عليكم) «نفس المصدر الفقرة ٦».

(أما مدن الشعوب التي يهبها الرب إلهكم لكم ميراثاً، فلا تستبقوا فيها نسمة حية، بل دمروها عن بكرة أبيها كمدن الحثيين والأموريين والكنعانيين والغريزيين والحويين واليبوسيين) «نفس المصدر السابق الفقرتان ١٦ - ١٧ من الإصحاح ٢٠».

وكما أن شرائع الأديان المحرفة تتناقض مع بعضها كذلك نجد التناقض في هذا الدين الذي سبق الأديان تحريفاً وتبديلاً.

شرائع توريث الأبناء:

(إن كان رجل متزوجاً من امرأتين يؤثر إحداهما وينفر من الأخرى، فولدت كلتاهما له أبناء، وكان الابن البكر من إنجاب المكروهة، فحين يوزع ميراثه على أبنائه، لا يحل له أن يقدم ابن الزوجة الأثيرة ليجعله بكره في الميراث على بكره ابن الزوجة المكروهة، بل عليه أن يعرّف ببكورية ابن المكروهة ويعطيه نصيب اثنين من كل ما يملكه، لأنه هو أول مظهر قدرته وله حق البكورية). «سفر التثنية الإصحاح ٢١ الفقرات من ١٥ - ١٧».

بينما نجد في كتبهم أنهم قد أزالوا اسم إسماعيل مع أنه مذكور في كتبهم المقدسة

أنه بكر إبراهيم فبدلوا البكورية باسم إسحق لأنه ابن سارة واعتبروا إسماعيل لأنه ابن هاجر لا حقوق له.

واعتبروا اسحق هو الذبيح الذي أنزل الله كبشاً وفداه به، وبدلوا اسمه في الكتب المقدسة لكنهم نسوا أن يزيلوا عبارة: (ابنك وحيدك عني) حيث نجد في التوراة تحت عنوان: إسحق هو الذبيح:

(ولما بلغا الموضع الذي أشار إليه الله شيد إبراهيم مذبحاً هناك ونضد الحطب، ثم أوثق إسحق ابنه ووضعه على المذبح فوق الحطب. ومد إبراهيم يده وتناول السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء قائلاً: إبراهيم، إبراهيم فأجاب نعم فقال: لا تمد يدك إلى الصبي، ولا توقع به ضراً لأني علمت أنك تخاف الله ولم تمنع ابنك وحيدك عني) «سفر التثنية الإصحاح ٢٢ ـ الفقرات من ٩ ـ ١٢».

والتوراة نفسها تعترف بأن إسماعيل أكبر من إسحق بأربع عشرة سنة. بدليل ما نجد من نصوص:

(وكان إبراهيم في التاسعة والتسعين من عمره عندما ختن في لحم عزلته، أما إسماعيل ابنه فقد كان ابن ثلاث عشرة سنة حين ختن في لحم عزلته وهكذا ختن إبراهيم وإسماعيل ابنه في اليوم نفسه) سفر التثنية الإصحاح ١٧ ـ الفقرات ٢٤ ـ ٢٦.

بينما نجد تحت عنوان مولد إسحق ما يلي:

(وكان إبراهيم قد بلغ المئة من عمره عندما ولد له إسحق) سفر التثنية الإصحاح ٢١ ـ الفقرة ٦.

ونجد أسوأ من هذا تحت عناوين مولد عيسو ويعقوب: (إسحق يتأهب لمباركة (بكره) (عيسو) (يعقوب يسرق البركة). (اكتشاف المؤامرة).

حيث تكتشف قراءة القصة أن يعقوب يرعي أمام أبيه الضرير إسحق أنه عيسو مقلداً صوته فيباركه الأب ظناً منه أنه يبارك ابنه البكر عيسو، وعندما يعود الابن البكر ويكتشف أن أباه قد بارك بالنبوة والرسالة لابنه يعقوب يقول لأبيه باكياً: باركني أنا أيضاً يا أبي فماذا يجيبه الأب الذي اكتشف المؤامرة والخديعة؟ فأجاب إسحق: (لقد سبقك أخوك يعقوب وأخذ بركتك) (لقد جعلته سيداً لك وصيرت جميع إخوته له خداماً. وبالحنطة والخمر أمددته. فماذا أفعل لك الآن يا ولدي؟) فقال عيسو: (ألك

بركة واحدة فقط يا أبي؟ باركني أنا أيضاً يا أبي).

وأجهش عيسو بالبكاء بصوت عال فأجابه أبوه (أي لَعَنَهُ بدلاً من أن يباركه) وها مسكنك يكون في أرض جدباء لا يهطل عليها ندى السماء بسيفك تعيش ولأخيك تكون عبداً).

ونصوص التوراة لا تحتاج إلى خبير لاكتشاف تحريفها بل تحتاج إلى عقل لم يقع في عشق وحب هذا الدين بعد، حيث نجد تحت العنوان التالي: أبناء الله يتزوجون بنات من الناس! (وحدث لما ابتدأ الناس يتكاثرون على سطح الأرض وولد لهم بنات، انجذبت أنظار أبناء الله إلى بنات الناس فرؤوا أنهن جميلات فاتخذوا لأنفسهم منهن زوجات حسب ما طاب لهم. فقال الرب: «لن يمكث روحي مجاهداً في الإنسان إلى الأبد هو بشري زائغ لذلك لن تطول أيامه أكثر من مئة وعشرين سنة فقط» وفي تلك الحقب كان في الأرض جبابرة، وبعد أن دخل أبناء الله على بنات الناس ولدن لهم أبناء وصار هؤلاء الأبناء أنفسهم الجبابرة المشهورين منذ القدم، (سفر التكوين الإصحاح ٦ الفقرات من ١ - ٤).

ولكن ما يهمنا من التحريف هو جعل معيارين لله على الناس، معيار خاص لبني إسرائيل شعب الله المختار والمحبوب، ومعيار آخر لبقية أمم الأرض المكروهة التي لا إله لها ولا حامي ولا مدافع عن حقوقها «وبنوا الغريب يبنون أسوارك وملوكهم يخدمونك. لأني بغضبي ضربتك وبرضواني رَحمتك، وتنفتح أبوابك دائماً. نهاراً وليلاً لا تغلق. ليؤتى إليك بغنى الأمم وتقاد إليك ملوكهم. لأن الأمة والمملكة التي لا تخدمك تبيد وخراباً تُخرَبُ الأمم. مجد لبنان إليك يأتي السرو والسنديان والشربين معاً لزينة مكان مقدسي وأمجد موضع رجليَّ. وبنوا الذين قهروك يسيرون إليك خاضعين وكل الذين أهانوك يسجدون لدى باطن قدميك ويدعونك مدينة الرب صهيون قدوس إسرائيل) سفر اشعيا الإصحاح ٦٠ - الفقرات من ١٠ - ١٧.

وأهم شيء في شريعة الدين إن كان صحيحاً أن يكون له معيار واحد ومقياس واحد هو الحق للجميع، بينما نجد التوراة مبنية على أساس معيارين ومقياسين، معيار ومقياس خاص بشعب الله المختار عدلاً واحساناً، ومعيار ومقياس آخر مختلف لباقي الناس مبني على إنكار الحقوق والإنسانية عن جميع الناس: «لا تقرض أخاك بربا ربا فضة أو ربا طعام أو ربا شيء مما يقرض بربا. وللأجنبي (لغير الإسرائيلي) أقرض بربا لكي يباركك

الله إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها» سفر التثنية الإصحاح ٢٣ ـ الفقر ١٩.

وهكذا نكتشف من خلال نفس النصوص التي يعتبرها هذا الشعب مقدساً نظرته الحقيقة لباقي الناس من الشعوب الأخرى التي تتبارى في إقامة إسرائيل الكبرى، ولا يعلمون أن إنشاء قوة في الأرض تؤمن بالتميز والتفوق على باقي الأمم معناه جر العالم كله إلى حرب عالمية جديدة، تماماً كما جرَّت أفكار النازية وتفوق العرق الآري النازي وامتيازه على باقي العروق في العالم إلى الحرب العالمية الثانية فذاق العالم أجمع ويلاتها واكتوى بنارها.

ولكن أي حرب عالمية جديدة بعد توفر القنابل الذرية والهدروجينية والكيميائية والبيولوجية سوف تكون نهاية لحضارة الإنسان الحالي على الأرض، نهاية تعيد أحفادهم إن خرج منهم أحفاد إلى العصور ما قبل الحجرية.

﴿إن الشيطان للإنسان عدو مبين﴾ ٥ ـ يوسف.

﴿إنا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون﴾ ٢٧ ـ الأعراف.

﴿وكذلك جعلنا لكل نبي عدواً شياطين الإنس والجن﴾ ١١٢ ـ الأنعام.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

عقدة العقد عند الآبائيين من المسلمين

إن أكبر العقد عند أغلب المسلمين من الآبائيين هو الاعتقاد السائد عندهم أن الله تعالى قد أنزل القرآن وحياً إلى رسوله بحيث لا يمكن فهمه مباشرة إلا إذا شرحه وبين غوامضه الرسول نفسه، والذي تتجاهله الأغلبية هو أن ما يسمى بالحديث النبوي الشريف رواه رجال، وفي أحيان كثيرة خدمةً لفئة صغيرة من ملأ قريش، الذين لم يلتزموا بالقرآن وما يحتويه من حقوق للفقراء والمساكين والأيتام وشرع عادل قويم فقالوا للرسول الأمين بداية ﴿قال الذين لا يرجون لقاءنا إئت بقرآن غير هذا أو بدله قل ما يكون لي أن أبدله من تلقاء نفسي إن أتبع إلا ما يوحى إلي إني أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم * قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به فقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون﴾ ١٥ - ١٦ - يونس.

والله عالم الغيب والشهادة كان يعلم بنوايا ذلك الملأ ونوايا فريق من أهل الكتاب بتبديل ما عجزوا عن تبديله أيام الرسول والخلافة الراشدة فقال سبحانه كاشفاً نواياهم سلفاً ﴿فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً أو كذب بآياته إنه لا يفلح المجرمون﴾ ١٧ - يونس.

وهكذا مكروا مكراً كُبّاراً فأوجدوا كتب الحديث بحجة أنها مبنية وشارحة للقرآن، وغايتهم إلغاء القرآن بكتب بديلة عن كتاب الله، وبدلوا في دين الإسلام دون أن يقولوا الحقيقة للناس وعامتهم الذين ما يزالون يصدقون ذلك الادعاء القديم.

لقد حقق بعض الرواة والفقهاء حلم السلطان وخلصوه من قيود الله على أولي الأمر أولاً، وإلغاء حقوق الإنسان المسلم ثانياً، والسماح بالتسلط على العباد شرعاً من الله ثالثاً، وإلغاء الحظر على الخمر مع تحليله رابعاً، والسماح بالزنى تحت اسم المتعة خامساً، إبقاء مفاتيح خزائن الأرض تحت تصرف السلطان سادساً.

وللبرهان على هذا الانقلاب في العقيدة لا بد من تقديم أمثلة وبراهين حقيقية ملموسة من الجميع، لإقناع القارىء بحقيقة ما أبحث معه من مواضيع في هذا الكتاب، للكشف عن مصداقية هذا التبديل ليعتمدها في بناء عقيدته بعد أن يتبين له خطأ ما كان عليه من معتقدات خاطئة وصلته عن طريق أمه وأبيه وشيخه العزيز.

إن المسلمين مثل أغلب أتباع أديان الأرض المختلفة غالبهم آبائيون يتبعون ما وجدوا عليه آباءهم، ظناً أن ما قاله الأولون صحيح صحة لا يجوز الشك فيها أصلاً. علماً أن هذا من أكبر أخطاء الإنسان في كل الأديان، ولو كنا نستخدم عقولنا كان علينا أن نكتشف لوحدنا من محاكمة عقلية بسيطة تقول طالما أن الله تعالى خالق الكون والناس أجمعين واحد أحد لا يتغير ولا يتبدل وكلامه الحق، والحق له وجه واحد وليس له وجوه متعددة، وبالتالي إذا شاء أن يرسل رسالة وديناً للناس لا يمكن إلا أن يرسل ديناً واحداً، ومن هنا نكتشف أن كل ما مع الناس من أديان متعددة وكتب مختلفة ليست من الله، الذي لم يرسل للناس إلا الإسلام ديناً. وأرسل لكل أنبيائه ورسله كتابين لا ثالث لهما وهما: الكتاب والحكمة. لذلك فالله تعالى يدعونا في القرآن: الكتاب الوحيد الذي حفظه الرحمن من يد التحريف في الأرض ربما ليجعله مرجعاً موحداً للجميع، أن نعيد النظر فيما قاله الآباء حتى إذا وجدنا أهدى مما كانوا عليه تركنا القديم واتبعنا الأهدى والأحسن والأفضل، لأن حسابنا يوم القيامة سوف نتحمله وحدنا ولن يحاسب آباؤنا عنا إن أخطأنا وأحسنا الظن ثم اتبعناهم من غير برهان أو دليل على صحة ما بلغونا من أقاويل.

إن أغلب المسلمين اليوم لا يعلمون ماذا في كتب الحديث من أحاديث مناقضة حقيقةً لآيات القرآن، حتى في كتب الصحاح مثل صحيحي البخاري ومسلم، التي تحوي أحاديث كثيرة تحلل أشياء كثيرة رغم تحريمها في القرآن، وكذلك تلغي حدود الله وتحرم ما حلل الله وتحلل ما حرم سبحانه إرضاءاً للحكام مناقضين علناً شرع الله الذي في القرآن العظيم.

لقد برهنت على كل هذه الأمور بالتفصيل في كتابي (البرهان) دين السلطان لمن أحب أن يرى بنفسه الأدلة الدامغة من الصحيحين.

وفي هذه الفقرة سوف أوجز ما استطعت لأترافق مع القارىء الكريم في هذا الكتاب الذي أبين فيه بعض أسرار القرآن العظيم.

إن الإسلام القرآني هو الدين الوحيد في الأرض الذي يعترف بحقوق الإنسان كلها ويقدم عليها حرية العقيدة حيث يقول سبحانه علناً: ﴿من شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾ ٢٩ ـ الكهف.

﴿لا إكراه في الدين﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

﴿أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين﴾ ٩٩ ـ يونس.

والله تعالى لا يحب للإنسان العاقل أن يتبع آباءه من غير تبصر ويسخر من الآبائيين الذين يقولون أنهم يتبعون ما وجدوا عليه الآباء، بل يحب له أن يشك بما كان معهم ويفكر بعقله وميزانه الشخصي هل صحيح ما يدعون؟

﴿قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا﴾ ١٧٠ ـ البقرة.

﴿قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا﴾ ١٠٤ ـ المائدة.

وهذه الآيات أكثر من أن تحصى في القرآن الكريم، لذلك ينبهنا الرحمن وينصحنا قائلاً ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء إن استحبوا الكفر على الإيمان﴾ ٢٣ ـ التوبة.

وهذا مما لا يمكن أن نعلمه إذا قارنا معتقدات الآباء مع حجر الكشف الذي بين أيدينا جميعاً كمسلمين وهو القرآن العظيم وآياته البينات، التي فيها وحدها هدي الله ونوره المبين إن استخدمنا عقلنا كميزان لنعرض عليه الأفكار الأخرى إن تماشت مع الآيات قبلناها وإن تناقضت نقضناها.

لذلك كل من يعود إلى ذلك الكتاب الذي لا ريب أنه من رب العالمين عالماً أن كل ما سواه افتراء على الله ورسوله لغايات وأهداف ومصالح واضحة مقصودة ومطلوبة أن تكون مناقضة لكتاب الله الذي لا يتماشى مع تلك المصالح أصلاً.

فالرسول الأمي لم يأتنا أبداً إلا بالقرآن وآياته البينات التي لم يستسغ طعمها الملأ كما حدث في كل الرسالات السابقة. وعندما عجزوا عن تحريف القرآن وتبديل آياته بشكل مباشر عمدوا إلى ابتداع حديث مع حديث الله رغم استنكاره في القرآن، ولكنهم نجحوا في زرع تلك البدعة في أفكار المسلمين بقوة التكرار ودعم مشايخ السلطة الدائم لها وترديدها عليهم صباح مساء ﴿فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون﴾ ٦ ـ الجاثية.

وقالوا لابد من طاعة أوامر الرسول مع علمهم أن ما ادعوه من أوامر تناقض أوامر الله استناداً لآيات سابقة أمرت بطاعة الله والرسول معاً مثل ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول﴾ ٣٣ ـ محمد. دون أن يقولوا للناس طبعاً أن الطاعة هنا لأوامر الله وحدها لأن الرسول الكريم ليس له أمر ينفرد به وحده دون الله في الإسلام الرحمني للذي يفهم القرآن:

﴿ليس لك من الأمر شيء﴾ ١٢٨ ـ آل عمران.

﴿لله الأمر من قبل ومن بعد﴾ ٤ ـ الروم.

﴿بل لله الأمر جميعاً﴾ ٣١ ـ الرعد.

وقالوا لله هدي في القرآن ولرسوله أيضاً هدي سموه هدي محمد دون أن يقولوا أن الهدي كله لله وحده لا شريك له:

﴿وكفى بربك هادياً ونصيراً﴾ ٣١ ـ الفرقان.

﴿وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ ٤٣ ـ الأعراف.

وقال سبحانه مبيناً موضوع الهداية أنه من الله وحده لا شريك له فيه من أحد:

﴿ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٢٧٢ ـ البقرة.

﴿إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء﴾ ٥٦ ـ القصص.

﴿ذلك هدى الله يهدي به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون﴾ ٨٨ ـ الأنعام.

والآية الأخيرة تبين لنا أننا إن اشركنا في كتبنا وفي شرعنا وأحكامنا هدياً آخر وأحاديث مناقضة لأحاديث الله وشرائع مناقضة لشرع الله الحكيم وتخطينا حدود الله المبينة في كتابه دون أن نعلم حقيقة ما في القرآن ولا حقيقة ما في تلك الكتب، عندها يجب أن لا نستغرب لماذا تخلى الله تعالى عنا وحبطت أعمالنا كلها وأصبحت قيمتنا في الأرض تساوي الصفر. وكما أن ذلنا وهواننا على الله والناس أصبح واضح بيناً لا يحتاج إلى برهان من أحد. كما قالوا لنا: شفاعة محمد. دون أن يقولوا حقيقة ما قاله الله تعالى عن الشفاعة في القرآن الكريم ﴿ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون﴾ ٥١ ـ الأنعام. ﴿أنفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة﴾ ٢٥٤ ـ البقرة. ﴿قل لله الشفاعة جميعاً له ملك السموات والأرض﴾ ٤٤ ـ الزمر.

وهكذا يتبين لنا أن الذين ادعوا الشفاعة للرسول هم الذين ظلموا وخدموا أولي الأمر الذين تسلطوا على العباد من بعد الخلفاء الراشدين مباشرة. والله تعالى يبين لنا هذه الحقيقة في نهاية (الآية ٢٥٤ البقرة) السابقة حيث نجد في تتمة الآية قول الله تعالى ﴿والكافرون هم الظالمون﴾ ٢٥٤ ـ البقرة.

لكل ما سبق ذكره حتى الآن ومن أجل أن لا نخرج عن الموضوع أو ندخل في

الإسهاب، لابد من الإسراع بالأمثلة الحقيقية التي تبين للجميع أن ما نطبقه الآن على أنه دين الإسلام وشرعه يناقض ويخالف شرع الله ودينه في الإسلام.

١ ـ التناقض الأول:

إن الموضوع الأساسي والهام في الإسلام هو تصور الله تعالى كما تصوره آيات القرآن بحسب الصفات والأسماء الحسنى الواردة فعلاً في آيات القرآن الكريم.

لقد أجريت بحثاً كاملاً لهذا الموضوع حيث بينت أن عدد أسماء الله الحسنى التي هي صفات الله تعالى سبعة وخمسون صفة أو اسماً. وليست كما نجدها في كتب الحديث تسعاً وتسعين اسماً أو صفة أبداً.

وقد يقول البعض إذا كانوا من الجاهلين إن في زيادة الخير خير وماذا إذا أضفنا إلى أسماء الله الحسنى، إثنتان وأربعين صفة جديدة لم يشر إليها رب العالمين في كتابه المبين؟.

إن صفات الله تعالى هامة جداً ولا يجوز التلاعب بها زيادة أو نقصاناً، لأننا إن فعلنا فنحن قد غيرنا من صفات الله وصورناه لأنفسنا تصويراً مخالفاً للحقيقة القرآنية.

لذلك إذا عدنا إلى تصور الله في الأحاديث لوجدناه يتطابق مع تصور أهل الكتاب الذين ثبت من الله تحريفهم وتبديلهم لكتبهم المقدسة كلها وبعدها لم تعد تصلح لتكون وثائق مرجعية للحق أبداً ﴿وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه﴾ ٧٥ ـ البقرة. ﴿فبدل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل لهم﴾ ٥٩ ـ البقرة.

وما كان القرآن إلا وسيلة لتصحيح كتب أهل الكتاب إن شاؤوا ذلك، وقد قال سبحانه لرسوله في الكتاب المبين ذلك في قول كريم ﴿وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لتبين لهم الذي اختلفوا فيه﴾ ٦٤ ـ النحل.

الحقيقة التي لا يعلمها أغلب المسلمين أن رجال الدين الإسلامي يعتبرون صحيحي البخاري ومسلم أصدق وأصح كتابين في الأرض بعد القرآن، وهذا معناه أنه ليس في الصحيحين تناقض مع كتاب الله وليس فيهما أحاديث ضعيفة أو أحاديث مرفوضة، بل كله مقبول وكله مطابق لشرع الله وحدوده في الإسلام.

وهكذا عكس الواقع وعكس ما حاول الشيخان إثباته للمسلمين من دون أن يكون

لهما الحرية الكافية لقول ذلك علناً في كتابيهما وإن كنا نجد للإمام مسلم يلمح إلى ذلك في مقدمته للكتاب.

موضوع الحديث من أهم ما يواجه المسلمين اليوم، لأنه إذا ثبت لهم تناقض الصحيحين مع كتاب الله حلت عقدة العقد، واستطاع بعدها المسلمون العودة إلى كتاب الله وحده، مع وجوب توقف المسلمين عن اعتماد كتب أخرى مع حديث الله.

كذلك نجد في الإنجيل نصاً يشير إلى مشابهة الله للإنسان حيث يقول عيسى عليه السلام «الذي رآني رأى الآب» والآب عند أهل الإنجيل هو الله تعالى، ونجد هذا قد دخل إلى الإسلام بعد تبديل كلمة الآب، في حديث مفترى على رسولنا الكريم: (الحديث رقم ٢٢٦٧ من صحيح الإمام مسلم) قال: أبو سلمه قال: أبو قتادة قال رسول الله من رآني فقد رأى الحق». والحق عند المسلمين هو الله تعالى واسم من أسمائه الحسنى. بينما لا نجد في القرآن أي مشابهة بين الله ورسوله أبداً. ومن رأى محمد فإنه لم يرى الله حتماً.

ومن الصفات التي افتراها المحدثون نتيجة نقلهم المباشر عن كتب أهل الكتاب مثلاً: نص من التوراة: (فأوقع الرب الإله آدم في نوم عميق ثم تناول ضلعاً من أضلاعه وجعل منها امرأة أحضرها إلى آدم) سفر التكوين ـ الإصحاح الثاني الفقرات ٢١ ـ ٢٢، ونجد بالمقابل نصاً من الحديث النبوي (الحديث رقم ١٤٦٨ من صحيح مسلم المسلسل ٥٩) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: «إن المرأة خلقت من ضلع». بينما إذا بحثنا في القرآن لا نجد أي ذكر لخلق المرأة من ضلع أو من أي جزء من آدم.

٢ ـ التناقض الثاني:

إذا قرآنا كتب الحديث وفي مقدمتها الصحيحين لوجدنا مئات من الأحاديث، وكلها تدعي بأن الرسول الكريم قد قدم للمسلمين معجزات كثيرة، تشرح كيف خاطب الرسول الشجرة فأتته باكية وخاطبته أمام الناس بكلام سمعه الجميع.

وأخرى تشرح كيف أن الماء نبع من أصابع يد الرسول حتى سقى جيشاً من صحابة الرسول (الحديث ٢٢٧٩ صحيح مسلم). وأخرى تقول عن عبد الله بن مسعود قال (في الحديث رقم ٣٦٣٦ للبخاري) انشق القمر في عهد رسول الله شقين وقال لهم النبي

«اشهدوا» ونجد أيضاً في الحديث ٣٦٣٧ عن أنس أنه حدثهم (في صحيح البخاري) أن أهل مكة سألوا رسول الله، أن يريهم آية فاراهم انشقاق القمر» وهكذا إلى ما لانهاية.

أما إذا عدنا إلى كتاب الله المبين نجده يكذب كل السابقين ويقول لنا السر الذي دعاه سبحانه أن لا يرسل بالآيات (المعجزات) تأييداً للرسالة الأخيرة الموجهة للعالمين وأكتفى سبحانه بالمعجزات القرآنية ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾ ٥٩ ـ الإسراء.

٣ ـ التناقض الثالث:

إذا قرآنا كتب الحديث لوجدنا للرسول الكريم تنبؤات كثيرة جداً لم يرد ذكرها في القرآن الكريم، وكلها تصب في مصلحة الحكام الذين رغبوا في الحياة الدنيا وظلموا الناس، فكانوا يروون لهم مثلاً أحاديث تؤكد أن هذا الظلم قدر من الله مكتوب على الناس حتى لا يثوروا على حكامهم، (فنجد في الحديث رقم ١٨٤٣ من صحيح الإمام مسلم) عن عبد الله قال رسول الله،: «إنها ستكون بعدي أثرة وأمور تنكرونها» قالوا: يا رسول الله! كيف تأمر من أدرك منا ذلك؟ قال «تؤدون الحق الذي عليكم وتسألون الله الذي لكم».

وإذا عدنا للقرآن الكريم نجد الله تعالى يلعن الظالمين ولا يقبل الله تعالى بالظلم لأي سبب من الأسباب ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾ ١٨ ـ هود.

والله تعالى لم يقبل الجهر بقول السوء إلا لمن كان مظلوماً من عباده فيغفره له ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم﴾ ١٤٨ ـ النساء.

والله تعالى يؤكد في القرآن الكريم أن الغيب لا يعلمه إلا الله وحده ويجعله باقي عباده جميعاً إلا من أوتي علماً من الله فيعلم بقدر علمه، مثل التنبوء بالمولود نتيجة الكشف بالأشعة المغناطيسية على المولود أو مثل التنبوء بالأمطار والثلوج نتيجة رؤيا ما ترسله الأقمار الصناعية من تحركات الرياح والسحب حول الأرض أما ماعدا ذلك فعلمه عند الله وحده ﴿قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله﴾ ٦٥ ـ النمل.

ولعلم الله تعالى أن كثيراً من مدعي الإسلام سوف يتقولون على الرسول الكريم أكاذيب كثيرة مدعين له الغيب فقال سبحانه على لسانه تأكيداً على عدم

معرفة الرسول للغيب أبداً. ﴿قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب﴾ ٥٠ ـ الأنعام. وكما قال تعالى أيضاً على لسان رسوله ﴿ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير﴾ ١٨٨ ـ الأعراف.

فالقرآن ينفي نفياً قاطعاً معرفة الغيب عن رسوله والأحاديث غالباً تدعي معرفة الرسول لغيب الله كله وهذا من أخطر المتناقضات في الإسلام.

٤ ـ التناقض الرابع:

تصور المسلمين ليوم القيامة والحشر والحساب والصراط المستقيم، مبني ومأخوذ عن كتب أهل الكتاب الذين يتخيلون أن الله تعالى مخلوق مثل الإنسان والفارق الوحيد هو في الحجم، فيتخيلون الناس في أرتال وهم ينتظرون آلاف السنين للحساب يوم القيامة وأوساخهم مع عرقهم قد وصلت إلى رقابهم حتى يأتي دورهم في الحساب.

بينما تصوير القرآن يختلف اختلافاً جذرياً، إذ يقول الله صراحة أنه سوف يحاسب كل الخلق وكأنه يحاسب فرداً منهم، لأنه سبحانه له القدرة أن يكون مع كل خلقة في نفس اللحظة. وهذه القدرة خاصة بالله وحده لا يشاركه فيها أحد من خلقه، تلك القدرة تجعله يحاسب كل فرد منهم لوحده وليس معه إلا شاهديه من الملائكة الذين سجلوا عنه كل شيء، فيتقرر مصيره بحسب أعماله إلى الجنة أم إلى النار، ثم يساق بعدها مباشرة أهل الجنة إلى دار النعيم زمراً كما يساق أهل جهنم إلى دار الجحيم أيضاً زمراً وينتهي حساب الله بشكل سريع.

فالقرآن يقول عن الحساب وسرعته ﴿فإن الله سريع الحساب﴾ ١٩ ـ آل عمران. وأما عن عودة الإنسان لربه يوم القيامة فيقول تعالى ﴿وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً﴾ ٩٥ ـ مريم. ﴿ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة﴾ ٩٤ ـ الأنعام.

لذلك فالصورة الموجودة في كتب أهل الكتاب وفي الحديث عن يوم الحشر كلها خاطئة ومناقضة لوصف يوم الحشر المذكور والمبين في القرآن الكريم.

فلا شك بعد هذا أن يكون القرآن هو الكتاب الوحيد الذي يهدي إلى الحق وكل باقي الكتب الأخرى إنما تهدي إلى الضلال والضياع...

﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ويبشر المؤمنين﴾

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

من هو الطاغوت؟ هل علينا محاربة الطاغوت بالسيف؟ أم علينا اجتناب الطاغوت؟

أسئلة كبيرة ولفهمها لابد أن نفهم:

ما معنى طغى؟ ﴿اذهب إلى فرعون إنه طغى﴾ ٤٣ ـ طه. ﴿وفرعون ذي الأوتاد الذين طغوا في البلاد﴾ ١١ ـ الفجر.

لقد كنى الله تعالى في القرآن ووصف الجبال بالأوتاد في قوله ﴿ألم تجعل الأرض مهادا * والجبال أوتادا﴾ ٧ ـ النبأ.

لذلك عندما قال تعالى وفرعون ذي الأوتاد، فهو سبحانه يتحدث عن فراعنة مصر الذين بنوا جبالاً من الصخور سموها الإهرامات فيكنّي سبحانه جبالهم بالأوتاد ويقول ﴿وفرعون ذي الأوتاد﴾ وحتى نعلم أنه سبحانه يتكلم عن الفراعنة بشكل عام يقول سبحانه في الآية التي بعدها ذاكراً صفتهم الملازمة لهم وهي الطغيان فيقول بصيغة الجمع وليس بصيغة المفرد ﴿الذين طغوا في البلاد﴾.

وهكذا نستطيع الحصول على مترادفات لكلمة طغى من القرآن ومنها الطغيان ﴿الله يستهزىء بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون﴾ ١٥ ـ البقرة. والشخص إذا طغى يقال عنه طاغوت ﴿فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها﴾ ٢٥٦ ـ البقرة.

والله تعالى يأمر بالكفر بما شرع الطاغوت له وبما حلل وحرم وما أوجد من كتب لا برهان ولا سلطان عليها من الله.

ولكن ما معنى قول الله تعالى للمؤمنين من عباده:

﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ ٣٦ ـ النحل.

هذه الآية بالذات لها دلالات خاصة يمكن أن تظهر على أحوال الناس، منها أن الناس بشكل عام يطيعون طواغيتهم، والطاعة عند الله هي العبادة لذا فالذي يطيع

شرائع الطاغوت وما يحرمه ويحلله يكون هو الذي يعبد الطاغوت فعلاً.

ومنها أن الرسول إذا نجح واتبعه مؤمنون كفروا بالطاغوت وآمنوا بالله وحده يأتي الملأ من كل أمة بما معهم من أموال تعطيهم القدرة على الحركة والقوة والنفوذ، فيستولون على مقاليد الأمور من جديد ويبدلون شرع الله الذي كان في رسالة الرسول إلى شرائع محرفة للطاغوت، مع احتفاظ المسؤولين عن الدين باسم الدين كما كان مع تبديل جوهره ومحتواه من شرع وحق ونور إلى شرائع تخدم الطاغوت وملأه ليستبد بها على رقاب العباد ظلماً واستبداداً وتسلطاً وطغياناً.

فالآية السابقة تبين أن كل أديان الأرض المطبقة حالياً تتبع الطواغيت ولا أحد يطبق شرع الله في الأرض لذلك: إذا شاء مسلم اليوم أن يعود إلى تطبيق كتاب الله عليه أن يقرأه من جديد ليطبق آيات الله ومنها قوله تعالى ﴿يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً﴾ ٦٠ ـ النساء.

لكن هذا الشيطان الذي خدم السلطان، وكان يريد أن يضل المسلمين ضلالاً بعيداً، لم يكن من الأغبياء فليس في الأرض شيطان غبي وإلا لما سمي شيطاناً، فهم من الأذكياء الذي استخدموا ذكاءهم ووظفوه للدنيا وحدها دون الآخرة مقابل ثمن قبضوه أجراً على خدماتهم، فعادوا واستولوا على القرآن وفسروه وأولوه كما يشاؤون، بعد أن أوجدوا لكل تساؤل من العامة جواباً يتماشى مع الدين الجديد وإن لم يغيروا اسمه إلى أكثر من قولهم دين الإسلام على نهج أهل السنة.

فصار بحسب هذا المبدأ الدين كله مبني على الحديث الذي أنكره الله بداية وصار من سلطة الحديث أن ينسخ كتاب الله وآياته، ومن حق الحديث أن يفسر ويؤول ما يشاء وكيف يشاء.

ولكن ماذا نقول للمسلم المؤمن الذي يرغب فعلاً أن يكفر بالطاغوت.

ماذا يفعل حتى يعود إلى طاعة الله وعبادته وكيف له أن يترك الطاغوت المتجبر في الأرض خاصة إذا كان المؤمن واقعاً تحت سيطرته المباشرة؟.

هل يرفض طاعته ويعلن عصيانه؟.

هل يثور ويرفع سلاحه في وجهه؟.

هل يحارب الطاغوت ويجابهه؟.

إن كل جواب لهذه الأسئلة من خارج كتاب الله الذي عليه برهان أنه من الله تعالى لا قيمة له ولا وزن لأنه رأيٌ إنساني يحتمل الخطأ والصواب.

فما رأي القرآن أو بكلمة أخرى ما هو رأي الله تعالى حول هذا الموضوع؟ وكيف للمؤمن أن يتصرف مع الطاغوت المتجبر في الأرض؟.

يقول الله سبحانه وتعالى جواباً لتساؤلنا ﴿اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ ٣٦ ـ النحل. وإذا تأملنا كلمات الآية نجد فيها عبارتين العبارة الأولى فيها أمر مباشر من الله للمؤمن يقول له فيها ﴿اعبدوا الله﴾.

والإنسان في عبادته وفي طاعته الذاتية التي تكون بين الإنسان وخالقه فيها سرية كاملة لا يخشى فيها الإنسان على نفسه، فبإمكانه أن يطيع الله ويوحده كما يشاء بتوحيد كتاب الله ومحاولة فهمه بشكل مباشر بغض النظر عن أقوال رجال دين الطاغوت جميعاً.

والعبارة الثانية فيها أيضاً أمر مباشر من الله للمؤمن يقول له فيها ﴿واجتنبوا الطاغوت﴾ واجتناب الطاغوت أمر ليس فيه مواجهة ولا رفع للسلاح ولا إعلان للثورة. وإنما أمر لمواجهة الطاغوت بأسلوب الاجتناب، وحتى أبين هذا لا بد من الاستعانة بمثال:

من المفكرين العالميين الذين استخدموا أسلوب اجتناب الطاغوت كان المفكر الهندي وزعيم الهند الروحي غاندي.

فقد جابه هذا الرجل العظيم بفكره الثاقب جبروت الإنكليز وطغيانهم بالاجتناب دون أي محاولة لرفع السلاح في وجه السلطة الطاغية. والسلطة تريد الاستفادة من الناس عن طريق جمع الضرائب على السلع مثل الملح، فأمر غاندي الهنود أن يتوقفوا عن شراء الملح وأن يذهبوا إلى البحر ويأتوا بمائه ليجففوه ويستخرجوا منه من الملح ما يحتاجونه.

أرادت إنكلترا أن تبيع إنتاجها من الأقمشة للهند، فأمرهم غاندي أن لا يلبسوا إلا ما تحيكه أيديهم ومن إنتاجهم من الصوف والقطن في الهند.

وكذلك كل طاغوت يمكن مجابهته بالاجتناب وليس بالقوة وهذا هو أمر الله، أما ما يفعله بعض الذين يدّعون الولاية والزعامة في الإسلام ثم يقتلون الأطفال والنساء والشيوخ في الشوارع المزدحمة من مدن المسلمين بحجة التغيير والأمر بالمعروف والنهي

عن المنكر، إنهم يطبقون شرائع الشياطين ولا يقرؤون القرآن حتى يعلموا ماذا يقول الله تعالى لهم في كتابه العظيم.

وهكذا فهمنا من آيات الله وحدها ما معنى طغى، ومن هو الطاغوت وماذا يقصد الرحمن بالطغيان، وكما علمنا كيف يمكننا أن نحارب الطاغوت بالاجتناب وليس برفع السيف ولا بشق العصيان:

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها وانابوا إلى الله لهم البشرى فبشر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾ ١٧ - ١٨ الزمر.

صدق الله العظيم وصدق رسوله المبلغ الأمين.

مراجع الكتاب

١ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ـ محمد فؤاد عبد الباقي ـ المكتبة الإسلامية استانبول ـ تركيا ـ ١٩٨٤.

٢ ـ علم الحديث ـ شيخ الإسلام ابن تيمية ـ علم الكتب بيروت.

٣ ـ البداية والنهاية ابن كثير الدمشقي ـ دار الريان للتراث ـ القاهرة ـ ١٩٨٨.

٤ ـ السنة قبل التدوين ـ الدكتور محمد عجاج الخطيب ـ دار الفكر ـ ١٩٨١.

٥ ـ السنة ـ الشيخ مصطفى السباعي ـ المكتب الإسلامي ١٩٨٥.

٦ ـ الإسلام في مواجهة الإستشراق العالمي ـ الدكتور عبد العظيم المطعني دار الوفاء ـ المنصورة ١٩٩٢.

٧ ـ الروح ـ دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٩١ ابن قيم الجوزية.

٨ ـ الفوائد دار الهدى ـ بيروت ١٩٩٤ ابن قيم الجوزية.

٩ ـ الكتاب والقرآن ـ قراءة معاصرة. الدكتور محمد شحرور ـ دار الأهالي للطباعة والنشر ـ دمشق ١٩٩٤.

١٠ ـ القرآن الكريم.

١١ ـ أسباب النزول للواحدي ـ دار لقبلة ـ المملكة العربية السعودية ـ جدة ـ ١٩٨٧.

١٢ ـ ألفية السيوطي ـ لجلال الدين السيوطي ـ القاهرة ١٣٥٣ هـ.

١٣ ـ تأويل مختلف الحديث ـ ابن قتيبة ـ مطبعة كردستان بمصر ١٣٢٦ هـ.

١٤ ـ صحيح البخاري بحاشية السندي ـ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

١٥ ـ صحيح مسلم تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ـ دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٥٦.

١٦ ـ تذكرة الحفاظ ـ شمس الدين الذهبي طبع الهند ١٣٣٣ هجرية.

١٧ ـ فقه السنة ـ السيد سابق ـ الفتح للإعلام العربي ـ القاهرة ١٩٩٠.

١٨ ـ الأديان الحية ـ اديب صعب ـ دار النهار للنشر ـ بيروت ١٩٩٣.

١٩ ـ تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ـ دار الكتاب اللبناني ـ عاطف السيد ـ بيروت ١٩٨٤.
٢٠ ـ قصة الحضارة ول ديورانت. طبع الجامعة العربية ـ القاهرة ١٩٨٠.
٢١ ـ الكتاب المقدس L B I ١٩٨٨.
٢٢ ـ الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ١٩٨٨).
٢٣ ـ الكتاب المقدس (دار الكتاب المقدس في العالم العربي ١٩٨٢).
٢٤ ـ قصص ـ القرآن ـ دار الجيل ـ بيروت ١٩٩١.
٢٥ ـ جامع بيان العلم وفضله ـ المطبعة المنيرية ـ القاهرة. تأليف بن عبد البر.
٢٦ ـ التلمود ـ راندوم هاوس ـ نيويورك.
٢٧ ـ السلطان عبد الحميد الثاني ـ موفق بني المرجة ـ الكويت ١٩٨٤.
٢٨ ـ إحياء علوم الدين أبو حامد الغزالي الطبعة الأولى ١٩٧٤ ـ دار الفكر.
٢٩ ـ موسوعة المعارف البريطانية لعام ١٩٩٢.

صدر للمؤلف

١ ـ إنذار من السماء

دار الأهالي ـ دمشق ١٩٩٦

٢ ـ دين السلطان

دار الأهالي ـ دمشق ١٩٩٧

٣ ـ دين الرحمن

دار الأهالي ـ دمشق ١٩٩٨

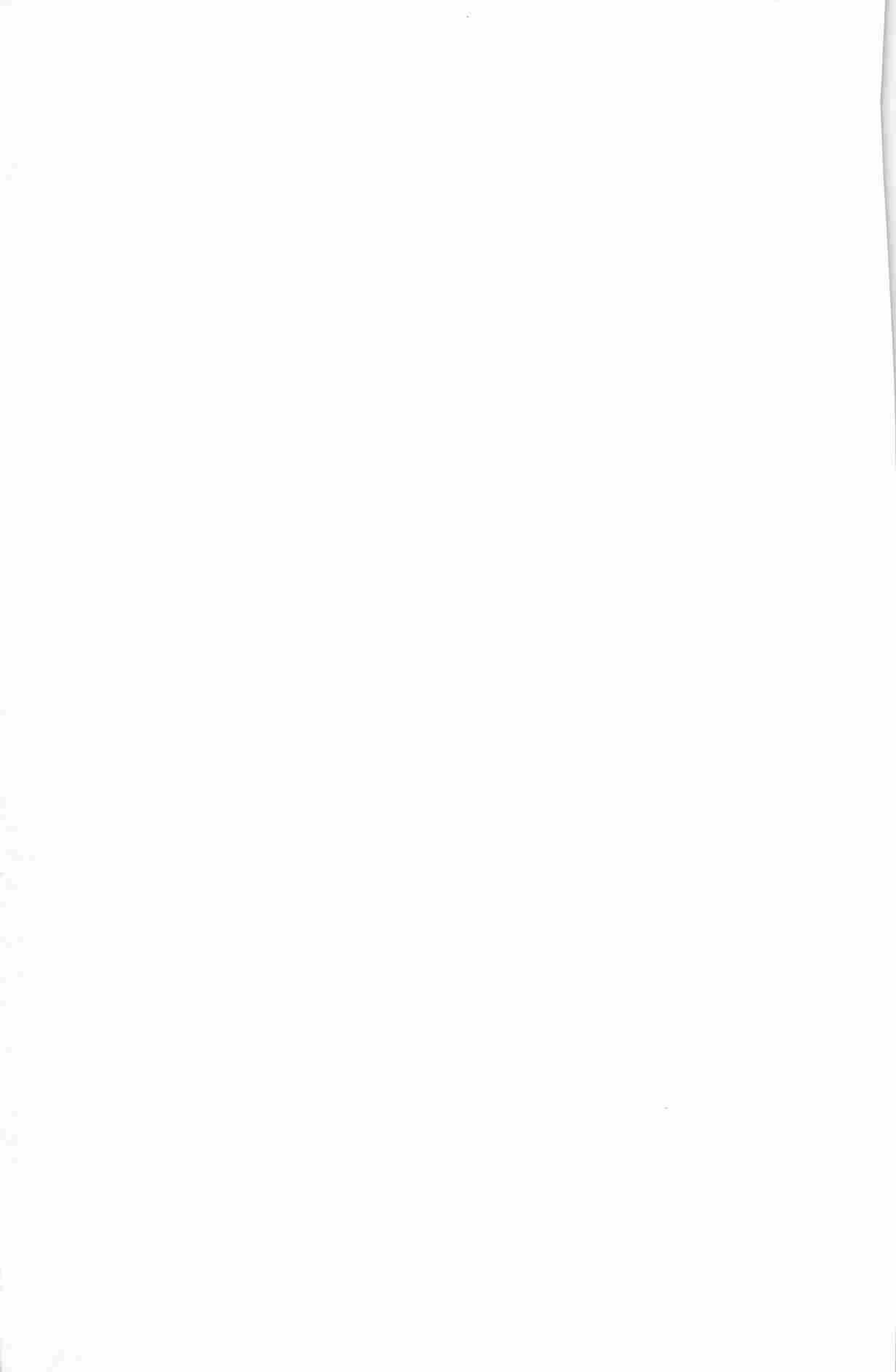
*** ـ ما هو النسيء «تقاويم العالم والتقويم العربي الإسلامي»**

دار الأهالي ـ دمشق ١٩٩٩

٤ ـ الحقيقة: من حقائق القرآن المسكوت عنها

دار الأهالي ـ دمشق ٢٠٠٠

الفهرس



أرجو أن لايدخل إلى فهم القارئ أن المؤلف يدعي لنفسه أنه علم وحده أسرار القرآن فأتى ليتحدث عنها. إذ لا أحد يستطيع أن يدعي لنفسه أنه فهم حقائق القرآن كلها.

القرآن كتاب الله تعالى، كتاب حي ليس بورقه وحبره ولكن بأفكاره وكلماته وآياته، التي لها القدرة على التفاعل مع العقل الإنساني، وتتحداه في كل زمان ومكان، علماً وتقنية وثقافة وفكراً. ومعجزاته أكثر من أن تُحصى، وتحدياته للعقول أكثر من أن تُعدّ. وعلم آباؤنا الأولون النواحي الظاهرة من إعجازات الكتاب، كالإعجاز اللغوي والبياني والتعبيري. وكلغة أدبية في استخدام الأمثال والرموز والتصوير والتشبيه والكناية والاستعارة، وغاب عنهم الإعجازات العلمية والإحصائية، كما غاب عنهم إعجازات أخرى فريدة من نوعها كجعل الكتاب وآياته سهل الحفظ وسهل الفهم على كل من يحاول فهمه إذا كان يعرف العربية ومفرداتها، وجعل الله تعالى مبادئه وتعليماته مختبئة خلف الكلمات بحيث إذا أشرك الإنسان مع كتاب الله كتباً أخرى مثل كتب الأحاديث أو التفاسير المختلفة امتنع الكتاب عن الفهم، وأصبحت الكتب الأخرى تقف مقام الغشاوة على العين فتمنع وضوح الرؤية، أو تقف مقام الوقر المانع من السمع فلا يسمع قارئها الحقيقة، وتقف مقام الحاجز أمام العقل فتمنع قارئها أو سامعها من فهم مقاصد الرحمن.. فيظن عندها القارئ كأنه يقرأ رموزاً يعجز عن حلها ويكتفي بما قاله المفسر من معاني، فيخسر لأنه استعان على فهم كتاب الله بكتاب آخر من صنع البشر.